السـيد سـامي البـدري . السـيد محمد الحسـيني الشـيرازي. السيد محمد تقي المدرسي. السيد مرتضى العسكري. السيد مرتضى القزويني. التيجاني السماوي. الـدكتور محمد حسـين الصـغير. الكـاتب السيسـتاني. الشـيخ محمد بـاقر الأيـرواني. الشـيخ محمد اليعقـوبي الشـيخ فاضل المـالكي. السـيد علي الحسـيني الميلاني. الشـيخ علي الكـوراني العـاملي. الشـيخ جعفر كـاظم المصـباح. السـيد كمـال الحيـدري. السـيد نـذير الحسـني. الشـيخ محمد حسـين الوحيد الخراسـاني. الأسـتاذ المغــربي إدريس الحســيني. محمد رضا الجعفــري. الســيد محمد محمد الصدر. الشيخ ناصر مكـارم الشـيرازي. الشـيخ لطف الله الصافي.السيد محمد رضا الكلبايكاني. الشيخ حسن الصــفار. الســيد أمــير محمد الكــاظمي القزويــني، الشــيخ المنتظري. السيد صادق الشـيرازي. الشـيخ علي آل محسـن. الشيخ نعمة هادي الساعدي. الأخت نرجس طريف. المهنـدس عالم سبيط النيلي. الشيخ جواد التبريزي. الكاتب السيسـتاني. السيد سامي البدر

في سبيل الشورى والوحدة والتجديد

حـــــــوارات
أحمـــد الكـــاتب
مع المراجع والعلـماء والمفـكرين

حول وجود الإمام الثاني عشر
الجزء الأول

السيد سامي البدري . السيد محمد الحسيني الشـيرازي. السـيد محمد تقي المدرسي. السيد مرتضى العسكري. السـيد مرتضى القزويـني. التيجـاني السـماوي. الـدكتور محمد حسـين الصـغير. الكاتب السيستاني. الشـيخ محمد بـاقر الأيـرواني. الشـيخ محمد اليعقوبي الشيخ فاضل المالكي. السـيد علي الحسـيني الميلاني. الشـيخ علي الكـوراني العـاملي. الشـيخ جعفر كـاظم المصـباح. السيد كمال الحيدري. السيد نذير الحسني. الشـيخ محمد حسـين الوحيد الخراسـاني. الأسـتاذ المغـربي إدريس الحسـيني. محمد رضا الجعفري. السيد محمد محمد الصدر. الشيخ ناصر مكـارم الشــيرازي. الشــيخ لطف الله الصــافي. الســيد محمد رضا الكلبايكاني. الشيخ حسن الصفار. السـيد أمـير محمد الكـاظمي القزويــني. الســيد ســامي البــدري . الســيد محمد الحســيني

الشـــيرازي. السـيد محمد تقي المدرسـي. السـيد مرتضى العسكري. السيد مرتضى القزويني. التيجاني السماوي. الدكتور محمد حسين الصغير. الكاتب السيستاني. الشيخ محمد باقر الأ

الإهداء
الى والديّ اللذين علماني البحث عن الحقيقة

الطبعة الأولى 2007
الطبعة الثانية 2010
مزيدة ومنقحة

البريد الإلكتروني للمؤلف
ahmad@alkatib.tv

المحتويات

"إيـاك والمسـلمات، ولا سـيما في غـير العبـادات من أبـواب الفقه، فـان كثـيرا من المشـهورات عند النـاس والطلاب، وكثـيرا من المرتكزات في الأذهـان إذا راجعها الفاضل في مظانها وتأمل فيها وجدها لا واقع لها يعتمد عليه، ولا أصل تستند اليـه... لا يصل الإنسان الى النتـائج حـتى يشـك فيهـا، وإنما العـثرات والأخطـاء الى حسن الظن بما يقوله العظماء من المدرسين والمؤلفين".

الإمام السيد محسن الحكيم (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة
في سبيل الشورى والوحدة والتجديد

عانت أمتنا الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وتعاني اليوم، من مشــكلتين رئيســيتين هما التفرقة والاســتبداد، وهما مشــكلتان

مترابطتان ولـدتا فينا بعد ابتعادنا عن القـرآن الكـريم الـذي أنزله الله تعالى على نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) ليوحـدنا ويحررنا ، حيث يقــول:" وان هــذه أمتكم أمة واحـــدة وأنا ربكم فاعبدون". الأنبياء 92 وفي آية أخرى مشابهة:" وان هـذه أمتكم أمة واحــدة وأنا ربكم فــاتقون". المؤمنــون 52 ويقــول تعــالى: "الذين يتبعون الرسول النـبي الأمي الـذي يجدونه مكتوبا عنـدهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصــرهم والأغلال التي كانت عليهم...". الأعراف 157

ومن الواضح أن ابتعاد المسلمين عن القرآن الكريم، لم يكن كفـرا صـريحا بـه، والعيـاذ باللـه، وإنما بسـبب التأويل التعسـفي لبعض آياته، والتمسك بكثير من "الأحاديث" الضعيفة والموضوعة والمؤولة، والإيمـان ببعض الأسـاطير الـتي اصـطنعها المغرضـون وألبسوها لباسا "إسلاميا" زاهيا، ودسوها في الدين.

وأكبر مثل على ذلك هو أننا إذا تصفحنا القرآن الكريم من أوله الى آخـــره، لما وجـــدنا فيه حـــديثا صـــريحا عن الدولة وشـــكلها ونظامها والسلالة التي يجب أن تحكمها، مما يؤكد القول بأن الله عز وجل قد تــــرك أمر السياسة والحكومة وتطـــبيق الشـــريعة للناس، ولم يعين "حكومة دينية إلهية" تتولى تطبيق الإسلام. ومع ذلك جاء في التاريخ من يقول بأن الرسول الأعظم (ص) قد عين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة من بعده، وانه قد حصر الخلافة والإمامة في أهل الــبيت من نسل علي والحســين الى يوم القيامـة. وقد اسـتعان هـؤلاء على نظـريتهم بتأويل عـدد من آيات القرآن الكـريم، وبعـدد من الأحـاديث الـتي نسـبوها الى الرســول وأهل الــبيت، أو أولوها بشــكل معين، أو أضــافوا عليها بعض الإضافات الجديدة.

ولأن هذه النظرية كانت مثالية ولا تسـتند الى دليل علمي أو قــرآني صــريح، فانها كــانت مرفوضة من أهل الــبيت ومن عامة الشيعة في الصدر الأول، وكان يقدر لها أن تنتهي بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سـنة 260 هجرية دون أن يخلـف، بعد حـوالي مائة عام من نشـوئها في الكوفة في بداية القـرن الثـاني، إلا انها ولـدت نظرية أسـطورية أخـرى هي "وجـود ولد مسـتور غـائب" للإمام العسـكري، هو "المهـدي المنتظـر". وهو ما أدى الى بقـاء نظرية الإمامة في أذهان كثير من المسلمين (الشـيعة) الى يومنا هذا. ورغم أن هذه النظرية وبنتها فرضية وجود الإمام الغائب، قد فقـدت مـدلولها السياسي وأصـبحت نظرية "ذهنيـة" لا تعيش إلا في الخيــال، إلا انها ولــدت نظرية أســطورية جديــدة هي نظرية

"النيابة العامة للفقهاء عن الإمـام الغـائب (المهـدي المنتظـر) أو ولاية الفقيـــه". وهي النظرية الـــتي تحكم اليـــوم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتهيمن على كثـير من الشـيعة عـبر المرجعية الدينية والتقليد.

وإذا كـانت نظرية الإمامة تعطي للإمـام "المعصـوم" المنزلة الإلهية فـوق الأمـة، فـان "المراجـع" غـير المعصـومين قد أخـذوا يلعبون هذا الدور، ويحتلون منصب "الإمام" الـروحي الكبـير، وهو ما أحدث خلالا كبيرا في العلاقة بين الأمة والإمام، وسمح بإقامة أنظمة سياسية استبدادية تتبرقع باسم الدين.

وإضـافة الى هـذا الأثر السـيء الـذي خلفه هـذا الابتعـاد عن القـــرآن الكـــريم، بالتأويل التعســـفي والأحـــاديث الموضـــوعة والنظريات الأسطورية الوهميـة، فإنه خلف أيضا أثـرا سـيئا آخـر، هو **تعزيز** انشقاق الأمة الى "سنة" و"شيعة". وقد قلت "تعزيـز" لأني اعتقد بوجود عوامل "سنية" في حـدوث الانشـقاق، ولا أريد إلقـــاء اللـــوم كله على الشـــيعة، ولكـــني أعطي لنظرية الإمامة الإلهية، دورا مهما في تعزيز الانشقاق بين المسلمين.

ومن أجل العودة الى الإسلام الصـحيح، الى القـرآن الكـريم، والى فكر أهل البيت السليم، وتحرير الأمة من الاستبداد، وخاصة الاستبداد الديني، وتوحيد المسلمين، كـان تنـاولي لبحث موضـوع الإمامة الإلهيـــة، ووجـــود "الإمـــام الثـــاني عشر محمد بن الحسن العسكري المهـدي المنتظر الغـائب" ونظرية ولاية الفقيـه، وذلك في كتـابي:" تطـور الفكر السياسي الشـيعي.. من الشـورى الى ولاية الفقيــه" الـذي قمت بكتابته سـنة 1990، ونشـرته سـنة 1997 وقمت خلال السنوات السبع الفاصلة بين الكتابة والنشــر، بحـــوارات ومراســـلات مع عـــدد كبـــير من العلمـــاء والمثقفين والمراجع الشيعة "الإماميـة"، أملا في التأكد مما وصـلت اليه من نتـائج جوهرية وثوريـة، أعتقد أنها أوقعتـني على جـوهر فكر أهل الـبيت (عليهم السـلام) فكر الشـورى وولاية الأمة على نفسـها، ذلك الفكر المسـتوحى من القـرآن الكـريم والمنسـجم مع العقل والواقع.

وقد تضمن كتابي بحثا مركزيا ، ربما كان جديدا لأول مرة، هو بحث موضوع "ولادة ووجود الإمام الثـاني عشر محمد بن الحسن العســـكري" من المصـــادر الشـــيعية الإمامية الإثـــني عشـــرية، وبمختلف "الأدلـــة" الفلســـفية (العقليـــة) والنقلية والتاريخيـــة، ومناقشتها بدقة رواية رواية ودليلا دليلا، وذلك لأن هـذا الموضـوع يشكل أساس نظرية الإمامة الإلهية المستمرة الى يـوم القيامـة، وأســـاس نظرية ولاية الفقيه والنيابة العامة للفقهـــاء عن الإمـــام

المهـدي، فـإذا لم تصح ولادته شـرعا، ولم يثبت وجـوده تاريخيـا، فانه يـؤدي الى انهيـار نظرية الإمامة (الإثـني عشـرية) وانقشـاع الغطاء الأيديولوجي لنظرية ولاية الفقيه.

ورغم إجرائي بحثا مستفيضا في نظرية الإمامة، إلا أني ارتأيت عند النشر أن اختصر الجـــزء الأول، واســتعرض فقط خطـــوات نشوء النظرية تاريخيـا، تمهيـدا لمناقشة موضـوع "الإمـام الثـاني عشر" في الجزء الثاني من الكتاب، الـذي شـمل أيضا جـزءا ثالثا حول تطور الفكر السياسي الشيعي في عصر الغيبة.

وكنت آمل أن ينصب النقاش بصورة رئيسية حول الموضـوع المركـزي الرئيسي الجديـد، وهو "وجـود الإمـام الثـاني عشـر". وأعلنت للعلمـــاء عن اســتعدادي للـــتراجع عن الكتـــاب فيما إذا أقنعـوني بأدلة لا علم لي بها تثبت وجهة نظـرهم وخطـئي، ونشر ردودهم مع الكتـاب إذا لم اقتنع بهـا، ولكـني واجهت خلال سـبعة أعوام إحجاما غريبا في الرد على الموضوع، أو مناقشتي بصـورة جديـة، اتباعا لسياسـة:" أميتـوا الباطل بإماتة ذكـره" كما كـانوا يقولون، رغم أن هذا الموضوع كان يشكل تهديـدا لأسـاس الفكر الإمـامي. وبـدلا من ذلك تلقيت تهديـدا من أجهـزة اسـتخبارات إيرانية نشرت خبرا في صحيفة إيرانية عن (ظهور سلمان رشدي جديد في العراق، هو أحمد الكاتب) وذلك سنة 1993 وبالطبع لم يكن ذلك ليخيفني أو يمنعني من الحوار أو نشر الكتاب فيما بعد.

وعنـدما نشر الكتـاب أثـار بـالطبع عاصـفة من الحـوارات والنقاشات والتعليقات، وصدرت ضده عشرات الكتب والمقالات، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وقد حصلت على بعضها وسمعت عن البعض الآخـر، ولكن أيا منها لم يتطـرق بالتفصـيل الى الـرد على جوهر الكتاب وإثبـات "وجـود الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسكري" إثباتا تاريخيـا، وإنما راح كل كـاتب يـدور يمينا وشـمالا ويبحث في الهـوامش والجزئيـات، أو يؤكد النتيجة الـتي توصلت اليها وهي أن القول بوجود ابن للإمام العسـكري لم يكن سوى افتراض في افتراض.

ورغم أن الموضوع – كما يقولون- موضوع عقائدي، ولا يجوز فيه التقليـــد، وإنما يجب الاجتهـــاد والتحقيق الشخصـــي، وان ما قمت به ليس أكثر من محاولة للاجتهـاد وإعـادة النظر في قضـية تاريخية (ولادة إنســان) فـان كثـيرا من أدعيـاء العلم والاجتهــاد والمرجعية الدينيــة، رفضـوا مجـرد التفكـير أو التسـاؤل حـول الموضوع، وحرموا الاجتهاد في هذا الموضوع، وحاولوا ويحـاولون فرض جو إرهـابي من التكفـير والتبـديع والتفسـيق والإخـراج عن الدين، وكيل الاتهامات الشخصـية والسـخرية والاسـتهزاء ضـدي،

مع أن الأمر لم يكن يستدعي كل ذلك، فهم إما علمـاء مجتهـدون يمتلكــون أدلة وبــراهين حــول الموضــوع فعليهم تقــديم أدلتهم وإقناع من يشكك بآرائهم، وإما مقلـدين للسـلف ولم يبحثـوا هـذا الموضـوع أو يجتهـدوا فيـه، أو يدرسـوه بعمـق، كما اعـترف لي المرحوم السـيد محمد الشـيرازي، وعليهم نبذ التعصـب، والبحث عن الأدلة المفترضــة، أو التخلي عن عقائــدهم الباطلة الــتي لا يوجد حولها دليـل. ولكن سـلوك كثـير من رجـال الـدين لم يكن بالمستوى المطلوب، فهم يتظاهرون بالعلم والاجتهـاد من ناحيـة، ويرفضون العلم والاجتهاد في هذا الموضوع من ناحية أخرى.

ويجدر بنا هنا أن نلقي بعض الضـوء على طبيعة بعض المراجع وطريقة المرجعية، التي تحول دون إجراء حوارات حرة ومفتوحة حول الموضوع.

المراجع المقلدون للعوام

إن من المعروف وجود كثير من الأساتذة والفقهاء في الحوزات العلميـــة، ولكن ليس كل واحد منهم يصـــبح مرجعا دينيا ، حيث يموت الكثير منهم دون أن يسـمع بهم أحـد.. وذلك لأن المرجعية تشـــبه الزعامة السياســـية لا يصل اليها من لا يســـلك طريقها ويمتلك أدواتها – عادة – وفيها نـوع من التنـافس والصـراع الـذي يحتـدم أحيانا ويخف أحيانا أخـرى ، وكل أسـتاذ أو فقيه يفكر بـأن يصـــبح مرجعا أو مرجعا أعلى لا بد أن يؤسس مـــدارس ويجمع طلبة خاصين ويؤلف حاشية من المريدين ويوزع رواتب شهرية ، وهـــذا يقتضي منه أن يحصل أمـــوال من النـــاس ، والنـــاس لا يعطـون المـال إلا بصـعوبة ولمن ينسـجم معهم ومع أفكـارهم ، وهـذا يتطلب من المرجع الـديني أو السـاعي من اجل المرجعية أن ينســجم مع النــاس ويتخلى عن أفكــاره الإصــلاحية ويتجنب توجيه النقد الحاد لأفكارهم وممارساتهم و "عقائـدهم" وعـاداتهم والخرافـات الشـائعة بينهم ، إلا بالقـدر الـذي يجلب له المصـلحة والشعبية والمال.

وكلما تقدم الأستاذ في طريق المرجعية وأصبحت له حاشية ووكلاء وطلبة ، وخـــدم وحشم ومنافســـون ألـــداء ، كلما تخلى (الأستاذ – المرجع) عن أفكـاره الإصـلاحية وآرائه الخاصة وتجنب لغة الحق والباطل والصــواب والخطأ ، ليتحــدث بلغة المصــلحة العامة والممكن و " مالا يـدرك كله لا يـترك جلـه" الى أن يصـبح تابعا ومقلـدا لعـوام النـاس في أسـاطيرهم وحكايـاتهم الشـعبية

وخرافـاتهم المغلفة باسم الـدين، ولا يجـرؤ على محاربة بدعة أو نقد أي انحـــراف في الأمة ، مع انه المســـؤول الأول عن هداية الناس وتعليمهم أحكام الله..

وقد عـانى السـيد هبة الـدين الشهرسـتاني أحد أبـرز علمـاء العـراق المصـلحين في بداية القـرن العشـرين ، من انقلاب دور رجـال الـدين وتقاعسـهم عن أداء أدوارهم الإرشـادية والتوعوية وقيـامهم بمحاربة الحركة الإصـلاحية ، وتحـدث في مجلة (العلم) عن تخلي بعض العلمـاء عن علمهم وتقليـدهم للعـوام والجهـال طمعا بمالهم.

ومن المعروف أن المؤسسة الدينية السنية – عادة ما - تكون تابعة ماليا لأجهـــزة الحكومـــات ، وهو ما يفقـــدها في الغـــالب استقلاليتها أمام الحكام ، مع وجود علماء أحـرار يجـاهرون بكلمة الحق من دون هيبة أو طمع ، كما ان من المعـــــــــــــروف ان المؤسسات الدينية الشـيعية نمت بعيـدا عن الحكم وفي أوسـاط الشعب وقدمت علماء أحرارا كثيرين يخلصون لدينهم ولا يراعون أية مصـلحة خاصة ، ولكن الارتبـاط العـام بالجمـاهير والاعتمـاد عليهم في الرزق أدى الى نشوء نوع من التبعية والتقليد لهم.

وعندما كان العلماء أو "رجال الدين" يتحلون بالزهد في الدنيا ويرضـون بالكفـاف ويعيشـون على الخـبز والملح ولا يفكـرون بالزعامة أو كانوا يعملون بأيديهم ويكسبون قوتهم بعـرق جـبينهم كانوا أكـثر حرية في قـول الحق ومحاربة الباطل ، ولكنهم عنـدما انهمكـوا أو ينهمكـون في ملـذات الـدنيا وشـراء الـدور والقصـور والســـيارات الفخمة ويحلمــــون ويعملـــون من اجل الزعامة السياسـية والدينية فـانهم يضـطرون الى اسـتخراج أمـوال طائلة من الشعب لكي تدير عجلة مرجعيتهم ، ويضـطرون مـرة أخـرى الى مداهنة النـاس ومجـاراتهم وتجنب ما يـــزعجهم ، وقد يلعب الشـــيطان في عبهم –كما يقولـــون – فيصـــور لهم تنـــازلاتهم ومداهناتهم تلك في خدمة الإسلام والمسلمين ، لأنهم يريدون ان يرتقـوا ويمتلكـوا القـوة ويصـبحوا مراجع أعلين حـتى يقومـوا بالإصلاح المطلوب بعد ذلك ، أو يبرر لهم الشيطان إحجامهم عن قـول الحق بأنه يضر بالمصـلحة العامة وقد يقطع بعض الأمـوال الشـعبية عنهم ، وهـذا ما يـؤدي الى جـوع بعض العوائل الفقـيرة الـــتي ينفقـــون عليها ، أو تعطيل بعض المؤسســـات الإســـلامية العاملة ، أو صـعود منافسـيهم "الأشـرار" أو "غـير الأكفـاء" على

ســــــدة المرجعية والهيمنة على المجتمـــــع.. وما الى ذلك من التبريرات التي يحلو لهم قبولها أو اختراعها وإقناع الشيطان بها.

ان الصحفيين وأصحاب الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون – عـــادة - يســـعون الى كسب القـــراء والمشـــاهدين من أجل الحصــول على أكــبر قــدر من الإعلانــات لتغطية نفقــاتهم وربما يقومون بالدعاية لمصـلحة زعيم أو حـزب سياسي أو دولة أجنبية ولا يلـــتزمون بـــالحق والباطل بقـــدر ما يلـــتزمون بتحقيق رضا المشـــاهدين والقـــراء وعـــدم إزعـــاجهم ، ولكن الصـــحفيين والإعلاميين لا يقولـون انهم يمارسـون عملا دينيا بل يعلنـون انهم يقومون بعمل تجاري إعلامي ، ومع انهم مسـؤولون أمـام الله لو قــاموا بخيانة مبــادئهم أو ســاهموا في تضــليل النــاس ، إلا انهم ليسوا كرجال الدين الذين يدعون حراسة الـدين والمحافظة عليه والدعوة الى الله ثم يخونـون النـاس والله في عملهم فيـبيعونهم خرافـــات وأســـاطير باسم الـــدين، وهـــذا من أشد أنـــواع الغش والتدليس.

وقد تحدثت مرة مع أحد "رجال الدين" بإسهاب عن موضوع وجـــود المهـــدي وشـــرحت له بالتفصـــيل كل الأدلة المتـــوافرة وناقشتها بدقة.. فسـكت طـويلا وبـدأ يتـأملني ، فتـوقعت منه ان يعلن موقفه المؤيد أو يـرد علي بشـيء ، ولكنه قـال بشـيء من العتــاب والحســرة:" نحن نجلس على ســفرة صــاحب الزمــان (الإمـام المهـدي) ونأكل من (خمسـه) فهل تريد ان تطـوي هـذه السفرة؟".

وبعيدا عن هذه الدوافع والمنطلقات لرفض الحوار، تبين لي من خلال الـردود الـتي شـاهدتها، أن كثـيرا من الكتـاب الشـيعة (حـــتى بعض المراجـــع) لا يفهمـــون نظرية الإمامة الإلهيـــة، كما نشأت، ولا معـنى "الإمـام" الـذي يشـترطون له العصـمة والنص، ولو فهموا ذلك لأدركوا استحالة "غيبة الإمام".

وسـوف أقـوم باسـتعراض ونقد أهم الكتب والمقـالات الـتي صـدرت في الـرد على كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) لنطلع على طبيعة "الـردود" الـتي تبـاهى بها بعضـهم وتظـاهروا بعرض عضلاتهم أمام أتباعهم ومقلديهم.

أحمد الكاتب
لندن، 1 تموز 2006

1- مع السيد سامي البدري في كتبه الأربعة: (شبهات وردود):

البدري يعترف: لا يمكن اثبات وجود الامام المهدي بصورة مستقلة

كان السيد سامي البدري ، وهو رجل دين عراقي، أول من بادر الى الرد علي، بعد أن نشرت جزءا من الكتاب في نشرة (الشورى) التي كنت أصدرها سنة 1995، حيث نشر في قم نشرة مشابهة لها باسم (ردود وشبهات) وأصدر منها أربع حلقات، ثم طبعها في كتب مستقلة ، ثم في كتاب واحد بنفس الاسم، وكانت الحلقة الأولى تحمل عنوانا فرعيا هو (الرد على الشبهات التي أثارها أحمد الكاتب حول العقيدة الإثني عشرية) ، وقال في مقدمة الكتاب:" هذه أوراق متواضعة تكفلت الرد على بعض الشبهات التي وجهت ضد الاسلام والتشيع. وقصة إثارة الشبهات أمام التشيع بمفهومه الخاص قديمة، وهي لا تنقطع الا بظهور المهدي محمد بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه) ... وهي في ذلك نظير قصة إثارة الشبهات أمام رسالة محمد (ص) من قبل أهل الكتاب التي لا تنهي الا بظهور عيسى بن مريم (ع)" ثم يقول:"إخترت للحلقات الأولى من أوراق الرد هذه شبهات وشكوكا أثارها أحمد الكاتب حول الشيعة والتشيع في نشرته (الشورى) وكتبه الثلاثة المتداولة بالدسك الكمبيوتري. فقد أنكر ولادة المهدي محمد بن الحسن العسكري (ع) وغيبته وجعل القول بذلك من ابتكار النواب الأربعة، ونفى أيضا صحة الأحاديث النبوية في الأئمة الإثني عشر الواردة عند الشيعة والسنة، وادعى بأن العقيدة باثني عشر اماما لم يكن لها أثر في القرن الثالث الهجري، وانها كانت وليدة القرن الرابع الهجري، هذا مضافا الى نفيه القول بأصل الوصية والنص على الأئمة المعصومين بعد النبي وربط ذلك بعبد الله بن سبأ".

ورغم أن السيد سامي البدري لخص مضمون الكتاب في جزئيه الأول والثاني، الا انه لم يشر الى أية شبهة ضد الاسلام، ونسي ما قاله قبل قليل من أنه يتكفل الرد على الشبهات التي وجهتها ضد الاسلام. كأنه يعتبر الاسلام والتشيع أو الفكر الامامي

شـيئا واحـدا، وان من ينقد فكـرة معينة داخل التشـيع أو الفكر الامامي فكأنه قد انتقد الاسلام، وأثار ضده الشبهات.

وعلى أي حال فقد وجدت في مبادرة السيد البدري للـرد، ولو من بعيد، خطوة إيجابية فبعثت له هذه الرسالة:

السيد سامي البدري حفظه الله، قم ايران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أود أولا ان اقدم لك شكري الجزيل على قيامك بالتجـاوب مع دعـوني لمناقشة الدراسة الـتي قمت بها حـول نظرية الامامة الإلهية ووجود الامـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) حيث كنت من السـباقين الـذين بـادروا الى طلب الدراسة لمناقشـتها قبل خمسة أعـوام ، وقد أرسـلتها اليك فأوليتها اهتمامك البالغ حتى أصدرت كتابا ونشـرة خاصة للـرد عليها ، في الوقت الذي اكتفى آخرون بالصـمت والإهمـال او التظـاهر بعـدم المبالاة.

وكما تعـرف فقد كنتُ وجهت دعـوات مفتوحة وشخصـية الى علمـاء الحـوزة العلمية في قم لعقد نـدوة حـول وجـود (الامـام المهدي) ولكـني لم أتلق أية إجابة حـتى الآن مع الأسف الشـديد. ولو كـانت الـدعوة موجهة الى جامعـات أخـرى لهبت لدراسة أي موضوع يهمها ويهم المجتمع.

وقد كـان منطلقي لتلك الـدعوة هو دراسة الفكر السياسي الشـيعي وتصـفيته مما دخل فيه من أفكـار وفرضـيات ونظريـات منحرفة ووهميـة، والعـودة به الى فكر أهل الـبيت (ع) الصـافي السـليم. وذلك كجـزء من مشـروع أكـبر لدراسة الفكر السياسي الإسـلامي العـام وتصـفيته مما لحق به من تحريفـات أموية وعباسية وغيرها، الذي ابتعد عن منهج الشورى ومـال الى نظرية القـوة والغلبة العسـكرية وقـام على مبـدأ الوراثة العائليـة، ألغى حق الأمة في الترشيح والانتخـاب والنقد والمحاسـبة والمشـاركة السياسية.

لقد وجدت في دراستي عن تطور الفكر السياسي الشيعي : أن فكر أهل البيت الأصـيل كـان يقـوم على الشـورى وحق الأمة في انتخاب أئمتها ، ورفض المنهج الأموي والعباسي في الاستيلاء

على السلطة بالقوة واحتكارها وتوريثها للأبناء وأبناء الأبناء، وان بعض المتكلمين قد قاموا بمؤامرة كبرى لطمس فكر أهل البيت العظيم وتشويهه وتحريفه وتقديمه بصورة (ملكية وراثية) مشابهة للفكر الأموي والعباسي.

واعتقد انك توافقني على ذلك فقد قلت في محاضراتك في لندن عام 1415:" ان الحاكم في النظرية الإسلامية وكيل عن الأمة يتعاقد معها ، وان سلطان الأمة أعلى من سلطان الحاكم ، وهذا مبدأ أساسي في الدين ، وان الإسلام لم يقل ان الحاكم خليفة الله في الأرض ، ولكن الخلفاء الذين ادعوا ذلك وزعموا ان سلطانهم أعلى من سلطان الأمة وانه مقدس قد افتروا على الإسلام من أجل ان يحكموا سيطرتهم على الناس" وقلت:" ان نظرية الحكم في الإسلام تقوم على أساس البيعة ، وهي حق من حق الأمة ، والأمة تستطيع ان تسحب الحق من الحاكم... ويمكننا ان نستنبط هذه النظرية الإسلامية القائمة على الشورى والانتخاب من خلال الكتاب والسنة ومن سيرة الرسول الأعظم (ص) والإمام علي بن ابي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين حيث نجد ظاهرة البيعة والعقد واضحة في حياتهم وأقوالهم" "وقدم الامام علي (ع) تجربة قامت على أساس ان الحاكم يستمد سلطانه من الأمة ولا يفرض آراءه بالقوة" وقلت:" ان الولاية لعلي في الغدير لا تعني الحكم والخلافة السياسية. صحيح ان الامام علي بعد يوم الغدير أصبح له حق في الحكم وانه صار أولى من كل أحد، ولكن بشرط ان تبايعه الأمة ليصبح حاكما ، ولا يصبح حاكما الا بعد البيعة".

وقد كان ذلك منك تطورا جديدا في الفكر السياسي يخالف الفكر (الإمامي) الموروث - كما قلت في محاضراتك – ولم تتوصل اليه الا لأنك رفضت التقليد الأعمى للآباء واجتهدت في الفكر ، خلافا للكثير من العلماء الذين يجتهدون في الفروع ويقلدون في الأصول.

وقد وجدت في دراستي ان الفكر الإسلامي السياسي وفكر الطوائف الإسلامية المختلفة قد تطور مع الزمن وتبدل من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين ، وان أيا من النظريات المختلفة والعديدة في المجال الفكري السياسي الإسلامي هي نظريات اجتهادية ظنية ولا تمس أسس الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد او تعارض شيئا واضحا وصريحا في القرآن الكريم او السنة النبوية المطهرة ، وبكلمة أخرى قد

تكـون النظريـات المختلفة صـائبة او خاطئة ولكنها لا تخـرج عن إطار الدين. ولذا لا بد من احـترام جميع وجهـات النظر الاجتهادية داخل الإطـار الإسـلامي واحـترام أصـحابها وعـدم تكفـيرهم او تفسـيقهم وإخـراجهم من الـدين، وذلك من أجل المحافظة على الوحدة الإسلامية والحريات والحقوق الأساسية العامـة. ولا يجـوز لأي أحد ادعـــاء امتلاك الحقيقة المطلقة واتهـــام المخـــالفين له بالباطل المطلـق. وان السـبيل للوصـول الى الحق هو الحـوار الهادئ الموضوعي والاستماع الجيد لوجهات نظر الآخرين.

ومن هنا فاني أود توجيه عتاب اخوي الى السيد سامي البدري لقيامه بطرحه لردوده على كتابي في إطار (الـرد على الشـبهات الـتي أثارها أحمد الكـاتب ضد العقيـدة الاثـني عشـرية والإسـلام والتشيع) كما يقول في مقدمة كتابه (شبهات و ردود). وأقول له: إذا كنت تختلف معي فيما ذهبت اليه من الـــــتزام أهل الــــبيت بنظرية الشورى في الحكم ، فان من الطبيعي – إذا أردت الحوار – ان تقـــدم أدلتك العلمية القاطعة على وجهة نظـــرك ، الا انه لا يجـــوز لك ان تبـــادر الى ادعـــاء الحق المطلق وكـــأن جبرائيل قد هبط عليك بالوحي ، ثم تتهم الآخرين بمهاجمة الإسلام والتشـيع ، وأنت تعلم علم اليقين ان بحثنا يـــدور في إطـــار الفكر السياسي وقيام نظرية الامامة على الشورى او النص والتعـــيين ، وهو ليس الا خدمة للإسلام والتشيع.

واذا كنت تسـمح لنفسك بممارسة هـذا الأسـلوب الـدعائي المتعـالي ، فـأرجو ان تتـذكر انك كنت ضـحية الإرهـاب الفكـري عندما اتهمك البعض (كالسيد حسين الصدر) بالتسنن والانحـــراف عن مـــذهب أهل الـــبيت ، وذلك في أعقـــاب محاضـــرتك في دار الإسلام في لنـدن قبل عـامين ، بسـبب من بعض آرائك الجديـدة حـــول الشـــورى وقيـــام الخلافة الإســـلامية على أســـاس البيعة والانتخاب ، والتي نشرناها في العدد الأول من (الشورى).

كما أرجو ان تتـــذكر الاتهامـــات القديمة الـــتي كـــان يوجهها الاخبـــاريون المتحجـــرون للمجتهـــدين الأصـــوليين بـــالانحراف عن مذهب أهل الـبيت والتسـنن وذلك لأخـذهم بمبـدأ الاجتهـاد وولاية الفقيه ، وهما منصـبان.. يعتقد الاخبـاريون حـتى اليـوم انهما من اختصاصات الامام المعصوم (المهدي المنتظر) ولا يجـوز لأي أحد ان يقـــوم بهما في (عصر الغيبـــة) لا بالأصـــالة ولا بالنيابة العامة . فهل كـــانت اتهامـــات الإخبـــاريين للأصـــوليين في محلهـــا؟ وهل توافقهم عليها؟

وأرجو ان تتذكر أيضا ان السيد محسن الأمين والشيخ الخالصي والدكتور علي شريعتي والإمام الخميني والسيد محمد حسين فضل الله وغيرهم وغيرهم تعرضوا من قبل المتحجرين والمنغلقين للاتهام بالوهابية والتسنن والشيوعية والعداء لأهل البيت ، ولا تزال المعركة قائمة ضدهم ، فهل تقبل بهذه السياسة التهريجية الغوغائية القائمة على اتهام الخصوم واستثارة العواطف العامة؟ وهل تعتقد اننا بهذه الحدة والعنف والإرهاب الفكري نستطيع بناء مجتمع إسلامي حر وموحد؟ او نستطيع حل اية مشكلة من مشاكلنا المزمنة؟

لقد كانت نظرياتك الجديدة حول التزام أهل البيت بالشورى ، وانها أساس الحكم والخلافة ، خطوة على الطريق الصحيح لمعرفة مذهب أهل البيت المطمور تحت ركام الأحاديث المختلقة والنظريات الفلسفية الضعيفة والفرضيات الوهمية والروايات الأسطورية ، وهي في نظر الإخباريين و(الحجتية) شبهات ضد مذهب أهل البيت ، ولكنها في نظري محاولة اجتهادية لاستكشاف مذهبهم الصحيح ، فكيف تتجرأ بوصف ما قمنا به بالشبهة ؟ وهو ليس الا محاولة اجتهادية للتعرف على مذهب أهل البيت . ولو بذلت مزيدا من الجهد والبحث العلمي والموضوعية والهدوء لتوصلت الى ما توصلت اليه.

ان منهجنا في البحث والتفكير هو التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأحاديث وسيرة أهل البيت (ع) الظاهرية، ورفض التأويلات الباطنية والروايات السرية والأحاديث الضعيفة والمختلقة، وقد توصلنا من خلال هذا المنهج الى ما نعتقده فكر أهل البيت الأصيل والسليم القائم على الشورى والحرية والعدالة وحق الأمة في انتخاب الرؤساء ومحاسبتهم وعزلهم ، وهو ما نحتاج اليه في واقعنا السياسي المر الذي يسيطر فيه على السلطة حكام طغاة بالقوة والجبروت ويتوارثون السلطة والثروة الوطنية العامة في عوائلهم وأبنائهم.

ان الشبهات تأتي من منهج التأويل السري الباطني لأقوال أهل البيت وسيرتهم، وهو منهج وقعت فيه الفرق الضالة الغالية والمنحرفة عن أهل البيت التي كانت تؤلّه الأئمة او تقول بنزول الوحي عليهم او تقول بتحريف القرآن الكريم او تنكر وفاة الأئمة او تختلق أولادا وهميين لم يخلقوا لهم. واسمح لي ان أقول لك: بأنك وقعت في الشبهة عندما التزمت بهذا المنهج الباطني عندما رفضت في كتابك (شبهات وردود) الروايات الصحيحة التي

تتحـدث عن البـداء والـتي لم يشك فيها أحد حـتى الـذين نقلوها كالشـيخ الكليـني والمفيد والطوسي ، واقـترحت طرحها لأنها لا تنسـجم مع النظريـات الوهمية الـتي كونتها حـول وجـود القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثـني عشر من قبل ، وكـان من الأجـدر بك ان تذعن للحقيقة وتنطلق منها ومن موضـوع البـداء لتؤسس أفكارك على ما يقول وما يفعل اهل البيت.

أخي العزيز السيد سامي البدري... انك لا تدافع عن مــذهب أهل البيت وانما عن نظريات المتكلمين الوهمية التي أكل الدهر عليها وشرب ، والـتي تسـببت في إخـراج الشـيعة من مسـرح التـاريخ قرونا طويلة من الـزمن ، والـتي تخلّوا عنها في القـرون الأخـيرة عندما قـالوا بمبـدأ الاجتهـاد وولاية الفقيه او الشـورى ، فهل تريد ان تعيدنا الى ما ذهب اليه المتكلمـون السـابقون الاخبـاريون من حرمة الثـورة على الظـالم وحرمة الجهـاد في سـبيل الله واقامة الدولة في (عصر الغيبة) وتعطيل الخمس والزكاة وإباحة الأنفـال وتحريم صلاة الجمعة الا بشرط حضور (الامـام المعصـوم المعين من قبل الله تعـــالى) وضــــرورة التقية والانتظـــار الى ظهـــور المهدي؟

واذا كنت لا تريد ذلك لأنك تؤمن بحرية الاجتهاد ونظرية ولاية الفقيه والنيابة العامة فلمــاذا تمتعض بشــدة من مناقشة وتحليل النظريـــــات المنقرضة أملا بالوصـــــول الى فكر سياسي أفضل وأســلم؟ وهل هنـاك حــدود للاجتهـاد تقتصر على ممارســته في الأمور الجزئية الفرعية فقط؟

واذا كنت تتفق معي في مواكبة الثــــورة الشــــيعية الراهنة المتحــررة من أغلال المتكلمين والإخبــاريين الــذين يشــترطون العصــمة والنص في الامــام (أي الحــاكم والــرئيس) ونظريــاتهم الوهمية المثبطة واللاواقعية واللامعقولة ، فــأرجو منك ان تمتلك الشجاعة لتعبر عن رأيك بصراحة ، وفي كل مكـان ، لا ان تقـول كلاما في لندن ثم تتراجع عنه في قم.

واذا كنت تصر على التمسك بنظريات المتكلمين والإخباريين البائدة او تأويلها وتطويرها وتأييدها بالروايات الإسـرائيلية.. وكنت تحب التصــــدي لمناقشة الدراسة الــــتي قمت بها حـــول نظرية الامامة الإلهية ووجود الامـام الثـاني عشر ، فـأرجو منك ان تفعل ذلك بصورة منهجية واضحة موضـوعية ومتكاملة ، وان تسـتعرض في البداية موجزا للأفكـار الـتي طرحتها وقـدمتها ، بأمانة ودقة ،

ثم تقــوم بــالرد عليها بما تشــاء ، لا ان تهمل الأمــور الرئيســية وتلتقط بعض القضـــايا الجانبية البســـيطة والجزئية وتقتطع من الفقرات مقاطع خاصة ومبتورة كما تشتهي لـترد عليها بما تشـاء وكأنك فتحت باب خيبر!

لقد كانت دراستي تتألف من ألف صـفحة (كما هو موجـود في الديســكات الكمبيوترية المنتشــرة في قم، قبل الاختصــار، وقبل الطبع) ومن ثلاثة أجزاء ، وقد استعرضت في الجزء الأول بشـكل مفصل نظرية الامامة الإلهية وذكـــــــرت جميع أدلتها ، ثم بينت موقف أهل الــبيت منها ومن موضــوع العصــمة والنص والوراثة والعلم وخلصت الى إيمـــانهم بنظرية الشـــورى كمنهج سياسي ، كما بحثت في الجــزء الثـاني نظرية وجــود وولادة الامــام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العســـــكري) وذكـــــرت جميع الأدلة الفلسفية والتاريخية والروائية والإعجازية التي يـذكرها المؤمنـون بها وناقشتها بعد ذلك دليلا دليلا ، وكان من بينها موضوع أحاديث (الاثني عشرية) ضمن الدليل الروائي ، فلماذا أهملت البحث في نظرية الامامة الإلهية وموضــوع وجــود (الامــام الثــاني عشــر) لتناقش مسألة الاثني عشرية فقـط؟ او قـولي: ان هـذه النظرية مستوردة من السنة وحادثة في القــرن الرابع الهجــري؟ هل لأنك توافقـــني في موضـــوع الامامة والمهـــدي وتخـــالفني فقط في موضوع (الاثني عشرية)؟ أم ماذا؟

ان إثبات موضوع (الاثني عشرية) لا يتم عبر إثبات صحة كتاب ســـليم بن قيس الهلالي او هـــذه الرواية او تلك ، وانما يتم عـــبر إثبـات وجـود ولد للامـام الحسن العسـكري (ع) الـذي كـان ينفي حــدوث ذلك في حياته ، فلمــاذا لا تنــاقش الفكــرة من أساســها وتعمد الى انتهاج وسائل ملتوية وأحاديث جانبية؟

واذا كنت حراً فيما تريد ان تترك او تختار من مواضيع للرد ، فلماذا تمارس ما اتهمتني به من سياسة اسـتغفال القـراء وعـدم احــــترامهم وتجنب أصـــول البحث العلمي ، وذلك في معـــرض مناقشتك لصحة (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الذي يعتبر معتمد وأســـاس النظرية الاثـــني عشــرية ، حيث ذهبتُ أنا الى وضــعه واختلاقه ، وذهبتَ أنت الى صــحته ، ولكنك لم تشر في حـــديثك أبدا الى ما استشهدت به انا من قول للشـيخ المفيد بضـعف هـذا الكتاب وحدوث الوضع والتدليس فيه. وكـان من المفـترض بك – على الأقل – ان تشـــير الى موقف الشـــيخ المفيد وهو شـــيخ الطائفة فترفضه او تأوله بعد ذلك ، ولكنك فضـــــلت الصــــمت

والهـــروب من مواجهة الحقيقة كأنك تريد ان تختم معركتك بليل على صفحات كتابك بسرعة.

لقد كـان منهجي في دراسـتي وفي نشـرة (الشـورى) الـتي أصــدرتها ، أن أفسح المجــال لعــرض الــرأي الآخر أولا ن بدقة وأمانة وتفصـيل ، ثم أقـوم بعد ذلك بـالرد والمناقشـة.. ولو كنت تستجيب للحـوار على صـفحات (الشـورى) لـرأيتَ رأيك منشـورا بصــورة كاملة ، وهــذا ما يثبت بُعــدي عن سياسة الاســتغفال والتعتيم ، والتزامي بعرض الحقـائق الكاملة على القـراء ، وأرجو منك ان تثبت التزامك بهـــذه السياسة وابتعـــادك عن سياسة الاستغفال والتعتيم بنشر رسالتي هذه في النشــرة الخاصة الـتي تصدرها للرد على (الشورى) وهي (شبهات و ردود).

لا أريد ان أخوض معك في جدال مفصل حول ما نشرت ضدي من ردود قبل ان انشر كتـابي الـذي سـوف يطلع القـراء الكـرام عليه في المستقبل القريب ان شـاء الله ، وانا غـير مسـئول عن الأشــرطة الكمبيوترية المســربة والمعرضة للزيـادة والنقصـان ، والتي كانت تشكل المسودة الاولى البدائية للكتاب ، ولكـني أريد ان أتوقف عند بعض الردود العجيبة التي حـاولت ان تـرد بها علي ، حيث وصفت بعض الروايات كدعاء القائم الـذي يرويه الكفعمي بالضعف ، جزافا ، وطرحت روايات البداء تعسفا ، وأوَّلت روايات الثلاثة عشر اماما بخطأ النساخ ، رغم مــرور أكـثر من الف سـنة عليها ، وسـمحت لنفسك بالاقتبـاس من الإسـرائيليات المتعارضة مع تــراث أهل الــبيت ورواـاتهم ، ورفضت الأحــاديث الصـحيحة بالتأويلات الباطنية السرية ، وادعيت فهم سر بعض الروايات في حين لمتـــني على الأخذ بظاهرها.. وإضـــافة الى ذلك فقد ادعيت امتلاكك للحقيقة ومعرفتك الواقعية بمذهب أهل الـبيت واتهمتـني بإثارة الشبهات ، فمن الذي وقع في الشبهة ؟ ومن خرج منها؟

وحتى تجيب على هذا السؤال أدعوك بإخلاص الى دراسة تاريخ أهل البيت (عليهم السـلام) بشـمولية ودقة وموضـوعية ، والفـرز بين تراثهم وتراث الفرق الغالية والمنحرفة التي كانت تلصق بهم ما تشاء وترفض ما تشاء تحت دعوى (التقية) الباطلة ، وذلك من أجل الوصــول الى حقيقة فكر أهل الــبيت السياسي الســليم ، الــذي يعيننا ويعين الأمة الإســلامية على الخــروج من المــأزق السياسي الراهن وتحقيق الحرية والعدالة والشورى والوحدة.

لقد شهد تاريخ الشيعة الطويل تطورات ومنحنيات ومفارق عديدة أدت الى حدوث الفرق الشيعية التي تجاوز عددها السبعين ، وكان بعض التحولات سلميا وعلميا وهادئا ، بينما كان بعضها الآخر يتسم بالعنف والدم والتهريج والعداوة والبغضاء كالمعركة بين الإخباريين والأصوليين والمشروطة والمستبدة في القرن الماضي.. ونحن اليوم على أعتاب مرحلة نهضوية جديدة وأمام تحديات حضارية كبيرة مسئولون فيها أمام الله ومطالبون بتقديم صورة أفضل عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم وأسلوب التعامل السلمي والحوار الداخلي الديموقراطي ، والاجتناب عن سياسة القمع والإرهاب والتكفير والانغلاق والتحجر.

واعتقد ان بعض الدوائر المتخلفة المضادة للثورة الإسلامية في داخل الحوزة ، والتي كانت تتهم الامام الخميني بالشيوعية والدكتور علي شريعتي بالوهابية والتسنن والكفر ، هي التي تحاول اليوم ان تمارس الإرهاب والقمع والإرهاب الفكري ومصادرة حرية الأمة وحقها في مناقشة القضايا الثقافية والسياسية ، وقد تعجبت من قيام صحيفة (الشهادة) التي يصدرها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بكيل الاتهامات الباطلة لي ووصف كتابي بأنه محاولة لشق صفوف المسلمين، وانه إرجاف وغواية وضلالة ، وذلك ضمن عرضها لكتابك الجديد (شبهات وردود) دون ان تعطيني بالطبع حق الرد عليها عملا بقواعد النشر وحرية التفكير. وهذا ما يذكرني بمحاكم التفتيش سيئة الصيت في القرون الوسطى.

وفي الختام اكرر توجيه الدعوة لك وللسادة العلماء الأفاضل المهتمين بمناقشة القضايا الإسلامية ، لإقامة ندوة او ندوات لدراسة الفكر السياسي الإسلامي عموما والفكر السياسي الشيعي خصوصا.. يتم فيها الاستماع الى وجهات النظر الأخرى والمخالفة، بروح علمية وأدب واحترام ، وأتمنى ان تتاح لك الفرصة والحرية الكاملة للتعبير عن آرائك بصراحة ودون خوف من اتهامك بالردة الى مذهبك القديم او إثارة الشبهات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك المخلص أحمد الكاتب

لندن 23 رمضان المبارك 1417هـ

ثم واصل السـيد سـامي البـدري، الـرد على بعض المقـالات المنشورة في نشرة (الشـورى) فيما يتعلق بموضـوع النص على الامـام علي بن أبي طـالب، واصـدر حلقـتين جديـدتين من كتابه (شـبهات وردود). ونشر في الحلقة الثالثة جوابا على رسـالتي السابقة، وكان كما يلي:

"...**أ**ما بالنسبة لسؤالك لماذا ابتدأت بالرد على موضوع الأثـني عشرية وأهملت موضوع الإمامة والمهدي .

فأقول اني لم اكتب الرد حين كتبته ردا على كتبك غير المنشورة وانما كتبته ردا على مقالك الذي تناقش فيه دليل الإثـني عشـرية في العدد العاشر من نشرة الشـورى وقد اسـتوعب الـرد الحلقة الأولى والفصل الأول من الحلقة الثانية من (شبهات و وردود) ثم أكملت الحلقة الثانية بـالرد على مقـال البغـدادي الـذي يـرد فيه على الشهيد الصدر رحمه الله حـول النص على علي (ع) وأنا حر ايضا في اختيار موضوع الـرد . اما في العـدد الثـالث فقد ابتـدأت في الرد على بعض كلماتك في الجـزء الأول من كتابك المنشـور أخيرا وهي تخص نظرية الإمامة الإلهية.

أما قولك: (ان اثبات موضوع الاثني عشرية لايتم عـبر اثبـات صحة كتاب سـليم بن قيس أو هـذه الرواية أو تلـك ...) فـأقول : اذاً لماذا اثرت الشبهات على كتاب سليم او على هـذه الرواية او تلك؟

اما قولك (ان اثبات موضوع الاثني عشرية يتم عبر اثبات وجود ولد للامام الحسن العسكري) .

أقول : لا ادري ماذا تريد به؟ هل تريد ان احـاديث الاثـني عشر لا تصح الا باثبات وجود ولد للعسكري؟ ام تريد ان انطبـاق الحـديث على دعـوى الشـيعة لا يتم الا باثبـات ولد للامـام الحسن العسكري (ع) .

والاحتمـال الاول : لا وجه له لان صـحة الحـديث تتم من خلال رواته وقد رواه الثقات واثبتـوهُ فيه مصـنفاتهم كما بحثنا ذلك في الحلقة الاولى.

اما الاحتمال الثاني : فلا وجه له ايضاً لان التشـيع الاثـني عشـري برمته يقوم على الايمان بان الحسن العسكري قد ولد له ولد هو المهدي وتلقوه ذلك جيلاً بعد جيل ولم يبنوا اعتقادهم بـذلك على

هذه الرواية أو تلك في قصة ولادته (ع) ولا يضرهم انكارك ولا انكار غيرك من اهل السنة كما لم يضر من قبل انكار اغلب بني اسرائيل ولادة عيسى (ع) حيث انكرتها فرق اليهود السامرية و العبرانية الا فرقة صغيرة من اليهود العبرانيين وهي فرقة زكريا ويحيى (ع) وقد كان بنو اسرائيل (ينتظرون عذراء تلد ولدا) ولا زالوا الى اليوم ينتظرون ذلك.

اما ماعتبت به من عرض افكارك ضمن عنوان (شبهات ضد الاسلام والتشيع)

اقول : فقد نبهنا في مقدمة الكتاب ان النشرة معنية بالشبهات التي وجهت ضد الاسلام والتشيع ، وقلنا اننا اخترنا للحلقات الاولى الشبهات التي اثارها احمد الكاتب ضد الشيعة والتشيع) ارجو منك مراجعة المقدمة مرة اخرى .

اما قولك تخاطبني (أتريد ان تعيدنا الى القول بحرمة الثورة على الظالم ... الى آخره) .

فأقول : هدانا الله يا اخي واياك للتي هي ازكى ... الا تعلم انه لا يوجد اي تلازم بين القول بـ(نظرية الامامة الالهية وعصمة الائمة (ع) وتحديدهم باثني عشر وولادة المهدي (ع) وغيبته الطويلة والبداء والرجعة) وبين القول بـ(حرمة الثورة على الظالم او تعطيل الجهاد واباحة الانفال وتحريم صلاة الجمعة) ، فقد قال بكل تلك العقيدة الامام الخميني ومع ذلك فجر الثورة الاسلامية في ايران وقادها ، وكذلك قال بكل تلك العقيدة الشهيد الصدر ومع ذلك قاد الثورة الاسلامية في العراق واستشهد في سبيل ذلك.

اما قولك (ان روايات اهل البيت (ع) تتحدث عن استمرار الامامة الى يوم القيامة وعدم تحديد الائمة في رقم معين وذلك لامتداد نظرية الامامة الالهية في موازاة نظرية الشورى كنظام سياسي لا يقبل التحديد في اشخاص معينين أو فترة محددة) .

فجوابه : ان روايات النبي (ص) والائمة قد حددت عدد الائمة باثني عشر وقد بحثناه مفصلا في الحلقة الاولى الفصل الثامن ، ارجو مراجعته .

اما قولك ان الامامة الالهية في موازاة نظرية الشورى . فقد بحثناه مفصلا في الحلقة الثانية الفصل الاول ، ارجو مراجعته .

اما قولـك : (انـني لم اذكر تضـعيف الشـيخ المفيد لكتـاب سـليم وانني استغفلت قرائي ... الى آخره) .

فاقول : لو رجع الاستاذ الكاتب الى كتـابي شـبهات وردود الحلقة الاولى ص 94 لوجـدني اقـول بقـول العلامة التسـتري (ومن هنا اوجب الشـيخ المفيد عـدم الاعتمـاد على كل ما ورد في الكتـاب (أي كتـاب سـليم) دون تحقيـق) وفي صـفحة 95 اقـول بقـول العلامة التستري ايضاً (والحق في كتاب سليم بن قيس ان اصله كـان صـحيحا قد نقل عنه الاجلة المشـايخ الثلاثة والنعمـاني والصفار وغيرهم الا انه حدث فيه تخليط وتـدليس من المعانـدين فالعـدو لا يـألو خبـالا كما عـرفت من المفيـد... وحيئذ فلا بد ان يراعى القرائن في اخباره كما عرفت من المفيد).

بعد هذا اسأله .

من الذي يريد ان يختم المعركة بليل انا ام هو ؟!

اما قولـك : (لا اريد ان اخـوض معك في جـدال مفصـل ... الى آخره) .

فجـوابي : ان هـذه الطريقة من الـرد ليست من البحث العلمي في شيء حبذا لو نهجت في الرد علي المنهج الذي نهجته معك ، فقد اوردتُ قطعة من كلامك ثم علقتُ عليها وناقشـتُها . اقتطع انت أي فقـرة تامة شـئت ومن أي موضـوع من المواضـيع الـتي ذكرتها آنفا او غيرها مما حفلتْ به نشـراتي الثلاث، وبين الضـعف والخلل الذي تـراه ، وهـذا هو الموقف المقبـول والمـترقب للـرد علي من قبلك .

اما دعوتك الى مواصلة البحث العلمي في الاصول قبل الفـروع وان يكـون المنهج هو التمسك بالكتـاب والسـنة وهـدي اهل البيت (ع) . أقول : فحيهل ...

فما رأيك ان نبـدأ ببحث مسـألة : هل يوجد شـهداء بعد الرسول (ص) شهادتهم على الناس كشهادة الرسـول وانهم ائمة هـدى يؤخذ بقـولهم وفعلهم وتقريـرهم كما يؤخذ بقـول الرسـول وفعله وتقريـره وان النـاس ملزمـون بالأخذ عنهم والاقتـداء بهم والطاعة لهم وانهم موكلون الهيا بحفظ الرسالة بعد الرسول .

نبدأ أولا بذكر الايـات القرآنية الكريمة ثم احـاديث النـبي (ص) ثم احاديث اهل البيت (ع) .

ارجو اعلامي ان كنت توافقني على ذلك .

ومن المفيد قبل ذلك ان تبين مصادر السـنة النبوية وحـديث أهل البيت (ع) المعتمدة لديك .

اما ما قلت من (وجـوب احـترام جميع وجهـات النظر الاجتهادية واحترام اصحابها) .

أقول : فهو مقولة شائعة و لكنها غـير صـحيحة ، والصـحيح هو عكسها ، وهو ان الاصل احترام الاشخاص وليس احـترام وجهـات نظـرهم الخاطئة ومن هنا نلاحظ ان الاسـلام احـترم اهل الكتـاب وسمح لهم بـالعيش ضـمن المجمع الاسـلامي بشـروط معينة مع انه لم يحـترم كثـيراً من عقائـدهم ووجهـات نظـرهم وانتقـدها وعرَّض بها وكشف زيفها .

اما بخصوص الأستاذ احمد الكاتب حين تحوَّل من صف القائلين بالنص إلى صف المنكرين له بل صف خصوم اهل الـبيت (ع) لان شعارهم النص فيما بين ايدينا من تراثهم الصحيح المنسوب اليهم ومع ذلك فنحن لا نـراه قد خـرج من الـدين ، نعم لا شك بخروجه من التشيع الاثني عشري وانتحاله رأي ابن ابي الحديد المعـتزلي في الامامة وموقفه السلبي من شيعة اهل البيت .

أكتفي بهذا القدر من التعليق واكرر دعائي ان يهدينا الله واياك للتي هي ازكى انه سميع مجيب .

سامي البدري

وبعد صدور الحلقة الثالثة من كتابه أرسلت له هذه الرسالة:

السيد سامي البدري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

قلتَ في الحلقة الثالثة انك سوف تجيب على القضايا الرئيسية الـتي لم تجب عليها في الحلقـات الماضـية ، وظللت تـدور في القضايا الهامشية من الموضـوع ، ولكنك لم تفعل بعـد ، حيث لم تناقش موضـوع ولادة الامـام الثـاني عشر ووجـوده وتهـربت من

الموضوع كما لم تناقش موضوع الامامة . ارجو منك الاجابة على سؤال: لماذا تخلى الشيعة اليوم عن شروط الامامة من العصـمة والنص والسلالة العلوية الحسينية وقبلوا بشـــروط الزيدية كالفقه والعدالة وقيـام الامامة على الانتخـاب والشـورى ، كما هوحاصل اليوم في ايران (الجمهورية الاسلامية). وكما اعـرف انك تفـرق بين الامامة والخلافة وتحاول ان تفسر الامامة بمعـنى يختلف عن الحكم والخلافـة ، فهل سـتقوم في المسـتقبل بمناقشة الكتـاب (تطـــــور الفكر السياسي الشـــــيعي من الشـــــورى الى ولاية الفقيه) .

وارجو منك ان لا تغتر بالمديح الذي كاله لك بعض المشايخ الذين لا يقرأون .

واعتقد انك قــرأت رســالة وزير الثقافة والارشــاد الايــراني الى الشــيخ ناصر مكـارم الشـيرازي والحــوزة بصــورة عامة والـتي نشرت في الصحافة الايرانية قبل اسبوع حول ضرورة الـرد على الكتـاب ، فهل قـرأ الـوزير نشـراتك الثلاث ام لم يجد فيها شـيئا جديا وغنيا .

والسلام عليكم

احمد الكاتب

9-10-1999

فأجاب السيد سامي البدري بما يلي:

الى الاستاذ أحمد الكاتب هدانا الله وإياه لما يحبه ويرضاه :

السلام عليكم ورحمة الله .

أشكرك على رسالتك وسؤالك ، كما اشـكرك أيضا على إرسـالك لي مقابلتك المنشورة في جريدة القدس العـربي - لنـدن/ العـدد 3205 الجمعة 27 آب - 15 جمــادى الاولى 1420 . أعتــذر عن تأخير الاجابة بسبب سفري .

1 . اعترضتَ في رسالتك الاسبق (وهي التي جعلتها مادة العــدد الثـاني عشر من نشـرتك الشـورى) على منهجي معك في الـرد وانصـرافي إلى مناقشـتك في الجزئيـات ثم دعوتـني في مقدمة

الرسـالة الى مواصـلة البحث العلمي في الاصـول قبل الفـروع الجزئيـة . وقلتَ ان منهجنا هو التمسك بالكتـاب والسـنة والسـير على هــدي أهل الــبيت . وقد رحبتُ بعرضك وكتبتُ اليك جوابا نشرته في الحلقة الثالثة 14رجب 1418هج .

وقلتُ لك في جـوابي لك (فما رأيك ان نبـدأ ببحث مسـألة هل يوجد شهداء بعد الرسـول (صـلى الله عليه وآلـه) شـهادتهم على النـاس كشـهادة الرسـول وانهم ائمة هـدى يؤخذ بقـولهم وفعلهم وتقريـرهم كما يؤخذ بقـول الرسـول وفعله وتقريـره وان النـاس ملزمـون بالاخذ عنهم والاقتـداء بهم والطاعة لهم وانهم موكلـون الهيا بحفظ الرسالة بعد الرسول . ؟ نبدأ اولا بذكر الايات القرآنية الكريمة ثم احاديث النبي (صلى الله عليه وآلـه) ثم احـاديث اهل البيت (عليهم السلام) .

ارجو اعلامي ان كنت توافقني على ذلك . ومن المفيد قبل ذلك ان تبين المصادر الحديثية المعتمدة لديك) .

ولم يصــلني منك جــواب خــاص أو عــام وقد مضى على ذلك سنتان .

2 . سألتني في رسـالتك بعد صـدور الحلقة الثالثة من ردي عليك بمدة بواسـطة الانـترنيت لمـاذا تخلى الشـيعة اليـوم عن شـروط الامامة من العصـمة والنص والسـلالة العلوية الحسـينية وقبلـوا بشــروط الزيدية كالفقه والعدالة وقيــام الامامة على الانتخــاب والشورى ؟

أقول: مصطلح الامامة استخدم بمعنيين :

المعنى الاول : معنى خاص ويراد به ان صـاحبه حجة في قوله وفعله وتقريــره حيا وميتــا ، وليس من شك أن أول أئمة بهــذا المعنى هو النبي ، ويرى الشـيعة ان هـذا المعـنى للامامة اسـتمر بعد النبي في إثني عشر من أهل بيته بوصية من النبي وبأمر من الله تعـالى ، ويشـترطون في هـذا المعـنى من الامامة العصـمة والنص وحصـــــرها في علي والحسن والحســــين ثم في ذرية الحسين كما حصرت الامامة بعد إبـراهيم في ذريته اسـماعيل ثم اسحاق ثم يعقوب ثم حصرت في ذريتـه . قـال الله تعـالى : (وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَات فَـأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَـالَ لَا يَنَـالُ عَهْـدِي الظَّالِمِينَ) البقـرة/124 .

وقالى الله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الانبياء/ 72-73 . وقال الله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ الله وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ الله وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة/140 . والاسباط في الاية هم يوسف وذريته المعصومون .

إنَّ إسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط يهدون الناس الى سنة إبراهيم بأمر الله تعالى .

والدليل على حصر الامامة الخاصة بعد النبي في أهل البيت وبقاء الثاني عشر منهم إلى آخر الدنيا حديث المنزلة وحديث الثقلين وآية التطهير وحديث الكساء وحديث الائمة إثنا عشر ونص السابق من الائمة على لاحقه .

والشيعة المعاصرون شأنهم شأن الماضين من أسلافهم لم يتراجعوا عن اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية والحصر في اثني عشر في هذا المعنى من الامامة .

المعنى الثاني : للامامة معنى عام ويراد به منصب الحكومة وإقامة الحدود وهذا المعنى يعتقد الشيعة فيه انه للنبي (صلى الله عليه وآله) ومن بعده للائمة الاثني عشر (عليهم السلام) ولم يتراجع عن هذا القول أحد إلا أن يتراجع عن أصل التشيع ، أما في عصر الغيبة الكبرى فإن علماء الشيعة كانوا بين اتجاهين اتجاه يقول بتعطيل الحدود بعذر إن إقامتها خاصة بالمعصومين فقط ، واتجاه يقول بجواز قيامها من قبل الفقهاء مع القدرة ولم يشترط أحد ممن يتبنى هذا الاتجاه في مقيمها أن يكون علويا حسينيا معصوما منصوصا عليه ودونك القائلين بهذا الاتجاه بدءا بأقدمهم الشيخ المفيد (ت413) وانتهاء بالامام الخميني والشهيد الصدر وخلفائهما .

وفي ضوء ذلك يتضح أن السؤال خاطيء أساسا ومبني على الخلط بين قضيتين استخدم لفظ الامام للتعبير عنهما وهما:

الاولى : قضية وجود حجج الهيين على الخلق بعد النبي شهداء على الناس كشهادة النبي (صلى الله عليه وآله) والنبي شهيد

عليهم كما في قوله تعالى (وَجَاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ **...**) الحج/78 .

الثانية : وهي قضية من له حق الحكم في الاسلام وهذه القضية قد شخصتها الاية (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ الله وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِ آيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**)** المائدة/44 .

وباعتبار التقاء المعنيين في عصر الائمة الاثني عشر في شخصهم (عليهم السلام) ، فهم حجج الله بعد النبي ، وحق الحكم منحصر بهم في زمان حضورهم بنص الاية ، اندمج المعنيان في مصطلح الامام وصار لدى الشيعة يدل على معنى ثالث يراد به كلا المعنيين وحصر مصداقه بعد النبي بالمعصومين الاثني عشر .

استهدف المتكلمون الاوائل للشيعة إثبات كلا المعنيين للامامة لهؤلاء الاثني عشر لا غير ، ولم يكونوا معنيين بمسألة الحكم كمسألة مستقلة .

ولست أدري لماذا هذا الاصرار من الاستاذ الكاتب على خلط المعنيين .

إن الموضوعية تقتضي بحث المعنيين كل على حدة لانهما يشيران الى قضيتين مختلفيتين هما :

القضية الاولى : هل يوجد مبيِّنون معصومون للدين بعد النبي يكون بيانهم للسنة النبوية وتفسير القرآن كبيان النبي مع كونهم ليسوا بانبياء ، ومن هم هؤلاء ؟وكم عددهم ؟ .

القضية الثانية : من له أهلية وحق إقامة الحدود وتنفيذ الاحكام في المجتمع الاسلامي بدءا من زمن النبي ؟ هل كل مسلم كيفما اتفق ؟ أم هم صنف معين من الناس له مواصفات خاصة وشروط خاصة ؟وهل يتصدى المؤهل كيفما اتفق أم لابد من طريقة خاصة ؟ .

ومما لا شك فيه أن البحث الاول مقدم على البحث الثاني وأكــثر خطورة منه .

لقد بحثنا القضـــــيتين في الحلقة الثانية من ردودنا عليك الفصل الاول ص16-44 . وفي الحلقة الثالثة في مواضع متعـددة يــرجى مراجعة ذلك .

3 . وزير الارشاد الايــراني حفظه الله لم يكن مطلعا على ردودي عليك وقد وصله أخـيرا . أما المـديح الـذي أشـرتَ إليه فهو ليس مديحا وانما تأييد علمي من علماء معــروفين بعلميِّتهم مسـؤولين عن كلمتهم ، وهو يبعث على السـرور لا الغـرور ، وكـذلك الحـال مع كلمات القراء الكرام الذين عبروا عن مشاعرهم وانطباعاتهم الــتي تؤكد على فائــدة ما كتبنــاه واعــتزازهم به ونحن بـــدورنا نشكرهم على مبادرتهم في إظهار عواطفهم واعتزازهم .

4 . قولك في القــدس العــربي- لنــدن العــدد 3205 (ان الجو السائد في الحوزة فيما يبدو يميل إلى عدم البحث والاجتهــاد في قضــية ولادة المهــدي ورفض مناقشــتها بــدعوى انها من العقائد الاساســية وقد عبَّر السـيد ســامي البــدري من حــوزة قم خلال برنامج (بلا حدود) الذي أذيع من قناة الجزيــرة الفضـائية يتـاريخ 4/8/ـ 1999عن هـذا الموقف بصـراحة وقد أثـار اسـتغرابي لانه يتنــاقض مع إجمــاع الشـيعة عـبر التـاريخ على ضـرورة الايمــان والالتزام بالعقائد الاساسية عن معرفة وإجتهاد ويقين وعدم جواز التقليد فكيف لمن يـــــدعي العلم التقليد ومنع الاخـــــرين عن الاحتهاد) .

أقول :

لو راجع الاســـتاذ الكـــاتب شـــريط المقابلة ودقق في صـــوت المتحدث لعرف ان المتحدث باسم السيد سامي البـدري لم يكن شخصه وإنما هو شـخص آخـر ، وقد فـوجئت شخصـيا بـذلك كما فوجيء الكثير من الاصدقاء ممن يمـيز صـوتي وأُخبِـرتُ فيما بعد بأن المتحدث هو فضيلة السـيد حسـين الكشـميري (من أهل قم في مدينة قم) وقد أتصـلت به للتأكد من ذلك /وبامكانك الاتصـال به شخصـيا للتأكد أيضـا/ وعاتبته على عـدم تصـحيح الاشـتباه في أول المداخلة أو آخرها فاعتذر بالغفلة وعدم قصد ذلك وله عذره على كل حـال ، وقد أخــبرتُ مقـدِّم برنـامج (بلا حــدود) بهــذه الملابسة في اليـوم الثـاني وأرسـلت له رسـالة بالفـاكس بـذلك

وكنت قد أرسلت له الحلقات الثلاث من ردودي عليك وكانت الحيادية منه تقتضي ان يشير اليها عندما ذكر اسمي كصاحب مداخلة وقد اعتذر عن ذلك بأنها وصلته بعد انتهاء المقابلة .

أما موقف علماء الشيعة من المسألة الاصولية العقائدية فهو كما ذكرتَ عن إجماعهم عبر التاريخ على ضرورة الايمان والالتزام بالعقائد الاساسية على أساس مواجهة الدليل مباشرة وعدم جواز التقليد فيها وهو من مفاخر متقدميهم ومعاصريهم وتلاميذهم .

أكرر شكري على مبادرتك ورسالتك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

سامي البدري

5 شعبان / 1420

وأرسلت اليه الجواب التالي:

السيد سامي البدري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طلبت مني في رسالتك الاخيرة عبر الانترنت المؤرخة 6 شعبان 1420 بحث موضوع وجود الشهداء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) الذين تعتبر شهادتهم كشهادة الرسول ويعتبر قولهم وفعلهم وتقريرهم كقول وفعل وتقرير الرسول ، وان نبدأ ببحث الايات والاحاديث الواردة حول الموضوع ، وطلبت مني كذلك التفريق بين معنيي الامامة الخاص الذي يعني - في نظرك - الحجية في القول والفعل ، واشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية المنحصر في الائمة الاثني عشر ، والمعنى العام الذي تقول انه يشمل الحكومة واقامة الحدود ، وعدم الخلط بينهما .

وقلت ان الدليل على حصر الامامة الخاصة بعد النبي في أهل البيت وبقاء الثاني عشر منهم الى آخر الدنيا ، هو حديث المنزلة وحديث الثقلين وآية التطهير وحديث الكساء وحديث الائمة اثنا عشر ، ونص السابق من الائمة على اللاحق .

ورغم ذلك فقد أكدت ان المعنيين في مصطلح (الامام) انـدمجا لدى الشيعة في معنى واحد ثالث ، وصـار يـراد به كلا المعنـيين ، وحصر مصـداقه بعد النـبي بالمعصـومين الاثـني عشـر ، وهـذا ما يدل على انك تحاول التفريق بين معـنى الامامة بصـورة تعسـفية خلافا لما تعـارف عليه الشـيعة الاماميـة ، واني لم اخلط بينهمـا ، وانما أنت الذي تفرق بينهما بدون ضرورة .

وعلى أي حـــال فـــان نظرية الامامة الالهية ذات الشـــعبتين التشريعية والتنفيذية المنحصـرة في الائمة الاثـني عشـر ، حسب رأي الفرقة الاثني عشرية - والا فان الشيعة الاسماعيلية الامامية او الواقفية لا يؤمنون بحصر الائمة باثني عشر وقد يضيقون العدد او يفتحونه بلا حدود - وسـواء قلنا بحصر الامامة في اثـني عشر او لم نقل فان نظرية الامامة هـذه تعتمد في قيامها واسـتمرارها على ثبـوت ولادة ووجـود ابن للامـام الحسن العسـكري ، بغض النظر عن المناقشة في الاحـاديث الـتي ذكرتها (حـديث المنزلة والثقلين والكسـاء والاثـني عشـرية وآية التطهـير) ومـدى دلالتها وصحة سندها . فاذا استطعت ان تثبت ولادة ووجود الامام الثاني عشر بصـــورة علمية تاريخيـــة ، فـــان نظرية الامامة او الاثـــني عشرية قد تصح ، اما اذا لم تستطع ان تثبت ذلك فـان من العبث الحديث عن شيء لا وجود له في الخارج . .

ولذا طلبت منك في رسالتي السابقة التي كتبتها قبل سنوات بعد صـدور الجـزأين الاولين من حلقاتك ان تبحث القضـايا الرئيسـية والجوهرية بـــدلا من ان تغـــوص في التفاصـــيل الجزئية والثانوية والهامشـــية ، ولا زلت اعتقد ان البحث في معـــنى الامامة هو موضوع ثانوي يأتي بعد موضوع إثبات وجـود الامـام الثـاني عشر المفـترض ، وكما قيل العـرش ثم النقش . وكـأني بك تحـاول ان تقفز عن هذا الموضوع الرئيسي المهم بـتركيب بعض النظريـات الكلية لكي تمهد الطريق نحو القول بفرضية وجود الامـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العســكري) وهو ما فعله المتكلمـــون السابقون في القرن الثالث الهجري الذين اصطدموا بالواقع وهو عدم وجـود ولد للامـام العسـكري ، وبـدلا من ان يستسـلموا الى الحق ويعيـدوا النظر في نظريـاتهم الخيالية وتـأويلاتهم التعسـفية وأحـاديثهم المـزورة أصـروا على الباطل وافترضـوا وجـود ولد للامام العسكري بالرغم من نفي الامام ووصيته بأمواله الى أمه المسماة بـ (حديث) وعدم وصيته الى أحد من بعده بالامامة .

وهذا ما عنيت به من الدليل الفلسفي الوهمي الافتراضي الذي نسج اسطورة (الامام المهدي محمد بن الحسن العسكري) .

ان إصـرارك على بحث موضـوع نظرية الامامة تبعا للاحـاديث (الضعيفة في المتن والسند) الـتي ذكرتهـا ، بعد انهيـار النظرية الاثـــني عشـــرية ، قد يجـــرك الى الانتقـــال الى الاســـماعيلية او البهـــــــــرة ، واذا أردت ان تعيد النظر في نظرية الامامة ككل فيمكنك ان تصل الى نظرية الشـــورى الـــتي اعتقد انها النظرية السياسية لاهل البيت الذين لم يكونـوا يـدعون العصـمة ولا النص ولا حصر الخلافة والامامة في سلالتهم .

واعتقد ان مشـــكلتك هي في ممارسة القيـــاس المـــذموم والمرفوض من أهل البيت ، وتطبيق ما حـدث في بـني اسـرائيل على الحالة الاسـلامية ، وتفسـير كلمة (الاسـباط) الـتي تعـني القبائل اليهودية الاثنتي عشـرة ، بأوصـياء النـبي موسـى ، الـذين تقـــول انهم اثنا عشر (بـــدون دليـــل) والتوصل تبعا لـــذلك الى ضرورة وجود اثنا عشر وصيا للرسول الاعظم من أهل البيت .

ولست في حاجة الى اتهامك باتباع عبد الله بن سبأ الذي يقال انه نقل هذه الفكرة من اليهودية الى الاسلام ، وقال بكون الامام علي وصي النبي محمد كما كان يوشع وصيا للنبي موسى ، فأنت تقوم بنفسك بـالبحث في الاسـرائيليات وقد تعلمت اللغة العبرية وجئت الى لنـــــدن لكي تفتش في الكتب اليهودية التاريخية عما يدعم نظريتك ، علما بـأن اليهـود الاوائل الـذين مارسـوا القيـاس بين اليهودية والاسلام لم يقولوا بـأكثر من وصي واحـد ، حيث لم تكن النظرية الاثـني عشـرية قد ولـدت بعـد ، ولم يكن الشـيعة الامامية قد حددوا الائمة بعدد محدود قبل القرن الرابع الهجري . وقد طلبت منك مرارا ان تقوم بالتأكد من أحاديث الاثني عشـرية وصـــحة نســـبتها الى أهل الـــبيت قبل ان تقـــوم بتأييـــدها من الاسرائيليات .

وفي الحقيقة اني عاتب عليك جدا وأشكوك الى الله ، إذ أراك تستخدم الحوار معي بصـورة ملتوية ولاغـراض سياسـية وإعلامية علمها عند الله، وذلك لاني كنت المبادر الى دعوتك للحـوار حـول موضـوع المهـدي ، قبل ان انشـره ، في سـنة 1992 وانتظـرت مجيئك الى لندن عام 1995 وألححت عليك باللقاء فكنت تتهـرب مـني وتشـترط التسـليم في البداية بالفصل بين معنـيي الامامة الخـــاص والعـــام ، قلت لك لنجلس ونبحث ، فرفضت اللقـــاء ،

وتوسلت اليك ان تدلني على مواضع الخطأ في كتابي ، فقلت انا لا أرد على كتـاب غـير مطبـوع ، ثم نشـرت ردودك قبل ان اطبع الكتـــاب ، ومع ذلك لم تنـــاقش الموضـــوع الرئيسي فيه والـــذي يشكل حجر الزاوية في الفكر الامامي الاثني عشـري وهو وجـود وولادة الامام الثاني عشر ، ونبهتك الى ذلك في رسالتي السابقة فوعــــدت في الحلقة الثالثة ان تفعل في المســـتقبل ، ولم تقم بـــذلك حـــتى الان . . ولا زلت تـــدور في الحواشي والجزئيـــات وتتهرب من مواجهة الموضوع الرئيسي .

أخي العزيز لمـــاذا تضـيع وقتك الثمين ووقت القـــراء ؟ أرجـــوك الاجابة عن الاسئلة التالية:

1- كيف تـؤمن بوجـود الامـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العســـــكري) ؟ عن طريق الادلة الفلســـــفية الكلامية والنظريـــات الكلية العامـــة؟ أم عن طريق الادلة التاريخية العلمية؟
2- ما هي تلك الادلة التاريخية؟ وهل بحثت الروايات المختلفة الواردة حول الموضوع ودرستها وقارنت بينها؟
3- هل هي روايات معتبرة لديك؟ وهل تثق برجالها؟ وهل هي مسندة؟ أم ليست الا إشاعات أسطورية مضـحكة لا تـرقى الى درجة أخبار الاحاد الضعيفة؟

وكما تعرف فقد بحثت كل هـذه المواضـيع في كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشيعي من الشـورى الى ولاية الفقيـه) بشـكل مفصـل ، فـاذا كـان لـديك أي رد او نقـاش في هـذا الموضـوع فتفضل بـه ، واذا كنت تسـلم بما أقـول وتعـترف كبعض العلمـاء السابقين بالعجز عن إثبات وجـود الامـام الثـاني عشر المفـترض بالادلة التاريخية العلمية ، فلا تضـيع وقتك ببحث ومناقشة الامـور الثانوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

أما اذا كنت تتعـرض الى ضـغوط سياســية واجتماعية من المحيط المتحجر الـذي تعيش في وسـطه فحـاول ان تهـاجر الى أجـــواء أكـثر حرية لكي تعـبر عن آرائك بصـــراحة كما فعلت في زيارتك الى لندن عام 1995

واني أعـذرك عن عـدم مواصـلة الحـوار بجدية لعـدم تـوفر الشروط الضـرورية تحت سـياط المحكمة الخاصة برجـال الـدين التي لا تسمح بالخروج عن ثـوابت النظـام الإيـراني والـتي أدانت

الشيخ أسد الله بيـات والشـيخ محسن كـديوار لكلمة حـول ولاية الفقيه ، وحـاكمت الشـيخ عبد الله نـوري لأنه انتقد بعض أفكـار الامام الخميني او دعا الى أفكار الشيخ المنتظري.

حقا ان الفكر ليتعطل في أجــواء القمع والإرهـاب ومحــاكم التفتيش ، وأسال الله تعـالى ان يفـرج عنك وعن علمـاء الحـوزة العلمية في قم ويــوفر لهم جــوا من الحرية والأمن والســلام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أحمد الكاتب

لندن 7 شعبان 1420/15 تشرين الثاني 1999

وأجاب السيد سامي البدري بما يلي، ولكنه لم يرسله لي، وانما نشره فيما بعد، في موقعه، معتذرا بخروجي عن أدب الحوار، إثر اختلاف بيني وبينه حول هوية المتحدث المتداخل معي ببرنامج بلا حدود في قناة الجزيرة باسم (السيد سامي البدري):

قوله : طلبت مني في رسالتك الاخيرة عبر الانـترنت المؤرخة 6 شعبان 1420 بحث موضوع وجـود الشـهداء بعد النـبي (صـلى الله عليه وآله) الـذين تعتـبر شـهادتهم كشـهادة الرسـول ويعتـبر قولهم وفعلهم وتقريرهم كقول وفعل وتقرير الرسول ، وان نبــدأ ببحث الايات والاحاديث الواردة حول الموضوع .

أقول : عرضت عليك البحث في هذا الموضوع ســنة 1418 في نشــرة وكتـاب شـبهات وردود الحلقة الثالثة ولم تجبـني لسـنتين مضت عليه ثم ذكَّرتك به سنة 1420 لما اجبتك على أول رســالة لك وجَّهتها اليَّ بــالانترنيت . ومع ذلك لم تجبــني الى بحث هــذا الموضــوع وحــوَّلت البحث الى مســألة ولادة المهــدي وقلت انه الموضوع الاهم .

قوله : سـواء قلنا بحصر الامامة في اثـني عشر او لم نقل فـان نظرية الامامة هــذه تعتمد في قيامها واســتمرارها على ثبــوت ولادة ووجــود ابن للامــام الحسن العســكري ، بغض النظر عن المناقشة في الاحــاديث الــتي ذكرتها (حــديث المنزلة والثقلين والكسـاء والاثـني عشـرية وآية التطهـير) ومـدى دلالتها وصـحة سندها . فاذا استطعت ان تثبت ولادة ووجود الامـام الثـاني عشر

بصورة علمية تاريخية ، فـان نظرية الامامة او الاثـني عشـرية قد تصـح ، اما اذا لم تسـتطع ان تثبت ذلك فـان من العبث الحـديث عن شىء لا وجود له في الخارج . .

أقـول : الامامة الالهية لعلي يفرضـها حـديث المنزلة المتـواتر ، وحديث الغدير المتـواتر وأحـاديث أخـرى كثـيرة . والامامة الالهية لاهل الـبيت بشـكل عـام يفرضـها حـديث الثقلين وآية التطهـير وغيرها من الاحــاديث . وتحديــدهم بــإثني عشر يفرضه حــديث الاثني عشر الثابت صدروه عن النـبي وقد ذكرنا طرفا من طرقه ومصــادره في الحلقة الاولى من كتابنا شــبهات وردود . وإمامة الامــام الثــاني عشر فــرع لامامة آبائه فــإن صــحت إمامة آبائه (عليهم الســلام) فعندئذ تثبت إمامته (عليه الســلام) . أما ولادة المهدي فهي ثابتة بالنقل المتواتر عن أصحاب الحسن العسـكري وقد مر البحث فيها .

قوله : اعتقد ان البحث في معــنى الامامة هو موضــوع ثــانوي يأتي بعد موضوع إثبات وجود الامام الثاني عشر المفترض ، وكما قيل العرش ثم النقش .

أقول : انما نبهتك الى ان مصطلح الامامة اسـتعمل بمعنـيين أو ثلاث بســبب اصــرارك على اســتعمال معــنى واحد وهو معــنى (الحكم) هــذا المعــنى الــذي أدى بك ان تقــول (ان الشــيعة يشترطون في الحاكم العصمة والنص واالسلالة العلوية الحسينية وانهم لما أقـاموا دولتهم في ايـران تخلو عن هـذه الشـروط في الحاكم) ! والحال أن الشيعة (اشترطوا العصمة والنص والحصر في على والحسن والحســين وتســعة من ذرية الحســين (عليه الســلام)) في إمامة خاصة بهم وهي عين إمامة الرســول من حيث حجية قوله وفعله وتقريــره ســواء كــان حاكما او لم يكن ، وهذه الامامة لهؤلاء الاثني عشر نظير إمامة اسـماعيل واسـحاق ويعقــوب ويوسف والمعصــومين من ذريته قبل موسى ونظــير إمامة آل هارون بعد موسى المذكورين في القرآن . أما الحكومة فهي حق هؤلاء الائمة في زمانهم وتستمر بعـدهم في الصـالحين من الفقهــاء ســواء كــانوا من ذرية هــارون أو من ذرية غــيرهم وكـــــذلك الامر في الحكومة في عصر الغيبة هي للعــــدول من الفقهاء الكفوئين ممن تثق به الامة سواء كانوا من الهاشميين أو لم يكونوا .

وهكــذا لم يتخل أحد ممن رفع شــعار ولاية الفقيه وإقامة الدولة تحت رايته عن عقيدته الاثــني عشــرية وذلك لوضــوح ان إمامة أولئك الائمة إمامة خاصــة ، يكــون الحكم شــأنا ضــئيلا جــدا من شؤونها . وإن الحاكم لا يشترط فيه العصمة ولا النص ولا السلالة العلوية الحسينية .

قوله : ان إصــــرارك على بحث موضـــــوع نظرية الامامة تبعا للاحاديث (الضعيفة في المتن والسند) التي ذكرتهـا ، بعد انهيـار النظرية الاثني عشرية ، قد يجرك الى الانتقـال الى الاسـماعيلية او البهـــــــرة ، واذا أردت ان تعيد النظر في نظرية الامامة ككل فيمكنك ان تصل الى نظرية الشـــورى الـــتي اعتقد انها النظرية السياسية لاهل البيت الذين لم يكونـوا يـدعون العصـمة ولا النص ولا حصر الخلافة والامامة في سلالتهم .

أقول : لم تبين نقـاط الضـعف في الروايـات الـتي ذكرناها وقد ناقشـنا كل إشـكالاتك حـول الاثـني عشـرية في نشـرتنا شـبهات وردود الحلقة الاولى وبقي حديث الاثني عشر على قوته وإعتباره السـندي والــدلالي . وقد نبهنــاك في الحلقة الثانية والثالثة من (شـبهات وردود) وكـذلك في رسـالتي الجوابية الاولى بواسـطة الانترنيت انه لا تعارض القول بوجـود اثـني عشر اماما نص النـبي عليهم أئمة هـدى وحجج على النـاس من بعـده وكـونهم أحق من غيرهم بالحكم أحقية أختصاص وبين القــول بالشــورى في الحكم بـالمعنى الـذي فصـلناه في الحلقة الثانية ص 37-38 . أما قولك (أن الائمة لم يكونوا يدعون العصـمة ولا النص ...) فهي دعـوى ادعاها قبلك علمـاء السـنة قـديما وحـديثا ، وبحث هـذه المسألة يقـوم على قضـيتين الاولى دلالة النصـوص القرآنية والنبوية على وجود معصـومين ، الثانية صـدق نقل الشـيعة عن أئمتهم . وبحث المسألة الاولى والفراغ منها مقدم على بحث المسألة الثانية .

قوله : واعتقد ان مشـكلتك هي في ممارسة القيـاس المـذموم والمرفوض من أهل البيت ، وتطبيق ما حـدث في بـني اسـرائيل على الحالة الاسلاميةوتفسير كلمة (الاسباط) التي تعني القبائل اليهودية الاثنتي عشرة ، بأوصياء النبي موسى ، الذين تقـول انهم اثنا عشر (بـدون دليـل) والتوصل تبعا لـذلك الى ضـرورة وجـود اثنا عشر وصيا للرسول الاعظم من أهل البيت .

أقول : منهج المقارنة بين ما جرى في بـني إسـرائيل وما جـرى في أمة محمد (صـلى الله عليه وآلـه) أكد عليه القـرآن والسـنة

الصحيحة وليس هو من القياس في شـيء وما رفضه اهل الـبيت من القيـاس هو القيـاس في الاحكـام . وقد وضـحنا المسالة في الحلقة الاولى م شـــــبهات وردود ص 123-133 ردا على مقالك في الشورى العدد الثالث ص 6 . أما الاسباط الواردة في الايـات الـتي أوردناها في جوابنا فهي ليست ذات صـلة بأوصـياء موسى بل هي ذات صلة بأوصياء ابراهيم أرجو ان تدقق النظر فيها مـرة ثانيـــة . ثم ان أوصـــياء موسى اثنا عشر قد نص عليهم القـــرآن الكــريم في قوله تعـالى (اثنا عشر نقيبـا . .) وهو يخـالف ما اوردته التوراة من العدد (15) وتسميهم بالقضاة .

قوله : ولست في حاجة الى اتهامك باتبـــاع عبد الله بن ســـبأ الذي يقال انه نقل هذه الفكرة من اليهودية الى الاسـلام ، وقـال بكون الامام علي وصي النبي محمد كما كـان يوشع وصـيا للنـبي موسى ، فأنت تقوم بنفسك بالبحث في الاسرائيليات وقد تعلمت اللغة العبرية وجئت الى لنــــــدن لكي تفتش في الكتب اليهودية التاريخية عما يدعم نظريتك .

أقول : القرآن يصـرح بـأن خـبر بعثة النـبي مـذكور في التـوراة والانجيل كما في قوله تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) الاعراف/157 ، ويصــرح ايضا ان خــبر المســلمين مع النــبي الــذين جعلهم الله شهداء على الناس بعد النبي مـذكور في الكتب السـابقة كما في قوله تعالى (وَجَاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهَـادِهِ هُـوَ اجْتَبَـاكُمْ وَمَا جَعَـلَ عَلَيْكُمْ فِي الــدِّينِ مِنْ حَــرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْــرَاهِيمَ هُــوَ سَــمَّاكُمْ الْمُسْـلِمِينَ مِنْ قَبْـلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُـونَ الرَّسُـولُ شَـهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) الحج/78 . فالاية صـريحة في قضـية ان المسـلمين الشـهداء على النـاس في هـذه الاية قد وصـفهم وعينهم الله تعــالى من قبل أي في الكتب الســابقة يبقى الكلام من هم هـؤلاء هل هم كل المسـلمين ولم يكونـوا كلهم من ذرية ابراهيم أم هم آل النبي كما ذكرالصادق (عليه السلام) ؟ وسـواء كانوا هؤلاء أم أولئك هل يعتبر البحث في الكتب المقدسة للعثـور على النصوص الـتي أشـار اليها القـرآن في حق النـبي والشـهداء على الناس من بعده تهمة ؟

والحمد لله فاني لست أول باحث في هذه الايات ومتـابع لواقعها في الكتب المقدسة فقد سـبقني علمـاء المسـلمين من السـنة والشـيعة فهـذا ابن كثـير وابن تيمية وقبلهما الـبيهقي والمـاوردي وقبلهما ابن هشـام وابن اسـحاق وغيرهما وفي العصر الحـديث

كثير منهم الشيخ رحمة الله الكيرانوي في كتابه اظهار الحق طبع قبل مائة سـنة ثم جـدد طبعه الـدكتور عمر الدسـوقي سـنة 1980ومنهم الـدكتور احمد حجـازي السـقا وقد كتب أكـثر من كتاب في الموضـوع وكـان أحـدها رسـالة للـدكتوراه ومنهم قيس الكلبي وعنـوان كتابه (محمد آخرالرسل في التـوراة والانجيـل) (1996م) طبع في اميركا بالانكليزية والعربيـة . ولهم نظـراء من الشيعة قديما كالنعمـاني في كتابه (الغيبـة) والطبرسي في إعلام الورى وغيرهما وحـديثا كالعلامة البلاغي الـذي تعلم العبرية ونـاقش اليهـود في أكـثر من كتـاب والعلامة العسـكري في كتابه معالم المدرستين والاستاذ تـامر مـير مصـطفى في كتابه بشـائر الاسـفار (1994م) وغـيرهم و في منهجك فـإن كل هـؤلاء متهمون بتهمة السبائية ويبدو انك تريد خصوص البـاحثين الشـيعة الذين عرضوا في بحوثهم العلمية ان التبشير بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) في الكتب الالهية السابقة مقترن بالتبشير بالاثني عشر ، وهو أمر يغيظك جـدا وإذا كـان الامر كـذلك فلمـاذا تـدعو للحوار إذن ؟

قوله : ولم يكن الشـيعة الامامية قد حـددوا الائمة بعـدد محـدود قبل القـرن الرابع الهجـري . وقد طلبت منك مـرارا ان تقـوم بالتأكد من أحاديث الاثني عشرية وصـحة نسـبتها الى أهل الـبيت قبل ان تقوم بتأييدها من الاسرائيليات .

أقـول : بحثنا دعـواك ان الشـيعة لم يكونـوا يعرفـون الاثـني عشرية قبل القرن الرابع الهجري في الحلقة الاولى التي صدرت سـنة 1417 هجرية وقد كرسـناها للـرد على كل شـبهاتك حـول الاثني عشرية ثم أثبتنا لك صـحة نسـبة الاحـاديث الاثـني عشـرية الى أهل الـبيت وإلى النـبي قبل ذلك ولم تـرد بشـيء وقد مضى على تلك الردود المنشورة ما يقرب من اربع سنوات !

قوله : (وفي الحقيقة اني عاتب عليك جدا وأشكوك الى اللـه ، إذ أراك تستخدم الحـوار معي بصـورة ملتوية ولاغـراض سياسـية وإعلامية علمها عند اللـه ، وذلك لاني كنت المبـادر الى دعوتك للحوار حول موضوع المهدي ، قبل ان انشـره ، في سـنة 1992 وانتظـرت مجيئك الى لنـدن عـام 1995 وألححت عليك باللقـاء فكنت تتهـرب مـني وتشـترط التسـليم في البداية بالفصل بين معنـيي الامامة الخـاص والعـام ، قلت لك لنجلس ونبحث ، فرفضت اللقاءوتوسـلت اليك ان تـدلني على مواضع الخطأ في كتـابي ، فقلت انا لا أرد على كتـاب غـير مطبـوع ، ثم نشـرت

ردودك قبل ان اطبع الكتـــاب ، ومع ذلك لم تنـــاقش الموضـــوع الرئيسي فيه والذي يشكل حجر الزاوية في الفكر الامامي الاثني عشري وهو وجـود وولادة الامـام الثـاني عشـر ، ونبهتك الى ذلك في رسـالتي السـابقة فوعــدت في الحلقة الثالثة ان تفعل في المســتقبل ، ولم تقم بـــذلك حـــتى الان . . ولا زلت تـــدور في الحواشي والجزئيات وتتهرب من مواجهة الموضوع الرئيسي) .

أقول :

1 . ردودي عليك في حلقـــاتي الثلاث وفي هـــذه وهي الرابعة مستقيمة وواضـحة حيث اني نهجت فيها جميعا منهجا واحـدا وهو أني كنت اورد قولا لك منشورا في نشرتك الشورى أو في كتابك يعبر عن فكرة تامة وأشـير الى موضـعه في نشـرتك أو كتابك ثم أعلق عليه بما تيسر لي من البحث والكلام العملي ، وأغراضـــها واضحة وقد وضحتها في مقدمة الحلقة الاولى حيث قلتُ في ص 15 (إني أحاول في هذه الاوراق ان أختصر الرد وأيسره لطلاب الحقيقة وبخاصة وأن كثيرا منهم لا يتسع وقته لمراجعة مطـولات الكتب ولا مختصـراتها) وكـان بإمكانك لو وجــدت فيما رددت به عليك ثلمة ان ترد وقد مضى من الزمن ما يكفي .

2 . قولك (كنت تتهرب مني) مما يضحك الثكلى ، أما تذكر يـوم دعاك الاستاذ الـدكتور سـعد جـواد في الى بيته العـامر في لنـدن سـنة 1995لحضـور اول محاضــرة لي بعد قــدومي مع مناقشة مفتوحة بعــدها ولم تحضر الا بعد انتهــاء المحاضــرة والمناقشة وخـروج أغلب المـدعويين ووصـلتَ ونحن في حـال الخـروج ولما دخلتَ لم نجلس وبقينا واقفين وتحـــدثنا قريبا من ثلث ســـاعة وفيها طلبت مني لقاء منفـردا فـأبيتُ ذلك وأصـررتُ على اللقـاء المفتوح وبحضور عدد واسع من الاخوة فكان جوابك ان الناس لا يتحملـــون صـــراحة الافكـــار وأتوقع منهم الاهانة فقلت لك انك أعلنت عن أفكـــارك وديســـكات كتبك تتحـــرك في المجتمع والمفـروض انك تتحمل ردود الفعل على أفكـارك وبقيت الفكـرة معروضة شهرين مدة وجودي في لندن وكنت تصر فيما بعد على عــدد قليل وكنت أصر على العــدد الكثـير حيث كنت أحــدس ان النقاش معك لا يجدي نفعا وانما اردتُ من حضـور الكـثرة آنـذاك هو فائدتهم وشهادتهم لا غير وقد تبين لي وللاخرين صدق حدسي بعد انسحابك من الحوار على شبكة هجر الثقافية المـوقرة شـهر رمضـان المبـارك سـنة 1420 بعـذر انك غـير متفـرغ لمواصـلة الحوار على الرغم من انك طالب الحوار معهم .

ولست أدري كيف اتهـــــرب منك وأنا أول من نشر ردوده عليك بصورة معلنة وصريحة ولا فخر ! .

3 . أما اشتراطي عليك الفصل بين معنـيي الامامة فقد أخبرتك في وقته انك وقعت في خلل منهجي مركـــزي تحـــرك معك في كتبك الثلاثة وهو انك تنظر الى إمامة أهل البيت على انها مسـألة سياسية حسب . بينما هما مسـألتان الاولى كـونهم حجـاً إلهيـيين معصومين بعد النـبي شـهادتهم على النـاس كشـهادة النـبي ومن تـركهم ظل ومن أخذ بقـولهم وتمسك بهم نجى . الثانية مسـالة كـــونهم الاولى بـــالحكم بعد النـــبي اولوية اختصـــاص لا أولوية تفضـيل . وقد مر تفصـيل ذلـك . وأذكر انـني سـألتك في احـدى المكالمات الهاتفية بيني وبينك لما لا تقبل بـالمنهج المـذكور قلت إذا قبلت به فـــإن كتـــبي الثلاثة تنهـــار !!! والامر واضح وهو انك بنيتها على منهج خاطيء .

4 . لقد بقيتُ ملتزماً بكلمتي معك وهي انني قلت لك : فى وقته إنـني لا أرد على كتـاب غـير منشـور ، ولو راجعت الحلقة الاولى والثانية من كتـــابي شـــبهات وردود لوجـــدتهما ردا على نشـــرتك الشـــورى وليس على كتابك الـــذي لم تطبعه آنـــذاك ، أما الحلقة الثالثة فقد رددت فيها على كتابك بعد ان نشـرته والـذي لم تشر فيه الى ردودي عليك ! .

5 . الغـريب انك حكمت على الشـيعة الاوائل القـائلين بالوصـية بانهم أخذوا فكرة الوصـية من عبد الله بن سـبأ ثم حين ناقشـتك في ابن سبأ ومصداقيته اصبحت المسألة عندك مسـألة هامشـية وجزئية !!! .

وحين ادعيت أن الشـيعة في القـرن الثـالث لم يعرفـوا الاثـني عشـرية وأثبت لك خطأ دعـواك هـذه أصـبحت المسـالة عنـدك مسألة هامشية وجزئية !!! .

وحين قلت ان روايـات كثـيرة في المصـادر الشـيعية تفيد ان الائمة لم يكونوا يعرفون إمامة الامام اللاحق بعدهم الا عند قرب وفاتهم وأثبت لك انك أخطأت في فهم الرواية أصـبحت المسـألة عندك مسالة هامشية وجزئية !!! .

وحين ادعيت أن الشـيخ محمد بن علي بن بابويه الصـدوق كـان يشك بتحديد الائمة بـــإثني عشر وأثبت لك خطأ دعـــواك بنســـبة

الشك اليه بالعقيدة الاثني عشرية أصبحت المسالة عندك مسألة هامشية وجزئية .

وهكذا كل ما ناقشتك فيه من دعـاواك في الحلقة الاولى والثانية والثالثة واثبت لك خطـأك فيها اصـبحت عنـدك مسـألة هامشـية وجزئية وحاشية !!! .

وليس من حقك تهميش هـذه القضـايا وقد سـقتها واحـدة بعد الاخرى لتبني تصورك السلبي عن التشيع الاثني عشري وقضـاياه الاساسية .

والان بين يـديك الحلقة الرابعة وقد اثبت لك خطأ دعـواك : ان شـيعة الحسن العسـكري تفرقـوا الى اربع عشـرة فرقة وأن القائلين منهم بوجـود المهـدي بن الحسن العسـكري هم شـرذمة من اصحاب الحسن العسكري وليس جمهور اصـحابه ، ولا بد انها ستصـبح عنـدك بعد ذلك مسـألة فرعية وجزئية بإعتبارها متفرعة عن مسـألة الامامة الالهية بعد النـبي ككل والـتي يجب بحثها أولا والفراغ منها قبل بحث مسألة وجود المهدي (عليه السـلام) وفي هـذه المـرة يكـون الحق معك ولا بد ان نبـدأ ببحث الامامة اولا وقبل البدء لا بد ان نتفق على مرادنا من مصطلح الامامة وهو ما قلناه لك في شهر رمضان لسـنة 1416هـ الموافق سـنة 1995 م . وقد بحثنا مسألة الامامة الالهية في الحلقة الثانية والثالثة من كتابنا شبهات وردود .

أخي أحمد الكـاتب : أحب أن أصـارحك ان الجهد الـذي بذلته شخصيا للرد على شبهاتك وبذله أخوة آخرون في كتابات ستظهر قريبا جزاهم الله تعالى عليها خير الجـزاء ليس من أجل ان تغـير تصـوراتك الخاطئة عن إمامة أهل الـبيت (عليهم السـلام) ، وذلك لانك لو أردت ان تصل الى الحقيقة فيها فقد كـانت ميسـرة لك حين كنت تعيش في عمق مصادر الشيعة وتـراثهم الفكـري ومن ثم لست بحاجة الى هذه الابحاث ، وهي (أي الحقيقـة) ميسـرة ايضا لغـيرك ممن يعيش في عمق مصـادر أهل السـنة وتـراثهم الفكري ، والسر في ذلك هو ان كتاب الله يدعو لها قبل ان يدعو لها تـراث الشـيعة كما ان حـديث النـبي (صـلى الله عليه وآلـه) برواية أهل السنة يدعو لها قبل ان يدعو لها تراث الشـيعة ، وفي حقبتنا المعاصـرة قد انفتح على هـذه الحقيقة انـاس ممن ليسـوا من أهلها أكـــثر ممن انغلق عليها من أهلها وقد انفتح كثـــير من هـــؤلاء لا بجهد خـــاص من شـــخص معين بل بجهـــدهم الخـــاص

ومعانـاتهم الخاصة و تفكـيرهم الحـر . وانت شخصـيا / إن أردت الحقيقة / لست بحاجة الى أكثر من عودة الى ذاتك فأنت أعـرف بها منا جميعا إقرأها من جديد بعد انسحابك من الحوار من شبكة هجر ، اقرأ معي قوله تعـالى : (بَـلْ الْإِنسَـانُ عَلَى نَفْسِـهِ بَصِـيرَةٌ *وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) القيامة/14-15 وقوله تعـالى حاكيا عن نبيه نوح (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّي وَآتَـانِي رَحْمَـةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَـارِهُونَ) هـود/28 والشـــــاهد قوله تعـــــالى (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَـارِهُونَ) أي فخفيت عليكم بسـبب الموقف المسـبق . ولنقـرأ سوية المأثور من قول أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) : عبـاد الله ، زنـوا أنفسـكم من قبل أن توزنـوا ، وحاسـبوها من قبل أن تحاســبوا ، وتنفســوا قبل ضــيق الخنــاق ، وانقــادوا قبل عنف السياق ، واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حـتى يكـون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعـظ . . جعلك الله من أهل الحق وهــــداك لـــــه . والســــلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ملاحظة **:** لم أبعث له هـــذه الرســـالة بســـبب خروجه عن أدب الحوار ...

أحمد الكاتب يرد على الحلقة الرابعة:

البـدري يعـترف: لا يمكن اثبـات وجـود الامـام المهـدي بصورة مستقلة

طلب مني عدد من الاخوة الكرام المهتمين بالحوار حول وجود الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) الرد على الحلقة الرابعة التي أصدرها الاسـتاذ سـامي البـدري مـؤخرا (في شـــوال 1420). وبما اني كنت انتظر رده منذ حـــوالي ثمـــاني سـنوات ، بعد أن أرسـلت اليه نسـخة مخطوطة من كتـابي عن الامامة والمهـدي في سـنة 1992 ، فقد أسـرعت الى مطالعة كتابه الجديد (الحلقة الرابعة من شبهات وردود) بدقة ، علني أجد فيه أي دليل علمي تاريخي على ولادة ووجود الامام الثـاني عشر ، وان كنت أحـدس ان لا شـيء جديد فيه والا لكـان البـدري بـادر الى عرضه خلال الأعوام الماضية.

ويشهد الله اني كنت مستعدا ولا أزال ان أتقبل أي دليل يثبت الموضوع ، ومستعدا لتغيير رأيي بيني وبين الله ، وإعلان ذلك على الملأ بلا استحياء او خجل مادام الحساب عسيرا في الآخرة. ولكني فوجئت بالأستاذ البدري يؤكد أقوالي ويزيدني إيمانا بما توصلت اليه من قبل من ان الايمان بوجود الامام الثاني عشر ليس الا فرضية فلسفية اجتهادية وهمية . وهذا ما دفعني الى تقديم الشكر الجزيل له على اعترافه ببعض الحقائق التي ذكرتها من قبل.

لقد قلت في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) : ان وفاة الامام الحسن العسكري في سامراء سنة 260 للهجرة دون إعلانه عن وجود خلف له ، أدت الى تفجر أزمة عنيفة في صفوف الشيعة الامامية الموسوية وحدوث نوع من الشك والحيرة حول مصير الإمامة بعد العسكري ، وتفرقهم الى أربعة عشر فرقة. وان القول بوجود ولد له في السر اسمه محمد وانه الامام المهدي ، كان قولا فرضيا فلسفيا سريا باطنيا قال به بعض أصحاب العسكري بعد وفاته ، ولم يكن الأمر واضحا وبديهيا ومجمعا عليه بين الشيعة في ذلك العصر. وان دعاوى الإجماع والتواتر والاستفاضة التي يدعيها البعض على وجوده وولادته لم يكن لها وجود في ذلك الزمان.

وقلت: ان الدافع الرئيسي لافتراض وجود الولد للامام العسكري هي الأزمة الفكرية التي وقع بها قسم من الامامية نتيجة لاعتقادهم بحتمية وجود إمام معصوم معين من قبل الله في كل زمان الى يوم القيامة. وان الأدلة النقلية (الروايات والأخبار) التي يوردونها حول الموضوع اما غامضة او ضعيفة ومختلقة بعد حين.

واننا لا بد ان نبحث في الأدلة التاريخية التي تحدثت عن ولادته ومشاهدته في حياة أبيه وبعد وفاته ، ونتأكد منها كطريق وحيد لاثبات وجوده. وانه لا يعقل إثبات وجود انسان في الخارج عن طريق الاستدلال الفلسفي النظري.

وقد اعترف الأستاذ سامي البدري في كتابه الجديد بصحة النقطة الاولى وهي وقوع الحيرة والفرقة في صفوف شيعة الامام الحسن العسكري والانقسام الى أربعة عشر فرقة ، ونقل أقوال النوبختي والاشعري القمي والمفيد في ذلك. وان كان البدري قد ناقش في زمن وقوع الحيرة وحجم تلك الفرق.

وأهمل البدري تماما الإشارة الى الدليل التاريخي الذي كان ينطوي على أساطير مضحكة وغريبة لا يقول بها الا الغلاة كولادة ابن الحسن من فخذ أمه وحمله في الجنب وأخذ الطيـــــــور له ونموه السريع وعلمه بالغيب وتكلمه في المهد. ويبدو ان البـدري يقر ويعـترف بضـعف هـذا الـدليل الأسـطوري الـذي لم يـذكره الأولـون الا من بـاب التأييد والإسـناد والا فـانهم كـانوا يعـترفون بضعف رواته وانقطاع سلسلة السند.

واعترف الأستاذ البـدري ايضا بـأن القـول بوجـود ابن للامـام العسـكري هو بالدرجة الاولى افـتراض فلسـفي وانه يرتكز على قـانون الوراثة العمودية في الامامـة.وان الطريق لاثبـات وجـود ذلك الولد بصورة مستقلة مسدود تماما.

وذكر البـدري أقـوال المـؤرخين الشـيعة السـابقين حـول سـرية وباطنية القول بوجود الولد.

وقبل ان انقل أقواله بالتفصـيل وأناقشـها قـولا قـولا أود التأكيد على: ان منهج البـدري في البحث والتفكـير والنقـاش يقـوم على التفسير الباطني والتأويل التعسفي والانتقاء المزاجي والافتراض الوهمي والتقليد السـاذج والاهتمـام بـالهوامش الجزئية والتهـريج الانفعالي والاتهـام الشخصي والغـرور المتعـالي. وهـذا ما أدى به الى الوقوع في الشبهات والايمان بالأساطير والتخبط في الحيرة والتنـاقض والانحـراف عن فكر أهل الـبيت السـليم والابتعـاد عن العقل والمنطق.

نقل الأسـتاذ البـدري قـول النوبخـتي والأشـعري القمي في كتابيهما المتشـابهين: (فـرق الشـيعة) و (المقـالات والفـرق): ان الامام الحسن العسكري توفي ولم يُرَ له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر ، وأنه ليس للعباد ان يبحثوا عن أمـور الله ويقفـوا أثر ما لا علم لهم به ويطلبـوا إظهـار ما سـتره الله عليهم وغيبه عنهم، ولا البحث عن اسمه وموضعه ولا السؤال عن أمــره وطلب مكانه إذ هو خــائف مغمــور مســتور بســتر الله ، بل البحث عن أمــره والسؤال عنه محرم لا يحل ، لأن في إظهار ما سـتر عنا وكشـفه إباحة دمه ودمائنـا. كما نقل البــدري قــول النوبخــتي ابي ســهل المتكلم الشـيعي المعاصر في (التنبيه في الامامـة): بـأن النـاس أمروا ان لا يسألوا عن اسمه وان يستروا ذلك من أعدائه.

وعقب البدري على ذلك:" أقول ان النصين (للنوبختي والاشـعري القمي) يتفقـان على مسـألة تفـرق أصـحاب العسـكري الى أربع عشر فرقة ، وعـدم ذكر حجم كل فرقة منهـا، الأمر الـذي يجعل القارئ محقا ان يفترض ان هذه الفرق متكافئة عـدديا ، وبالتـالي يحكم ببسـاطة ان نسـبة الفرقة الامامية (وكلهم امـاميون) هي نسبة واحد من أربعة عشر ، وتـزداد أهمية وخطـورة النتيجة حين نعلم ان النوبخـتي والاشـعري القمي هما من علمـاء الشـيعة المعاصرين لفترة الغيبة الصغرى".

ويضـيف البـدري:" مما لا شك فيه ان قسـما كبـيرا من الشـيعة عاشوا حـيرة شـاملة حين بلغهم خـبر انقطـاع النيابة الخاصة بعد وفاة النـائب الرابع حيث لا يوجد مرجع معين من الامـام المهـدي ينهض بـأمورهم . وتصـدى علمـاء الشـيعة في تلك الفـترة لرفع الحـيرة الـتي نشـأت بسـبب ذلك وكتبـوا كتبا خالـدة ، مثل كتـاب (الامامة والتبصرة من الحـيرة) لعلي بن بابويه الـذي يقـول فيـه: "رأيت كثـيرا ممن صح عقـده... قد أحـاد ته الغيبة وطـال عليه الأمد حتى دخلته الوحشة فجمعت أخبارا تكشف الحـيرة".وكتـاب (الغيبة) للنعماني الذي يقـول فيـه:" اما بعد فانا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة الى التشيع من يقـول بالإمامـة... قد تفـرقت كلمتها وشـكوا جميعا الا القليل في إمـام زمـانهم وولي أمـرهم وحجة ربهم للمحنة الواقعة بهذه الغيبة وان الجمهـور منهم يقـول في الخلف : أين هو ؟ وأنى يكـــــون؟ والى مـــــتى يغيب؟ وكم يعيش؟" وكتــاب (إكمــال الــدين وإتمــام النعمة واثبــات الغيبة وكشف الحيرة) للشيخ الصدوق الذي يقول فيه:" ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب... وجدت اكـثر المختلفين الي من الشـيعة قد حيرتهم الغيبة".

ويعلق البـدري على ذلك بـالقول: ان السر في هـذه الحـيرة هو انقضــاء الجيل الــذي شــاهد الامــام وتعامل معه جســديا ونشر أخبــاره ، وكــون الغيبة ظــاهرة جديــدة لم يســبق لها مثيل في المجتمع الاسلامي. ويهاجمني قائلا: ان الكاتب لم يكن قد تحـرى الأمانة والدقة العلمية ولا اسـتوعب المصـادر الأساسـية في مثل هذه القضية الخطيرة.

وذلك بالرغم من عبـارات المـؤلفين الثلاثة الصـريحة بوقـوع الحـيرة بسـبب الغمـوض حـول وجـود الامـام الثـاني عشر ، وان الشـيخ علي بن بابويه كتب كتابه (الامامة والتبصـرة من الحـيرة) في ظل ما يسمى بالغيبة الصغرى ، حيث توفي مع الصيمري في

وقت واحد وهو سـنة 329 ، كما يـذكر البـدري نفسه ، الا ان البـدري يتغافل عن كل ذلك ويحـاول ان يـوهم القـراء بصـورة تعسفية بأن سبب الحيرة الـتي عمت الشـيعة في ذلك العصر هو انقطـاع النيابة الخاصة وليس الاختلاف حـول وجـود الولد للامـام العسـكري ، وكـأن تلك الفـرق الأربعة عشر ولـدت في وقت متـأخر. ومع ذلك لا يجد حرجا في ادعـاء الأمانة والدقة العلمية واستيعاب المصادر الأساسية واتهامي بعدم ذلك!

هكذا يأوّل النصوص الصريحة ويفسرها كما يشتهي .

وفي محاولة منه لتأويل الحـيرة وتحجيمها بتقليل حجم الفـرق الأربع عشـرة الـتي تفـرقت بعد وفـاة الامـام العسـكري يـدعي البـدري: إن الجمهـور من الشـيعة أجمعـوا على إمامة القـائم المنتظر وأثبتـوا ولادتـه. ويستشـهد لـذلك بقـول للمفيد في (الفصول المختارة) يسنده الى النوبختي ويقول فيـه:" لما تـوفي أبو محمد الحسن بن علي افـترق أصـحابه بعـده – على ما حكـاه أبو محمد الحسن بن موسى النوبخـتي – بـأربع عشـرة فرقة ، فقال الجمهور منهم بإمامة القائم المنتظر واثبتوا ولادته وصححوا النص عليه وقالوا هو سمي رسول الله ومهدي الأنام".

ويفترض البـدري قـائلا: يتضح من هـذا النص ان نسـخة النوبخـتي المطبوعة قد أصابها التحريف حين لم يذكر فيها عبارة (الجمهـور منهم). وبنـاء على ذلك يلومـني على عـدم التحقيق في النسخ الموجودة من كتاب النوبخـتي (فـرق الشـيعة) وكتـاب الاشـعري القمي (المقالات والفرق).

ويستشـهد بقـول آخر لأبي سـهل النوبخـتي في (التنبيه في الامامـة): ان الحسن خلف جماعة من ثقاته ممن يـروي عنه الحلال والحرام ويؤدي كتب شيعته وأموالهم ويخرجون الجوابـات ، فلما مضى أجمعوا جميعا على انه خلف ولدا هو الامـام وأمـروا الناس ان لا يسألوا عن اسمه وان يستروا ذلك من أعدائه.

ويعلق البدري مفترضا : من البعيد جـدا ان يكـون ابن الأخت (أبو سهل) وهو معني بـالأمر غـير مطلع على كتـاب خاله (الحسن بن موسـى) في الموضـوع نفسه ، وهو شـيخ متكلمي الشـيعة في بغـداد في وقتـه، واذا اطلع عليه وكـان مختلفا فمن البعيد ان لا يذكر رأيه.

ويمضي الأستاذ سامي البدري في الاستدلال على قوله بأن جمهور الشيعة كان يقول بوجود الولد بالاستشهاد بأقوال عدد من علماء السنة كأبي الحسن الاشعري (توفي سنة 297) والذهبي (توفي سنة 748) وابن حزم الأندلسي (توفي سنة 548) وسبط ابن الجوزي (توفي سنة 645) ومحمد بن طلحة الشافعي (توفي سنة 652) وابن طولون (توفي سنة 953) وابن الصباح المالكي ، الذين قالوا بأن جمهور الرافضة ثبتوا على ان للحسن ابنا أخفاه ، فيستنتج البدري ويقول: يتضح من ذلك كله في ضوء المصادر السنية والشيعية القديمة ان جمهور أصحاب الحسن العسكري وثقاته وهم جمهور الشيعة آنذاك كانوا يقولون بالولد وكون أبيه الحسن قد نص على إمامته وانه المهدي الموعود.

ولم يكتف البدري بذلك بل اتهمني بلي عنق هذه الكلمات زورا وبهتانا وتضليلا للقارئ وزيادة في التعميم.

وبالرغم من أن البدري اعترف بأن النوبختي والاشعري القمي لم يذكرا حجم كل فرقة من الفرق الأربع عشرة ، مما يجعل القارئ محقا ان يفترض التكافؤ العددي لكل منها ، وبالتالي الحكم ببساطة بأن نسبة الفرقة الامامية هي نسبة واحد من أربعة عشر. الا ان البدري يسارع الى الحكم علي بلي عنق الكلمات ، هكذا وبكل سهولة وفي محاولة انفعالية مكشوفة لتشويه سمعتي العلمية ، في حين يقوم هو بممارسة ما اتهمني به بالضبط وبلا استحياء.

لقد أهمل قول النعماني الصريح ، في أواسط القرن الرابع الهجري، الذي يقول فيه:" ان الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون؟ والى متى يغيب؟وكم يعيش؟ أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير ولم يبق ممن كان فيه الا النزر اليسير وذلك لشك الناس".

واعتمد البدري على قول المفيد وهو متأخر مائة عام على الأقل عن النوبختي والاشعري ، وخلط في قراءة نص المفيد الذي ينسب الى النوبختي القول بتفرق شيعة العسكري الى أربعة عشر فرقة ، فقط ، ويضيف من عنده بقية الكلام . ويتضح هذا من ذكر المفيد لاسم القائم وانه مهدي الأنام ، وهذا ما لم يرد في نص النوبختي او الاشعري اللذين كانا يحرمان الإشارة الى

ذلـك. وربما كـان قـول المفيد (فقـال الجمهـور منهم) حكاية عن زمانه في أواخر القـرن الرابع او الخـامس الهجـري ، والنوبخـتي يتحدث عن الحيرة في أواسط القرن الثالث الهجري في أعقـاب وفاة الامام العسكري ، ولم يشر الى الاتجاه العام (الجمهور).

وقد أكد هذه الحقيقة (عـدم قـول الجمهـور) أبو سـهل النوبخـتي المتكلم الشـيعي المعاصر للغيبة الصـغرى عنـدما قـال: خلف الحسن جماعة من ثقاته فلما مضى أجمعوا جميعا على انه خلف ولدا هو الامام وأمروا الناس ان لا يسألوا عن اسمه وان يسـتروا ذلك من أعدائــه. ولم يقل ان الشـيعة كلهم اجمعـوا على ذلك وانما تلك الجماعة . وبالتـالي لا حاجة للبـدري ان يفـترض قـراءة ابي سهل لكتاب خاله (فرق الشيعة) ، ويقع في حيص بيص.

ولست أدري لماذا لم يفترض البدري وقوع التحريف في كتاب المفيد او ابي سهل بدلا من افتراض وقوعه في كتـابي النوبخـتي والاشعري القمي؟

وكيف يستشهد البدري بأقوال علماء السـنة المتـأخرين كالـذهبي في القـرن الثـامن الهجـري وابن حـزم الأندلسي في القـرن السادس وسبط ابن الجوزي في القرن السـابع ومحمد بن طلحة الشـافعي في القـرن السـابع وابن طولـون في القـرن العاشر ، ويسميهم بالمتقدمين .

وسواء قلنا بأن الجمهور كان يميل الى هذا الرأي او ذاك فانه لن يغير من حقيقة حدوث الحيرة وتفرق شيعة الامام العسـكري الى أربع عشرة فرقة ، وعدم معرفة كبار أصحاب الامـام بوجـود ولد له عند وفاته ، حـتى عثمـان بن سـعيد العمـري الـذي ادعى النيابة الخاصة بعد ذلك ، وحتى علماء قم الذين أرسلوا وفـدا الى سامراء ليتأكدوا من الموضـوع ويناقشـوا جعفر بن علي ولم يكن ليحول دون قولهم بإمامته الا قانون الوراثة العمودية وعدم جـواز انتقال الامامة الى أخوين بعد الحسن والحسين.

ولكن الأسـتاذ البـدري كعادته يحـاول ان يغـوص في التفاصـيل الهامشـية والجزئية ليطمس الحقيقة الناصـعة ويلـوي عنق الكلمـات ويضـلل القـراء البسـطاء زورا وبهتانا ، ويـدعي بلا دليل (ان جمهور أصحاب الحسن العسكري وثقاته وهم جمهور الشيعة آنذاك كانوا يقولون بوجود ولد للحسن العسكري).

اذن فما دام الشيعة قد تفرقوا بعد وفاة الامام الحسن العسكري الى أربعة عشر فرقة فلا يمكن ان نعتبر القول بوجود ولد له ، وهو قول بعضهم ، مما أجمع الشيعة عليه ، أو انه من المتواتر ، اذ ان الحديث المتواتر هو الذي لا يحتمل الشك ولا يختلف عليه اثنان.

وفي حين كان يتطلب الإنصاف من السيد البدري ان يعترف بالحقيقة ويذكر ضعف الأدلة التاريخية التي يوردها أصحاب فرضية وجود الولد ، الا انه تهرب من الإشارة الى الموضوع وفضل السكوت والإهمال ، وراح بدلا من ذلك يستعرض الدليل الفلسفي ، وهو مبدأ الامامة والعصمة والنص ويقول: ان الايمان بوجود ابن العسكري إنما هو فرع لنظرية الامامة وليس قضية مستقلة عنها او في عرضها. وان المنهج العلمي يقتضي البحث في هذا الموضوع والاستدلال على مفرداته الأساسية (كالنص والعصمة والوصية والاثني عشرية) فاذا تم الدليل عليها من الكتاب والسنة يرتفع الإشكال.

وبما ان نظرية الامامة (العصمة والنص والوصية) عجزت تاريخيا عن ان تؤدي بصورة حتمية الى القول بفرضية وجود الولد ، وذلك لاختلاف شيعة الامام العسكري (الامامية) الى أربع عشرة فرقة ، وقول فريق منهم (وهم الفطحية) بإمامة جعفر بن علي ، وقول فريق آخر بانقطاع الامامة او التراجع عن إمامة العسكري كما تراجع الموسوية عن إمامة عبد الله الأفطح بعد وفاته دون عقب ، والايمان بإمامة جعفر مباشرة بعد أبيه الهادي ، وما الى ذلك من النظريات الامامية العديدة.. فان افتراض وجود ولد للحسن العسكري تم بناء على الايمان بقانون الوراثة العمودية وعدم جواز انتقال الإمامة الى الاخوة وابنائهم وضرورة تداولها في الأعقاب واعقاب الأعقاب هكذا أبدا الى يوم القيامة.

وقد أشرت في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) الى اعتماد فرضية وجود الولد على هذا القانون الضعيف الذي لم يجمع عليه الشيعة الامامية بدليل عمل الفطحية عدة مرات. وقد ذكر النوبختي والاشعري القمي وغيرهما الفرق الشيعية الامامية التي لم تلتزم بذلك القانون. وانتقدت دعوى الطوسي في القرن الخامس الإجماع على ذلك القانون. وبدلا من ان يقوم الأستاذ البدري بإثبات وجود الإجماع على العمل بالقانون المذكور ، ذهب ليناقش نقطة جانبية لم اذكرها أبدا وهي (ان الطوسي كان مؤكدا لما نقله النوبختي

والاشــعري القمي وليس مؤسســا) بينما كنت اقصد ان دعــوى اجمــاع الشـيعة على الالـتزام بقـانون الوراثة العمودية ، دعـوى باطلة وغير صحيحة سواء صدرت من الطوسي او من غيره.

وفي الحقيقة ان الاستدلال بنظرية الامامة على فرضية وجـود الولد ، معلق بشعرة واهية أوهى من خيط العنكبـوت وهو قـانون الوراثة العمودية. وكـان يفـترض بالاسـتاذ البـدري وهو يحـاول ان يســتعين بنظرية الامامة ان يـــدعم ذلك القـــانون بآية قرآنية او حـــديث صـــحيح من الرســـول الأعظم ولا يكتفي بالشـــعارات السياسية التي ولدت أثناء الصراعات العديدة بين أبناء الأئمة بعد وفاة كل واحد منهم.

أضاف البدري الى هذه النقطة التي استوحاها من المتكلم أبو سـهل النوبخـتي في كتـاب (التنبيه في الامامـة) وقلـده من دون تفكير.. نقطة اخرى أطلق عليها (وثاقة الشـيعة فيما يـروون عن أئمتهم) وقال: في ضوء هاتين القضيتين يصبح البحث حول وجـود ولد للحسن العسـكري وكونه الامـام الثـاني عشر وهو الغـائب ، موضوعيا ومنتجا، اما اذا ألغينا التصديق بالقضيتين الآنفـتي الـذكر فان الطريق لاثبات الغـائب المنتظر محمد بن الحسن العسـكري سيكون مسدودا تماما.

ويريد البـدري منا بـالطبع ان نـؤمن بسـرعة بكل ما نقله الـرواة دون دراسة او تمحيص او تفكير او مقارنة او تأكد من السـند ، او اجتهــاد في المســألة ، لمجــرد ان جماعة من أصــحاب الامــام العسكري الـذين يعتقد البـدري بسـذاجة بصـدقهم ووثـاقتهم ، قد نقلوا بعض الروايات الباطنية السرية الـتي تتحـدث خلافا للظـاهر عن وجــود ولد للامــام العســكري بعد وفاته. بــالرغم من انهم جميعا يعـترفون بـأن الامـام العسـكري لم يتحـدث عن ذلك في حياته ، وانهم كانوا يلفون دعاواهم بالسـرية والكتمـان ويحرمـون التفــتيش عن ذلك الولد او ذكر اســمه او موضــعه او مكانه او صفته. أي باختصار : ان القول بوجود الولد كان قولا باطنيا سـريا مخالفا للظاهر والمعروف من حياة الامام العسكري.

ولم يوضح البدري لماذا آمن بصدق النواب الأربعة الذين ادعوا النيابة الخاصة عن الامام الغائب ، مع ان النائب الأول عثمــان بن سـعيد العمـري عـزى جعفر بن علي وهنـأه بالإمامـة؟ وكيف قبل دعاواهم بعلم الغيب واجتراح المعاجز؟ ولمـاذا لم يـؤمن بأدعيـاء النيابة الآخــرين العشــرين؟ وكيف عــرف الصــادق من الكــاذب

منهم؟ وقد قال أهل البيت عليهم السلام :" خدامنا وقوامنا شرار خلق الله" وذلك حسبما يقول الطوسي: لأن فيهم من غيّر وبــدل وخان.

ولو كـان أولئك النـواب يشـيرون الى ولد ظـاهر غـير مسـتور ويدعون بنوته للامام العسكري لما كـان أحد يصـدقهم في مقابل الامـام الـذي ينفي وجـود أي ولد له ، فكيف وان دعـواهم بوجـود ولد له في السر لم يظهر لها أي مصـــداق خـــارجي رغم مـــرور مئات السنين. ومن هنا فان المتكلمين السـابقين كـانوا يعتمـدون فقط على الاســتدلال الفلســفي طريقا لاثبــات فرضــيتهم ولم يكونـوا يعـيرون أقـوال الـرواة أهمية كبـيرة ، حيث يقـول السـيد المرتضى علم الهدى: ان الغيبة فـرع لأصـول ان صـحت فـالكلام في الغيبة أســهل شــيء وأوضــحه ، إذ هي متوقفة عليها ، وان كانت غير صحيحة فالكلام في الغيبة صعب غير ممكن.

واللافت ان الأســتاذ البـدري يـرفض القبـول بنسـبة ولد اليه في السر أو العلن دون معرفته او إقـراره ، في حين يقبل نسـبة ولد الى الامـام العسـكري بعد وفاته و بـالرغم من إرادتـه.. اعتمـادا على المنطق الباطني الذي يقلب الأمور رأسا على عقب.

ومن المعـروف ان الباطنية الغلاة كـانوا ينســبون كثـيرا من الأقوال والأفعال والأولاد الى أهل البيت في حياتهم وبعد وفــاتهم دون علمهم ويؤولـــون نفي أهل الـــبيت لمـــزاعمهم الباطلة السخيفة، بالتقية والخوف.

واذا جاز للأستاذ البدري اسـتخدام المنطق البـاطني ضد أهل البيت فليسـمح لنا بتصـديق الخـبر الـذي يقـول ان البـدري نفسه يمــارس التقية في قم خوفا من المحكمة الخاصة برجــال الــدين وضـغط الحـوزة ، وانه في الواقع لا يـؤمن بوجـود الامـام الثـاني عشر ولا بنظرية الامامة وهو لا يزال سـنيا كما كـان في السـابق وانما يقـوم بمهمة خاصة ويهـدف الى شق حـزب الـدعوة وإبقـاء الشـيعة في تخلفهم وتطـرفهم. وكـان السـيد حسـين الصـدر قد طالبه في دار الاسلام في لنـدن عـام 1995 بـالإعلان عن حقيقة مذهبــه. ولكي يغطي على حقيقته فانه يتظــاهر بــالرد الضــعيف على أحمد الكاتب.

فماذا يقول الأستاذ البدري؟ هل يقبل هذه الدعوى الباطنية؟ أم يتـبرأ منها ويتمسك بالظـاهر؟ واذا كـان يـرفض هكـذا أقـوال

باطنية فلمــاذا يقبل ويعتمد المنطق البـاطني في مســألة وجــود الولد المستور المخفي الذي لم يره أحد؟

وبهذه المناسبة أسأل السيد سامي البدري عن الجو العام في الحــوزة العلمية في قم ، هل يســمح بمناقشة موضــوع وجــود (الامام الثـاني عشـر)؟ وهل يطيق وجـود من لا يـؤمن بـذلك في الحوزة او في قم؟

بعد سقوط دعاوى الإجماع والتواتر والاستفاضة على أحاديث وجــود الولد للامــام العســكري وإهمــال البــدري للأدلة التاريخية الأســطورية ، واعتمــاده على الأدلة الفلســفية واعترافه بصـعوبة إثبــات ذلك ووصل الاســتدلال الى طريق مســدود وقولــه: ان الايمان بوجود ابن العســكري إنما هو فــرع لنظرية الامامة وليس قضية مسـتقلة عنها ، كما قـال السـيد المرتضى من قبل ، فـاني أسأل الأستاذ البدري: لماذا تعتـبر الفرضـيات والـدعاوى الباطنية حقائق أساسـية وانها من صـلب الـدين ، وان التشـكيك بها إثـارة للشبهات ضد الاسلام والتشيع؟

ومع احترامنا لوجهة نظـرك القائمة على الشـبهات الباطنية والتقليد ، لماذا تحرم على الآخرين من الشيعة والمسلمين إعادة النظر والاجتهــاد في هــذا الموضــوع؟خاصة وان الامة الاســلامية تواجه تحــديات عصــرية كبــيرة وتتطلب منها تجــاوز الخرافــات والأساطير.

ان الشــيعة والمســلمين عموما ملزمــون بالتمسك بالمبــادئ الأساسية للدين الموجودة بين دفتي القــرآن الكــريم ، واذا كـانوا يختلفون فيما بينهم في الفــروع او في تأويل بعض الأمــور فيجب ان يتحمل بعضهم بعضا ، ولا يجــوز ان نجعل من اجتهــادات بعض العلماء في حقبة معينة او افتراضاتهم ونظرياتهم الكلامية مبــادئ مقدسة فوق النقد والاجتهاد.

وان الشيعة هم أتباع أهل البيت عليهم السلام يأخذون الدين عنهم ولا يضــيفون الى أحــاديثهم حــديثا ولا ينســبون اليهم ما لا يدعون .

أحمد الكاتب

لندن في12 ذي القعدة 1420 المصادف 18/2 /2000

ونشر السيد سامي البدري تعقيبا على رسالتي هذه ، نشـره في موقعه على الانترنت، ينفي فيه أن يكون قد اتفق معي حـول أن القـول بوجـود ولد للحسن العسـكري فرضـية فلسـفية، وانما هـذا من عنـديات الكـاتب سـبكا ومعـنى، وانه ليس سـوى محض افتراء وبهتان. وأكد البدري: أن وجود الولد مسـألة تاريخية موثقة وصلنا خبرها جيلا بعد جيل من الثقاة أصحاب الحسن العسـكري، وقال:إنه أثبت في كتابه الرابع حصول الاجماع بين الشـيعة على ذلك. وان الشرذمة الـتي أشـار اليها بعض المـؤرخين هم جمهـور الشيعة، وفيهم الثقل العلمي الذي نقل تراث الأئمة. وان الحـيرة التي وقعت انما كانت بسبب الغيبة ، لا بسبب عدم الولادة.[1]

2 - مع السـيد محمد الحسـيني الشـيرازي في كتابـه: (الإمام المهدي)[2]:

---

1 - http://www.albadri.info/rodod/shob/shob4/shob47.htm

2 - http://www.albadri.info/rodod/shob/shob4/shob47.htm

الاجتهاد في العقيدة مقدمة ضرورية للاجتهاد في الفقه

السيد الشيرازي مرجع ديني كبير ، عاش في كربلاء، ثم هاجر الى الكــويت في الســبعينات، ثم انتقل الى إيــران بعد انتصــار الثورة الإسلامية فيها، الى ان توفي سنة 20001 .[3]

ونظرا للصداقة الطويلة التي كانت تربطني معه، فقد كان من أوائل النـاس الـذين فـاتحتهم حـول نتـائج دراسـتي حـول الإمامة والمهدي، سنة 1990، وقد فاجأني عندما سألته فيما إذا كان قد درس الموضــوع، بالإجابة بــالنفي، مؤكــدا مطالعته بعض الكتب حـول الموضـوع. وهـذا ما دفعـني لإرسـال بحـثي اليه بعد إكماله وكتابتــه، ومن أجل أن يقــرأه بتمعن ويــرد عليه بدقــة، قبل أن انشره، فلعلي أعثر على بعض الأدلة الخافية عـني، فـأتوقف عن نشر الكتاب. ثم أرسلت له هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني الكبير الإمام الســيد محمد الشـيرازي دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأبقاكم لنصرة دينه الحنيف

---

[3] - توثقت علاقتي مع السيد محمد الشيرازي منذ صغري فقد نشأت في أحضــان حركته و تعلمت في مــدارس حفــاظ القــرآن الحكيم الابتدائية الدينية الـتي كـان يرعاها في كـربلاء في السـتينات، وعنـدما بلغت الرابعة عشرة من عمري طلب مني ان التحق بالحوزة العلميــة. و كنت من أوائل الشــباب الــذين انتمــوا الى تنظيم (الحركة المرجعيــة، أو منظمة العمل الإســلامي لاحقــا) الــذي شــكله الشــيرازي بعد انقلاب 17 تمــوز 1968 وسيطرة حزب البعث على السـلطة في العـراق. وهكـذا أخـذت أدعو الى الفكر الشيعي الإمامي ومرجعية السـيد محمد الشـيرازي ، الـذي أصـبحت وكيلا له في الثمانينات . وهذا نص وكالة السـيد الشـيرازي لي:" بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وبعد، فان فضيلة العلامة الحاج الشيخ أحمد الكـاتب دام عـزه، وكيل عني في تصدي الأمور الحسبية وقبض الحقوق الشرعية، خاصة سم الإمـام عليه السـلام وصـرف الى مقـدار الثلث في المصـارف المقـررة، وإيصــال البقية الينــا. والمرجو منه أن يهتم لنشر الإســلام وهداية الأنــام، ويتصدى للأمـور الشـرعية بكمـال الاحتيـاط الـذي هو سـبيل النجـاة. والله الموفق المستعان. محمد الشيرازي (الختم).

سيدي الكريم

لا شك أنكم تدركون أهمية موضوع التاريخ ، والتاريخ الإسلامي الشيعي بالذات، وتشكيله جزءا من عقيدتنا حـول أهل الـبيت (ع) وان هـذه العقيـدة التاريخية وما تحمله من نظـرة الى أئمة أهل البيت تشكل مقدمة أو قاعـدة أساسـية للفقه ، وان الاجتهـاد في الفقه لا يمكن ان يتم بصورة صحيحة إلا بعد الاجتهاد في العقيـدة التـــاريخ وخاصة فيما يتعلق بنظرية الإمامة الإلهية لأهل الـــبيت ووجــود أو عــدم وجــود الإمــام الثــاني عشر (محمد بن الحسن العسكري).

وكما تعرفون فقد تربينا على أيـديكم منذ الصـغر وآمنا بالمـذهب الشـيعي الإمـامي الاثـني عشـري، وقد قمنا منذ عـدة سـنوات بقراءة التاريخ الشيعي وأحاديث أهل البيت (ع) بدقة ووجدنا نوعا من الخلط بين تـراثهم العظيم وبين أفكـار الفلاسـفة والمتكلمين والغلاة الذين كـانوا يـدعون تأييد الأئمة لهم أو ينسـبون أقـوالهم الباطلة إليهم (عليهم السلام) من خلال اصطناع الأحاديث الكاذبة ووضعها على لسانهم.

وبـالرغم من سـهولة التميـيز بين أحـاديث أهل الـبيت (ع) وبين الأحــاديث الموضــوعة المنســوبة إليهم كــذبا ، وذلك من خلال عرضـها على القـرآن الكـريم وعلى الأحـاديث الصـحيحة الثابتة ، والتأكد منها من خلال دراسة ســـــــندها ومعرفة رجالها وإمكانية التعـرف على الكـذابين والوضـاعين والغلاة وإسـقاط روايـاتهم.. وكــذلك من خلال المقارنة التاريخيــة. بــالرغم من ذلك فانه مع الأسف الشـــديد غلب التقليد على بعض علمائنا الـــذين تـــأثروا بــالمتكلمين وآمنــوا بأفكــارهم الباطلة ، فاستســاغوا الروايــات الضعيفة الكاذبة ولم يأبهوا لضعف سـندها وانحـراف رواتها ، ولم يتعبـــوا أنفســـهم كثـــيرا في دراسة تلك الروايـــات من جوانبها المختلفة تحت حجة انها ضرورية وبديهية ومسـلمة، كما أغمضـوا أعينهم عن قراءة التاريخ، وراحوا يشيحون بوجوههم عن الحقائق البارزة ويحـاولون إنكارها أو تأويلها أو إهمالهـا.. وراحـوا يصـرون على التشبث بنظرياتهم الفلسفية البعيدة عن أهل البيت.

ودأب بعض العلماء المجتهدين في الفقه والأصول والمقلدين في موضـوع العقيـدة والتـاريخ على ادعـاء" الاجتهـاد المطلـق" ومعرفة أسرار الدين ، فضلوا وأضلوا .

وكـانت ثقـتي بكم – ولا تـزال - كبـيرة في ان تولـوا التـاريخ الشيعي العقائدي أهمية كبرى في مسـيرتكم الاجتهادية وتقومـوا بدراسة الروايات وتصـفيتها من الدخيلة والضـعيفة والموضـوعة ، ثم تقارنوا بين الأحداث التاريخية وتفسروها تفسيرا علميا صحيحا ، بلا تأويل تعسفي ولا إنكار أولي..

واعتقد ان المشـكلة الكـبرى الـتي تحـول دون التوصل الى اجتهـاد سـليم واسـتنتاجات دقيقة هو التشـبث بالنظرية التقليدية الموروثة منذ تكــوّن الفرقة الاثــني عشــرية في القــرن الرابع الهجــري ، والتصــديق بالأحــاديث الــتي وضـعت ذلك الحين على لسـان الرسـول الأعظم والأئمة من أهل الـبيت في أن الأئمة اثنا عشر وهم فلان وفلان ، كما ورد مثلا في: (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الموضــوع ، الــذي ظهر في ذلك العصــر.. ولو قمنا أولا بدراسة أحـاديث " الاثـني عشـرية" وتحققنا منها واحـدا واحـدا ، وهي تبلغ حوالي مائتي روايـة، ذكرها الخـزاز في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) لوجدنا انها جميعا روايات ضـعيفة ومكذوبة ولم يكن لها أثر قبل ذلك الحين ، ولأدركنا عـدم صـحة ذكر النبي للأئمة القادمين من بعده بأسمائهم وصفاتهم واحدا بعد الآخر ..[4]

ولو راجعنا كتب الكلام الشـيعية المؤلفة في القـرنين الثـاني والثالث الهجريين لوجدنا انها لم تكن تعـرف نظرية تحديد الإمامة في اثني عشر إماما فقط ، بل كانت تعتقد باستمرار الإمامة الى يوم القيامة، وكذلك لو راجعنا الروايات الكثـيرة السـابقة المروية عن الشـيعة الامامية في القــرون الثلاثة الأولى لوجـدنا انها أيضا تؤكد اسـتمرار الإمامة في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب الى يـوم القيامة ، و هـذا ما يتنـافى مع تحديـدهم من قبل في اثـني عشر واحدا فقط..

وان ما يؤكد هذه الحقيقـة: (حقيقة عـدم تحديد أسـماء الأئمة من قبل) وتكوين النظرية الاثـني عشـرية في القـرن الرابع ، هو عدم معرفة الأئمة بالضبط لأسماء خلفائهم ، كما حدث مع الإمام الصادق (ع) الذي أوصى في البداية الى ابنه إسماعيل ، ثم أحجم عن الوصــية بالإمامة الى أي أحد من أولاده وتــرك الأمر غامضا ولحين الوفــاة ، مما أدى الى تفــرق الشــيعة الامامية وقــول

4 - اقرأ نقد الأحاديث السنية والشيعية الواردة حول الإثني عشرية في الموقع التالي: http://alkatib.co.uk/RWAYAT.HTM

معظمهم – ما عدا الإسـماعيلية والناووسـية – بإمامة ابنه الأكـبر عبد الله الأفطح ، وربما لو كـان يكتب لعبد الله الحيـاة الطويلة من بعد الصـادق أو كـان له أولاد ، لسـارت النظرية الامامية في أعقابه وأعقاب أعقابه الى يـوم القيامة بعيـدا عن الإمـام موسى بن جعفر ، كما سارت في إسماعيل وأبنائه .

وقد أدى عـدم معرفة الأئمة لخلفـائهم من قبل ، الى ظهـور نظرية (البداء) – حتى على حسب التفسير القائل : بـالظهور من الله – وذلك لتفسـير ظـاهرة الوصـية لرجل ثم العـدول عنه بعد موته ، وقد تكررت الظـاهرة مع الإمـام الهـادي (ع) الـذي أوصى الى ابنه السيد محمد ، ثم عدل عنه الى ابنه الحسن العسـكري ، بعد وفـاة أخيه مبكر ، ولو كـان ثمة قائمة مسـبقة بأسـماء الأئمة معروفة من قبل ومنذ أيـام الرسـول الأعظم (ص) لصـعب جـدا على أبناء الأئمة وإخوانهم ادعاء الإمامة دون المعينين المعروفين ، ولَبَعُدَ جدا اختلاف الشـيعة يمينا وشـمالا ، ووقـوعهم في حـيرة وغمـوض.. ولما كـان هنـاك أي داع للسـؤال من أي إمـام عن الخليفة من بعـده والإلحـاح عليه بشـدة في طلب الجـواب ، ورفض الأئمة الجـواب عـادة إلا بالعلامـات والإشـارات والمواصفات كقـولهم: انها في الأكـبر ، مثلا ، ولما مـات تلامـذة عظـام للأئمة كـزرارة بن أعين ، وهم لا يعلمـون من هو إمـام الزمان.

ولا يمكن ان نفسر ادعـاء محمد بن الحنفية وزيد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ، وأحمد بن موسى بن جعفر ، وجميع أبنـاء الأئمة وإخوانهم وأبناء عمومتهم للإمامة في القرون الثلاثة الأولى ، بالعناد واتباع الهـوى والشـهوات ومخالفة أوامر الله والرسـول وإهمـال القائمة المحـددة من قبل بأسـماء الأئمة الاثـني عشر .. وهم كانوا على درجة كبيرة من التقوى والورع والصـلاح والجهـاد في سبيل الله.

وأخيرا فان عدم ظهور الإمـام الثـاني عشر وعـدم وجـود أدلة كافية وقوية وصحيحة عليه ينسف حكاية "الاثني عشرية" ويعيـدنا الى الـوراء للتسـاؤل في ما إذا كـانت نظرية الإمامة الإلهية هي حقا نظرية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام؟ أم هي من صـنع الفلاسفة والغلاة والمتكلمين؟

ومن المعـروف ان نظرية الإمامة الإلهية ترتكز على فلسـفة (العصمة) وضرورة اشـتراطها في الإمـام ، أي الحـاكم والـرئيس

والمنفذ للشريعة الإسـلامية ، وذلك بنـاء على القـول في الإطلاق لـــولاة الأمر في الخـــير والشر والحق والباطل ، حســبما يقـــول المتكلمون ، وخاصة هشام بن الحكم الذي ابتدأ القول بالعصمة .

وهذا ما يسميه المتكلمون : بالدليل العقلي ، وهو في الحقيقة ليس دليلا عقليا بحتا وليس دليلا فطريا ، وانما يقـــوم على تأويل نص معين ، والقول بالإطلاق ورفض النسبية في الطاعة الــواردة في الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وعلى أية حـال فقد قـال المتكلمـون الـذين آمنوا باشـتراط العصـمة في الإمـام بضـرورة تعيينه من قبل الله بعد ان قـالوا بعجز الأمة عن اكتشـاف الإمـام المعصـوم وعـدم إمكانية الشـــورى لأن تكـــون طريقا شـــرعيا لانتخـــاب الإمـــام ، وضـرورة حصر الإمامة في أهل الـبيت وانتقالها بالوراثة في ذرية علي والحسين الى يوم القيامة.

وقد أوَّل المتكلمـون واختلقـوا روايـات تفيد النصب من الرسـول للإمــــام علي بن أبي طـــالب (ع) ثم حصــــروا الإمامة في أولاد الحسين دون أولاد الحسن ، بلا أي دليل مقنع..

ثم وقعوا في مشكلة التعرف على الإمام بعد الإمــام ، خاصة إذا لم يكن يوجد عليه نص واضح ، كما لم يكن يوجد أي نص من الحســــين على ابنه علي زين العابــــدين ، فـــــاخترعوا نظرية (المعجـــزة) كطريق لإثبـــات إمامة هـــذا أو ذاك ، وادعى الغلاة نـــزول الـــوحي والملائكة على الأئمة والتحـــدث معهم ، وقـــالوا بنظرية (الجفر والنكت والنقر وعمـود النـور والإلهـام) وما الى ذلك ، وبالرغم من تنـاقض ذلك مع القـرآن الكـريم في أكـثر من موضع ، من حيث ادعاء علم الغيب الـذي لا يعلمه الله ولم يعلمه إلا بعض رســله ، وفي بعض الأمــور فقط (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير).

وإذا ابتعــدنا عن نظريــات الفلاســفة والمتكلمين والغلاة ، واســتطعنا ان نكشف كــذب روايــاتهم وزيفها ، وعــدنا الى أهل البيت (ع) والى أحاديثهم المتواترة الثابتة في أمهات كتبنا ، والتي تنفي العصمة عنهم وترفض الغلو وتحـذر المتكلمين من (الكلام) ولم نؤولها تعسفا وعنادا ، لوجدنا انهم أقرب الى نظرية الشورى القرآنية العقلائية وانهم كانوا يؤكدون على ضرورة انتخاب الإمـام من قبل الأمة ويلعنـون من يقـوم باغتصـاب الأمة أمرها ويتولونها من غير مشورة ..

ويكفي لــترجيح نظرية الشــورى والإيمــان بوهمية نظرية النص مرور أكثر من ألف عام من تاريخ الأمة الإسلامية مع عدم وجـود إمـام ظـاهر معين من قبل الله وعــدم وجــود حل آخر ســوى نظرية الشورى، عمليا ، وربما ستمضي مئـات أو آلاف أو ملايين الســنين الى يــوم القيامة مع عــدم ظهــور مصــداق واحد من مصاديق نظرية النص .. وهذا ما يدعونا الى التفكير بجدية وإعادة النظر مرة أخرى في عقائدنا الموروثة التقليدية ويدفعنا للاجتهاد في قراءة التـاريخ والعقائد على أسـاس القـرآن الكـريم والعقل والأحاديث الصحيحة الثابتة.

ومن هنا فاني اعتقد أنكم تتفقـون معي في الـرأي على ضـرورة إطلاق لقب (المجتهد) على من يجتهد في العقائد والتاريخ ، قبل ان يجتهد في اللغة والأصـــــــــول والفقه ، دون من يقتصر على الاجتهاد في المراحل السطحية الأخيرة التي تتأثر سـلبا أو إيجابيا بالمراحل الأولى الأساسية ، وان إعـادة بنـاء الحضـارة الإسـلامية من جديد يتطلب القيام بعملية اجتهاد كبرى أساسـية وجذرية في العقائد والأصول الأساسية.

كما أرى ان سماحتكم الكريمة بما عـرف عنكم من جد واجتهـاد وذكـاء ، أقـدر النـاس على القيـام بـذلك. وفقكم الله ورعـاكم وأسألكم الدعاء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولدكم : أحمد الكاتب

لندن في 3 رجب 1414

ومضت أكثر من خمس سنوات على إرسالي الكتاب والرسالة، دون جواب، حتى قدمت مطابع بيروت كتابا بقلم سماحة المرجع الـديني الأعلى الإمـام السـيد محمد الحسـيني الشـيرازي، تحت عنوان (الإمام المهـدي عجل الله تعـالى فرجه الشـريف) صـادرا عن مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت، سنة 1999

وجاء في مقدمة الكتاب:"الإمام المهـدي (عج) نـور له حقيقته الكونيــة، والمقــام التكويــني العظيم، فبيمنه تــرزق المخلوقــات بأسرها، هـذا بالإضـافة الى مقامه التشـريعي وانه حجة الله على الأرض، فكما أن للشـــمس مكانتها الكونيـــة، ولـــذا إذا لم تكن

لســاخت الأرض، كــذلك الإمــام المهــدي المنتظر (ع).. ولــولاه لســاخت الشــمس أيضــا، حيث ورد أن بوجــوده (ع) ثبتت الأرض والسـماء، مع أن الشـمس مادية فحسب والإمـام المهـدي مـادي معنوي معا، فوجوده في غيبته لطف لا يستغنى عنه.

والبشرية تنتظر ظهوره لكي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعـدما ملئت ظلما وجـورا، ولا بد من يـوم يظهـر.. وحينئذ تتبـدل الأرض غير الأرض، فلا هي كالأرض الحالية ولا هي كالجنة..".

وبعد أن أعطى هذا الدور الخيالي الأسطوري للإمام المهدي، دون أن يقــدم أي دليل على مزاعمه أو يستشـــهد بـــأي آية من القرآن الكريم أو أي حديث ولو ضعيف، قام بتسجيل عنوان جديد في كتابه هو (ولادة الإمـام (ع) واســمه المبـارك) وذكر مجموعة من القصص التي رواها الأولون مثل الصـدوق والطوسي والمفيد حول ولادة "الإمام المهدي" دون أن يحقق فيها أو يـذكر رواتها أو يعلق على الانتقادات التي وجهتُها للكتب والمؤلفين والرواة، أبداً، ولو بنصف كلمة، وانما قال هكذا:" كانت ولادة الإمام المهدي في سامراء في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة 255هـــ . واســمه الشــريف وكنيته المباركة نفس اسم رســول الله وكنيته كما ورد في الحديث. وقالوا" لا يجوز ذكر اسمه في زمن الغيبــة، لكن هــذا الكلام غــير مـتيقن..". وفي عنــوان آخر مشــابه (قصة الولادة المباركة) قـال: "قـال بشـر: أتـاني كـافور الخـادم فقـال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري يـدعوك اليـه" ثم نقل عن كتـاب إكمـال الـدين للصـدوق، قصة شـراء الجارية الرومية (مليكة بنت يشـوعا بن قيصر ملك الـروم) الـتي رأت في المنـام النبي عيسى عليه السلام وشمعون وعدة من الحواريين، والنبي محمد صلى الله عليه وآله، والإمام علي وعدد من أبنائـه، وخطبة النـــبي محمد لها من النـــبي عيسى للـــزواج من ابنه الحسن العســكري، ثم رؤيتها للســيدة فاطمة الزهــراء مع مــريم ابنة عمـران ودعوتها الى الإسـلام. "فلما كـان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد وكأني أقول له: جفوتـني يا حبيـبي بعد ان أتلفت نفسي في معالجة حبك" ورؤيتها للإمـام العسـكري كل ليلة في المنـام، الى أن ذهبت مع الجيش الرومي لقتـال المسـلمين ووقوعها في الأسر، وبيعها في سوق النخاسة ببغداد، وشـرائها من قبل الإمـام الهادي.

والغـريب ان السـيد الشـيرازي الـذي لم يبـذل أقل جهد في التحقيق والتفكير في هذه الأسطورة المضحكة، لم يتجشم عنــاء ذكر مصـــادر هــذه القصة ورواتهــا، إلا ما نبه عليه من نقلها عن

كتـاب (غيبة الطوسـي). وكـأن ما ورد في هـذا الكتـاب أو الكتب الأخرى هو وحي منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وهكذا وبنفس الأسـلوب نقل رواية أخـرى عن (إكمـال الـدين للصدوق) عن شهادة حكيمة لمولد (الإمام المهـدي) فقـال:" عن حكيمة (عليها السـلام) أنها قـالت: كـانت لي جارية يقـال لها نرجس...". وذكر قصة رؤية الإمام الحسن العسـكري لها وطلبها منها ثم حملها دون علمهـا، وعـدم ظهـور أي أثر عليهـا.. الى أن ينقل عن لسان حكيمة:قالت: غيبت عـني نـرجس، فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب...فـرجعت فلم ألبث أن كشف الحجـاب الذي كـان بيـني وبينهـا، وإذا أنا بها وعليها من أثر النـور ما غشي بصـري، وإذا أنا بالصـبي سـاجدا على وجهـه، جاثيا على ركبتيـه، رافعا سـبابتيه نحو السـماء وهو يقـول: (أشـهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن جدي محمـدا رسـول اللـه، وان أبي أمـير المؤمنين، ثم عدد إماما إماما الى ان بلغ الى نفسه، فقال: اللهم أنجز لي وعدي، وأتمم لي أمـري، وثبت وطـأتي، واملأ الأرض بي عدلا وقسطا)".

ثم يسرد الشيرازي في الصفحات التالي مجموعة من القصص الأسطورية التي يخجل الكتـاب المعاصـرون من ذكرهـا، لما فيها من أسـاطير عجيبة وغريبـة، مثل ولادته من فخذ أمه الأيمن وليس من رحمهـا، وسـطوع نـور هائل عند ولادته وبلوغه أفق السـماء، وتحليق طيـور بيضـاء ومسح أجنحتها على رأسـه، وتسليمه على أبيه، وأخذه من قبل أحد الطيـور الى جو السـماء، وعودته بعد أربعين يوما وهو صـبي يمشي ابن سـنتين، ونمـوه خلال أيام قصيرة بهيئة رجل كبير.

وربما كـان كتـاب الشـيرازي ملخصا سـيئا ومشـوها لكتب الصـدوق والمفيد والطوسي عن الإمـام المهـدي، وأضـعف منها بكثير، لأنه حذف ما يوجد فيها من أسانيد ضعيفة، ولم يعلق عليها بشيء. ولم يذكر الدليل الفلسـفي (الاعتبـاري) الـذي أوردوه في مجـال الاسـتدلال على الموضـوع، والـذي قـالوا أنه أقـوى الأدلة المتوفرة.

وعندما وقع بصري على كتاب الشيرازي، الذي جاء فيما يبدو ردا على كتابي، قلت انه لا يتناسب أبدا مع الذكاء الـذي يتمتع به المرجع الكبـير، فهو إما اعـتراف بـالعجز، وانه ربما كتبه في محاولة للتـبرؤ مـني، تحت الضـغوط الإيرانية الـتي اتهمته بعلاقة معينة معي، أو انه يحاول التأكيد على ما توصـلت اليـه، من خلال الرد الضعيف، والضعيف جدا. وإلا فان كل من اطلع على الكتـاب استغرب من أسلوب الشيرازي في البحث، والـذي لا يتناسب مع

طــالب مبتــدئ، فكيف بمجتهد أو مرجع تقليــد. خصوصا وان بين يديه كتاب شامل يرد كل تلك الروايات، ولا بد أن اطلع عليه قبل ان يتعب أنامله في الرد.

الشيرازي والتنظير للمنهج الحشوي

ومن المفيد هنا التعــرف على نظرية الشــيرازي الأصــولية وموقفه من المنهج الأخباري الحشوي، الذي أدى به الى التعامل مع قضية عقدية أصولية كقضية وجود الإمام الثـاني عشر ، بهـذه الصورة الحشوية الفريدة.[5]

ان السيد محمد الشيرازي، وخلافا للفقهاء الأصوليين ، يؤمن بحجية الظن ، ويلـتزم بحجية الخــبر الواحد ، ويقبل حــتى الخــبر الضعيف إذا كـان مشـهورا.[6] ويعتمد على الشـهرة في الروايـات والفتاوى ، ويـرى انها تجـبر الروايـات الضـعيفة وتكسر الروايـات الصـحيحة ، ويعتقد : أن "المشـهور" وان كـان ضـعيف الطريق ، أولى بالعمل لـــدى العقلاء من غـــير المشـــهور القـــوي الطريق الضــعيف العمل به ، مما يصــطلح عليه بانكســار الرواية بســبب الشـهرة .[7] ويقــول:" ان الشـهرة بمعـنى كـثرة نقل الرواية في قبال أخرى شاذة أو نادرة ، جابرة كاســرة ، للــدليل فيهما ، على المشــهور المنصــور ، المؤيد من قبلنــا".[8] وبنــاء على ذلك يفتح الشــيرازي بابا واســعا على الــتراث الــروائي الحشــوي ، ويأخذ بالروايـات الضـعيفة "الـتي تلقاها الأصـحاب بـالقبول" بنـاء على رواية المشــايخ الثلاثة (الكليــني والصــدوق والطوســي) لها مما

---

[5] - كـانت مدينة كـربلاء ، الـتي نشأ فيها الشـيرازي ، مسـرحا لمعركة طويلة بين "الأصوليين" و "الأخبـاريين" في القـرن الثـاني عشر الهجـري ، قادها (الأصــولي) الوحيد البهبهــاني (1116 – 1205هـ/1793م) ضد زعيم الأخبــاريين الشــيخ يوسف بن أحمد البحــراني الــدرازي (صــاحب : الحدائق الناضرة) وتابعها تلميذه الشيخ جعفر كاشف الغطـاء (الـذي انتقل الى النجف) ضد السيد محمد الأخباري.

وكـان "الأخبـاريون" يعتقـدون بصـحة جميع ما في كتب الأخبـار الأربعة المعروفة عند الشـيعة وهي (الكـافي، ومن لا يحضـره الفقيـه، والتهـذيب، والاستبصــار) وان الروايــات الــواردة فيها إما قطعية الســند أو موثــوق بصــدورها ، فلا حاجة إلى البحث عن ســندها ، ولا يجــوزون الرجــوع إلى الأصول المأخوذة عن العامة كالعقل والإجماع ، ويكتفون بالأخبار ، ولــذلك أطلق عليهم اسم "الأخبارية".

[6] - الشيرازي ، محمد: الأصول ص 85

[7] - الشيرازي ، محمد: الدولة الإسلامية ، الفقه ص96-99 ج102

[8] - الشيرازي ، محمد: الأصول ص75

يجعلها في نظره في أعلى الروايات " لأن الكليـني والصـدوق قد ضمنا حجية ما في كتابيهما " .[9]

وعلى رغم وجود مناقشة حادة بين فقهاء الشيعة حول وجود الإجمـاع ، وحجيته وكـذلك الإجمـاع المنقـول بخـبر واحد ، فـان الشيرازي يعتبر الإجماع المحصل والمنقول حجة ، حتى إذا كـان منقولاً بخبر الواحد ، لأنه إخبار عن قول المعصوم ، سواء كانت الدعوى مبنية على علم أو حدس برؤية الناقل للإجماع .[10]

وهكذا يقبل دعوى التواتر ، من دون حاجة للتأكد من الأمر.[11]

و يعتقد الشيرازي بالتسامح في أدلة السنن ، حسب المشهور ، اعتمادا على بعض الروايات التي تقول : (من بلغه عن النـبي (ص) شيء من الثواب فعمله كان له أجر ذلك ، وان كان رسـول الله لم يقلـــــه) .[12] ومن هنا فانه يـــــؤمن بحجية كتب الأدعية والزيـارات والآداب ، ككتـاب (حلية المتقين) و (مـرآة الكمـال) و (مفاتيح الجنان) ونحوها مما أثبتت فيها الأخبار الواردة عن الأئمة ، بغض النظر عن ذكر السند ، اعتمادا على جريـان السـيرة على العمل بهـا.[13] ويـؤمن أيضا بصـحة رواية الطفل الممـيز وجـواز الاعتمـاد عليه ، خاصة إذا روى بعد البلـوغ ، وذلك اعتمـادا على بناء العقلاء والسيرة .[14]

و عموما فان الشيرازي يعتقد بأن الحجية في الرواية قد تكون من جهة تمامية السند ، وقد تكون من جهة قوة المتن مما تكون دليلا على الـــورود عن الأئمة ، وان لم يكن قـــوي الســـند ، وقد تكـون من جهة قـوة المؤلف ، وان كـانت خالية من السـند ، وقد تكـون من جهة القـرائن الخارجية ، وقد تكـون من جهة الشـهرة المضمونية . وقد يتعامل مع الحديث المرسل كالتعامل مع الحجة من جهة التسامح في أدلة السنن.[15] **ولا مانع لديه من قبول الرواية حتى عن الجن** .[16]

---

[9] - الشيرازي ، محمد: الأصول ص 75

[10] - الشيرازي ، محمد: الأصول ص 71

[11] - الشيرازي ، محمد: الأصول ص74

[12] - الشيرازي ، محمد: حول السنة المطهرة ص72

[13] - الشيرازي ، محمد: الاجتهاد والتقليد مسألة 6 ص 78

[14] - الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء ص 60-61 ج2

[15] - الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء ص 7-9 ج 1

[16] - يذكر عن والده المـيرزا مهـدي عن الشـيخ حسـين النـوري صـاحب (مسـتدرك وسـائل الشـيعة) أنه كـان منعـزلا في غرفة وهو يكتب خطبة النـبي في غـدير خم ، فـدخل عليه اثنـان من الجن وصـححا بعض فقـرات الخطبة ، حسـبما سـمعاها من رسـول الله (ص) حيث كانا حاضـرين في غدير خم .

ومن هنا فقد قبل الشـيرازي عشـرات المصـادر الضـعيفة المشكوك في صحة نسبتها إلى مؤلفيها أو غير المسـندة إليهم أو المليئة بالروايات الموضـوعة أو غـير المعتمـدة من قبل الفقهـاء الأصوليين المحققين.

وفي الوقت الذي اعتاد الفقهاء الأصوليون على التحقيق في روايـات الكتب الأربعة (الكـافي ومن لا يحضـره الفقيه والتهـذيب والاستبصار) التي تعتبر في قمة التراث الشيعي من حيث السـند ، وإهمال وإسقاط أو تضعيف الآلاف منها، فان الشـيرازي تعامل مع الروايات الواردة في الكتب الأخرى الأضعف ، بروح عالية من الثقة والاعتمـاد ، وقلما شـك في رواية توجد فيها إلا ما نـدر، وسلك منهجا قريبا جدا من المنهج الإخباري القـديم الـذي هجـره حتى الأخباريين الذين راحوا يتأكـدون من الأخبـار قبل العمل بهـا، ويصنفون الروايات الى صحيح وضعيف وحسن.[17]

وبغض النظر عن المناقشة في المباديء الأصـولية والمنهج الأخباري الحشوي الـذي يـؤمن به السـيد محمد الشـيرازي ، فانه يجـيز الالـتزام بـذلك المنهج وتلك المبـاديء الـتي تشـكل مقدمة ضرورية لعملية الاجتهاد ، عن طريق التقليد ، ولا يـوجب الاجتهـاد فيها .[18]

ومع انه يستظهر حرمة التقليد في أصول الدين ، إلا ان منهجه الأخباري يحول بينه وبين الاجتهاد الـدقيق في المسـائل الأصـولية والعقائدية ويحوله الى "مقلد" للسابقين.[19]

وقد كـان لتلك النوافذ الواسـعة - أو في الحقيقة : الأبـواب الواسـعة - الـتي فتحها الشـيرازي على الأخبـار أثر مهم على موقفه من قضـية وجـود (الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري) حيث تقبل كل الروايـات والقصص الـواردة حـول الموضـوع ، دون أي نقد أو تمحيص أو دراسة أو مراجعة أو تفكير. واعتبرها من الضروريات التي لا تحتاج الى دليل.[20] ولذلك لم يستطيع التميـيز بين الحقـائق والأسـاطير الدخيلة في الـتراث الشيعي .

العلماء أسوة وقدوة ص 31

[17] - يضعف المجلسي (الأخباري) في كتابه (مرآة العقول) 9500 رواية من روايات الكافي البالغة حوالي 16 ألف رواية.

[18] - الشيرازي ، محمد: الاجتهاد والتقليد مسألة 67 ص 463

[19] - الشيرازي ، محمد: الاجتهاد والتقليد مسألة 1

[20] - الشيرازي ، محمد: حول السنة المطهرة ص 83

3 - مع السيد محمد تقي المدرسي في كتابيه:
(الإمام المهدي والإيمان بالغيب) و (الإمام المهدي قدوة الصديقين)[21]

هل يستمر نزول الوحي بعد رسول الله (ص)؟

عشت مع السيد المدرسـي، الصـديق والمفكر الإسـلامي الكبـير، عقـودا من الـزمن في خنـدق واحد وعملنا معا من أجل إقامة حكم إسـلامي في العـراق وبنـاء الحضـارة الإسـلامية من جديد ، وكان شعارنا : لله والحق والحرية!

كنا نؤمن منذ الستينات بولاية الفقيه ونيابته العامة عن الإمـام المهـــدي ، وانتقلنا معا الى الجمهورية الإســـلامية الإيرانية بعد انتصـار الثـورة في أواخر السـبعينات، حيث بـدأ يعد نفسه لتـولي منصب الولي الفقيه في المستقبل والتحضير لتبؤ سدة المرجعية الدينية.

في أواخر الثمانينات أنهيت بحثي حول وجود (الإمام محمد بن الحسن العســكري) حيث توصــلت الى كونه نظرية افتراضـــية فلســفية ، حسب المصــادر الشـيعية الامامية ، أكـثر منه حقيقة تاريخية أو دينيـة. وقبل أن أبـوح بهـذه النتيجة الى أي أحد طلبت من الســيد المدرســي، المنغمس في العمل السياسي والبحث العلمي، أن يعطيني من وقته الثمين سـاعة واحـدة لأشـرح له ما توصلت إليه من نتائج واطلب منه أن يقدم لي ما لديه من أدلة – إذا كانت هنالك أية أدلة أخرى - لم اطلع عليها وان يناقشـني في ما توصلت إليه. أشار بسرعة واختصار الى كون موضوع الإيمــان بالإمـام المهـدي جـزءا من الغيب ، وطلب مـني أن اكتب البحث بدقة ليناقشني فيه بالتفصـيل على الـورق بعد ذلك . وافقته على هذا الطلب ووعدته بإجراء مزيد من البحث والتحقيق ، وقلت له: أنا أؤمن بـــالغيب وبكل ما يقوله القـــرآن الكـــريم من الجن والملائكة والجنة والنـار ، ولكن موضــوع الإمــام الثـاني عشر لا يوجد في القـرآن الكـريم، وبالتـالي فـإني لا أسـتطيع أن أؤمن بــولادة الإمــام بصــورة غيبية ، أي بلا دليل علمي، وإلا لجــاز لي وللآخرين الإيمان بأية أسطورة والادعاء أنها من الغيب.

---

[21] - http://www.almodarresi.com/books/233/

انتهيت من تأليف كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) بعد ذلك بسنتين، وأرسلت إليه فورا نسخة منه ، اطلب منه بإلحاح أن يناقش الكتاب ويقدم لي ما لديه من ردود حتى لا انشر الكتاب إذا ما اقتنعت بخطأ ما ورد فيه من نتائج وأفكار ، ولم أتلق منه أي رد. التقيت به بعد سنوات في بيت الله الحرام وأقسمت عليه بالله أمام الكعبة المشرفة أن يصحح أي موضوع في الكتاب أو يدلني على أي خطأ فيه ولكنه لاذ بالصمت وقال لي : أنت حر بنشر ما تعتقد به.

لم اكن احتاج الى إجازة منه ، ولكني كنت أحاول أن القي الحجة عليه أمام الله ، وهكذا فعلت مع كثير غيره من العلماء والمجتهدين.

ومع كل هذه المقدمات والتفاصيل فوجئت به بعد فترة وجيزة وهو ينشر كتابا في الرد علي ، أو بالأحرى : بالهجوم الشخصي عليّ واتهامي بالكفر والفسق والضلال والانحراف واتباع الهوى والطغيان والشرك والفتنة.. ولم يدع مفردة سيئة في قاموس السباب والشتائم إلا واستخدمها بحقي ، ولكنه لم يناقش الأفكار التي طرحتها في الكتاب ولم يقدم أي دليل علمي أو تاريخي على ولادة الإمام المهدي (محمد بن الحسن العسكري)، لأنه لو كان يملك هكذا دليل لقدمه إلي من قبل ، ما عدا الترديد: إن الإيمان بالمهدي يشكل جزءا من الإيمان بالغيب وانه أصل الدين وفلسفته وحكمته.

ويشكل موقفه هذا في حد ذاته ظاهرة ثقافية متميزة تستدعي الدراسة والانتباه والتفكير.

تتألف هذه الظاهرة -كما رأينا- من عدة عناصر هي:

1- احتكار الإيمان بالله تعالى والتقوى والورع والإخلاص وتجريد الطرف الآخر من كل ذلك.

2 - احتكار العلم والفهم والمعرفة واتهام الخصم بالجهل وعدم الإدراك وعدم التخصص.

3 - ادعاء الحرص على الدين والوحدة الإسلامية ، واتهام الطرف الآخر بتمزيق الصفوف وإثارة الفتنة والتهجم على المقدسات.

4 - ممارسة كامل الحرية في النقد والهجوم وعرض الأفكار الذاتية ، وحرمـــان الطـــرف الآخر من التعبـــير عن نفسه وكبته وخنقه.

5 - الحوار العشوائي غير المباشر وغير الممنهج وعدم وضع النقاط على الحروف أو تسمية الأمـور بأسـمائها ، وتحـوير نقـاط الخلاف بالتحدث عن قضايا أخرى متفق عليها.

6 - انتهاج الأسلوب الخطابي العاطفي وتجنب الحوار العلمي الهادئ.

7 - تضخيم بعض الأمور الجزئية والتطرف والغلو.

وعنـــدما يقـــوم مفكر إســـلامي يعد نفسه لقيـــادة الأمة وتـــولي المرجعية العليا ورئاسة دولة إســــــلامية عظمى أو توجيه حركة إسلامية عالمية.. عندما يقوم بممارسة ذلك الأسلوب من الحـوار اللا علمي والتهجم الشخصي على أقرب المقربين إليه لمجرد انه جاء بنظرية جديدة تتعلق بالتاريخ الشيعي ولا تمس أسس الــدين من التوحيد أو النبـوة أو المعـاد أو الحلال والحـرام ، ولمجـرد انه قال فقط: (بأن المهدي لم يولد بعد وسوف يولد في المسـتقبل) فان أسلوب ذلك العالم يتحـول الى ظـاهرة سـلبية وخطـيرة في المجتمع الإسلامي تنسف الشـعارات الـتي يرفعها في العمل من أجل الله والحق والحرية ، وتلقي بظلال من الشك حـــول جديته في الإصلاح والتجديد والتغيير وكيفية إدارته للصـراع مع التيـارات والطوائف والأحـــزاب المختلفة ، خاصة إذا ما اســـتلم مقاليد السلطة في أي بلد في المستقبل.

وتأتي خطـورة هـذه الظـاهرة الغوغائية الـتي تعتمد التهـريج الخطــــابي والتهجم الشخصي وتجنب الحـــوار العلمي المباشر والدقيق ، في أنها قد ترتد على أصحابها وتشيع جوا إرهابيا يحول دون البحث العلمي ويصادر حرية الاجتهاد ويدعو الى التعايش مع البدع والخرافات والأساطير.

وكانت هذه الرسالة الأولى التي أرسلتها إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إيران – طهران

سماحة العلامة المجاهد السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله.

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم في خدمة الإسـلام والمسلمين.

وبعد.. فـان معرفـتي الشخصـية بكم تطـول أكـثر من ربع قـرن ، بحكم الصداقة المتينة والرفقة في العمل والتلمذة عليكم ، ومن هنا فقد اكتشـفت فيكم: العـالم المجاهد العامل من أجل نهضة إسـلامية شـاملة وتجديد الفكر الإسـلامي وإزالة ما علق به من أفكـار دخيلة ، وتطـويره نحو الأفضل ليكـون قـادرا على قيـادة الحيـاة وحل مشـاكلها المعاصـرة بصـورة أنجح. فلقد كنتم من أوائل الـدعاة الى نظرية ولاية الفقيه وكتبتم حـول ذلك كتـاب (القيـادة الإسـلامية) في السـتينات ، وبـنيتم على ضـوئها فكر منظمة العمل الإسـلامي والحركة الرسـالية الكـبرى وكنتم بـذلك أحد المسـاهمين في بنـاء الدولة الإسـلامية في إيـران ، واعتقد أنكم لازلتم تتبنون تلك النظرية .

وغني عن القول إن نظرية ولاية الفقيه تشكل ثورة في الفكر الشيعي الإمامي الاثني عشـري الـذي كـان في القـرون الماضـية يحرم الثورة والدولة في عصر الغيبة الى أن قـامت بالفعل عـدة دول شيعية مما دفع بعض العلماء لإبداع نظرية النيابة العامة عن الإمام المهدي الغائب وتطويرها الى نظرية ولاية الفقيه ، بصـورة مسـتقلة أو بالارتكـاز على نظرية النيابة العامة ، وبقـدر ما كـانت نظرية ولاية الفقيه تشـكل ثـورة في الفكر الشـيعي الإمـامي ، فإنها كـانت تحتـاج الى ثـورة أعمق لكي تحـدد الأسس والقواعد التي تستند إليها ، وذلك لأن التعامل السطحي السـريع مع نظرية سياسية مهمة شكلت محورا للخلاف بين المسلمين عبر التـاريخ ليس بـالأمر المقبـول ولا المنطقي ، وخصوصا عنـدما نعـرف أن كثـيرا من النظريـات البشـرية القائمة على التأويل والـتزوير قد تسللت الى تراثنا الإسلامي والشيعي.. وهذا ما يـدعونا لمزيد من البحث والتحقيق من اجل التأكد من حقيقة النظريـات الموروثة والتمييز بين الحقائق والأساطير .

وان ما يـدعونا بإلحـاح لدراسة الأسس العقائدية والتاريخية لنظرية ولاية الفقيه والنيابة العامة هو محاولة وضع النقـاط على الحروف وبلورة النظرية بشكل دقيق وتحصينها من السقوط في خطر الديكتاتورية والحكم الشمولي المطلق وكذلك إعادة النظر في جميع الأبـواب الفقهية الـتي كـانت معطلة في عصر الغيبة

حسب نظرية (التقية والانتظار) البائدة ، واتخاذ قرار شجاع بإعادة الحيوية والفاعلية لتلك الأبواب.

وكما تعرفون فقد دفعني البحث في نظرية ولاية الفقيه ، أصوليا وفقهيا قبل بضع سنوات الى اكتشاف حداثة عمرها وقيامها على أنقاض نظرية التقية والانتظار التي كان يلتزم بها سلفنا قرونا من الزمن طويلة ، ثم دفعني ذلك الاكتشاف الى بحث نظرية (النيابة الخاصة) في (الغيبة الصغرى) واكتشاف ضعف هذه النظرية وعدم وجود أدلة علمية صحيحة وكافية لإثباتها ، وان هذا الاكتشاف الأخير جرني الى بحث موضوع (الإمام المهدي) واكتشاف ضعف جميع الأدلة التي تساق لإثبات وجوده ، وانه لم يكن سوى فرضية وهمية افترضها بعض المتكلمين الامامية ، وانه لم يكن حقيقة يقول بها أهل البيت و لا يدعون إليها ، وقد اختلق القول بوجود ولد للإمام الحسن العسكري قسم صغير من شيعته (فرقة من أربعة عشر فرقة) ثم ختموا نظرية الإمامة الإلهية التي كانوا يزعمون في السابق انها ممتدة الى يوم القيامة ، باثني عشر إماما فقط، وقالوا بأن الثاني عشر المفترض هو المهدي الذي سوف يخرج ويملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وكانوا يتوقعون خروجه في تلك الأيام.. ولم يكونوا يحسبون انه سيبقى غائبا مئات السنين.

ومن هنا وقع الذين آمنوا بوجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله في شرك نظرية التقية والانتظار ، حيث كانوا يعتقدون بحرمة القيام والثورة وتأسيس الدولة وتنفيذ أحكام الدين لغير الإمام المعصوم ، وإلا فلماذا كانوا يشترطون العصمة ويفترضون وجود الإمام المعصوم بعد وفاة الإمام العسكري، بالرغم من عدم مشاهدتهم أي ولد له وعدم إشارته الى ذلك وعدم وجود أية أدلة على صحة الفرضية، وإذا كانت النتيجة التي أسفرت عنها النظرية المهدوية الاثنا عشرية: (التقية والانتظار) خاطئة وغير معقولة ، فان رد الفعل الذي أعقبها وقام على أساس النظرية المهدوية كان خاطئا أيضا.. إذ أن نظرية النيابة العامة وولاية الفقيه لا تقل سوءا عن نظرية (التقية) فبينما تعطل الأخيرة النشاط السياسي في عصر الغيبة ، تعطي الأولى كل الحق السياسي لرجل واحد باسم النيابة عن الإمام المهدي، وهذا ما يؤدي الى قيام الأنظمة الشمولية الدكتاتورية باسم الدين.

وعلى أي حال فقد بحثت معكم حول وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) قبل عدة سنوات وطلبت منكم أن

تـــدلوني على مزيد من الأدلة والـــبراهين ، حيث لم اقتنع بالأدلة المقدمة من علماء الكلام ولا بالروايات الضعيفة الموضـوعة فيما بعد ، وطلبت منكم مناقشة الدراسة الـــتي قمت بها في إيـــران وأثبت من خلالها : أن نظرية المهـــــدي المعروفة عند الشـــــيعة الاثني عشرية ، نظرية حادثة بعد وفاة الإمـام الحسن العسـكري ، وأنها فرضية وهمية لم يعرفها أهل البيت (ع) ولم يبشـروا بها ، وقد طلبتم مـــني الـــتريث في الحكم والاســـتنتاج أو كتابة نتيجة البحث إلا بعد مـرور سـنة على الأقل ، ثم عـرض الكتـاب على مجموعة من العلماء لمناقشته والرد عليه . وقد فعلت ذلك حيث أمضيت عاما كاملا بعد مغادرتي لإيران عـام 1991 في المطالعة والتفكـير والتـدقيق ، وأنا أتمـنى أن أكـون على خطأ في منهج الدراسة أو في المعلومات التي توصلت إليها أو اعتمـدت عليها ، وقمت بعد ذلك بكتابة البحث ووجهت رسـالة مفتوحة الى مئـات العلماء والمفكرين من أبناء الطائفة الثني عشـرية لكي يناقشـوا البحث ويردوا عليه ، وتمـنيت من أعمـاق قلـبي لو يثبتـوا خطأ ما توصلت إليه وصحة الأدلة على وجود الإمام المهدي ، فلم يجبـني أحد على رسـالتي ما عـدا قلة قليلة من العلمـاء حيث أرسـلت إليهم الكتاب لإلقاء نظرة عليـه.. وكنتم أحد الـذين أرسـلت إليهم الكتـاب وانتظـرت جـوابهم ، خاصة وأنكم وعـدتموني بـذلك قبل كتابته ، ولكنني وبالرغم من مضي اكثر من عام لم اسـتلم منكم أي رد أو جواب .

ومع أنى اقدر ظـروفكم الخاصة والأجـواء الـتي تعيشـون فيها والتي لا تسـمح لأحد بـالتفكير فضلا عن المناقشة أو المعارضة ، فـــاني اعتقد أن مســـعاكم لتبؤ مقعد المرجعية العليا وقيـــادة المسلمين يوجب عليكم الاهتمام ببحث موضوع وجود المهـدي أو عدمه ، إذ أن مسـتقبلكم ومسـتقبل الأمة مرهـون بإثبـات هـذه القضية أو نفيها ، ومن هنا فـإنكم مطـالبون بقـول كلمة : "صـح" أو "خطـأ" واثبـات ذلك بالـدليل ، ولســتم والحمد لله ممن هو بحاجة الى تـذكيره بـان البحث في الأسس أولى من البحث في الفروع والجزئيات .

وإذا لم يكن لديكم الوقت أو الاستعداد لبحث الموضوع ، فأرجو أن تتفضلوا بالطلب ممن تعرفـون من العلمـاء والمفكـرين بـالرد على البحث ، وذلك لأني لا أزال مستعدا لتقبل الحق وتغيير رأيي إذا اكتشفت أني على ضلال ، كما إني على اسـتعداد لإقامة حفلة

وإحــراق الكتــاب في المســتقبل مــتى ما قــام أحد بتفنيد آرائه واثبات صحة نظرية وجود المهدي.

واعتقد أن في إعلاني هــذا حجة عليكم أمــام الله يــوم القيامة وعذرا في نشر الكتاب في المستقبل ، وذلك لأني اعتقد أن قول الحق واجب على كل عالم وان كتمان العلم من أكبر المحرمـات ، خاصة وانا قد نذرنا أنفسـنا للـدعوة الى الإسـلام والى خط أهل البيت عليهم السلام وإقامة حضارة إسلامية جديدة ، فإذا اكتشفنا أمرا دخيلا على الإسلام وعلى خط أهل البيت ، وسرا من أسـرار انهيار الحضارة الإسلامية ، كموضـوع (المهـدي محمد بن الحسن العسـكري) الموهـوم ، فنحن مطـالبون بالإفصـاح عن ذلك خدمة للإسلام والمسلمين وخطوة على طريق بناء الحضـارة الإسـلامية من جديد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص أحمد الكاتب

لندن 20/10/1414هـ

وقد أصدر المدرسي في الرد علي كتابين هما: (الإمام المهدي والإيمــان بــالغيب) في ســنة 1417 و (الإمــام المهــدي قــدوة الصديقين) سنة 2005

وقد ابتدأ كتابه الأول بجموعة شعارات خطابية مثل ان "حقيقة الإمام الغائب من الحقـائق الكـبرى... وان المنظومة الفكرية في عقائد التوحيد إنما تنتظم بالولاية، وهي الحبل المتصل بين سـماء القيم وصعيد الواقع، فلو انقطع الحبل فان مفردات العقائد تبقى من دون نظـام، وفائـدتها تكـون محـدودة... وان انتظـار الإمـام الغائب انتظار يوم الدين، والإيمان بالوحي النازل من الغيب".

ثم اعتبر الإيمان بالإمام المهدي مسألة نفسية إيمانية على كل إنسان أن يؤمن بها إذا كان يؤمن بالله، فـ" إن الإيمان لا يتجــزأ ، ومن أراد أن يكفر بحق ويؤمن بآخر، فانه بمثابة من يكفر بــالحق كله. (أفتؤمنـون ببعض الكتـاب وتكفـرون ببعض ؟ فما جـزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويم القيامة يردون الى أشد العذاب) البقـرة 85 إن قـدرة الإنسـان على تجـاوز ذاته هي واحدة في كل مكـان، ومن هنا فانه يـؤمن بكل حق لا تفريق بين حق وآخر. أما الـذي يـدعي الإيمـان بـالحق ثم يكفر ببعض الكفر فانه كاذب في إيمانه ، لأنه لم يعرف كيف يتجـاوز ذاتـه، ويخـالف

هـواه. انه يتبع هـواه في تقـييم الحقـائق، فما وافقت عليه نفسه آمن به، وما خالفته نفسه كفر، وكان كمن قال ربنا سبحانه عنـه: "أكلما جـاءكم رسـول بما لا تهـوى أنفسـكم اسـتكبرتم ففريقا كـذبتم وفريقا تقتلـون" البقـرة 87 وهكـذا يلجئـون الى مـيزان العصـبية والأهـواء في تقـييم الحقـائق، وبأيها يؤمنـون وبأيها يكفرون. فإذا انزل الوحي فيهم وكان الرسول من قـومهم آمنـوا به، وإذا كان من غيرهم كفروا به. هـؤلاء هم في الواقع من أتبـاع الهوى".

ورغم أني في حواري ومراسلاتي معه، طلبت منه تقديم الدليل الشـرعي على "حقيقـة" وجـود المهـدي، أو الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري، فـان السـيد المدرسي اعتـبر هـذا الأمر من الأمـور المسـلمة المفـروغ منهـا، وراح يحلل نفسـيتي، ويهاجمني دون أن يقدم أي دليل، فقال:"اليوم نجد البعض يرتاب في حقائق كان بالأمس يؤمن بها ويدافع عنها أشد الدفاع. لماذا؟ لأنه تعـرض لفتنـة، وأصـبحت هـذه الحقيقة تخـالف مصـالحه وأهواءه، وغدا يكفر بالحقيقة التي لا يزال يؤمن بها اليوم، وهكـذا يكفر ويؤمن حسب رياح الهوى، هو التحدي ضد جبت الذات. فإذا انهـارت مقاومة الإنسـان الداخليـة، فأية قيمة لإيمانـه. بل كيف نسمي الإيمان بشرط موافقة الهوى، كيف نسميه إيمانا؟

مثل هؤلاء الـذين يـتراجعون اليـوم عما آمنـوا به أمس لم يكونـوا مؤمنين حقا. بل كانوا يزعمون أنهم مؤمـنين، أو يتظـاهرون بـه، وقد قـال الله تعـالى عن الفريق الأول:" قـالت الأعـراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولـوا أسـلمنا ولما يـدخل الإيمـان في قلـوبكم" الحجـرات 14 ويقـول سـبحانه عن الفريق الثـاني:"إذا جـاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسـول الله والله يعلم انك لرسـوله، والله يشهد أن المنـافقين لكـاذبون، اتخـذوا إيمـانهم جنة فصـدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون) المنافقون 1-2 .[22]

وهكذا وبكل جـرأة راح يتهمـني بالنفـاق، لا بل ويتنبأ بـالغيب فيقول:"غداً يكفر بالحقيقة التي لا يزال يؤمن بها اليوم".

وبـدلا من أن يقـدم أدلته على تلك الحقيقة الإيمانية الـتي يـدعيها، وجد السـيد المدرسي أن أسـهل الطـرق للـدفاع هي الهجوم الشخصي، وارتدى هذه المرة نظـارات المحلل السياسي والنفسـي، فقـال: "عنـدما طبقت بصـيرة الولاية في بعض البلاد وواجهت مضاعفات عند التطبيق ، واصطدم البعض بهـا، تـراه لم ينسب الخطأ الى البشر الـذين هم بالتـالي غـير معصـومين، ولم يدر أن كل فكرة واجهت مضاعفات عند التطبيق. فالديموقراطية

[22] - ص 18

التعددية والديموقراطية الشــعبية والملكية الدســتورية والملكية المطلقة.. وكل النظم واجهت مشـاكل عند التطـبيق. والعقلاء لم يحملوا كل المسؤولية على المبدأ، بل عرفـوا مواقع الضـعف في المبدأ، وميزوها عن مواقع الضـعف في المنفـذين لهـا. وعند هـذا المنعطف انهار وبدأ يرتاب في حقيقة الولاية الإلهيـة، ويـدعو الى العلمانية (وفصل الـدين عن السياســة) أو الى التطـوير في فهم الـدين... وتــرى بعضــهم ابتلي بالشك الجــارف فــإذا بفــيروس الارتياب ينخر في أصول عقائـده، فأخذ يشك في الإمـام المنتظر عليه السلام، زاعما أن الـدليل الوحيد الـذي دل على ولاية الفقيه هو الحديث المسند إليــه. فإمعانا في فتنة نفسه وخـداع ذاته أخذ ينفي وجـود الإمـام الحجة حـتى ينهـار أسـاس ولاية الفقيـه.. تلك الولاية التي اصطدم بها ونصب نفسه لتسفيهها وضـرب قواعـدها وأسسـها... ثم أخذ يرتـاب في سـائر أصـول المـذهب الحـق، بل وبعض أصول الدين ذاته". [23]

وهل التشكيك بنظرية ولاية الفقيه، التي لا يؤمن بها كثير من العلماء، كالشيخ الأنصاري والسـيد الخـوئي والسـيد السيسـتاني، تشـكل مقدمة للكفر بالإسـلام؟ إضـافة الى أن تشـكيكي بوجـود الإمام الثاني عشر، لم يكن منطلقا من الرغبة في تسـفيه نظرية ولاية الفقيــه، وذلك لأن كثــيرا من منظــري هــذه الفكــرة كــانوا يرتكزون في اجتهادهم حولها على الأدلة العقلية والقرآنيــة، وإنما كــان منطلقا من حقــائق موضــوعية تكشــفت لي أثنــاء البحث وتصريح مشايخ الطائفة الإثني عشرية الأوائل بــأن عمـدة أدلتهم على وجـود ابن للإمـام العسـكري، هو الافـتراض الفلسـفي، في غياب الأدلة التاريخية التي تثبت ولادته ووجـوده واسـتمراره. وقد قدمت أسئلة بريئة ومشـروعة عن وجـود ذلك الإمـام المفـترض، في محاولة للبحث عن الحقيقة، ولم تكن المسألة مسـألة خـداع نفسي أو رغبة شيطانية في السقوط في الفتنة، والعياذ بالله، أو محاولة لضـرب قواعد ولاية الفقيـه، حيث أن المسـألة أكـبر منها بكثير وغدت تتعلق بأساس الفكر الإمامي.

وإذا سلمنا بكل قراءات المدرسي النفسية الـتي لا يعلمها إلا الله، فلست أدري كيف تجرأ على اتهامي بالتشكيك بأصول الدين ذاته؟ وما هي تلك الأصول الـتي شـككت فيهـا؟ هل كفـرت بالله تعــالى أو بــالنبي محمد أو بــاليوم الآخــر؟ وما هو دليله ؟ ســوى الاتهام العشوائي والظن بالسوء؟

---

[23] - ص 21

ولست أدري مـاذا أذنبت بحق السـيد المدرسـي؟ وإذا كـان يمتلك هــذا العمق الغيــبي في قــراءة قلــوب النــاس، ومعرفة المـؤمن من المنـافق، فلمـاذا لم يكتشف صـديقا له عـاش معه وعمل معه حوالي عشرين عاما؟

يقـول المدرسـي:" إن اكـثر التشـكيك في أمر المهـدي جـاء بدوافع سياسية، ولم يكن قائما على أسس علمية سليمة".

ونقول له: إن أكثر المـدعين لوجـود المهـدي يقومـون بـذلك بـدوافع مادية وسياسـية أيضـا، ولا يملكـون أسسا علمية سـليمة على دعـــواهم، في حين أن الـــدليل على المـــدعي وليس على المنكر أو المشـكك. ثم حسـنا، ومهما كـانت الـدوافع، ألا يجب على المدعين تقديم الأدلة العلمية السليمة على دعواهم؟ وكيف نفــرق بين الحقــائق والأســاطير؟ بمجــرد الــدعاوى؟ أم بالأدلة والبراهين؟

ولا يجد المدرسي الجرأة لبحث أو تقديم أي دليل تاريخي على ولادة ابن الحسن العســــكري، كما فعل خاله الســــيد محمد الشــيرازي، فهو يعــرف جيــدا أنها مجموعة أســاطير مضــحكة، وإشـــاعات بلا ســـند ولا دليـــل. ولـــذلك ينتقل الى الاســـتدلال بالأحـاديث العامة (السـنية) الـواردة حـول خـروج مهـدي في آخر الزمــان، ثم يقــول:" لم يتشــكك في عقيــدة المهــدي إلا بعض المتأثرين بالثقافة العلمانية كابن خلـدون الـذي حـاول أن يؤسس نظرية نقدية للنصوص الدينية يعيدا عن الإيمان بـالغيب والتسـليم لحقائق الـوحي، وقد أورد 28 حـديثا في عقيـدة المهـدي وحـاول تضعيف أسانيد بعضها، وكان واضـحا أن تشـكيكه كـان قائما على نظرية في الاجتماع من قيام الملك بالعصبية، ومحاولة نسبة هذه العقيـــدة بتلك العصـــبية.. ولكن إذا جعلنا معيـــار تقـــييم العقائد السياسـية والحركـات الاجتماعية فلا تسـلم حـتى العقيـدة بأصل الدين من هذا المعيـار ذي البعد الواحـد...ولم يعـرف ابن خلـدون أن سلامة سند حـديث واحد تكفي لقبـول عقيـدة غيبيـة، ولا يضر ضعف سند غيره، لأن مجرد الضعف لا يـدل على كـذب الحـديث بل هو مؤيد لـه". ويسـتعين بقـول للشـيخ المحـدث ناصر الـدين الألبـاني:" إن عقيـدة خـروج المهـدي عقيـدة ثابتة متـواترة عنه (صــلى الله عليه وآلــه) يجب الإيمــان بها لأنها من أمــور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى:"ألم ذلك الكتــاب لا ريب فيه هـدى للمتقين الـذين يؤمنـون بـالغيب" وان إنكارها لا يصدر إلا عن جاهل أو مكـابر، أسـال الله أن يتوفانا على الإيمـان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة". [24]

---

[24] - ص 100

ونقول للمدرسي: حتى لو صحت تلك الأحاديث التي رفضها ابن خلدون، فانها أحاديث عامـة، لا تشـير الى ولادة أو وجـود شـخص باسم (محمد بن الحسن العســكري). ونحن إنما نتحــدث عن الإمام الثاني عشر، وليس عن (الإمام المهدي) المطلـق. فلمـاذا تتهرب من صلب الموضوع لتستجير بموضوع آخر؟

ويا ليته تحدث أيضا بلغة علمية! انظروا كيف يحاول "إثبات" دعـاواه، يقـول:"كـان أول من كتب من علمـاء السـنة في هـذه العقيدة الحافظ نعيم بن حداد المـروزي، حيث عنـون كتابه باسم "الفتن والملاحم" وتوجد نســـخة من الكتـــاب في المكتبة البريطانية حيث سـجلت فيها بتـاريخ 1924م كما توجد نسخ منها في مكتبـات الهند وسـوريا. والمؤلف من مشـائخ علمـاء السـنة، وقد توفي سنة 227".

و ليس هــذا في الحقيقة إلا تهــريج إعلامي، فما ذا قــال المــروزي؟ ومن هم رواتــه؟ وما هو ســند الكتــاب؟ وما هو رقم الكتــاب في المكتبة البريطانيــة؟ وفي أي مكتبة في بريطانيــة؟ وأين توجد النسخ الأخــرى في مكتبــات الهند وســوريا؟ ما هي عناوينها؟ وأرقامها؟ وهل اطلعت عليها مباشرة ورأيتها بعينك؟ أم تنقل عن أناس لا تعرفهم؟ وحتى إذا صـحت الـدعوى، من يقـول إن نسخة المكتبة البريطانية هي نسخة مسندة وأصلية وصـحيحة وسالمة من التحريف والتصحيف؟[25]

مع الأسف الشـديد إن السـيد المدرسي لا يقـول لنا شـيئا عن ذلك ، لأنه ببسـاطة لا يعـرف شـيئا، ولم يقـرأ الكتـاب، ولم يطلع عليه، ولكنه يحاول أن يوحي لنا بأن الحافظ المروزي الذي توفي سنة 227 قد قال شيئا عن الإمام المهدي، ولما كان هـذا التـاريخ

---

[25] - وجدت في موقع رافد الإلكتروني إشارة الى هـذا الكتـاب كما يلي: هو كتاب « الفتن والملاحم» للحافظ نعيم بن حمـاد (وليس حـداد كما ذكر المدرسي) المروزي المتوفى سنة 227 هـ . وهو من شيوخ البخاري وغيره من مصــنفي الصــحاح . وتوجد منه نســخة في مكتبة دائــرة المعــارف العثمانية في حيـدر آبـاد الهند رقم 3187 -ـ 83 ، ونسـخة في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم 62 - أدب ، ونسـخة في مكتبة المتحف البريطـاني تقع في نحو مائتي صـفحة مزدوجة ، وقـدتم نسـخها سـنة 706 هـ . ويوجد على بعض صــفحاتها عبــارة (وقف حســين أفنــدي) مما يشــير إلى أنها أخــذت من موقوفــات تركيا . وقد ســجلت في المكتبة البريطانية ســنة 1924 م .

قبل ولادة الإمـام الثـاني عشر المفـترض، فانه لا بد أن يكـون إعجازا وتنبأ بالغيب وله علاقة بذلك.
وهكذا يحاول المدرسي أن يدعونا للإيمان بــ"الحقيقة الكـبرى حقيقة الإمام الغائب ، والوحي النازل من الغيب".

دليل الاثني عشرية

وعنـدما ينتبه بسـرعة الى هشاشة "أدلتـه" الروائيـة، وعـدم إنتاجها لأي مولود، يلجأ الى دليل آخر ليس أكـثر من قشة لا تنقذ غريقا، وهو دليل "الاثني عشرية" وقد استعرضت هذا الـدليل في كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) ومع عـدد من الاخـوة المحـاورين، وقلت انه لا يمكن الاسـتدلال بهـذا الحـديث إلا بعد إثبات وجود وولادة ابن الإمام العسكري، دليلا على صحة النظرية الاثـني عشـرية، أما قبل ذلك فلا يجـوز ولا يمكن أن نسـتدل به على ولادة إنسـان لم تثبت ولادته بالأدلة الشـرعية القانونية التاريخيـة، ولكن المدرسي لم يتوقف عند الاحتمـالات العديـدة الـتي تحتملهـا، ويقـول:" كما هو واضح من مراجعة المصـادر، أن هـذه النصـوص تبلغ حد الاستفاضة وربما التـواتر، مما يجعل المسلم على ثقة بها، وبأنها صدرت عن النـبي (ص) وهنـاك أكـثر من شاهد على انه عنى بهذا العدد أئمة أهل البيت عليهم السـلام وهي التالية: أولا: ليس هناك من ينطبق عليه هذا الوصف، وبهـذا العدد سمى أئمة أهل البيت فانهم وحدهم الذين بلغوا الذروة في صفات الأنبياء وعددهم أيضا بلغ اثـني عشـر، ولم يشك أحد ممن أوتي حظا من العلم والتقـوى في سـموهم ورفعة درجـاتهم"... ولم يكد يتم كلامه حـتى اسـتدرك قـائلا:"لعل منهج القـرآن في المحكم والمتشـابه هو القـدوة في هـذا المنهج. والرسـول (ص) اتبع ذات المنهج أحيانـا، لإبلاغ المسـلمين ان الأئمة من بعـده هم اثني عشر وانهم من قـريش. وقد صـرح لخاصة أصـحابه من هم أولئك كما حـدثهم بأسـمائهم. من هنا فـان المنهج السـليم في معرفة أقوال الرسول كما في فقه كلمات أهل البيت هو التقـاط إشـاراته والتنبه الى معاريضه وتوريته وألحانـه. وانطلاقا من هـذا المنهج نعـرف أن الأئمة الاثـني عشر الـذين عنـاهم من بعـده هم في الواقع الأئمة من أهل بيتـه" .[26] ويضـيف:"إن قائمة أسـماء الأئمة **كانت من أسرار آل محمد الـتي لم يطلعـوا عليها إلا من ملك القـدرة** على حفظهـا، والإيمـان بها غيبـا. وان النصوص التي كانت عند الشـيعة كـانت **من أسرار آل محمد**

[26] - ص 148

لظروف التقية الضاغطة، ولم يكن من كبار الشيعة العــارفين بها يسمحون لأنفسهم بالبوح بها إلا لخاصة خواصهم".[27]

أي انه لم تكن هناك نصوص واضحة وصريحة وثابتة ومتواترة على الأئمة الإثني عشر، وإنما يجب أن نعرفهم بالتقـاط إشـارات الرسول الأعظم والتنبه الى معاريضه وتوريته وألحانه.

فكيف نحصل من تلك النصوص الغامضة والسرية دليلا شرعيا على حقيقة إيمانية كـــــبرى؟ وعلى ولادة ووجـــــود "محمد بن الحسن العسكري"؟

الغلو في الإمام

إن السيد محمد تقي المدرسي يعاني من مشكلة كبرى في تحديد مصــادر المعرفة الإســلامية ، فهو يعتمد كثــيرا على تأويل القــرآن التعســفي، وعلى الأحــاديث الضــعيفة، فيقع في مزالق الغلو الفــاحش ويبتعد عن عقيــدة التوحيــد، حيث يعطي الإمــام المفترض (المهدي المنتظــر) أدوارا إلهية غــير بشــرية، ويرتفع به عن مقـام الإمامة الـتي هي الرئاسة والخلافـة، لينسب إليه إدارة الكـون وإمســاك الأرض، حيث يقــول في كتابه (الإمــام المهــدي قدوة الصديقين):" من يحفظ سكان الأرض من الــدمار والانهيــار والضـياع؟ إنه الإمـام الغـائب؛ الإمـام المهـدي المنتظر عجل الله فرجــه، فهو الإمــام لأهل الأرض، ولــولاه لســاخت الأرض بأهلهــا، ولتحول كل شيء إلى كثيب مهيـل. ولتعلم - أخي المســلم - قبل كل شــيء أن الإمــام الحجة المنتظر أقــرب إليك مما تظن، وهو عندك وأنت عنده".[28]

أما من هو الإمام المهدي؟ وهل ولد فعلا ويعيش في حالة من الغيبة؟ فان السيد المدرسي يقفز على هــذه الأســئلة المحرجــة، ويغطي على عجــزه بتضــخيم دور الإمــام المهــدي، والخلط بين فكرة وعد الله بانتصار الخير ووراثة عباد الله الصــالحين للأرض، وبين شخص محمد بن الحسن العسكري، فيقول: "الإيمان بوجود هــذا الإمــام العظيم والاهتمــام الجــدي بعقيــدة انتظــار ظهــوره، يعتبران من أهم وصايا الأنبيـاء لأممهم على مـرّ التـأريخ، حيث لم يبعث الله نبياً إلاّ وبيّن لـه أن خاتمة هذه الدنيا سـتكون الى خـير وســعادة وأن العاقبة للمتقين، وأن الأرض ســيورثها الله عبــاده الصـالحين، حيث سـيمكّن الله المستضـعفين في نهاية المطـاف.

---

27 - ص 155 و 158

28 - ص2

ولقد آمن جميع الأنبيــاء والمرســلين والأئمة والصــالحين بحقيقة ظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام في آخر الزمان". [29]

ومن هنا فان المدرسي يعتبر التشكيك بوجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسـكري) نوعا من الشـرك والنفـاق، فيقـول بغضب:"قتل الخرّاصون. لقد ابتلي المؤمنون خاصة، والمسلمون عموماً بأنصاف المثقفين الذين يصبون كل جهودهم للتـدخل فيما لا علم لهم بـه، وللتجـاوز على قدّسـية العلم والاختصـاص، وذلك لزعزعة موقع الإيمان والإسلام في القلـوب، سـواء علمـوا بتـأثير ما يخرّصون أم لم يعلموا. فكم من صحيفة وكتـاب وإذاعة وبـوق إعلامي يحـرض النـاس على الشك بالعقيـدة واليـأس من التغيـير والتغيّر، جاهلين بأن الشك واليـأس والتشـكيك والتيئيس ليس إلاّ شكلاً رهيباً من أشـكال الشـرك والنفـاق". ثم يلمح الى أحـاديث تلفزيونية عرضت فيها أسئلتي المشـروعة عن وجـود ابن الحسن العســكري، وأدلــتي على اختلاق هــذه الفرضــية الأســطورية، فيقول:" سمعنا وتسمعون أكـاذيب وافـتــراءات من يستهـــزئ - وبأعصـــاب بـــاردة لها ما يبررها من مصـــالح ودوافـــع، كالجهل والطمع والكفـــــر- من الحركـــــات الإســـــلامية والثقافة الدينية والمقدســات، فلا يكــون موقفنا منهم إلاّ التوجيه لهم أو الابتعــاد عنهم والاســتعاذة بالله القـــدير منهم فيما لو لم يثمر التوجيه أو ينفع النصح، لأنهم ليسـوا إلاّ موجـودات جهنّمية يحرقـون كل من يقترب أو يركن إليهم. فالحذر كل الحذر منهم، ذلك أنهم آمنوا ثم كفروا وأنهم لن يضروا المؤمنين الصادقين شيئاً". [30]

ولست أدري كيف يجرؤ على وصف حـديثي بالاسـتهزاء، وهو أبعد ما يكـون عنـه، وأقـرب الى الحـديث الجـاد الـذي يحـاول أن يشذب التراث الإسلامي من الخرافات والأساطير؟ ثم كيف يتهم من ينـاقش في قضـية يختلف فيها الشـيعة الزيدية والإسـماعيلية والفطحية مع الإثـــني عشـــرية، فضلا عن بقية المســلمين، كيف يتهمه بــالانطلاق من الطمع والكفــر؟ وكيف يصـــفه بـــالجهنمي والكفر وهو يشـهد ألا إله إلا الله وان محمـدا رسـول الله ويلـتزم بأركان الدين؟ وعلى أي أساس؟

إن المدرسي يحــاول أن يــؤول القــرآن الكــريم ويربط بين موضوعين، لا علاقة بينهما، مثل البحث عن وجود الإمام المهدي، والكفر بالعقيـدة الإسـلامية، فيقـول:"إن كـان البحث فيما يخص وجود وظهور الإمام الحجة عليه السلام، فليعلم الإنسان المـؤمن

---

[29] - ص4

[30] - ص 7

أن الله قد عـــاب في كتابه على من يكفر بالعقيـــدة الإســـلامية سيرته هذه فقال: (وَكَيْفَ تَكْفُـرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُـولُه) ..؟ بمعـنى أن الرسـول وإن مـات جسـداً، ولكنه حيٌّ يرزق بين أظهر المسلمين، وذلك عـبر خليفته ووصـيه الـذي هو القرآن الناطق، وهو الأمان لأهل الأرض، وهو الأمل التـاريخي للبشـــرية جمعـــاء، وهو الإمـــام الحجة بن الحسن المهـــدي عليه السلام".[31]

ولم يشرح لنا المدرسي كيف استخلص هذا المعـنى من تلك الآية الشريفة؟ وما هي العلاقة بين تلاوة آيات الله وولادة شخص بعد مائتين وخمسين سنة؟

استمرار الوحي بعد الرسول

ويذهب المدرسي بعيـدا ، وهو يحـاول الاسـتدلال على وجـود (الإمام المهدي) بصورة تعسفية، فيطـرح فكـرة خطـيرة مناقضة لخاتمية النـبي محمد (ص) وهي ضـرورة اسـتمرارية الـوحي الى يوم القيامة، فيقول:"إن الإنسان الذي يعتقد بـ(الـوحي) الـذي هو تجلٍ من تجليـات قـدرة الله تعـالى ورحمته بالإنسـان، لابد له أن يعتقد بالإمام الحجة عليه السلام، لأن الـذي ربط الأرض بالسـماء بفضل الوحي تأبى رحمته ، ويـأبى فضـله العميم على الإنسـان ، ويـأبى لطفه أن يـترك البشـرية دون رابط يربطها بالسـماء بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله. فالأرض ومنذ أن وُجد فيها الإنسان وحتى مبعث النـبي الأعظم صـلى الله عليه وآله لم تخلُ من حجّة إلهية، فكيف يترك الله جلّت أسماؤه، هذه الأرض من غير حجة، وهل كانت البشرية في السابق أقـرب إليه تعـالى لكي يبعث لها مائة وأربعـة وعشـرين ألف نـبي عـدا الأوصيـــاء وثم يتركنا بعد وفـاة النـبي محمد صـلى الله عليه وآله دون أن تكون له حجة عليهـا؟.. إنّ الإنسـان الـذي يعتقد بـالوحي لابد أن يؤمن أيضاً بامتـداد هـذا الـوحي المتمثل في الأئمة عليهم السلام ، وانّ هـذا الامتـداد يتجسـد، بل يرتفـع، وينمو حـتى يصل إلى قمتـــه، وإلى ذروة امتـــداد الرســـالة الإســـلامية المتمثلة في الإمـــام الحجة المنتظر عجل الله تعـــالى فرجه".[32] ويضـــيف:"إن هنـــاك ليلة القـــدر، حيث يتـــنزّل الـــروح من الســـماء مع الملائكة الآخرين ليعرضوا على إمام عصرنا صحيفة أعمـال كل واحد منـا. وإلى هذا المعنى يشير قولـه تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُـوا فَسَـيَرَى اللّـهُ

[31] - ص 7
[32] - ص 9

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون) " .[33] ويقـول:" إن الشـيعة يعتقـدون اعتقاداً راسخاً، ويؤمنون تمام الإيمان بوجود هذا الإنسان الغيــبي الإلهي الـذي يـنزل عليه الـروح الأعظم في ليلة القـدر الـتي هي خــير من ألف شــهر. والــروح الأعظم هــذا هو كيــان اعظم من الملائكة، ومن جبريل وميكال، ينزل على الحجة عليه السلام ".[34]
ويؤكد:" وليس هناك فوق هذا الكـوكب الـذي نحيا عليه ورغم ما تزدحم وتتصارع فيه آلاف الأديان والمذاهب، بالإضافة إلى الأفكار والمبادئ والنظريات والفلسـفات العديـدة المنتشـرة هنا وهنـاك؛ أقول ليس هناك دين أو مذهب أو مبدأ واحد يقول أن العلاقة بين الأرض والسماء، أو بعبارة أخرى؛ بين الإنســان وخالقه هي علاقة مسـتمرة كما هي عقيـدة الشـيعة، فنحن نـؤمن باسـتمرار ودوام هذه العلاقة بين الإنسان وبارئه، ولا نرى انقطاعها كما هو الحــال لدى اتباع المذاهب الإسلامية الأخرى ، حيث يقولون إنها انقطعت بوفاة النبي صـلى الله عليه وآله وانقطـاع الـوحي ، ولا يعـترفون بوجود إنسان يحـيى على هـذه الأرض ذي صـلة بالله سـبحانه، إلا أنه ليس بنبيّ".[35]

اعتقد بقوة أن السـيد المدرسي يخطي كثـيرا في نسـبة هـذه الفكرة للشيعة والتشـيع، وإنما هي فكـرة من بنـات أفكـار الغلاة المنحــرفين عن أهل الــبيت، وانها تشــبه قــول الفرقة الضــالة والمكفرة "الأحمديـة" الـتي تعتقد باسـتمرار الـوحي على أئمتها وشــيوخها. ولست أدري كيف يقــول المدرسي بهــذه الفكــرة الشيطانية الجهنمية المناقضة لصريح القـرآن:" ما كـان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين..". الأحــزاب 40 وهو الذي يدعي الاجتهاد والعناية بالقرآن؟

وفي الحقيقة انه لم يكن بحاجة الى الوقوع في هذا المنزلق الخطير، ولكنه كان كالغريق يتشـبث بكل قشــة، ومع ذلك فانه لا يسـتطيع أن يسـتدل بهـذه الفكـرة على ولادة ووجـود (محمد بن الحسن العســـكري) لأنه بحاجة الى أن يثبت ولادته أولا حـــتى يطبق عليه تلك الفكرة، وليس بالعكس، تماما كما كان الإماميون الإثنا عشريون بحاجة الى إثبات وجوده وولادتـه، حـتى يجـوز لهم بناء نظريتهم على أساسه.

وكلما يشـعر المدرسي بتهـافت منطقه واسـتدلاله، يرفع من درجة تهويله، ليغطي على عجزه، فيقـول:" إن الإيمـان بالمهـدي

---

33 - ص 10
34 - ص16
35 - ص15

عجل الله فرجه كامل مكمل للمنظومة الإماميـــــــــة، فكما أن الطـائرة لا يمكنها التحليق في الجو إذا أصـابها عطب أو خلل في أحد جناحيها أو أجهزتها العديــدة الــتي تكــون بمجموعها وحــدة واحــدة لا يمكن الاســتغناء عن إحــداها أو إلغائهــا، وكما أن الــذي يــؤمن بالزكــاة والحج والخمس ولكنه لا يــؤمن بالصــلاة وينكرها يعتبر كافراً وليس مسـلماً لأنه يفتقد جـزءاً رئيسـياً من منظومة الإيمان **.. كـذلك الـذي لا يـؤمن بالإمـام الحجة عجل الله فرجه فهو لديه مشـكلة رئيسـية وخلل عميق في ركن أساس من الإيمان** ".

ويقوم بمهاجمة الباحثين عن أدلة وجـود الإمـام الثـاني عشـر، فيقــول:"إن أولئك الــذين يختصــمون في مصــداقية إمامة الحجة المنتظر ووجـــوده وغيبته ســـلام الله عليـــه، بعيـــدون عن معرفة حكمة الوجود ولماذا خلق الله سبحانه الكون". دون أن يشرح لنا بالطبع ما هي العلاقة بين الاثنين.

إن المدرسي هنا يعــبر عن أزمته الفكرية بوضــوح، فهو قد اصطنع له نظرية باطلة وهي ضـرورة اسـتمرار الـوحي الى يـوم القيامـــة، ثم ذهب يبحث عن ذلك المصـــداق الخـــارجي لمتلقي الــوحي، ولم يكن يملك أي دليل على وجـــوده، ولكنه لا يريد أن يعـترف بخطأ نظرياتــه، فيحــاول افـتراض وجـود ذلك الشـخص بصورة تعسفية، ولما كـان منطقه ضـعيفا، فانه يحـاول أن يغلفه بستار من النيران الموجهة ضد كل بـاحث موضـوعي أو متسـائل بريء.

ولنشاهده مرة أخـرى وهو يتخبط في أزمته الى درجة إنكـار ضروري من ضروريات الدين، يقول:" هل من المعقـول أن يخلق الله الخلق من أجل مجموعة من الأشـــــخاص - وهو النـــــبي وأوصـــياؤه من بعـــده- ثم يعمد الله أن يخلي الأرض منهم، حيث تبقى الدنيا دون أن تبقى الحكمة من خلقهـا؛ الحكمة الـتي تعـني وجود النبي أو من ينـوب عنه بـالنص المباشـر؟ بالتأكيد ليس من المعقول أبداً أن يحدث كلّ هذا".

وهكذا يصبح الجواب جـاهزا لديه هنا حتمـا، وليس بحاجة بعد ذلك الى دليــل:"أقــول: إننا وبالاســتناد الى الروايــات المؤكــدة الصادرة عن النبي والأئمة من بعده، فـإنّ الإمـام الثـاني عشر قد ولد فعلاً ".

وليس مهما بعد ذلك ما هي قيمة تلك الروايات العلمية؟ ومدى دلالتهـا؟ وفيما إذا كـانت ثمة أدلة تاريخية معتـبرة وشـرعية على ولادته؟.

دليل الغيب

وبما أن المدرسي لا يزال يشعر بضعف منطقه، فانه يحاول أن يسنده بنظرية أخرى فريـدة، هي دليل (الغيب) فيقـول:"إن أبـرز وأهم غيب في حياتنا، هو الإيمان بوجـود وظهـور وانتصـار الإمـام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشـــريف" .. وبنـــاء على ذلك يــرفض المدرسي الاعتمــاد في الإيمــان بالمهــدي المنتظر على أســاس الرؤيــة. ويضـيف: "يقـول البعض: أؤمن بالإمـام الحجــة، ويسأل: من رأى الحجة ؟ ويجيبه رفيقه : لقد رآه بعضهم وقصــته كــذا وكــذا. فهو يــؤمن بالإمــام المنتظر لأن أحــدهم قد رآه في اليقظة أو في المنام، ولو كان لم يُـرَ عليه السـلام في اليقظة أو في المنام لأصـبح لا وجـود له !!..إن الاعتمـاد على النقل الموثّق أمر صحيح، ولكنه يعبّر عن إيمانٍ جاهل ونـاقص ؛ جاهل من حيث أنه لم يصدر عن ذات عالمة بــذاتها ، ونـاقص بالمقارنة مع ما هو كامل. إن الإيمان الكامل والواعي والقــوي هو الإيمـان المتنـامي من خلال دراسة القـــرآن وجـــوهره وروحـــه، ومن خلال دراسة الأحاديث النبوية الشريفة التي خرجت عن مصدر الحق والصــدق الذي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، **من خلال ذلك يؤمن الإنســان إيمانــاً أساســياً بحقــائق الغيب، لا من خلال رؤية أحد الناس**.

إن الإيمان بالحقـائق الغيبية ينبغي أن يكـون تسـليماً للأوامر الدينية؛ بمعنى أن هذين الأمرين ينبغي أن يكون الإيمـان بهما من البــديهيات في عقيــدة الإنســان المسـلم ، وذلك قبل البحث عن الاستدلال أو الكشف عن أسبابهما ونتائجهما المادية.

ثم إن من دون الاعتماد على الله والنصوص التي أوردها في قرآنه الحكيم وعلى لســان رسـوله الكــريم صــلى الله عليه وآله يكون دين الإنسان المسلم أمراً معلّقاً على معرفة الأسباب قبل التأدية.

إن الإمام الصادق عليه السـلام يقـول : "نحن - الأئمة - صُـبّرٌ، وشــيعتنا أصــبر منّــا" قلت (الــراوي): جعلت فــداك كيف صــار شـيعتكم أصـبر منكم؟ قــال: "لأنا نصـبر على ما نعلم، وشـيعتنا يصـبرون على مــالا يعلمــون". إذن؛ فالقضـية تكمن في ضــرورة الارتفاع الى مستوى الإيمـان بـالغيب وما يتطلبه ، وليس الاتجـاه نحو تجيير الحقائق الإيمانية لصالح المــذاقات النفسـية والمادية ، **وإنما يتم ذلك عبر تعويد الذات على عــدم الاكتفــاء بما تشاهده العينان وتحسّــه الحــواس**. بل لابد من الإيمــان بما

يشـهد عليه القلب والعقـل، وما يطمئن إليه الضـمير، وينصّ عليه الكتاب والرسول.
وبالغ الأسف أقول: إن بعض الناس من المسلمين أصبح لا يؤمن بحكم شرعي حتى يعرف سـببه أو يفسر له العلمـاء ذلـك، وهـذا يعتـبر تجـاوزاً صـارخاً على حقيقة القـرآن والأحكـام الشـرعية القائلة بضرورة الإيمان بالغيب والتسـليم بـإخلاص الى أوامر الله ونواهيه ، لاسـيما وأنّ الآيـات القرآنية الكريمة الـتي تلوتها على مسامعكم في مقدمة الحديث تشـير بكل وضـوح إلى أن الإيمـان بالغيب أمر متقدم على إقامة الصلاة - وهي عمود الـدين - وعلى الإنفاق في سبيل الله تعالى ذكره.
وهكـذا من كـان يشك في وجـود أو ظهـور أو انتصـار الإمـام المهــدي عجل الله فرجه الشــريف فالمشــكلة فيه هو لا غـــير. فالأدلة كثيرة للغاية **، ولكنه هو بذاته أصبح - لضعف إيمانه - لا يؤمن بالشيء دون أن تراه عيناه"** . [36]

العودة الى نقطة الصفر.. الى الشورى

والطريف ان السـيد محمد تقي المدرسـي، بعد كل هـذا الجهد المضـني في محاولة "الاسـتدلال" على ضـرورة وجـود (الإمـام المهـدي) واسـتمرار الخيط الرابط بين الأرض والسـماء، يعـود فيلتفت حواليه فلا يجد أثرا مما يقول، فيعود أدراجه خائبـا، لينظِّر لولاية الفقيه، والنظام الديموقراطي كبديل عن (الإمـام المهـدي الغائب) فيقـول:"إنّه قد اضـطرّ الى الغيبة القسـرية مـرّتين، وإنّه قد أنـــاب عنه في غيبته الأولى أربعـــةً من الـــوكلاء، إلا أنه أطلق الأمر في غيبته الكــبرى الى العلمــاء بالــدين... لقيــادة النــاس باعتبارهم وكلاءه العامّين في إفتاء الناس وقيـادتهم نحــو ما يريد الله لهم من خــير وينهــاهم عنه من شر...   وهكــذا كــان جميع النـــاس مـــدعوّين الى البحث عن قائد يتبعونـــه، وهـــذا ما يمكن تسـميته بالنظــام المـرجعي، حيث يسـعى كـلّ إنسـان بـالغ غـير مجتهد في الأحكـام الى تقليد مرجع من المراجع".
ومع انه استنكر فيما سبق التمسك بآية الشورى، إلا انه عاد فقال:"يعتبر مبدأ الشـورى في الإسـلام أصـلاً أصـيلاً في النظـام الديني، فـإذا كنا فيما مضى من الزمـان نختـار أئمتنا المراجع عن طريق الانتخاب العفوي، فإنّ عصرنا الـراهن يؤكد الحاجة الماسة إلى استبدال تلكم الطريقة بطريقة أخرى، وعبر صناديق الاقتراع مثلاً". وأضاف:"إن طاعة ولي الأمر تعني طاعة الإمام المعصوم،

---
[36] - ص17

وهو في عصرنا الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، وطاعة الإمام الحجة تعني طاعة الرسول الـتي تعـني بـدورها طاعة الله سبحانه".[37]

ولم يتوقف المدرسي هنا ليسـأل نفسه عن الفائـدة العملية لافتراض وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) وعن معنى الارتباط به عبر المراجع مع السـماء؟ وما ذا يحـدث لو قلنا مباشرة أن العلمـاء هم أوصـياء النـبي وأن طـاعتهم تعـني طاعة الرسول، وأننا يجب أن ننتخبهم بواسـطة الشـورى عـبر صـناديق الاقـتراع؟ وما هو الفـرق بعد كل ذلك مع من لا يـؤمن بنظرية الإمامة من الأساس؟

وفي الحقيقة ان السيد المدرسي يتهرب من التوقف عند كثير من الأسـئلة والإجابة عليهـا، ومما لا يتوقف عنـده، هو الموقف الإمامي القديم الملازم والمتفرع عن القول بوجود الإمـام الثـاني عشـر، وهو موقف التقية والانتظـار السـلبي، وحرمة إقامة الحكومة الإسـلامية في عصر الغيبـة، وذلك لاشـتراط العصـمة والنص في الإمام، حسب نظرية الإمامة الإلهية. وان هذا الموقف قد أدى الى خـروج الشـيعة من مسـرح التـاريخ قرونا طويلة من الـزمن، وان القـول بتـولي المراجع لقيـادة الأمـة، حسب نظرية النيابة العامة أو نظرية ولاية الفقيـه، هو قـول جديد منـاقض لنظرية الإمامة، وتخـلٍ عن اشـتراط العصـمة والنص في الإمـام، مما يعني أن الامامية داروا دورة تاريخية طويلة وعادوا الى نقطة الصفر، وهي القـول بعـدم وجـود إمـام ظـاهر معصـوم منصـوص عليه من قبل الله في هذا العصر. وان عليهم أن يبحثوا عن إمـام عالم عادل يحل محل المعصوم ويقوم بمسؤولياته تجاههم. وهـذا ما قال به كثـير من أهل السـنة، وكثـير من الشـيعة الأولين. وهو الذي ينسجم مع روح القرآن الكريم والعقل السليم.

4 - مع "الكـاتب السيسـتاني" في كتابـه: (المهـدي المنتظر في الفكر الإسلامي):

منهج القياس والتأويل والاستدلال الافتراضي

من بين الرسائل الكثيرة التي أرسلتها الى العلمـاء والمراجع والمفكـرين الشـيعة، لمناقشة كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) وإعادة النظر في موضوع

---

[37] - ص 20

"وجود" الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) وجهت إحدى الرسائل الى المرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني، ولم أستلم منه ردا مباشرا، ولكن مؤسساته العلمية نشرت عددا من الكتب حول الموضوع، ومن بينها كتاب بقلم مجهول، وهذا ما يقلل من قيمة الكتـــاب العلميـــة، ولكنه يحمل توقيع (مؤسسة الرسالة) التابعة لمرجعية السيستاني، ولست أدري فيما إذا كـان الكتاب بقلم السيسـتاني، أو أن السيسـتاني نفسه قد اطلع عليه أو وافق على نشـره. ولكـني سأصـطلح على مؤلفه بـ: "الكـاتب السيستاني" نسبة الى المرجع السيستاني.

وعنـوان الكتـاب هـو: (المهـدي المنتظر في الفكر الإسـلامي)ـ صدر في محرم الحرام 1417 هـ [38]

ومع ان الكتاب صدر عن مؤسسة علمية تعـنى بشـؤون الفكر والـتراث والعقائد الدينية الإسـلامية، وتهتم بنشر فكر أهل الـبيت عليهم السـلام، وتتبع إحـدى أكـبر المرجعيـات الشـيعية، وهي مؤسسة الرسالة التابعة لمؤسسة رافـد، إلا ان الكتـاب لم يقـدم جديدا في بحث موضوع (الإمـام المهـدي) وانما كـرر أو لخص ما كتب قبل ألف عـام، لـدى تأسـيس المـذهب الاثـني عشـري في القـرن الرابع الهجـري، من قبل "مشـايخ الطائفـة": الصـدوق والمفيد والمرتضى والطوســــي، من دون أي نقد أو مراجعة أو إعادة اجتهاد فيه، وقد اعتمد الكتاب المناهج المعروفة في عملية "إثبات" وجود الإمام الثاني عشر، وهي:

1 – الاستدلال الغيبي

وهو اعتبار موضوع (الإمام المهدي) من الغيب، الذي لا يجوز السـؤال عن حقيقته ولا حكمتـه، وتسـليم الأمر حوله الى اللـه. فقـال (الكـاتب السيسـتاني):"الإيمـان بـالغيب جـزءٌ من عقيـدة المسلم إذ تكررت الدعوة قرآناً وسـنّةً...وهـذا الإيمـان بـالغيب لا تصـحُّ عقيـدة المسـلم بإنكـاره سـواء تعقَّله وأدرك أسـراره وتفصـيلاته أم لم يسـتطع الى ذلك سـبيلاً، كما هو الأمر مثلاً بالنسـبة الى الإيمـان بالملائكة وبـالجنّ وبعـذاب القـبر، وسـؤال الملكين في القبر، الى غير ذلك من المغيبات التي ذكرها القرآن

---

[38] - كتاب المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي. المؤلف والناشر: مركز الرسالة للدراسات والبحوث.
http://www.rafed.net/books/aqaed/mahde/mahde1.html#1
العنوان: إيران ـ قم ، بداية شارع سمية ، ص. ب 737 / 73185
الهاتف: 7732013 251 0098 ، الفاكس 7730020 251 0098
البريد الإلكتروني resala@rafed.net

أو أخــبر بها نبينا محمد صــلى الله عليه وآله وســلم ونقلها إلينا الثقـاة العـدول المؤتمنـون، ومن جملة ذلك بل من أهمها قضـية الإمام المهدي الذي سيظهر في آخر الزمـان ليملأ الأرض قسـطاً وعـــدلاً بعد أن مُلئت ظلمـــاً وجـــوراً ، فالمهـــدي قد نطقت به الصحاح والمسانيد والسنن فلا يسعُ مسلماً إنكاره، لكثرة الطرق ووثاقة الرواة ودلائل التاريخ والمشاهدة الثابتة لشخصه كما حقق في محلّه من هذا البحث".[39]

ويـردف الكـاتب ذلك بـالقول:"إنّ نظـرة واحـدة في أحـاديث المهـدي الـواردة في كتب المسـلمين تكفي للجـزم بتواترها عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم من دون أدنى تـردّد...ولا يخفى أنّ القدر المشترك في جميع هذه الطـرق إلى حـديث أبي سـعيد الخدري فقط دون سواه هو ظهـور الإمـام المهـدي عليه السـلام في آخر الزمــان". ويعــترف الكــاتب "بوجــود الاختلاف في تلك الروايات التي تبدو متضاربة بعضـها ببعض، حـول نسب المهـدي، الى درجة التنـــاقض والتضـــاد، مما يشـــكل معوقا لتحديد هوية المهدي، بحيث يصعب على كثير من الناس ـ لاسيما أولئك الـذين ليسوا على اتصال مباشر بعلوم الحديث الشريف ـ معالجتها، مما يُسـهّل ــ إلى حد بعيد ــ وقـوع ضـعيف الإيمـان منهم في شـراك اللامهدويين سواء كانوا من المتسـمّين بالإسـلام أو من المعلـنين العداء لهذا الدين".

2- منهج القياس

ولكي يثبت (الكاتب السيستاني) صـحة نظرية خـروج المهـدي في المسـتقبل، اسـتعان بمنهج القيـاس على عقائد سـائر الأمم والشـعوب الإسـلامية وغـير الإسـلامية، فقـال:" إنّ فكـرة ظهـور المنقذ العظيم الــذي سينشر العــدل والرخــاء بظهــوره في آخر الزمان، ويقضي على الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم، ويحقق العدل والمساواة في دولته الكريمـة، فكـرة آمن بها أهل الأديـان الثلاثة، واعتنقتها معظم الشـعوب. فقد آمن اليهـود بهـا، كما آمن النصـارى بعـودة عيسى عليه السـلام، وصـدّق بها الزرادشـتيون بانتظارهم عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحبـاش بـترقّبهم عــودة ملكهم تيــودور كمهــديٍّ في آخر الزمــان، وكــذلك الهنــود اعتقــدوا بعــودة فيشــنو، ومثلهم المجــوس إزاء ما يعتقدونه من حيـاة أوشـيدر. وهكـذا نجد البـوذيين ينتظـرون ظهـور بـوذا، كما ينتظر الأسبان ملكهم روذريق، والمغول قائـدهم جنگيزخـان. وقد

---

39 - ص 162

وجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وجد في القـديم من كتب الصينيين.وإلى جانب هـذا نجد التصـريح من عبـاقرة الغـرب وفلاسفته بـأنَّ العـالم في انتظـار المصـلح العظيم الـذي سـيأخذ بزمام الأمور ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحـد، منهم: الفيلسوف الانجلـيزي الشـهير برتراند راسـل، والعلاّمة آينشـتاين صــاحب (النظرية النســبية)، والفيلســوف الانجلــيزي الشــهير برناردشو حيث بشّــــر بمجيء المصــــلح في كتابه (الإنســــان والسوبرمان)".

وينتقل (الكاتب السيستاني) الى دليل آخر، هو:

3- منهج التأويل

فيقول: ان "استجلاء هذه العقيـدة من الآيـات المباركة منـوط بمن يفهم القــرآن حق فهمــه، ولاشك بــأنّ أهل الــبيت عليهم السلام هم عـدل القـرآن بنصّ حـديث الثقلين المتـواتر عند جميع المسـلمين، وعليه فـإنّ ما ثبت تفسـيره عنهم عليهم السـلام من الآيات بالمهدي لابد من الإذعان إليه والتصديق به.

وفي هذا الصدد قد وقفنا على الكثـير من أحـاديث أهل الـبيت عليهم السلام المفسرة لعدد من الآيات المباركة بالإمام المهدي. فمنها:"يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبى اللهُ إلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُون". و "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَـرِهَ المُشْـرِكُونَ". و"وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإسلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهْوُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ".

4- منهج الاستدلال الافتراضي

وهو ما يعبر عنه بالاستدلال الفلسفي (أو الاعتباري أو العقلي) الذي يعتمد على مجموعة أحاديث تشكل فلسفة الإمامة الإلهيــة، وتحتم وجــــود "الإمــــام المعصـــــوم" دائما في الأرض، مثل حديث:"إني تارك فيكم الثقلين، وانهما لن يفترقا حتى يــردا عليَّ الحوض" الذي يستفيد منه الامـاميون: "ضـرورة اسـتمرار وجـود إمام من العـترة في كل عصر كاسـتمرار وجـود القـرآن الكـريم" كما يقول (الكاتب السيستاني) الذي يـرى فيـه:" إشـارة واضـحة إلى عــدم انقطــاع متأهل من أهل الــبيت للتمسك به إلى يــوم القيامــة، كما أنّ الكتــاب العزيز كـذلك، ولهـذا كـانوا أمانا لأهل الأرض، ويشهد لـذلك الخـبر:في كـلِّ خَلَـفٍ من أُمـتي عـدول من أهل بيتي". إضافة الى حديث :"من مـات ولم يعـرف إمـام زمانه

مات ميتة جاهليـة". مما يـدل في نظر السيسـتاني:" على وجـود إمـام حق في كل عصر وجيـل، وهـذا لا يتم إلاّ مع القـول بوجـود الإمـام المهـدي الـذي هو حق ومن ولد فاطمة عليها السـلام كما تقــدم". "ومما يؤيــده:حــديث: "إنَّ الأرض لا تخلو من قــائم لله بحجــة" وعــدم خلو الأرض من قــائم لله بحجة لا يتم مع **فــرض** عدم ولادة الإمام المهدي عليه السلام". وكذلك أحاديث :"الخلفاء اثنا عشر"**.**

ورغم ان هذا الدليل يعتمد على أحاديث نقلية، وتأويلات معينة، إلا انهم يسمونه دليلا عقليا، لأنه ينطلق من نظرية الإمامـة، الـتي تبنى على تلك الأحاديث. ومع ان تلك الأحاديث لا تـدل بالضـرورة على ولادة ولد للإمام العسكري، إلا انهم يتوصـلون الى ذلك عـبر مجموعة أخرى من المقـالات مثل ضـرورة اسـتمرار الإمامة في أهل البيت بصـورة عموديـة، أي في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب، وعـــــــدم جـــــــواز انتقالها الى أخ أو عم، أو ابن أخ أو ابن عم، والاعتراف بوفاة الإمام العسكري وعـدم رجعته الى الحيـاة مـرة أخــرى، وما الى ذلك من المقــالات الــتي تفــرد بها الامامية الاثنا عشري، وهو ما يؤدي بهم الى ضرورة افتراض وجـود ولد للإمـام العسكري، حتى مع عدم وجـود أي دليل حسي أو تـاريخي عليـه، وهذا ما يؤكد عليه (الكاتب السيستاني) حيث يقول:

- "لسنا بحاجة إلى ما يبين ولادة الإمـام المهـدي ويثبتها تاريخيـاً بعد أن عرفنا اتفاق كلمة المسلمين على أنّه من أهل البيت، وأنّ ظهوره يكـون في آخر الزمـان، وعرفنا أيضـاً النتيجة الـتي انتهى إليها البحث في طوائف نسب الإمـام المهـدي، وهي أنّه لا مجـال للشك في كون المهدي الإمـام الثـاني عشر من أئمة أهل الـبيت عليهم السـلام، وهو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحســين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وانه حسيني الأب حسني الأم من جهة فاطمة بنت الحسن السـبط أم الإمـام البـاقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.

وهذا يعني **إنّ البحث عن ولادة الإمام المهدي وبيـان ثبوتها شرعاً بحث غير طبيعي** لـولا وجـود بعض الملابسـات التاريخية حــول ولادته عليه السـلام، كادعــاء عمّه جعفر الكـذّاب بعدم وجود خلـفٍ لأخيه العسـكري عليه السـلام، وقيـام السـلطة الحاكمة بتسـليم تركة الإمــام العســكري بعد وفاته لأخيه جعفر الكـذاب أخـذاً بادعائه الباطل فيما رواه علمـاء الشـيعة الإمامية الاثـني عشـرية أنفسـهم ولم يـروه غـيرهم قط إلاّ من طـرقهم، وفي هـذا وحـده كفاية للمنصف المتـدبر، إذ كيف يـروي الشـيعة

أمــراً ويعتقــدون بخلافه لو لم يثبت لهم زيف هــذا الأمر وبطلانه ؟!".[40]

5- منهج الاستدلال التاريخي

وبعد نفي الحاجة للاستدلال التاريخي على ولادة ابن الحسن العسكري، يعود (الكاتب السيستاني) الى استخدام ما تــوفر من "معلومات" تاريخية، فيقول:"إنَّ ولادة أي إنسان في هذا الوجــود تثبت **بــإقرار أبيه، وشــهادة القابلة**، وان لم يــره أحد قط غيرهمـــا، فكيف لو **شـــهد المئـــات برؤيته، واعـــترف المؤرخون** بولادته **وصرح علمـاء الأنسـاب بنسـبه، وظهر على يديه ما عرفه** المقربـــون اليـــه، وصـــدرت منه وصـــايا وتعليمــات، ونصــائح وإرشــادات، ورســائل وتوجيهــات، وأدعية وصــلوات، وأقــوال مشــهورة، وكلمــات مــأثورة وكــان وكلاؤه معروفين، وسفراؤه معلومين، **وأنصاره في كل عصر وجيل بالملايين**.[41]

ثم ينقل (الكـاتب السيسـتاني) مجموعة روايـات عن "إخبـار الإمام العسكري بولادة ابنه المهدي عليهما السلام" مثل " **الخبر الصحيح** عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن إســحاق، عن أبي هاشم الجعفري قال: «قلتُ لأبي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك فتأذن لي أن أسألك ؟ فقـال: سـلْ، قلتُ: يا سيدي هل لك ولد ؟ فقال: نعم، فقلتُ: فإنْ حدث بك حدث فأين اسأل عنه ؟ قال: بالمدينة. والخبر **الصحيح** عن علي بن محمــد، عن محمد بن علي بن بلال قـــال: خـــرج إليَّ من أبي محمد قبل مضيه بسـنتين يخـبرني بـالخلف من بعـده، ثم خـرج إليَّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده". ويقول:"المـراد بعلي بن محمد هو الثقة الأديب الفاضل ابن بنـــدار، وأما عن محمد بن علي بن بلال فانه من **الوثاقة والجلالة أشهر من نــارٍ على علم** بحيث كـــان يراجعه من مثل أبي القاسم الحســين بن روح رضي الله عنه، كما هو معلوم عند أهل الرجال".

ويضيف الى ذلك "شـهادة القابلة بـولادة الإمـام المهـدي عليه السلام. وهي السيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمــام الجــواد وأخت الإمام الهادي وعمة الإمام العسـكري عليهم السـلام. وهي التي تولّت أمر نرجس أم الإمام المهدي عليه السـلام في سـاعة الـــولادة، وصـــرحت بمشـــاهدة الإمـــام الحجة بعد مولـــده، وقد

[40] - ص 105

[41] - ص 107

ساعدتها بعض النسوة في عملية الولادة، منهن جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام العسكري عليه السلام فيما صرح بذلك الثقة محمد بن يحيى، ومارية، ونسيم خادمة الإمام العسكري عليه السلام ". ويعقب على ذلك قائلا:" **لا يخفى ان ولادات المسلمين لا يطلع عليها غير النساء القوابل، ومن ينكر هذا فعليه ان يثبت لنا مشاهدة غيرهن لأُمّه في مولده !".**

ثم يقول:"هذا وقد أجرى الإمام العسكري عليه السلام السُنّة الشّريفة بعد ولادة المهدي عليه السلام فعقَّ عنه بعقيقة كما يفعل الملتزمون بالسُنّة حينما يرزقهم الله من فضله مولوداً".

ويؤكد:"شهد برؤية الإمام المهدي في حياة أبيه العسكري عليهما السلام وبإذن منه عدد من أصحاب العسكري وأبيه الهادي عليهما السلام، كما شهد آخرون منهم ومن غيرهم برؤية الإمام المهدي بعد وفاة أبيه العسكري عليهما السلام وذلك في غيبته الصغرى التي ابتدأت من سنة (260 هـ) إلى سنة (329 هـ)، **ولكثرة من شهد على نفسه بذلك** سوف نقتصر على ما ذكره المشايخ المتقدمون وهم: الكليني والصدوق والشيخ المفيد والشيخ الطوسي. فمن تلك الروايات:ما رواه الكليني في أصول الكافي **بسند صحيح**: عن العمري...[42]

ثم يقول:" ولا يخفى إن مقام السّمري مقام أبي القاسم الحسين بن روح في الوكالة عن الإمام تتطلب رؤيته في كل أمر يحتاج اليه فيه، ومن هنا **تواتر** ما خرج على يد السفراء الأربعة الذين ذكرناهم في هذه الروايات من وصايا وإرشادات وأوامر وكلمات الإمام المهدي عليه السلام .وهناك روايات أخرى كثيرة صريحة برؤية السفراء الأربعة كلٌّ في زمان وكالته للإمام المهدي ... ولقد ذكر الصدوق من وقف على معجزات الإمام المهدي ورآه من الوكلاء وغيرهم مع تسمية بلدانهم وقد أشرنا إلى بعضهم، **وقد بلغوا من الكثرة حدّاً يمتنع معه اتفاقهم على الكذب** لاسيما وهم من بلدان شتى". [43]

ويواصل حديثه فيقول:" كما شاهد الإمام المهدي عليه السلام من كان يخدم أباه العسكري عليه السلام في داره مع بعض الجواري والإماء، كطريف الخادم أبي نصر، وخادمة إبراهيم بن عبدة النيسابوري التي شاهدت مع سيدها الإمام المهدي عليه السلام ، وأبي الأديان الخادم، وأبي غانم الخادم وشهد بذلك أيضاً: عقيد الخادم، والعجوز الخادمة، وجارية أبي علي الخيزراني

42 - ص109

43 - ض 115

التي أهـداها إلى الإمـام العسـكري عليه السـلام ، ومن الجـواري اللّواتي شهدن برؤية الإمام المهدي عليه السلام: نسيم، ومارية".

ثم يقول:"كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام **حريصاً على أن لا ينتشر خــبر ولادة المهــدي** إلاّ بين الخلّص من شيعته ومواليه عليه السلام، مع أخذ التدابير اللازمة والاحتياطات الكافية لصيانة قادة التشيع من الاختلاف بعد وفاته عليه السـلام، إذ أوقفهم بنفسه على المهدي الموعود مـرات عديـدة **وأمرهم بكتمان أمره"**. [44]

6 – الاعتماد على علماء الأنساب

وكجـزء من الاسـتدلال التـاريخي على ولادة (الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العســكري)، يقــوم (الكــاتب السيســتاني) بالاستشـهاد بعلمـاء الأنسـاب في القـرون اللاحقة ، مثل النسـابة أبي نصر ســهل بن عبد الله بن داود بن ســليمان البخــاري من أعلام القـرن الرابع الهجـري، الـذي كـان حيـاً سـنة (341 هــ)، والسـيد العمـري (من أعلام القـرن الخـامس الهجـري) والفخر الرازي الشافعي (ت 606 هـ)، والمروزي الازورقاني (تـوفي بعد سنة 614 هـ) وجمـال الـدين أحمد بن علي الحسـيني المعـروف بـابن عِنَبَه (ت 828 هــ) وأبو الحسن محمد الحسـيني اليمـاني الصــنعاني (من أعيــان القــرن الحــادي عشــر)، ومحمد أمين السويدي (ت 1246 هـ) والنسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري.

7 – منهج الاستشهاد بالخصوم

وأخـيرا يتبع (الكـاتب السيسـتاني) منهج الاسـتدلال بـأقوال الخصوم واعترافـاتهم، فيقـول:" هنـاك اعترافـات ضـافية سـجلها الكثـير من أهل السـنة بـأقلامهم بـولادة الإمــام المهــدي عليه السلام، وهناك اعترافات أخرى من علمـاء أهل السـنة بخصـوص كون المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمـان انما هو محمد بن الحسن العسـكري عليهما السـلام الإمـام الثـاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام".[45]

ولا ينسى (الكاتب السيستاني) في الختام، انتقاد أعـداء الله وأعداء الإسلام الذين "حاولوا على مرّ التاريخ أن يُضعفوا العقيدة بالمهدي، وأن يُسخّروا الأقلام المـأجورة للتشـكيك بهـا، كما كـان

---

[44] - ص 119

[45] - ص 120

الشأن دائماً في خلق وإيجـاد الفـرق والتيـارات الضـالّة والهدّامة لاحتواء المسلمين، وصـرفهم عن التمسّـك بعقائـدهم الصـحيحة، والـــترويج للاعتقـــادات الفاســـدة مثلما حصل في نحلة البابية والبهائية والقاديانية والوهابية".[46]

ثم يقول:"إنّ مما تسعى إليه بُـؤَر النفـاق وبشـكل دؤوب هو بحثها الحثيث بين صـفوف المسـلمين، لعلها تجد فيهم من تتلقفه وتحوطه برعايتهـا، وتمنحه الألقـاب العلمية الكاذبة الـتي يَشْـرَه إليها؛ لكي تتخذه مطيّة لأغراضـها وبوقـاً لـدعاياتها عـبر المجلات والمؤتمرات التي تندد بالإسلام وأصوله الشامخة، ولن تجد بغيتها إلاّ فيمن انحرف عن المحجة البيضـاء، ورمى بنفسه كالطفل في أحضان مربية حمقـاء تسخّره لكل لعبة قـذرة، كما نلحظه اليـوم في تقريب سلمان رشـدي و من على شـاكلته، على أمل أن تجد سمومهم طريقها إلى كل جسد مسلم ضعيف".[47]

وهذا مما يقتضي بالطبع أن يكون ما يبثه (الكاتب السيستاني) ومن هم على شـــاكلته، ليس ســـوى الرحيق المختـــوم، أو المن والسلوى التي أنزلها الله على قوم موسى (عليه السلام). وكأن من يحاول إعادة النظر والاجتهاد في موضوع دعوى ولادة الإمــام الثاني عشر، قبل أكـثر من أحد عشر قرنـا، واسـتمرار حياته الى اليـوم، ليس مسـلما، ولا ينطلق من الحـرص على الإسـلام فضلا عن حب أهل البيت، وانما يحاول أن يشكل له فرقة جديدة ضالة ضد الإسلام والمسلمين. ولم يصـرح (الكـاتب السيسـتاني) باسم أحد حـــــتى يعطي لنفسه الحرية الكاملة بتوجيه ما يشــــاء من السباب والشتائم والتهم والافتراءات دون أن يطالبه أحد بتقــديم الدليل.

ولا أقول ان هذا أسلوب بعيد عن منطق العلماء، وانما هو بعيد أيضا عن منطق المتشرعة، ونوع من الإرهاب الفكـري والإعلامي الذي يحاول منع أي أحد من إثارة الموضـوع. وعلى أي حـال فانه لم ينفـرد بـه، وانما سـبقه اليه آخـرون ، ولحقه آخـرون، وسـوف يلجأ الى هذا الأسلوب آخرون، وخاصة عندما يعجزون عن تقــديم الأجوبة الشــافية الكافية وإســكات الأســئلة الــتي تكشف زيف أساطيرهم.

ولست أدري في الحقيقة من أين أبدأ في الرد على (الكاتب السيستاني) ولكني أربأ بمؤسسة تدعي الانتماء الى العلم والدين والاجتهاد، أن تقـدم دفاعا ضـعيفا الى هـذه الدرجـة، مثل ما فعل أخونا (الكاتب السيستاني). وكنت أفترض بمؤسسة علمية تنتمي

---

[46] - ص178

[47] - ص 179

الى المرجعية الدينيـة، أن تأخذ دعـوتي لمناقشة موضـوع وجـود الإمـام الثـاني عشـر، بقليل من الجدية والاحـترام فتقيم نـدوة علمية وتسـتمع الى الـرأي الآخـر، وتناقشه وتقـدم ما لـديها من حجج وبراهين، حتى تقنعه أو تقنع الأجيال الشابة المثقفة الـتي لا تســمح لنفســها بالتقليد الأعمى في الفــروع فكيف بالأصــول والعقائد، وذلك لأن أسـلوب التهـريج والإرهـاب واللف والـدوران لن يســتطيع أن يمنع مســيرة التحــرر والتجديــد، ولن يفلح بالمحافظة على الخرافات والأساطير.

إنـني أعـرف أن كثـيرا من رجـال الـدين – على مر العصـور- حريصون على مصالحهم المادية، التي تمنعهم من قول الحقيقـة، وقد عانى منهم الأنبيـاء والمرسـلون لكتمـانهم الحقـائق وتلاعبهم بالأديان، ولذلك حذر الله تعالى منهم قائلا:

" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيـديهم وويل لهم مما يكسبون".[48]

"ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا، أو قال أوحي إلي، ولم يوح اليه شـيء، ومن قـال سـأنزل مثل ما انـزل الله ولو تـرى إذ الظالمون في غمرات المـوت والملائكة باسـطو أيـديهم اخرجـوا أنفسكم اليـوم تجـزون عـذاب الهـون بما كنتم تقولـون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون". [49]

"فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياتـه؟ انه لا يفلح المجرمون، ويعبدون من دون الله مالا يضـرهم ولا ينفعهم ، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون".[50]

"هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيِّن، فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا".[51]

"فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين".[52]

"فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفـونهم قـالوا

---

48 - البقرة 79

49 - الأنعام 93

50 - يونس 17 - 18

51 - الكهف 15

52 - الأنعام 144

أين ما كنتم تـدعون من دون الله قـالوا ضـلوا عنا وشـهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين".[53] صدق الله العظيم

"إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينـاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". [54]

"إن الذين يكتمون ما انـزل الله من الكتـاب ويشـترون به ثمنا قليلا أولئك ما يـأكلون في بطـونهم إلا النـار ولا يكلمهم الله يـوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم" .[55]

ولذلك لم أكن أتوقع أن يهب رجال الدين، الذين يعيشون على "خمس الإمام المهدي" للمبادرة بالاعتراف بحقيقة عدم وجـوده، ولملمة "سفرة صاحب الزمان" الـتي يـأكلون عليهـا، ولكـني في الحقيقة لم أكن أتوقع أن يـأتي ردهم متهافتا وضـعيفا الى هـذه الدرجـة، وعنيفا الى هـذه الدرجـة، وهو ما يعـبر عن ارتبـاكهم وخوفهم من افتضاح أمرهم وانهيار أساطيرهم.

ان محـور موضـوع كتـابي كـان يـدور حـول ولادة "محمد بن الحسن العسـكري" الإمـام الثـاني عشـر، لـدى الشـيعة الامامية الاثني عشرية، والـذي يشـكل أسـاس نظرية الإمامة الإلهية لأهل الـبيت. ولم يكن يـدور حـول موضـوع المهدوية في العـالم لا في الماضي ولا في المستقبل، وقد اتخذ صفة ثانوية بنسـبة المهدوية اليه، وما لم نثبت وجوده أولاً، فـان من العبث التحـدث عن صـفة الإمامة أو المهدوية له.

وسواء كان الإيمان بالمهدي العام جزءا من عقيدة المسلم أو لم يكن، وانه يحتاج الى أدلة شرعية أو لا يحتـاج، فـان هـذا ليس موضـوعنا، ولا يمكن الاسـتدلال بالأحـاديث العامة حـول المهدوية وخـروج رجل مصـلح في آخر الزمـان، على ولادة ابن للإمـام العسـكري، في أواسط القـرن الثـالث الهجـري، وبقائه على قيد الحياة الى اليوم والى أن يظهر قبل قيام الساعة.

ومن هنا فانه لا يهمنا كثيرا سواء كانت أحاديث المهـدي أخبـار آحـاد أو متـواترة أو نطقت بها الصـحاح والمسـانيد والسـنن، كما كان يقول (الكاتب السيستاني). الذي أتعب نفسه كثـيرا بمحاولة الاسـتدلال على هـذه الفكـرة، قياسا على الأمم والشـعوب المختلفة المؤمنة وغـير المؤمنـة، وحاجتها للمنقذ المخلص، فـان

---

[53] - الأعراف 37

[54] - البقرة 159

[55] - البقرة 174

دين الله لا يبنى بهذه الطريقة، وانما ينهض على أساس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وان إثبات ولادة إنسان يعتمد على الأدلة التاريخية فقط.

أما منهج تأويل القرآن الكريم، الذي اعتمده (الكاتب السيستاني) في محاولته الاستدلال على ولادة ابن الحسن العسكري، فبالإضافة الى ضعف هذا المنهج، فانه لا يدل على مطلوبه، لأنه أيضا عام ويتحدث عن أشخاص سابقين، ولا علاقة له بالإمام الثاني عشر المفترض، الذي لم تكن نظرية مهدويته قد وجدت بعد.

ونأتي الى الدليل الأقوى والأهم والأول الذي اعتمده القائلون بوجود الولد، في التاريخ، وهو ما يسمى بالدليل العقلي أو الاعتباري أو الفلسفي الافتراضي، الذي يقوم على أساس نظرية الإمامة وضرورة وجود إمام معصوم في الأرض، والذي اعتمد عليه (الكاتب السيستاني) كثيرا، فان هذا الدليل، بالإضافة الى قيامه على أخبار آحاد ضعيفة، لا يشكل دليلا على ولادة أي إنسان، ولا وجود "محمد بن الحسن العسكري". وذلك لأن الذين استدلوا بهذا الدليل، أضافوا اليه مقدمات أخرى، وهي ضرورة الاعتراف بوفاة الإمام العسكري، وعدم رجعته، وعدم الوصية الى أخيه محمد، وضرورة انتقال الإمامة بصورة عمودية، الى يوم القيامة، وأخيرا فانه ليس سوى عملية افتراض تعسفية وهمية بلا دليل.

ومن هنا فان الشيعة الامامية (الفطحية) الذين لم يكونوا يشترطون الوراثة العمودية ويجوزون إمامة الأخوين، والذين كانوا يتبعون الإمام الحسن العسكري، لم يقولوا بفرضية وجود الولد بعد وفاته، وانما قالوا بإمامة جعفر بن علي الهادي، كما ان الشيعة الإسماعيلية والزيدية يقولون باستمرار الأئمة من أهل البيت ولكن بشكل آخر، ولا يستنتجون من ذلك الدليل "وجود ابن الحسن".

وأما الاستدلال بأحاديث (الاثني عشرية) فإنها بالإضافة الى اختلاقها وعدم وجودها في القرن الثالث الهجري، لا تدل بالضرورة على ولادة ابن العسكري، إلا على طريقة الافتراض والظن والتخمين، ويمكن أن تنطبق على آخرين، إذا حسبنا مثلا، الإمام زيد بن علي من قائمة الأئمة. كما فعل بعض الشيعة.

وهكذا يتهاوى أول وأقوى وأهم دليل قدمه المتكلمون (الاماميون الاثنا عشريون) على وجود الإمام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" ، والذي كان يعبر عن أزمتهم الفكرية التي وقعوا فيها بعد وفاة الإمام العسكري دون خلف، فاضطروا الى اختلاق ولد

موهـوم لا حقيقة لـه، لكي تسـتمر فيه الإمامة الى يـوم القيامـة، كما اختلق فريق من الشـــيعة الامامية قبل مائة عـــام من ذلك التاريخ، أي في أواسط القرن الثاني الهجري، رجلا مشابها، قالوا انه المهـــدي المنتظر أيضـــا، وهو "محمد بن عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق" وذلك بعد وفاة عبد الله دون خلف. وكـان الأجـدر بالفريق الذي اختلق الولد للإمام العسـكري، أن يعـترف بالحقيقة ويسلم أمره الى الله، وينتقل بالإمامة الى أخيه جعفر، كما انتقل الشـيعة الفطحية من عبد الله الى أخيه الإمـام موسى الكـاظم. وإذا كان الشيعة الاثنا عشـرية يتهمـون ذلك الفريق الـذي اختلق الولد الموهـــوم للإمـــام عبد الله الأفطح، تهربا من الاعـــتراف بالحقيقة، فلماذا لا يراجعون أنفسهم ويعترفوا بالحقيقة؟

وفي الواقع ان معظم الشيعة في تلك الأيام اعترفوا بالحقيقة، وانصرفوا يبحثون عن قائد جديد لهم، ولم يتشـبث بتلك الفرضـية الوهميـة، إلا قليل منهم، كما اعـترف بـذلك مؤرخو الشـيعة في القـرن الرابع ، كالنعمـاني والصـدوق، وقد عرضـنا لأقـوالهم في كتابنا، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع. ولكن الغـريب هو إصـرار البعض على إغلاق ذهنه ورفضه للتفكير أو إعادة الاجتهـاد والنظر في الموضـوع بعد مـرور أكـثر من ألف عـام على ذلك القـول. والأغـرب من كل ذلك أن يـأتي رجل من صـميم الحـوزة العلمية (كالكاتب السيستاني) ليغمض عينيه ويقـول:"**لسـنا بحاجة إلى ما يـــبين ولادة الإمـــام المهـــدي ويثبتها تاريخيـــاً** .. و**إنّ البحث عن ولادة الإمـام المهـدي وبيـان ثبوتها شـرعاً بحث غير طبيعي"!!!**

إذن ما هو الطبيعي؟

هل تَقَبُّل الأساطير بلا دليل هو الطبيعي؟

وهل التقليد الأعمى للمقلـدين الـذين يـدعون الاجتهـاد هو الطبيعي؟

ان الدليل التاريخي هو الدليل الوحيد والمعقـول الـذي يمكن بواسطته إثبات وجود إنسان أو ولادته في التاريخ، وبما أن القول بوجود "الإمام الثـاني عشـر" فرضـية أسـطورية وهمية لا حقيقة لها في الخارج، فان أصحاب هـذه النظرية يحـاولون التهـرب من محكمة التـاريخ، ويلجئـون الى الافتراضـات الفلسـفية المتهافتـة، ويغلفونها بغلاف العقل، أو يـدعون أن ذلك من الغيب الـذي يجب أن نـــؤمن به بلا ســـؤال ولا تفكـــير، أو يـــأتون بروايـــات مختلقة وإشـــاعات واهية وأحـــاديث كاذبة عن رؤية "ابن الحســـن" عند الولادة وفي حياة أبيه، وفي عصر الغيبة الصغرى، وربما يحبكـون

قصصا عن رؤيته في هـذا العصـر، كما كـان الإيرانيـون ينشـرون خلال الحرب مع العراق، عن مشاركة الإمام المهـدي في جبهـات القتال. ولسـنا نـدري لمـاذا لم ينتصر (الإمـام المهـدي) الموهـوم على جيش صدام حسين؟

أجل هناك كثير من الروايات التي ذكرها الأولون والمتأخرون. ولكن ما هي قيمة تلك الروايـات العلميـة؟ وهل علينا تقبلهـا، بعد أن "اعتقـدنا" بوجـوده؟ أم علينا أن نحقق فيها وندرسـها بدقـة، لنتأكد فيما إذا كانت حقيقية أم أسطورية ومختلقة؟

ان من المفروض برجال الدين الحقيقيين الربانيين، أن يبادروا للكشف عن الحقـائق وتقـديمها الى النـاس، وليس من مهمتهم تسويق الخرافات والأساطير باسم الدين.

يقول (الكاتب السيستاني):"إنَّ ولادة أي إنسان في هذا الوجود تثبت **بـإقرار أبيه، وشـهادة القابلة**، وان لم يـره أحد قط غيرهمـا، فكيف لو **شـهد المئـات برؤيته، واعـترف المؤرخون** بولادته **وصرح علمـاء الأنسـاب بنسـبه، وظهر على يديه ما عرفه** المقربـون اليـه، وصـدرت منه وصـايا وتعليمـات، ونصـائح وإرشـادات، ورسـائل وتوجيهـات، وأدعية وصـلوات، وأقـوال مشـهورة، وكلمـات مـأثورة وكـان وكلاؤه معروفين، وسفراؤه معلومين، **وأنصاره في كل عصر وجيل بالملايين"**.[56]

ونقول له: أحسنت..و بارك الله فيك، ولكن ما ذا نفعل إذا كان "والده" ينفي وجود ولد له في الظاهر؟ ولم نعرف "قابلة" تدعي الإشراف على ولادته؟

ولماذا أساسا شككنا بوجود ابن الحسـن؟ وهل سـألنا من قبل عن أية قابلة لأحد من الأئمة السـابقين؟ أو لأي إنسـان معـروف في التـاريخ؟ وهل سـألنا عن اسم أمه ويـوم مولـده؟ أليس لأن هذه الدعوى تخالف الأعراف والتقاليد والظواهر الطبيعية، وتتميز بنوع من الأسطورية والكتمان؟

إننا عندما نرى طفلا يحبو ويلعب في كنف أبيه، يحصل لنا علم بوجوده وهويته وبنوته له، ولا نشغل أنفسنا بالسـؤال عن تفاصل هويته إلا من بـاب الاسـتحباب، ولكن لمـاذا توقفنا في أمر "ابن الحسن العسكري"؟ الجواب: لأننا لم نر له أثرا، ولأنه نفى وجـود ولد له في حياتـه، وأوصى بأمواله الى أمـه، ولم يشر الى وجـود إمام من بعـده. وهـذا ما أيـده أهل الـبيت كـأخ الإمـام العسـكري جعفر بن علي الهادي، وان السلطان اسـتبرأ جارية ادعت الحمل فلم يظهر عليها شـيء، وهـذا ما أدى الى تفـرق شـيعة الإمـام

[56] - ص 107

العسكري – حسبما يقول المؤرخون الامـاميون- الى أربع عشـرة فرقة، كلها قالت بعدم وجود ولد للإمام العسـكري، ما عـدا فرقة واحــدة هي الاثنا عشــرية، الــتي اســتندت في قولها على بعض أدعياء النيابة الخاصة الذين بلغوا حوالي عشرين مدعيا، كـان كل منهم يكــذب الآخــر، ويــدعي النيابة الخاصة لــه، وهــذا ما دفعنا للتشـكيك بصـدقهم جميعـا، خصوصا وان قـولهم يخـالف الظـاهر والمعروف من حياة الإمام العسكري، وهو حجة شـرعية وقانونية ، لا يجوز رفع اليد عنها إلا بدليل علمي وشـرعي قـوي، وبشـهادة أشخاص لا شبهة حولهم ولا مصلحة لـديهم. وهـذا ما لا نجـده في أدعياء النيابة الخاصة كالنواب الأربعة وغيرهم، من الذين أصـبحوا على مر التـاريخ "ثقـاة وورعين" لـدى من اتبعهم، وأما من نظر اليهم بصورة محايدة ومستقلة، فقد توفرت لديه أسـباب معقولة وشرعية للتوقف والبحث والتنقيب.

وعندما راجعنا التاريخ، وسألنا علماء الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية السـابقين، ممن عاشـوا في القـرون الأولى (كـالقرن الثـالث والرابع والخـامس) عن أدلتهم العلمية على وجـود الولد للإمام العسكري، قالوا بصراحة وأمانة: أن لا دليل تاريخي لديهم، وانما هم يعتمـدون على الافتراضـات الفلسـفية، بالدرجة الأولى، وانما يأتون بالروايات التاريخية (أو الإشاعات) من باب المسـاندة والتعضيد، وإلا فانهم يعرفـون أن تلك الروايـات أوهى من خيـوط العنكبوت، وانها لا تقاوم النقد التاريخي العلمي، وكما قال السـيد المرتضى علم الهدى:" إن الغيبة فرع لأصول إن صـحت فـالكلام في الغيبة اسـهل شـيء وأوضـحه ، إذ هي متوقفة عليها ، وان كانت غير صحيحة فـالكلام في الغيبة صـعب غـير ممكن". أو كما قـال أيضا عبد الـرحمن بن قبة الـرازي :" لا نتكلم في فـرع لم يثبت اصله ، وهذا الرجل (ابن الحسـن) الـذي تجحـدون وجـوده ، فانما يثبت له الحق بعد أبيه .. فلا معنى لترك النظر في حق أبيه والاشتغال بالنظر معكم في وجوده ، فإذا ثبت الحق لأبيه ، فهـذا ثابت ضرورة عند ذلك بـإقراركم ، وان بطل إن يكـون الحق لأبيه فقد آل الأمر إلى ما تقولــون ، وقد أبطلنا ". ولم يقل المرتضى ولا ابن قبة الـرازي ولا الشـيخ المفيد ولا الشـيخ الطوسي ولا غـيرهم: أنهم يسـتطيعون إثبـات وجـود "ابن الحسـن" بـالطرق التاريخية، والروايات الضعيفة والمختلقة التي نسـجها الأخبـاريون فيما بعد. [57]

[57] - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2، والصدوق، إكمال الدين، ص 54

كما لم يعتمد الشيعة الذين آمنوا بوجود الإمام الثاني عشر، على أقوال النواب الأربعة أو غيرهم ممن كان يدور حولهم، وانما اضطرارا واستنتاجا وانسجاما مع نظرية الإمامة، وإلا فانهم كانوا يشككون بصحة ادعاء النواب الأربعة والعشرين الآخرين، ولذلك فقد كان هؤلاء يدعون اجتراح المعاجز والمعرفة بعلم الغيب، وهذا ما كان يرفضه الشيعة ولا يصدقونه منهم.

ولكن مشكلة "العلماء" المعاصرين أنهم لا يريدون الاجتهاد، ويفضلون التقليد الأعمى، ويدعون الصحة لأحاديث كان يضعفها السابقون، ولو أنهم درسوها بصورة محايدة ، ولم يقلدوا فيها من سبقهم، لعرفوا مكامن الضعف فيها، ولم يحكموا بصحتها أبداً.

وعموما ، فان من يريد دراسة روايةٍ أو راوٍ، لا يمكن ان يقلد في تضعيفه أو توثيقه الآخرين، خاصة إذا كانت هنالك شكوك جدية حوله، وانما يجب عليه، كما هو معروف في علم الرجال، أن ينظر اليه بصورة محايدة ومستقلة. وبالنسبة لرجال تلك المرحلة "مرحلة الغيبة الصغرى" التي ادعى فيها بعض أصحاب الإمام العسكري، وجود الولد له في السر، ونيابتهم عنه، ثم قلدهم من جاءهم بعدهم وبنى على توثيقهم، لا يمكن التسليم بصدقهم ولا صحة ما يروونه، اعتمادا على توثيق أتباعهم، فان أتباع كل مذهب ضال أو منحرف يوثقون مشايخهم ويقدسونهم، ولذلك لا بد من دراسة أحوالهم بصورة مستقلة، والنظر اليهم بعيدا دعاوى التلاميذ والأتباع.

وبكلمة أخرى: ان الشك فيهم معقول وضروري لمعرفة الحقيقة، خاصة وانهم المتهمون باختلاق تلك الأسطورة، وترويج الإشاعات، وبالتالي فلا يمكن الاعتماد على رواياتهم حول رؤية ابن الحسن واللقاء به، ونقل الأحاديث والزيارات والتواقيع عنه.

ان المشكلة الكبرى في مسألة وجود "الإمام الثاني عشر" تكمن في أننا لم نرَ أحداً، وانما سمعنا همسا مريباً وحكايات سرية، تخالف الظاهر، وقوانين الشريعة الإسلامية، وقد مرت قرون وقرون ولم يظهر ذلك الولد المزعوم. وإذا كانت هذه القضية مسألة عقائدية ومهمة جدا، فان طريق إثباتها لا يمكن ان يتم بهذه الطريقة السرية الغامضة، فإن الله تعالى لا يمكن أن يحتج على البشر بإمام مستور كالشبح لا يرى بالعين.

ان المجتهـدين في كل مكـان وزمـان يبحثـون السـند قبل المضـمون، فهل بحث (الكـاتب السيسـتاني) سـند تلك الروايـات التي استشهد بها حول ولادة ابن الحسن؟ وهل عرف ما هو سند حكاية القابلـة؟ ومن رواهـا؟ ومـتى؟ وفي أي كتـاب؟ وهل كـان صحيحا؟ أم مجرد إشاعة؟

وهل من العلم والاجتهـاد والتقـوى، إلقـاء الكلام على عواهنه وتضليل العوام والسذج والبسطاء، بالقول ان المؤرخين اعـترفوا بولادتـه؟ من هم أولئك المؤرخـون؟ وعلى أسـاس اعـترفوا؟ وما هي أدلتهم؟ وهل يجـوز لنا تقليد المـؤرخين بصـورة عميـاء؟ أو تقليد علمـاء الأنسـاب في القـرون اللاحقـة؟ وهل نأخذ ديننا من هـؤلاء الحشـويين؟ أم من الفقهـاء والمجتهـدين والبـاحثين العلميين؟

ثم ما هي فائدة "اعتراف" بعض الحشويين من الصوفية، الذين يقول (الكـاتب السيسـتاني) انهم من علمـاء أهل السـنة، بوجـود (الإمـام محمد بن الحسن العسـكري) إذا لم يقـدموا لنا أي دليل على وجوده؟ وهل يجوز تقليدهم في هذا الشـأن؟ وإذا كـانوا حقا يؤمنـون بما يقولـون، فلمـاذا لم يصـبحوا شـيعة إثـني عشـرية؟ ولماذا يرفضون أساس مبدأ الإمامة؟

ان مشـكلة (الكـاتب السيسـتاني) في الحقيقـة، تكمن في أنه يتلبس مسوح العلم والاجتهاد والدين، وهو يقلد في أهم أصل من أصول دينه، ويرفض الاجتهاد، بل ويحـرم الاجتهـاد على الآخـرين، ويريد منا أن ننـام على الخرافـات والأسـاطير الموروثـة، الـتي أصـبحت منبعا لا ينضب للـثروات اللا مشـروعة، وقاعـدة لنشـوء ديكتاتوريات جديدة باسم الدين.

إننا ندعو (الكاتب السيستاني) الى التفكير قليلاً فيما يقـول، ونسـأله سـؤالا واحـدا؟ ونطلب منه أن يجيبنا جوابا واحـدا :هل كانت ولادة ابن الحسن المدعى، علنية؟ أم سرية؟

فإذا كانت علنية، كما يقول في رواية له [58].. فلماذا إذن الادعاء بأنها تمت بالسر، و أنه الإمام العسكري لم يبلغ إلا عددا صغيرا من خاصته؟ وانه اضطر الى نفي وجوده أمام الناس في الظاهر، خوفا على حياته من العباسيين؟.

وإذا كانت سرية، كما يقول في رواية أخرى [59]، فلماذا الادعاء إذن بأن الإمام العسكري أخبر الكثير من أصحابه من الخدم والجواري والأصدقاء بمولده حتى أنه عقّ عنه، وأراه الى المئات؟ وأنه صلى على أبيه أمام الناس؟ وأنه كان يستقبل الوفود ويأخذ الأموال منهم، وأنه كان يعيش في دار أبيه في سامراء؟

ألا يوجد تناقض في ذلك؟

ألا يدعونا ذلك الى التفكير وإعادة النظر والاجتهاد بصورة مستقلة؟

لقد آمن الشيعة قرونا من الزمن بوجود الإمام الثاني عشر، وانتظروه طويلا ليخرج ويقيم دولة الحق، وكانوا يحرمون خلال انتظاره إقامة الدولة الإسلامية لأنهم كانوا يشترطون العصمة والنص في الإمام، ولكنهم تحرروا من هذه النظرية فيما بعد، وابتدعوا نظرية (ولاية الفقيه) أو النيابة العامة للفقهاء عن الإمام الغائب، ثم قال الشيعة بعد ذلك بولاية الأمة على نفسها وبجواز النظام الديموقراطي، وتصدى المرجع السيد علي السيستاني (حفظه الله) للدعوة الى إقامة النظام الديموقراطي في العراق، بعد سقوط نظام صدام حسين، متخليا بصورة عملية عن الفكر الإمامي المثالي الوهمي غير القابل للتطبيق، ولم يعرف عنه

---

58 - يقول (الكاتب السيستاني):"هناك روايات أُخرى كثيرة صريحة برؤية السفراء الأربعة كلٌّ في زمان وكالته للإمام المهدي ... ولقد ذكر الصدوق من وقف على معجزات الإمام المهدي ورآه من الوكلاء وغيرهم مع تسمية بلدانهم وقد أشرنا إلى بعضهم، وقد بلغوا من الكثرة حدّاً يمتنع معه اتفاقهم على الكذب لاسيما وهم من بلدان شتى، ويواصل حديثه فيقول:" كما شاهد الإمام المهدي عليه السلام من كان يخدم أباه العسكري عليه السلام في داره مع بعض الجواري والإماء، كطريف الخادم أبي نصر، وخادمة إبراهيم بن عبدة النيسابوري التي شاهدت مع سيدها الإمام المهدي عليه السلام ، وأبي الأديان الخادم، وأبي غانم الخادم وشهد بذلك أيضاً: عقيد الخادم، والعجوز الخادمة، وجارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام العسكري عليه السلام ، ومن الجواري اللّواتي شهدن برؤية الإمام المهدي عليه السلام: نسيم، ومارية".ص 115

59 - ويقول:"كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام حريصاً على أن لا ينتشر خبر ولادة المهدي إلاّ بين الخلّص من شيعته ومواليه عليه السلام، مع أخذ التدابير اللازمة والاحتياطات الكافية لصيانة قادة التشيع من الاختلاف بعد وفاته عليه السلام، إذ أوقفهم بنفسه على المهدي الموعود مرات عديدة وأمرهم بكتمان أمره". ص 119

اشـتراط العصـمة أو النص في الإمـام ، أي رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء، بل لم يعرف عنه اشتراط الفقه والعدالة بالمعنى الأخص. مما يدل على حـدوث تطـور كبـير في فكـره السياسـي، وانفصـــام الـــذين يـــدعون الانتســـاب اليه كصـــاحبنا (الكـــاتب السيستاني) الذي يدعي الانتماء الى حوزته والعمل في مرجعيته.

وهـذا ما يـدل على أن الأمة تسـير في واد، وان الماضـويين ينامون في واد آخر.

5 - مع السـيد محمد محمد الصـدر، في كتابه (تـاريخ الغيبة الصغرى والكبرى):

افتراض صحة الروايات التي ذكرها علماؤنا الأوائل!

سماحة السيد محمد الصدر حفظه الله

الحوزة العلمية – النجف الأشرف، العراق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فقد اطلعت على كتابيكم عن تاريخ الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى ، ودرستهما بدقة ، وكان البحث بصـورة عامة يـدور حـول (الإمـــام المهـــدي محمد بن الحسن العســـكري) مع مقدمة في البداية عن تاريخ الإمامين الهادي والعسكري ، ومؤخرة عن تاريخ (النواب الأربعة) وغيرهم.

وقد تركز الكتاب حول تاريخ ولادة (الإمـام المهـدي) وقصص مشاهدة بعض خواص الشـيعة له في حيـاة أبيه ثم مشـاهدته بعد وفاته خلال ما عــرف باسم الغيبة الصــغرى. وقد اعتمد الكتـــاب على اسـتعراض الروايـات التاريخية حـول ولادة الإمـام المهـدي ووجوده، وتجنب الخوض في الأبحاث الكلامية الـتي تثبت وجـوده وولادته بالأدلة الفلسـفية أو (العقليـة) أو (الاعتباريـة)، كما تجنب الخوض في الأدلة الروائية (الأخباريـة) الـتي تثبت وجـوده ، وذلك خلافا لما كان مشايخ الطائفة الاثني عشرية يفعلون في كتابـاتهم القديمة حـــول الموضـــوع، حيث كـــانوا يعتمـــدون على الأدلة الفلسفية والروائية أكثر من الاعتماد على الروايات التاريخية..

وقد أشرتم في مقدمة الكتاب الى ضعف كثير من الروايـات التاريخية الخاصة بالموضوع وجهل سندها وإهمال علمـاء الرجـال لـذكر أسـماء الـرواة والتحقيق في شخصـياتهم على العكس من تحقيقهم في سـند روايـات المسـائل الفقهية ، مما أدى الى حدوث بعض المشاكل والصـعاب في عملية البحث والتحقيق في موضوع المهدي.[60]

وذكرتم اعتمادكم على الروايات "المتواترة" والمشهورة والتي لا يوجد لها معارض، وافتراض صحة الروايات التي ذكرها علماؤنا الأوائل، واقتصرتم في بحثكم التاريخي الـذي وصـفتموه بـالعميق والجديد على مصـادرنا الامامية الاثـني عشـرية باعتبـار أن أهل البيت أدرى بما فيه ولم تبالوا بالطعن الصـادر من غـير المـوالين لأهل الـبيت (ع)[61] واعتـبرتم مسـألة وجـود الإمـام المهـدي من الضروريات في المذهب الاثني عشـري ، الـتي لا حاجة لبحثها ولا بد من تجاوزهـا.. كما اعتـبرتم مسـألة ضـبط (السـفراء الأربعـة) والإيمان بصحة دعـواهم من بين أدعيـاء النيابة الكـاذبين الآخـرين من المسائل الضرورية الواضـحة في المـذهب، ولـذلك فلا حاجة لتجشم العناء في إثبات ذلك .[62]

وبناء على ذلك فقد بـنيتم منهجكم في البحث والتحليل على الإيمان بالنظرية المهدوية (الاثني عشـرية) كما هي مـذكورة في كتب مشـايخ الطائفة (الصـدوق والمفيد والمرتضى والطوسي والنعمـاني) وغـيرهم من محـدثي الغيبة الصـغرى وبداية الغيبة الكـبرى، باعتبـار النظرية بكل تفاصـيلها من المسـائل الضـرورية الواضـحة، ولم تجـدوا حاجة للتحقيق في الرواية التاريخية التفصيلية عن ولادة الإمام المهدي ومشاهدته واللقاء به في حياة أبيه أو في أيـام النـواب الأربعـة. وقد انصب جهـدكم على تحليل الروايات والتعليق عليها وتفسـير المعضل منها وتأويل المتعـارض والمخالف للقرآن الكريم والعقل والروايات الصحيحة الأخرى.

وبالرغم من الجهود التي بذلتموها في صياغة الموضوع وتحليل الأحداث فإني اعتقد أن موضوعا خطيرا كموضـوع وجـود (الإمـام المهدي محمد بن الحسن العسكري) تترتب عليه أمور كثيرة في الفقه والفكر السياسي والعقائـدي ، ويقـوم عليه كيـان الطائفة الاثـني عشـرية بحاجة الى بحث أعمق وأدق وأشـمل، ولا يجـوز

[60] - (ص 44)
[61] - (ص 443)
[62] - (ص 395)

التقليد والاعتماد على آراء العلماء السابقين بـدعوى الضـرورة أو التـواتر أو الشـهرة سـواء في أسـاس الموضـوع أو في الأمـور التفصيلية منه.. خاصة مع وجـود التهمة من قبل عامة المسـلمين وعامة الشـيعة وعامة الامامية – ماعـدا الفرقة الاثـني عشـرية- باختلاق موضوع وجود الإمام المهدي وابتـداع القـول به بعد وفـاة الإمام العسـكري وحـدوث الحـيرة من بعـده. وقد اسـتغربت من قــولكم في المقدمة :"إن منهجنا يقــوم على الأخذ بالروايــات المشهورة".[63]

إن الأمانة العلمية تقتضي استعراض الصورة التاريخية الدقيقة والشــاملة كما رواها مؤرخو الامامية الأوائل كســعد بن عبد الله الأشـعري القمي في (المقـالات والفـرق) والنوبخـتي في (فـرق الشــيعة) والمفيد في (الإرشـــاد) وغـــيرهم ، وعـــدم الاكتفـــاء باستعراض الرأي القائل بوجود المهـدي، وحـده من بين مجموعة الأقوال الـتي قـال بها شـيعة الإمـام الحسن العسـكري في أيـام الحيرة.

إن الإجماع أو التواتر أو الشهرة أو الضرورة التي تتحدثون عنها في موضوع المهدي لم يكن أي منها موجودا في حياة أهل البيت (ع) ولا بعد وفـاة الإمـام العسـكري ، ولـذلك حـدثت الحـيرة في موضوع خليفة الإمـام ، وانقسم الشـيعة الامامية الى أربعة عشر فرقة حول الموضوع.. وإنما حـدث ذلك فيما بعد حين قـال فريق من الامامية بوجود ولد للإمام العسكري هو الإمام من بعــده ، ثم قالوا بعد حين انه الإمام المهدي، واسـتندوا في قـولهم هـذا على مجموعة أقــوال نظرية (فلســفية) واســتعانوا ببعض الأحــاديث العامة والغامضة وربطوا بعضها ببعض ثم اجتهدوا فيها واستنتجوا منها حتمية وجــود الولد للإمـــام العســكري. ولم يكن للقصص الأسطورية أي وجود في البداية.. وإنما بدأ بعض الغلاة يحبك تلك القصص الأسطورية لكي يـدعم القـول الافتراضي بوجـود الإمـام (الثاني عشر) ولذلك جـاءت تلك القصص التاريخية الـتي تتحـدث عن ولادته واللقــاء به في أيــام أبيه وفي أيــام الغيبة خالية من السند الصحيح ومروية عن اشهر الكذابين والوضـاعين كجعفر بن مالك الفزاري وآدم البلخي وأحمد الرازي.

وإذا كان بعض العلماء السابقين قد ذكر تلك الروايات الضعيفة فليس لكي يقـدمها دليلا على وجـود المهـدي وإنما ليتخـذها دليلا

---

63 - (ص 46)

مساعدا يعضد به الدليل الأول والأقوى لديه وهو الدليل الفلسفي (الاعتبـــاري) ولكنكم أتيتم فيما بعد وأهملتم الـــدليل الفلســـفي (الكلامي)، واكتفيتم بتلك الروايات الأسطورية الـتي لا أسـاس لها من الصحة.

ومن هنا فان الروايات التاريخية التي اعتمدتم عليها في تأليف كتابكم لا علاقة لها بأهل البيت ولا بالمذهب الشيعي الإمــامي ولا تعتـــبر من الضـــروريات ، بل هي موضع شك عميق ، وان من مقـدمات البحث الموضـوعي دراسـتها من كل جـانب والتأكد من سندها بدقة وعد الاكتفـاء بوجـدانها في كتب العلمـاء السـابقين ، حــتى إذا كــانت خالية من المعــارض ، وذلك لأن احتمــال الوضع والتلفيق قائم حولها.

كما أن احتمال قيام (النواب الأربعة) الذين ادعوا السفارة عن المهدي بتلفيق تلك القصص وترويجها أملا بدعم دعاواهم الفارغة قائم أيضا ، وقد كان الشيعة الأوائل يشكون في صـدق ادعـائهم، وقد حدث صراع بين أدعياء النيابة المختلفين وكذَّب بعضهم بعضا ، ولا يجوز أن نعتمد على توثيق السابقين لهم ونقلدهم في ذلك، بل لا بد من بذل الجهد للاجتهاد في ذلك وتجشم عنـاء البحث من أجل كشف حقيقتهم..

إذن فان الحاجة الى إعادة النظر في الموضـوع برمته ملحة جـدا ولا بد أيضا من إعـــــادة النظر في منهج البحث والتميـــــيز بين الروايات الصحيحة والمزورة وذلك باعتمـاد علم الرجـال ومبـادئ الرواية ورفض أية رواية ضـــعيفة أو مجهولة أو مقطوعة الســـند حتى لو كـانت مـذكورة في كتب العلمـاء السـابقين الـذين كـانوا يحاولون أن يدعموا نظريتهم بأية إشـاعة، خاصة مع وجـود الشك والتهمة بــاختلاق نظرية (الاثــني عشــرية) في عصر الحــيرة بعد وفاة الإمام العسكري بعقود من الزمن.

ويسرني في هذه المناسبة أن اقدم لكم جهدي المتواضع الذي يثبت اختلاق النظرية المهدوية (الاثـني عشـرية) وافـتراض وجـود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري)، الذي لا وجود له في الواقع ، أتمــــنى منكم أن تلقــــوا نظــــرة فاحصة على الكتــــاب وتوافوني بما لديكم من ردود.. وأنا على استعداد لأن أغــير وجهة نظــري أو أعــدلها إذا قــدمتم لي أية أدلة علمية تثبت موضــوع الولادة والوجود للمهدي (محمد بن الحسن العسكري)

وشكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد الكاتب

لندن 1413هـ

6 - مع السيد مرتضى العسكري: في كتابه "معالم المدرستين"

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة السيد مرتضى العسكري حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم لخدمة الإسلام والمسلمين.

وبعد.. فقد أرسلت لكم العام الماضي (1413هـ /1993م) رسالة حول بعض دراساتي الأخيرة المتعلقة بالإمامة والمهدوية ، وطلبت منكم مناقشتها ، وقد أجبتموني في رسالة: أنكم تعتزمون القدوم إلى لندن للعلاج وسوف تلتقون بي هناك ، وقد التقيت بكم فعلا ، وكنت آمل أن أناقشكم وتناقشونني في كل نقطة جديدة توصلت إليها ، خاصة أنكم تعتبرون من أكثر العلماء دراسة وكتابة واختصاصا في موضوع الإمامة ، وقد طلبتم مني في اللقاء أن أوجز لكم الأفكار التي توصلت إليها ، وعرضت بخدمتكم : إن النتيجة التي استخلصتها من دراستي في التراث الشيعي : أن نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت عليهم السلام هي من صنع المتكلمين ولا علاقة لها بأهل البيت ، لأنها قامت على أساس نظرية العصمة كشرط في الإمام ، ثم احتاجت إلى القول بالمعاجز للأئمة كطريق لأثبت الإمامة في كل واحد واحد ، ثم تطورت بعد ذلك إلى نظرية النص ثم تشعبت وتعثرت وتوقفت عند الإمام الحسن العسكري الذي توفي دون أن يوصي إلى أحد بالإمامة ، وهنا قال بعض المتكلمين الذين وقعوا في حيرة شديدة : بوجود ولد للإمام العسكري ، افتراضا من عند أنفسهم ، ثم ختموا الإمامة وحددوها في اثني عشر بعد أن كانت النظرية مفتوحة وممتدة إلى يوم القيامة..

وقد سألتموني عن رأيي في الأحاديث السنية والشيعية التي تقول: إن الخلفاء والأمراء بعد الرسول اثنا عشر .. فسألتكم فيما إذا كنتم قد تحققتم من تلك الروايات وبحثتم سندها ؟ فقلتم : لا حاجة إلى دراسة سندها بعد إجماع المسلمين من السنة والشيعة عليها ، فقلت لكم: إن هذه الأحاديث ضعيفة وغامضة عند السنة وهي أضعف عند الشيعة ، ولم تكن موجودة عندنا حتى حدوث النظرية (الاثني عشرية) فيما يسمى بـ: (عصر الغيبة الصغرى) في نهاية القرن الثالث، أو بداية القرن الرابع الهجري، وإنني قمت بدراسة الروايات واحدة واحدة ، فوجدتها جميعا ضعيفة وغامضة ومتعارضة ..

وقد طلبت منكم إلقاء نظرة على تلك الدراسة ، ولكن صحتكم (البصرية) لم تكن جيدة ، حيث كنتم على شفا إجراء عملية جراحية في العين ، وقد طلبتم من أحد الاخوة الحاضرين والشاهدين على اللقاء (الدكتور أبو نبوغ) أن يقوم بمراجعة الكتاب ، وقد قام بذلك مشكورا ولكنه اعتذر عن مناقشة بحث الرجال وسند الروايات ، لأن ذلك ليس من اختصاصه ، كما اعتذر عن رد القضايا الأساسية بعدم وجود المصادر المختصة لديه.

وكانت حجتي على حدوث النظرية الاثني عشرية تقوم على عدة أمور:

1- ضعف الأحاديث التي تتحدث عن ذلك ، وعدم وجودها تاريخيا قبل القرن الرابع الهجري.

2- معارضتها للأحاديث الصحيحة المسلّمة لدى الشيعة والمشيرة إلى امتداد الإمامة إلى يوم القيامة.

3- إجماع الشيعة على حدوث البداء حول خليفة الإمام الصادق والإمام الهادي ، حيث أشار الأول في البداية إلى ابنه إسماعيل ، وأشار الثاني إلى ابنه محمد ، ثم وفاة كل من إسماعيل ومحمد في حياة أبويهما وقول الأئمة أو الشيعة بالبداء ، سواء على الله أو بظهور العلم للناس.

4- عدم وصية الإمام الحسن العسكري لأحد من بعده سوى وصيته بأمواله لأمه "حديث" .

هذا وان الأدلة على عدم تبني الأئمة من أهل البيت لنظرية الإمامة الإلهية وقولهم بنظرية الشورى كنظام للحكم الإسلامي هي:

1- عدم وصية النبي للإمام علي بن أبى طالب بالخلافة في وصيته المشهورة

2- عدم وصية الإمام علي لابنه الحسن بعد استشهاده بالخلافة وترك المسلمين وحريتهم في انتخاب من يشاءون.

3- عدم وصية الإمام الحسن للإمام الحسين بالإمامة.

4- عدم وصية الإمام الحسين لابنه زين العابدين بالإمامة، ووصيته لأخته زينب بالمحافظة على العيال.

5- عدم تصدي الإمام زين العابدين وعدم وصيته لأحد من ولده بالإمامة.

6- عدم معرفة محمد بن الحنفية لوجود النص على الإمام زين العابدين ، وتصديه لإمامة الشيعة بعد مقتل الإمام الحسين ، ثم تصدي ابنه أبى هاشم لها من بعده.

7- تصدي الإمام الباقر لقيادة الشيعة اعتمادا على آية (أولي الأرحام) وانهم أولى بالمعروف ، وان (من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) وذلك في اعتماد المطالبة بالثار للإمام الحسين.

8- عدم وصية الإمام الباقر للصادق بالإمامة ، وإنما بالدفن والتجهيز فقط.

9- إشارة الإمام الصادق لابنه إسماعيل ، ثم إحجامه عن الإشارة إلى أي واحد من أبنائه ، والوصية العادية لخمسة بينهم المنصور الدوانيقي.

10- ذهاب الشيعة إلى عبد الله الأفطح الابن الأكبر للإمام الصادق ، وحيرتهم من بعد وفاته دون عقب تتسلسل الإمامة فيه.

11- عدم وصية الإمام الكاظم لابنه الرضا بالإمامة ، وإنما بإدارة أمواله فقط.

12- صغر عمر الجواد عند وفاة أبيه وعدم بلوغه سن التكليف الشرعي ، وذهاب الشيعة إلى عمه أحمد بن موسى بن جعفر .

13- عدم وضوح أو ثبوت الوصية للإمام الهادي.

14- إشارة الإمام الهادي لابنه السيد محمد بالإمامة ، ثم وفاته قبل وفاة أبيه بعدة سنوات ، وقوله: " لقد بدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل " وقوله لابنه الحسن العسكري: " يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمرا ، أو نعمة " مما يعني عدم معرفة الإمام الهادي بإمامة العسكري من قبل ، وكذلك عدم معرفة العسكري لإمامة نفسه قبل سن العشرين ، أي قبل وفاة أخيه محمد.

15- عدم وصية الإمام العسكري أو إشارته إلى وجود ولد له .

مما يدل على عدم صحة نظرية الإمامة الإلهية الوراثية وامتدادها في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة.. وعدم صحة وجود القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر ، وقد كان اسم الثاني عشر - على فرض وجوده – مجهولا عند من قال بوجوده ، وكان عثمان بن سعيد العمري الذي ادعى النيابة عنه يحرم التلفظ باسمه أو السؤال عنه.

16- ومما يؤكد عدم وجود القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر من قبل ، هو تفرق الشيعة إلى أربع عشرة فرقة بعد وفاة الإمام العسكري ، وجهلهم بوجود ولد له ، وعدم معرفة أقرب المقربين إليه كالعمري وغيره ، وذهاب كبار الشيعة ،كبني فضال ، إلى القول بإمامة جعفر بن علي الهادي ، وعدم اعتقادهم بالقاعدة التي تقول: (لا تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين) وتفسيرهم لها بضرورة انتقال الإمامة في الأعقاب فيما إذا كان له ولد ، وأما إذا لم يكن له ولد كالعسكري وعبد الله الأفطح فلا مانع من الانتقال إلى أخيه ، كما تم الانتقال إلى موسى بن جعفر ، أو التراجع عن القول بإمامة الأخ الأكبر الذي لا عقب له، إلى القول بإمامة أخيه فقط ، مباشرة بعد أبيه ، كما تراجع قسم من الشيعة الموسوية عن القول بإمامة عبد الله الأفطح .

17- إن عـددا كبـيرا من الأئمة لم يكن يوجد عليه أدلة واضـحة (نصوص أو وصايا) ولـذلك تم اللجـوء إلى سـلاح المعـاجز ، لإثبــات إمــامتهم ، كما تقــول حكاية التحــاكم إلى الحجر الأسود بين محمد ابن الحنفية وزين العابدين.

18- لقد كـــانت نظرية الإمامة الإلهية تقـــوم على اشـــتراط العصمة في مطلق الإمـام ولا تجـيز إمامة غـير المعصـوم ، وقد اضطرت من اجل تعريف المعصوم ، إلى القول بالنص والوصية أو المعاجز ، واخترعت قصصا وحكايات في ذلك ، أو أولت بعض النصـوص القرآنية والأحـاديث العادية وقـالت بالوراثة والوراثة العمودية في أهل الـبيت وفي بيت خــاص هم أبناء الحسين فقط ، إلى يوم القيامة .

وفي الحقيقة لقد انقرضت نظرية الإمامة الإلهية في (الـــــبيت الموســوي) بعد وفــاة الإمــام العســكري دون أن يعقب ولــدا ، وبالرغم من افتراض وجـود ولد له فـان النتيجة العملية هي بقـاء الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية دون إمـام معصـوم يقـودهم في دروب الحيـاة ويعلمهم ويرشـدهم ويقيم دولتهم حـتى يئسـوا من ظهـــوره فـــاخترعوا نظرية النيابة العامة وولاية الفقيه وأقـــاموا دولتهم لأول مــرة منذ ألف عــام دون أن يشــترطوا في الإمــام المعاصر (الحاكم) العصمة ولا النص ولا الوراثة العلوية الحسـينية ، وعـــادوا إلى النظرية الأولى الـــتي هربـــوا منها وهي نظرية الشــورى القائمة على أســاس القــرآن الكــريم والســنة والعقل وسيرة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وهـــذا ما دفعكم إلى النظر إلى (الإمامـــة) ليس بمعـــنى الحكم والإدارة والتنفيذ ، بل بمعنى الوصـية في المحافظة على الـدين ، كما قلتم في اللقــاء ، وهـــذه نظرية جديـــدة لم يكن يقصـــدها المتكلمون الشـيعة الأوائل عنـدما قـالوا بالعصـمة في الإمـام أي الحاكم ، وكان قولهم بالوصية كوسـيلة للتعـرف على الإمـام ولم تكن نظرية مستقلة بحد ذاتها.

هذا ونرجو منكم أن تواصلوا الحـوار والمناقشة أملا في الوصـول إلى حقيقة مـــذهب أهل الــبيت (ع) بعيـــدا عن آراء الفلاســـفة والمتكلمين والغلاة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد الكاتب

لندن 15 رجب 1414

سماحة السيد مرتضى العسكري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فإني اقـدر أتعابك وجهـودك لنشر الإسـلام وخدمة مـذهب أهل البيت وبنـاء أجيـال مؤمنة صـالحة ، ولم اكن أريد أن أزعجك في رسائلي السابقة أو أتحـداك ، وكلما قصـدته من الاتصـال بك هو الحـوار معك ومناقشة بعض الأمـور الـتي تهمك والـتي بـذلت فيها جهدا كبيرا .

وكنت قد قررت ، بعد تبادل عدد من الرسائل معك ، التوقف عن مراسلتك ، لأنك لا ترد على النقاط الرئيسية التي أذكرها وتكتفي بالتعليق العام أو بالرد المفصل على المسائل الجانبية والجزئية ، وقد قــررت في رســالتك الأخــيرة المرقمة (1131) اتهامك لي بإنكار صحة روايات أجمع المسلمون على صـحتها ، دون أن اذكر دليلا على عــدم صـحتها. بـالرغم من أنى عرضت أدلـتي مكتوبة وطلبت منك مـرارا أن تلقي نظـرة واحـدة عليها ، ولكنك رفضت باسـتمرار وكـررت رفضك هـذا في رسـالتك الأخـيرة أيضـا، وقد طلبت مني أيضا أن أطالع كتبك لأنك نشـرتها قبلي ، وقد أخبرتك مرارا بأني قد طالعتها من قبل ، وربما عـدة مـرات ولم أجد فيها شـيئا جديـدا غـير ترديد ما كتبه مشـايخ الطائفة الاثـني عشـرية السابقون من أمثال المفيد والمرتضى والصـدوق والطوسي . بل إن كتابك (معالم المدرسـتين) لا يتطـرق إلى كثـير من المسـائل الحيوية والمهمة في نظرية الإمامة ويقفز عليها دون اكـــتراث ، في الوقت الذي يسهب في الأمــور الجانبية والحواشي الفرعية ، وهو لا يقـاس بكتـاب (الشـافي) للمرتضى أو (تلخيص الشـافي) للطوسي ، من حيث مناقشة أهم أعمـــدة نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت من العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية والبداء والتقية وعلم الأئمة والمعاجز والمهدوية .

وقد مــررت مــرورا ســريعا وخاطفا في كتابك (معــالم المدرســتين) على تلك الأمــور ، وادعيت التــواتر على أحــاديث (الاثني عشرية) كما ادعيت الإجماع من السنة والشيعة. وهو غير

صحيح : إذ أن تسعة وأربعين فرقة من الشيعة غير الاثني عشرية لا يؤمنون بصحة تلك الروايات ، وكذلك عامة السنة الذين يضعفون تلك الروايات أو يفسرونها تفسيرا آخر ، ولم يعرف الشيعة الامامية تلك الأحاديث حتى بداية القرن الرابع الهجري ، حيث كانوا يعتقدون حتى ذلك الوقت باستمرار الإمامة في نسل علي والحسين إلى يوم القيامة من دون تحديد في عدد معين ، وقد نشأ القول بالوقوف على (اثني عشر إماما) بعد حدوث الحيرة التي أصابتهم في أعقاب وفاة الإمام العسكري وافتراض قسم من شيعته وجود ولد له ، وانه الإمام من بعده . ولم يكن أي وجود للتواتر أو الإجماع بين المسلمين ، ولا المعرفة بتلك الأحاديث قبل ذلك التاريخ.

وعموما فان كتابك (معالم المدرستين) يغفل التاريخ الشيعي والامامي ، لأن التاريخ الشيعي وخاصة موضوع انتقال الإمامة من الإمام السابق إلى الإمام اللاحق ينسف النظرية الامامية وخاصة حكاية القائمة المسبقة بأسماء الأئمة المعلنة منذ زمان رسول الله (ص).

كما انك تعتمد في كتابك منهجا أخباريا بدائيا يتقبل جميع الروايات والأفكار والنظريات المنسوبة إلى أهل البيت دون بحث أو تمحيص أو تحقيق في السند بدعوى التواتر والإجماع والضرورة ، وهذا نوع من التقليد الأعمى الذي لا يناسب العلماء المجتهدين.

ولو قمت بعملية التحقيق في سند الروايات الشيعية التي تتحدث عن (الاثني عشرية) مثلا ودرستها تاريخيا وقارنت بينها وبين الروايات الأخرى الصحيحة ، لأدركت أنها موضوعة ومختلقة وليس لها أي وجود في القرن الثالث وما قبله ، ولما ادعيت التواتر في أحاديث الرسول بالإشارة إلى الأئمة الاثني عشر والتنصيص على أسمائهم ، كما قلت .[64]

وقد قمت أنا بهذا التحقيق وطلبت منك أن تطلع عليه حتى تقبل به أو ترده ، ولكنك رفضت مجرد الاطلاع ، ولا تزال مصرا على رفضك وتتحجج كل يوم بأعذار واهية ، وهذا أمر غريب جدا ممن يدعي العلم والتحقيق.

---

[64] - (العسكري، معالم المدرستين، ج1 ص 548)

والقضـــــية ليست هي مَن كتب ونشر أولاً ، وإنما هي من بحث ماذا؟ وأنا ادعي أنى بحثت ما لم تبحثه أنت من الناحية التاريخية والرجالية ، ومن هنا فــإني أدعــوك للاســتماع إلي وقــول كلمة الحق ، إما ســـلبا أو إيجابا ، وأنا أحملك المســـؤولية أمـــام الله وســوف أحاســبك يــوم القيامة على رفض الاســتماع والحــوار العلمي الدقيق.

واعتقد انك لو بذلت شيئا من التفكير فيما تقـول وفيما تكـرر من نظريات عفا عليها الزمن لما تعصـبت كثـيرا لها أو اعتبرتها جـزءا من الدين أو صـلب الإسـلام أو ما يتوقف عليه اسـتمرار النبـوة ، كما أشرت إلى ذلك في كتاب (قيام الأئمة، ص 90).

إن خلاصة كتبك أو خلاصة نظرية (الإمامة الإلهية) هي ما يلي:

1- ان الإمامة والخلافة هي بـالنص والتعـيين من قبل الله تعـالى لقوله تعــالى" إني جاعلك للنــاس إمامــا" وان الإمامة عهد من الله يخـــبر به نبيه عمن عهد الله إليه ، كما يخـــبر عن سائر الأوامر والأحكام.[65]

2- وان الإمام يجب أن يكـون معصـوما لأنه لا ينـال عهد الله من كان ظالما.[66]

3- وان الشورى باطلة كطريق لانتخاب الإمام ، فلا حق للأمة في تعيين الإمام والشورى عاجزة عن انتخاب الأفضل والأصلح.

وقد قلت إن الآيات القرآنية (وأمرهم شــورى بينهم) (وشــاورهم في الأمــر) لا تــدلان على الشــورى، فالآية الأولى لا يســتفاد منها أكــثر من رجحــان التشــاور بين المؤمــنين في أمــورهم،وليست فرضا عليهم، ولو أراد الله الوجـوب في هـذا الأمر لقـال: (كتب الله على المؤمنين أو فرض عليهم) إلى ما شــابهها من الألفــاظ الدالة على وجـــوب الفعل على المؤمـــنين. وان الآية الثانية في مقـام توجيه الرسـول أن يـدعو المسـلمين إلى القتـال بأسـلوب المشاورة، وليس بأسلوب الملـوك الجبـابرة.. وأما ما اسـتدل به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصـدد من كلام للإمـام علي حـول

---

65 - (معالم المدرستين ص 220 و267)

66 - (ص 267)

الشورى ، فانه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما التزموا به.[67]

وقلت: إن أول من ذكر الشــورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو عمر بن الخطــاب ، غــير انه لم يــأت بــدليل على أن الإمامة في الإســلام تقــام بالشــورى ، ولم يســتند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسـنة، واسـتدل المتـأخرون بـآيتين من كـاب الله وهما تدلان على رجحان الفعل فيهما وليس على وجوب التشاور، وإنما يصح التشـاور في أمر لم يـرد فيه من الله ورسـوله حكم ، وقد ورد عن الله ورســــوله في أمر الإمامة ما لا يبقى معه مــــورد للتشــاور[68] وان الرســول بلغ المســلمين ذلك كما بلغهم ســائر أحكام الإسلام وعقائده .[69]

ولو تأملت في هذه النظرية لوجدتها مطلقة وعامة وممتدة منذ وفــاة رســول الله (ص) إلى يــوم القيامــة، وهي لا تقبل التقييد والتخصيص في فترة أو أخرى أو مكان دون آخر .

وإذا سلمنا بصحة كل الأحاديث والتأويلات التي سقتها ويسـوقها أصـحاب نظرية الإمامة الإلهية لأهل الـبيت ، لسـألناهم السـؤال التالي :

- أين هم الأئمة المعصومون المعينون من قبل الله منذ اكثر من ألف ســنة؟.. أي منذ وفــاة الإمــام العســكري؟ وما هو حكم المسلمين في هذه الفترة؟ هل هو الجلـوس في الـبيت وانتظـار الإمام الغائب ؟ أم المبـادرة والتصـدي وإقامة الدولة الإسـلامية؟ وهذا يقودنا لطرح السؤال التالي: كيف نقيم هـذه الحكومة ؟ هل تعين الأمة الإمـام وتختـاره عـبر الشـورى؟ وقد كـانت الشـورى باطلة ولا دليل عليها ومنافية لفلسـفة تعـيين الله للأئمة إلى يـوم القيامة ، وفاقـدة لشـرط العصـمة الـذي لا يعلمه إلا اللـه. ومن المعلوم أن النص إذا وجب في فترة وجب في جميع الأوقات.

وإذا قلتم : إن على الأمة أن تختـار الفقهـاء العـدول كنـواب عامين عن الإمام المهدي في عصر الغيبة، فنقـول لكم: إن الفقه والعدالة هما شـــرطان تفصــيليان في موضــوع الشــورى ، وان اختيار الإمام الفقيه سيكون بالشورى بلا نص من الله ولا اتصـاف

---

67 - (المصدر)
68 - (معالم المدرستين، ج1 ص 234)
69 - (قيام الأئمة ص 102)

بالعصمة ، ولماذا كان محرما على الأمة أن تختار الفقهاء العدول بالنيابة عن رسول الله؟ وإذا كانت الشورى جائزة خلال أكـثر من ألف عام ، فلماذا كانت محرمة في البداية؟

ونظرا لشـعورك بعـدم وجـود واقع تـاريخي لنظرية الإمامة الإلهية البديلة عن الشـورى ، طـرحت: (نظرية الوصـية) وذكـرت في كتابك وصية الأنبيـاء السـابقين كـآدم وموسى وعيسى عليهم السـلام ، الـذين قلت : انهم أوصـوا إلى خلفـائهم شـيث ويوشع وشمعون ، وقلت: لم يكن خاتم الأنبيـاء بـدعا من الرسل ليـترك أمته دون تعـيين ولي الأمر من بعـده، كلا لم يـترك خـاتم النبـيين والمرسـلين المجتمعـات الإسـلامية للأبد دون أن يعين أولي الأمر من بعده ، بل عينهم بألفـاظ مختلفة وفي أمـاكن متعـددة ، منها ما خص بالـذكر الإمـام من بعـده ، ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة .[70]

وقلت: ما أشـبه تعـيين الوصي في هـذه الأمة في أمة موسى[71] ، وقد جعل الله هـارون ردأا لموسى ووزيـرا وشـريكا في النبـوة استخلفه موسى في قومه ، فلما نص خـاتم الأنبيـاء على أن عليا بمنزلة هـارون من موسى واسـتثنى من كل ذلك النبـوة ، وانه لا نبي بعده ، بقي للإمام علي ردأ ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد رسـول الله ومن بعـده الخلافة في قومه ، وحمل عبء التبليغ ، وكـذلك الأمر مع ولديه الحسـنين ، ونسـتثني النبـوة مما كـان للأسـباط لأنه لا نـبي بعد خـاتم الأنبيـاء ، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن الله.[72] وقد أكد رسول الله في رواياته على إمامة الإمام الأول علي بن أبى طـالب أكـثر من سائر الأئمة وعلى البشارة بـآخرهم وعلى أن عـددهم اثنا عشر ، لأنه إذا ثبت الأول والآخر والعـدد ، لا يبقى أدنى شك في من هم الأئمة الـذين عـددهم اثنا عشر ، وأولهم الإمـام علي وآخـرهم المهدي.[73]

وقلت: إن الوصـية من الأنبيـاء والرسل أن يعهد الرسل إلى أوصـيائهم حمل شـريعتهم بعـدهم إلى النـاس ورعاية أمتهم من بعـدهم ، وفي هـذه الأمة فعل خـاتم الأنبيـاء مثل من سـبقه من الرسل وعهد إلى الإمام علي تبليغ شريعته ورعاية أمته من بعـده

[70] - (معالم المدرستين ص 494)
[71] - المصدر، (ص 500)
[72] - (ص257)
[73] - (ص 530)

، بواسطة عهد إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده ، وأخبر النبي المسـلمين بكل ذلك تـارة بلفظ الوصي والوصـية ومشـتقاتها ، وأخـرى بألفـاظ أخـرى تـؤدي المعـنى نفسه ، فلقب الإمـام علي بالوصي.[74]

وقلت: إن الوجـود الإسـلامي الـذي جـاء به صـاحب كل شـريعة ينتفي في عصر عدم وجوده وعدم وجود أوصـيائه ، كما وقع ذلك في شريعة الرسـولين موسى وعيسى وكتابهما التـوراة والإنجيل بعد تحريف بعضهما وكتمان بعضهما الآخر ، وبما أن حكمة الـرب اقتضت بقاء شريعة خـاتم الرسل (ص) إلى آخر يـوم الـدهر فقد أطال بقدرته ومشيئته عمر الثاني عشر من أوصيائه المهـدي إلى آخر يوم الدهر.[75]

وقبل أن اقدم ملاحظاتي على هـذه النظرية أود أن أذكـرك بـأمر غفلت عن الإشارة إليه، وهو استمرار الوصـية في ذرية يوشع بن نـون، ولو راجعت العهد القـديم لوجدته يتحـدث عن حصر الكهانة والوصـية والقيمومة على الـدين في بـني لاوي ، أو اللاويين من بقية الأسباط.

أما الملاحظات فهي كما يلي:

1- إن وصية الأنبياء السابقين إلى نبي أو أنبياء محددين أو غـير محـددين لا يعـني بالضـرورة وصـية الرسـول الأعظم إلى وصي أو أوصياء من بعده للمحافظة على النبوة والرسالة.

2- وقد كـان الإمـام علي فعلا وصي رسـول الله وتلك وصـيته موجودة حرفيا ومذكورة في كتب التاريخ ، وهي تتحدث عن أمـور شخصـية وروحية وأخلاقية ولا تشـير إلى موضـوع الوصية على أمور الدين.

3- ولا يوجد أي دليل على امتداد الوصية في ذرية الإمام علي إلى يوم القيامة.

4- ولا يوجد أي أثر لوصـية الإمـام الحسـين إلى ابنه زين العابدين.

---

74 - (المصدر، ص 229)
75 - (قيام الأئمة ص 90)

5- كما لم يوص عدد من الأئمة الآخـرين إلى أولادهم ، وكـانت وصايا الآخرين عادية شخصـية ومالية ، ومشـتركة بين جميع الأبناء ، ويضيف بعضها الزوجات وأشخاص من خارج الــبيت كالمنصور العباسي أو والي المدينة.

6- إن الإمـام العسـكري أوصى إلى أمه "حـديث" بماله ، ولم يــوص إلى أي شـخص آخر ، كما لم يتحــدث عن موضــوع الإمامة أو الوصـية على الـدين . وهو ما يثبت اختلاق نظرية الوصية الممتدة إلى يوم القيامة من قبل المتكلمين.

7- ثم أين أثر الوصـية؟ ومـاذا تعـني في حالة الإمـام الغـائب المفترض؟ وما هو الفرق بين وجودها وعدمها؟

8- ما هو الدليل الإسلامي على وصية النبي عيسى لشــمعون؟ وقد ادعى الوصية كثيرون.

9- قلتم في مكـان: إن النـبي ذكر جميع أسـماء الأئمة ، وقلتم في مكـان آخـر: إن النـبي عهد إلى الإمـام علي وعهد إلى بنيه بواسطته.

10- إن تحريف رسـالة النـبي موسى تم مع وجـود الأنبيـاء في السبي وبعده ، ولم يحدث مؤخرا ، وقد تعهد الله تعـالى أن يحفظ القــرآن الكــريم من الــتزوير والتلاعب ولم يشر إلى حفظ الدين عبر أوصياء ، ولم يمنع وجـود الأئمة الأحد عشر من الــتزوير والتلفيق على رســول الله في القــرون الثلاثة الأولى فكيف يمنع الإمام الغائب عملية الدس والــتزوير بعد ذلك وفي ظل الغيبة التامــــة؟ ولمـــــاذا لم يمنع الشــــيعة الامامية من القــــــول بنظرية التقية والانتظــــــار قرونا من الزمن؟

11- لا يوجد أي دليل على الدنيا سوف تنتهي مع وفـاة الإمـام الثاني عشر المفترض ، بل إن الصدوق والطوسي وغيرهما يروون روايات عديدة حـول اسـتمرار الإمامة في ذريته في المستقبل.

12- إن صحة نظريتكم في استمرار الوصية، تعتمد على قدرتكم على إثبات وجود وولادة واسـتمرار حيـاة (محمد بن الحسن العسكري) ودون ذلك خرط القتاد.

13- أما ما نقلت من التـــوراة حـــول ولادة اثـــني عشر إماما لإسماعيل ، فان الإمامة حسب تعبيرك تشمل النبوة ، فأين هو إذن الرسول محمد (ص) من الاثني عشـر؟ وكـان يجب أن يقول ، لو صحت الرواية والتأويل: (ثلاثة عشر). هـذا إذا لم نحتمل وجـود أئمة أو أنبيـاء آخـرين من ذرية إسـماعيل قبل النبي محمد (ص) .

14- إن كلمة الأسباط لا تعني الأحفاد ، وإنما تعني اثنتي عشرة قبيلة كان يتكون منها المجتمع اليهودي ، ومن هنا فلا مجال للمقارنة بين سـبطي الرسـول وبين أسـباط بـني إسـرائيل الذين لم يكونوا أوصياء لموسى ، وإنما كـان بعضـهم يحمل ميراث النبوة.

إن كل ذلك يــدعوك إلى إعــادة النظر في كتبك ، ودراسة نظرية الإمامة الإلهية أو الوصـية المنسـوبة إلى أهل الـبيت ، من جديد ، والتأكد فيما إذا كـــانت هي نظـــريتهم حقـــا؟ أم ان نظـــريتهم السياســية هي (الشــورى) ؟ وهــذا يســتدعي منك نبذ التقليد ، والتحقيق في مقـــدمات البحث ، كدراسة الرجـــال الـــراوين للأحـاديث والاطلاع على التـاريخ الشـيعي، وهما الأمـران اللـذان أغفلتهما وتجنبتهما في كتاباتك ، والتفكير بصورة شـاملة وواقعية بعيدا عن المثاليات الوهمية التي لا وجود لهـا، فـان ما تحتـاج إليه امتنا الإســـلامية هو تكـــريس نظرية الشـــورى وتعزيزها بين المســـلمين الـــذين يعيشـــون تحت رحمة الأنظمة الديكتاتورية الرهيبة ، والديكتاتورية المغلفة باسم الدين.

وبهذه المناسبة أدعـوك للمـرة الأخـيرة إلى إلقـاء نظـرة على البحث الموسع الـذي قمت به في هـذا المجـال، أو تشـكيل لجنة للقيام بذلك ، عسى الله أن يوفقنا لخدمة دينه الحنيف والتعــرف على مـذهب أهل الـبيت الحقيقي الـذي تعـرض في حيـاتهم وبعد وفاتهم لكثير من التشويه والتحريف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

احمد الكاتب ، لندن 20/شوال/ 1414هـ / 1994م

7 - مع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، في كتابه "المهدي.. الثورة الكبرى":

الأدلة العقلية لا يمكن أبدا أن تضع إصبعا على شخص معين

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي المحترم

الحوزة العلمية – قم ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد قرأت كتابكم باللغة الفارسية (المهدي الثورة الكبرى) الذي تتحدثون فيه عن فوائد نظرية الإيمان بوجود مصلح عالمي وتردون الاتهامات القائلة بسلبية الانتظار ، وذلك بتفسيركم لمعنى الانتظار بصورة إيجابية لا سلبية كما يسيء فهمها البعض حسب قولكم ، وعن هوية المهدي وبعض الأسئلة التي تحيط به.

وقد قلتم في مقدمة الكتاب بأنكم ترحبون بأية وجهة نظر أخرى ، ولذا فأرجو أن تسمحوا لي بتقديم بعض الملاحظات السريعة التي أرجو أن تأخذوا بها بنظر الاعتبار.

لقد كان كتابكم يحاول شرح وتفسير ظاهرة المهدي العامة والخاصة قبل أن يكون محاولة للغوص في بحث تحديد هوية المهدي ، وقد أحلتم القراء الى مراجعة كتاب الشيخ لطف الله الصافي (منتخب الأثر في النص على الإمام الثاني عشر) ونقلتم منه بعض الفقرات والأحاديث، واعتقد أن من المهم جدا القيام بصورة دقيقة ببحث موضوع وجود المهدي (محمد بن الحسن العسكري) الذي يعتقد به الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، والذي يختلفون حوله مع سائر المسلمين.

وكما تعرفون فان المتكلمين الشيعة الأوائل استدلوا على وجوده بعدة أنواع من الأدلة : أولها الدليل العقلي وثانيها التاريخي وثالثها النقلي ورابعها المعاجز وخامسها الإجماع ، ولكنكم لم تشيروا إلا الى الدليل النقلي الروائي وأعرضتم صفحا عن الإشارة الى الدليل العقلي الذي كان يعتبر الأول والأساس

في بداية تكون النظرية المهدوية الاثني عشرية كما أعرضتم عن الإشارة الى الدليل التاريخي فضلا عن الأدلة الأخرى.

وكان الدليل العقلي يعتمد على النظرية الامامية التي تقـول : (بضرورة وجود إمـام في الأرض، وان ذلك الإمـام لا بد أن يكـون معصـوما، وان المعصـوم لا يعرفه إلا اللـه، وبالتـالي فلا طريق لمعرفة الإمام من قبل الأمـة، ومن هنا فـان على الله أن يعـرِّف المسلمين بالإمـام المعصـوم عن طريق النص ، وان الله قد عيَّن الإمـام عليا خليفة من بعد الرسـول، وان الإمامة اسـتمرت في ذريته الى يـوم القيامة وانها لا تكـون في أخـوين بعد الحسن والحسـين، وانها وصـلت الى الإمـام الحسن بن علي العسـكري، وانه قد مات وان أخاه جعفر ليس بإمام فلا بد من افتراض وجود ولد له وان لم نر أثـرا له ، وانه الإمـام بعد أبيه وانه المهـدي المنتظر) ويبدو أنكم لا تؤمنون بهذا الدليل العقلي حيث قلتم في كتـابكم:" إن الأدلة العقلية لا يمكن أبـدا أن تضع إصـبعا على شخص معين ، وان نتائجها كلية".[76]

أما الدليل النقلي فيعتمد على روايات عامة بخروج مهدي في آخر الزمان ويضيف إليها بعض الروايات الخاصة التي تحدد اسمه ، كما يعتمد على رواية الاثني عشرية وان الثاني عشر الغائب هو المهدي المنتظر.

أما الـدليل التـاريخي فيتحـدث عن قصة ولادة (محمد بن الحسن العسكري) ومشاهدة بعض الشيعة له في حياة أبيه وعند وفاته وبعد ذلك ، واعتقد إنكم تعرفـون قيمة الروايـات التاريخية التي تشبه الأساطير والتي لا يوجد لها أي سند.

أما الدليل النقلي الذي لم تبحثوا فيه بعمق، واعتمدتم على ما نقل الشيخ الصـافي، فانه يقـول في مقدمة كتابـه: "انه لم يبحثه بدقة اعتمادا على شهرة الروايات" ولو بحثتموه لوجدتم انه ليس إلا روايـات مختلقة أو عامة لا تفيد تحديد شـخص المهـدي ، وقد قـدمت قبل حـوالي سـنتين بحثا مفصلا في تلك الروايـات الى سـماحة الشـيخ الصـافي واعتقد انه شـكل لجنة لدراسـتها ولم يعطـني أية إجابة مكتوبة حـتى الآن ، ويكفي في الـرد على تلك الروايـات عـدم اسـتطاعة أحد أن يثبت بالأدلة التاريخية العلمية وجـود شـخص (محمد بن الحسن العسـكري) وولادتـه. ومن هنا فإنها قابلة للتأويل والتفسير والرد.

---

[76] - (الشيرازي، المهدي الثورة الكبرى، ص 213)

أما الـدليل العقلي الـذي يعتمد على نظرية العصـمة والنص ويحتاج الى مناقشة في كل جـزء من تفاصـيله الكثـيرة والطويلة فهو في الحقيقة ليس دليلا عقليا ويرجع الى النقل في أهم فقراته ، وبالإضـافة الى ذلك فانه يشـكل السـبب الرئيسي في تخلف الشـيعة قرونا من الزمـان ، وإذا قلتم لي كيـف؟ فـإني احيلكم على كتب الفقه الـتي كتبها الأولـون والمشـحونة بنظرية التقية والانتظار التي تحرم الثورة والجهـاد وإقامة الحـدود والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر وصـلاة الجمعة وكل ما يتعلق بالدولة في عصر الغيبة بـدعوى حرمة إقامة الدولة لغـير الإمـام المعصوم ، وان ذلك الإمام المعصوم المعين من قبل الله موجود وهو يـراقب الأحـداث والتطـورات ويسـتعد للثـورة والخـروج في اللحظة المناسبة.

وإذا كان انتظارُ خروجِ مصلحٍ ما لا يحمل معنى سلبيا ، فـان الإيمـان بإمـام مسـؤول ومكلف من اللـه، حي موجـود مـراقب ، وعدم جواز التصدي أو اتباع إمام غير معصوم، كان بالتأكيد يحمل معـنى سـلبيا مـدمرا ومخـدرا ، ويمكنك مراجعة كتـاب (جـواهر الكلام) للشـيخ حسن النجفي ، بـاب القضـاء ، حيث يبحث نظرية ولاية الفقيه ، إذ يقول بعـدم شـمول الولاية لإقامة الدولة واتخـاذ الأمـراء والسـلاطين، وذلك لاسـتحالة فعل ذلك في عصر الغيبة والتقية والخـوف، وإذا ارتفع الخـوف وجب على الإمـام المهـدي الظهـور إذ لا سـبب للغيبة إلا الخـوف ، ولما كـان غائبا عرفنا انه خائف وان الظروف لا تسمح بإقامة الدولة.

وبـالرغم من محاولة بعض العلمـاء الالتفـاف على نظرية التقية والانتظـار بـاختراع نظرية (النيابة العامـة) والتخلي عن شـروط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في (الإمام) المعاصـر، وهو ما سـمح لهم بإقامة الدولة الإسـلامية الحديثة على أسـاس نظرية (ولاية الفقيـه) فـان المشـكلة الكـبرى الـتي تكمن في الإيمان بفرضية (وجـود محمد بن الحسن العسـكري) هي إعطـاء الحـاكم البشـري صـفات وصـلاحيات الحـاكم الإلهي (المعصـوم) المطلقـة، بما فيها الولاية التكوينيـة، وهو ما ينتج أسـوء نـوع من الحكم الديكتاتوري عرفته البشرية حتى الآن.

ولـذا أدعـوك بـإخلاص الى أن تعيد النظر في هـذه المسـألة المهمة جـدا وتبحث بدقة وموضـوعية في أسـاس وجـود المهـدي (ابن العسكري) وما تخلفه من سلبيات ، وليس (المهـدي العـام) الذي لا يضر الإيمان به ولا ينفع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد الكاتب

7 ربيع الأول 1415 / 1995

8 - مع الشـيخ لطف الله الصـافي، في كتابه (منتخب الأثر في النص على الإمام الثاني عشر):

الخلط بين التواتر، والشهرة في القرون المتأخرة

سماحة العلامة الكبير الشيخ لطف الله الصافي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فقد كنت بعثت إليكم برسالة قبل أكـثر من عـام دعـوتكم فيها لمناقشة كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) والذي أقـول فيه : إن نظرية المهـدي عند أهل البيت كانت عامة وغامضة وغـير محـددة من قبل ، وان تحديـدها في (محمد بن الحسن العسـكري) قد حـدث بعد وفـاة الإمـام العسكري ، افتراضا واجتهادا من قسم من أربعة عشر قسما من الشيعة الامامية أتباع الإمـام العسـكري ، وذلك في محاولة منهم للخـروج من الحـيرة والأزمة الفكرية الـتي وجـدوا أنفسـهم فيها عندما توفي العسكري ولم يـوص الى أحد من بعـده ولم يتحـدث عن مصـير الإمامة ولم يكن له ولد ظـاهر ، فاضـطر ذلك الفريق من الشيعة الى افتراض وجـود ولد له قـالوا انه الإمـام من بعـده ثم قـالوا انه المهـدي المنتظـر. وزعمـوا: أن أبـاه قد أخفـاه تقية وخوفا عليه وانه حي موجـود وانه يتصل ببعض النـواب الخاصـين (السفراء الأربعة)

وكـانت هـذه الخلاصة الـتي توصـلت إليها بعد دراسة طويلة وعميقة ، قد أقلقتني وأقضت مضجعي لأنها كـانت مخالفة لكثـير

مما نشـــأت عليه وكنت اعتقد به من قبل .. ولكنـــني لم أحب التســرع في الالــتزام بهــذه الخلاصة والتبشــير بها خوفا من أن أكـــــون مخطئا في منهجية البحث أو غــــافلا عن بعض الأدلة والـبراهين الـتي ربما لم أتوصل إليها بـالرغم من بحـثي عن كل شـيء.. وقد لجـأت إليكم باعتبـاركم الأكـثر علما والأغـزر كتابة وبحثا عن موضوع (الإمـام المهـدي) في الـوقت المعاصر ، ولكم عدة كتب حول ذلك ، كما توسلت الى كثير من المراجع والعلماء والأساتذة المختصين أن يناقشـوا رسـالتي ، وتمـنيت من أعمـاق قلـبي أن أكـون مخطئا أو مشـتبها حـتى لا انحـرف عن خط أهل الـبيت (ع) الـذين رضـعت حبهم منذ طفولـتي ولا زلت أؤمن بهم وأجلهم أعظم إجلال – والحمد لله – ولكني مع الأسف الشديد لم ألقَ إجابة مناسبة من معظم أولئك العلمـاء الـذين رفض بعضـهم بشدة مجرد الاطلاع على الدراسة ، وكنتم واجدا من الذين طلبوا الاطلاع عليها ، وقد أرسـلتها لكم بواسـطة الشـيخ علي العـالمي إمام المجمع الإسـلامي في لنـدن ، وقد أخـبرني سـماحة الشـيخ العـالمي بعد ذلـك: إنكم ألفتم لجنة من العلمــاء في قم لدراسة الكتاب والرد عليه ، وقد سررت بذلك وانتظـرت النتيجة طـويلا ، وسمعت أنكم قد أعـددتم جوابا شـفهيا ، وطلبتم سـفري الى قم لعــرض ردكم علي ، وقد اعتــذرت عن الســفر لأســباب عديــدة وطلبت من سـماحتكم عـبر السـيد جـواد الكلبايكـاني أن تكتبـوا ملاحظاتكم وترسلوها إلي لأني أحب أن انشر ردكم علي بقلمكم سواء اقتنعت به أو لم اقتنع ، ولكنني لم اسـتلم منكم أي جــواب مكتوب حتى الآن.

وقد نقل لي بعض الأخوة عنكم أنكم توصون بعدم طبع الكتاب وصــرف النظر عنه ، ولكن ذلك يصــعب علي حيث بِتُّ معتقــدا بـــاختلاق نظرية وجــود المهــدي (محمد بن الحسن العســكري) وإدخالها في تراث أهل البيت (ع) وإلصـاقها بهم ، بيد أنى لا زلت مسـتعدا لتغيـير قنـاعتي فيما إذا رددتم على كتـابي وأقنعتمـوني بخطأ معلوماتي أو منهجيتي في البحث ، وصدق الأدلة على وجود المهدي ابن الحسن العسكري وقوتها، خاصة وان المسألة لم تعد تقتصر على شخصي وإنما أضـحت فكـرة مطروحة في الأوسـاط الثقافية الشيعية وتبحث عن جواب.. ولذا اطلب منكم مرة أخرى أن تولوا الموضوع أهمية قصوى وان تشـكلوا لجنة أخـرى قـادرة على الــرد أو تطلبــوا من اخــوتكم وزملائكم العلمــاء في قم أن يقومــوا بــذلك، وأنا مســتعد للاســتماع إليهم في نــدوة حــوار ومناقشتهم في الأدلة الجديدة.

هـذا وكنت قد اطلعت على مجموعة من كتبكم حـول المهـدي وبالأخص كتاب (منتخب الأثر في النص على الإمام الثاني عشــر) الذي يحتوي على كثير مما كتبه الأولـون منذ ألف عـام ، ولكنـني لم اسـتفد منه شـيئا إضـافيا أكـثر مما كتبه مشـايخ الطائفة بعد وفـاة الإمـام العسـكري ، وقد وجدته يهمل بعض أهم الأدلة الـتي ذكرها أولئك ويكتفي ببعض.

وكانت لدي بعض الملاحظات الأساسية على طريقة تنـاولكم للبحث في هذا الموضوع ، أرجو أن يسعها صـدركم الكـريم ، كما أرجو أن تكون مناسبة لبدء حوار فعلي معكم شخصـيا ، وهي كما يلي:

1- لقد لاحظت أنكم تتبعون منهجا أخباريا متطرفا مرفوضا من أقــدم الإخبــاريين، وهو قبــول الروايــات بــدون أدنى تمحيص في المتن أو السـند، وذلك اعتمـادا على رواية مشـايخ الطائفة لها أو وجودها في كتبهم "المعتــــبرة". ومن المعـــــروف أن المدرسة الأخبارية الحشوية كانت تفعل ذلك في قديم الزمان ولذلك قبلت الروايـات الـتي تتحـدث عن تحريف القـرآن، ولكنها تطـورت بعد ذلك على يدي الشيخ علي بن بابويه الصـدوق وغـيره من الـرواة والمحــدثين الــذين قــاموا بتمحيص الســند وإســقاط الروايــات الضــــعيفة والــــترجيح فيما بينها ، وذلك قبل أن تولد المدرسة الأصـولية الاجتهادية على يــدي الشــيخ المفيد والســيد المرتضى والشيخ الطوسي ومن بعدهم من العلماء.

وقد كــان موضــوع (الإمــام المهــدي) ووجــوده وولادته موضــوعا شــائكا محــيرا وغامضا عند الشــيعة الامامية بعد وفــاة الإمــام العسكري ، لذلك أطلقوا على تلك الفترة اسم (الحـيرة) ثم قـام بعض المحدثين كابن أبى زينب النعمـاني صـاحب (الغيبـة) وتلميذ الكليني ، في القرن الرابع الهجري ، بالاجتهاد والنظر في الأخبـار القديمة والجمع بين عـدد منها وإسـقاط البعض الآخر والاسـتنتاج منها: صحة وجود المهدي وغيبته، كما يقول هو في كتابه، ولكنكم أخذتم الأمر وكأنه من المسلمات والبديهيات الثابتة المفروغ منها التي لا تحتاج الى مناقشة.

2- لقد استعرضتم في كتابكم نظرية وجود المهدي وحاولتم الإتيان بالأدلة والبراهين (الأحاديث) على صحتها ولم تشـيروا الى وجود اختلاف بين الشيعة، ولا الى الحيرة الـتي عصـفت بالامامية وفرَّقتهم الى أربعة عشر فرقة حـول موضـوع الخلف ، وبالتـالي

لم تناقشـوا النظريـات المهدوية الأخـرى الـتي كـان يقـول بها الشيعة ذلك الحين والتي بلغت أكثر من عشرين نظرية.

3-لم تناقشـوا الأدلة الـتي سـقتموها على صـحة النظرية المهدوية للإمام الثاني عشر ، من المعاجز التي ادعاها أو نسـبت الى (النواب الأربعة الخاصين) أو القصص التاريخية الـتي تحـدثت عن ولادة المهدي ومشـاهدته في حيـاة أبيه ، وبعد ذلـك، بـالرغم من وجود علامات استفهام كثيرة حولها؟

4- لقد أغفلتم الرواية التاريخية التفصيلية لظروف وفاة الإمام العســكري ومســألة الوصــية بأمواله وأملاكه لأمه المســماة بـ:"حديث" وادعاء أخيه جعفر بالإمامة وإقبال عامة الشـيعة عليه في البداية ثم اختلافهم وتفــرقهم ، كما أغفلتم مســألة الخلاف داخل البيت العلـوي بين أبنـاء الإمـام الهـادي وحـدوث البـداء في إمامة السـيد محمد بن علي الهـادي ، وشك الشـيعة في إمامة الحسن العســكري ، وما الى ذلك من القضــايا التاريخية الــتي شـكلت المقدمة والمـدخل للقـول بفرضـية وجـود ولد للإمـام العســكري ، مع ما في ذلك من أهمية قصــوى للوصــول الى النتيجة المفترضة.

5- لقد قمتم بالخلط بين مجموعة من المقــدمات العامة والخاصة بصــورة غــير علمية ولا منطقية فأشــرتم الى اتفــاق المسـلمين وإجمـاعهم حـول ظهـور مصـلح (مهـددي) في آخر الزمـان ، وقلتم: إن الأحـاديث الـواردة حـول ذلك متـواترة.. ثم قفـزتم بعد ذلك لتؤكـدوا صـحة النظرية الاثـني عشـرية الخاصة بالمهدي ، وذلك بالرغم من اختلاف الشيعة والإمامة وحـتى اتبـاع الإمام العسـكري حـول حقيقة المهـدي أو الإمـام من بعـده ، مما ينفي وجود أي إجماع أو شهرة أو تواتر حـول المهـدي (محمد بن الحسن العسكري).

6- لقد أشرتم بصورة خاطفة في كتابكم الفارسي (نويد أمن وأمـان) الى الـدليل العقلي حـول وجـود المهـدي ابن الحسـن، ولكنكم لم تــذكروا الــدليل بدقة وبصــورة كاملة وإنما اكتفيتم ببعض مقدماته وهي : (ضــرورة الإمامة الإلهية ووجــوب كــون الإمام المعصـوم في جميع الأعصـار وعـدم جـواز خلو الأرض من وجود الحجة خوفا من سيخانها بأهلهـا) وقلتم: إن ذلك يـدل على وجــود صــاحب الزمــان وإمامتــه، كما قلتم: إننــا إذا أخــذنا في

الاستدلال بالبراهين العامة على الإمامة فإنها تكفي لإثبات وجـــود إمام العصر وغيبته.[77]

ولكن علمـاء الكلام لا يكتفـون بتلك المقـدمات لإثبـات وجـود المهدي وإنما يضيفون إليها مقدمة مهمة جدا وهي: (عـدم جـواز الإمامة في أخـــوين بعد الحسن والحســـين ، وضـــرورة انتقـــال الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب بشـكل وراثي عمـودي الى يوم القيامة) و (عدم كون الإمام العسـكري هو المهـدي الغـائب واثبات وفاته وعدم عودته الى الحيـاة مـرة أخـرى) ثم الاسـتنتاج من كل ذلك: ضرورة وجـود ولد له لكي تسـتمر الإمامة في عقبه ، بالرغم من عدم إشارته الى ذلك أو الوصية الى أحد من بعـده بالإمامة.

وان موضـوع (عـدم جـواز إمامة الأخـوين) مبـدأ لم يكن يجمع عليه الشيعة الامامية في ذلك الـوقت فقد كـان الشـيعة الامامية (الفطحية) يجـيزون انتقـال الإمامة الى أخـوين عند عـدم إنجـاب الإمـام السـابق لولـد، كما فعلـوا عنـدما تـوفي الإمـام عبد الله الأفطح حيث انتقلــوا الى القــول بإمامة أخيه الإمـــام موسى بن جعفر الكـاظم ، وإذا أخــذنا بقــولهم لا تعــود هنــاك أية ضــرورة لافتراض وجـود ولد للإمـام العسـكري والادعـاء انه المهـدي، كما رفض عامة الشـيعة افـتراض بعض الفطحية بوجـود ولد لعبد الله الأفطح والقـــول إن اســـمه (محمد بن عبد اللــه) وانه المهـــدي المنتظر الغائب.

7- ما هو مفهومكم للتواتر؟ هل تعنون به الشهرة والتواتر في القرون المتأخرة؟ وهذا – كما تعلمـون- لا ينفع في توثيق الأخبـار الـتي قد تكـون مختلقة في مرحلة زمنية سـابقة وغـير موجـودة بالمرة في مرحلة زمنية أسبق..

وقد استغربت جدا من دعواكم التواتر في أحـاديث (المهـدي محمد بن الحسن العسكري) بالرغم من اختلاقها جميعا في عصر الحيرة أو بعد مائة عام من وفاة الإمام العسـكري ، ولست أدري لماذا لم تتوقفوا لحظة واحدة لتسألوا أنفسكم: إذا كانت القضية متـــواترة وثابتة وبديهية ومجمع عليها فلمـــاذا وقع الشـــيعة في الحيرة؟ ولماذا افترقوا الى أربعة عشر فرقة أو أكثر من ذلك؟

---

77 - (المصدر، ص 51)

8- ادعيتم في اكثر من مكان: ان أحاديث المهدي (محمد بن الحسن العسكري) كانت مسجلة في الأصول القديمة للشيعة منذ عصر الإمام أمير المؤمنين (ع) وقبل ولادة أبيه ، ولكنكم لم تذكروا أسماء تلك الكتب والأصول ولا أصحابها ، ولم تتحدثوا عن مدى صحتها وصدقها.

وفي الحقيقة لا يوجد كتاب واحد يشير الى ذلك ما عدا كتاب (سليم بن قيس الهلالي) وهو كتاب مختلق اشتهر في فترة الحيرة ، ويقول عنه ابن الغضائري والشيخ المفيد في (شرح عقائد الصدوق): انه كتاب موضوع ومختلق ولا يجوز الاعتماد عليه ، فأين هي المصادر المعتبرة والموثوقة من السنة والشيعة والمؤلفة في القرن الأول الهجري؟

9- اعترفتم ضمنا بضعف سند بعض الأخبار الواردة حول المهدي وغرابة بعضها واستبعاد وقوع بعضها الآخر، وقلتم:" إن ضعف السند في بعضها لا يضر بغيره مما هو في غاية الصحة والمتانة سندا ومتنا ، ولا يلزم رفع اليد عن جميع الأحاديث الصحيحة لمكان الأخبار الضعيفة مع اشتهار مفادها بين كافة المسلمين وكون أكثر مخرجيها من أئمة الإسلام وكابر العلماء وأساتذة فن الحديث موجب للقطع بمضمونها. هذا مضافا الى أن ضعف السند إنما يكون قادحا إذا لم يكن الخبر متواترا ، وأما في المتواتر منه فليس ذلك شرطا في اعتباره".[78] ولكنكم لم تميزوا بين الأخبار الضعيفة والصحيحة ، ولم تبينوا ما هي الأخبار التي هي في غاية الصحة والمتانة سندا ومتنا ، في حين لا يوجد في الحقيقة خبر واحد صحيح سندا حول ولادة أو وجود شخص اسمه (محمد بن الحسن العسكري) وفي هذه الحالة ألا يلزم التوقف ورفع اليد عن تلك الأخبار الموضوعة في الزمن المتأخر؟

ثم ما هي الأخبار الصحيحة التي اشتهر مفادها بين كافة المسلمين؟ هل تقصدون أخبار المهدي العام غير المحدد؟ وهذه لا تفيد أية دلالة على وجود المهدي (محمد بن الحسن العسكري).

ثم من تقصدون بأئمة الإسلام وأكابر العلماء والأساتذة في فن الحديث؟ هل تقصدون عامة علماء المسلمين؟ أم عامة علماء الشيعة؟ أم علماء الفرقة الاثني عشرية الأوائل؟ وهؤلاء بين متهم باختلاق تلك الأحاديث وبين متهم بالضعف والتسامح في

---

[78] - (ص 2 منتخب الأثر)

نقل الروايـات عن الضـعفاء والكـذابين والغلاة وعـدم التـدقيق والضبط.

ان علمـاء الرجـال الشـيعة الاثـني عشـرية يؤكـدون ضـعف مجموعة من الرجـال تنتهي إليهم كل الروايـات الـواردة حـول المهدي (محمد بن الحسن العسكري) والقائمة المسبقة بأسـماء الأئمة الاثـني عشـر، ويمكنكم مراجعة البحث الرجـالي المفصل الـذي أجريته حـول كل رواية رواية من تلك الروايـات، والموجـود لديكم.

ولست أدري من أين اسـتوردتم القاعـدة الـتي تتسـامح في شرط صحة السند إذا كـان الخـبر متـواترا؟ وكيف يحصل التـواتر وتحصل الثقة إذا كان الرواة جميعا ضعافا وكـذابين؟ .. وقد قلنـا: إن تلك الأخبار لم يكن لها وجـود في حيـاة الأئمة من أهل الـبيت (ع) وانها اختلقت فيما بعد واشـتهرت بين من آمن بالنظرية الاثني عشرية ، فهي ليست متواترة أبدا ولا يوجد بينها خـبر واحد صحيح!

ويبـدو أن هـذه الشـبهة قد أوقعت الكثـير من البـاحثين في موضـوع المهـدي وصـرفتهم عن بحث السـند ودفعتهم للتصـديق بالروايـات الموضـوعة والخلط بينها وبين الروايـات الصـحيحة العامة حـول خـروج مصـلح (مهـدي) عند انحطـاط المجتمع الإسلامي.

10- وقد اسـتبعدتم احتمـال وضع تلك الأحـاديث بعد ولادة المهـدي في زمن (الغيبة الصـغرى أو الكـبرى) وقلتم: " انه غـير معقـول بصـورة قاطعة ، وذلك لأن الكتب الـتي تضـمنت تلك الأخبـار مؤلفة من قبل رجـال لا يحتمل فيهم جعل كلمة واحـدة ، وكـانوا معـروفين بالوثاقة والصـدق والأمانـة، انهم أخـذوا تلك الأحـاديث عن شـيوخهم وعن الأصـول المكتوبة قبل ولادة الإمـام المهدي وعبر وسائط معتمدة مائة بالمائة من قبل مشايخ الرواة المعاصـرين للأئمة والتـابعين والصـحابة" واسـتنتجتم:" أن من يراجع تلك الأحـاديث لا يبقى لديه مجـال الشك والشـبهة في أن المهدي هو ابن الحسن العسكري". (ص 6 منتخب الأثر).

ولو قمتم بمراجعة سند تلك الروايات بدقة لأدركتم: أن احتمال وضعها ليس معقولا وواردا فحسب وإنما هو ثابت بصـورة قاطعة وأكيـدة.. وذلك لأن الرجـال الـذين يـروون تلك الأخبـار ، وخاصة

الــذين ادعــوا النيابة الخاصة والســفارة كــانوا موضع تهمة لأنهم كانوا يجرون النار الى قرصهم وكانوا يحصلون على منافع ماديــة، وكانوا متهمين بوضع الروايات التي تؤيد ما ذهبوا اليه من افترض وجــود ولد للحسن العســكري، ولم يكونــوا معــروفين بالوثاقة والصدق والأمانة، وان كتب الرجال الشـيعية تشـهد بـذلك، وانهم لم يــرووا تلك الأخبــار عن أي أصل مكتــوب قبل ولادة المهــدي المزعومــة، ولا عــبر أية واســطة معتمــدة من مشــايخ الــرواة المعاصرين للأئمة.. ومن هنا فان من يراجع سند تلك الأحـاديث لا يبقى لديه مجـال للشك والشـبهة في عـدم صـدق وجـود أي ولد للإمام العسكري.

شــيخنا الكــريم.. لما ذا لا تتحــدثوا بدقة وتضــعوا النقــاط على الحــروف وتـبينوا رواية واحـدة – كمثل –مروية عن رجل موثـوق عن أصل مكتوب أو واسطة معتمدة مائة بالمائة من قبل مشـايخ الــرواة المعاصــرين للأئمــة؟ حــتى تقطعــوا الشك وتســتبدلوه باليقين؟

وقد قلتم: " يكفي حديث معتبر واحد" وادعيتم وجود مئات بل أكثر من ألف حـديث في مئـات الكتب المعتـبرة الجامعة للأخبـار والتـاريخ والرجـال".[79] فما هي تلك الكتب المصـدرية الـتي تعد بالمئـــات؟ ولا يوجد لـــدينا من الكتب المعتـــبرة أكـــثر من أربعة والبقية غير مسندة ولا نستطيع القطع على صـحة نسـبة جميع ما فيها الى مؤلفيها فضلا عن التصديق بروايتهم عن غيرهم.

11- ولقد أشـرتم في أحد كتبكم: الى أن الإيمـان بالمهـدي (محمد بن الحسن العسكري) جزء من الإيمان بالغيب الذي يجب على كل مؤمن أن يعتقد به.[80]

ولكن إذا سقطت تلك الروايات الواردة حول الموضوع لا يبقى مجال لربط الإيمان بقضية لا دليل عليها بمسـألة الإيمـان بـالغيب الـواردة في القــرآن الكــريم والمقصــود منهــا: الإيمــان بــالآخرة والملائكة والجن وما شـــابه من الأمـــور المـــذكورة في القـــرآن والسنة الثابتة، ولا أحسبكم تعتقـدون بأننا يجب أن نـؤمن بوجـود المهدي غيبيا أي بلا دليل ، كما يقول يعض من يدعي العلم ، فان ذلك يفتح بابا للإيمان بأية خرافة أو أسطورة غيبيا ودون دليل.

---

79 - (نويد أمن وأمان) ص 34
80 - (نويد أمن وأمان) ص 34

12- وأخيرا.. أود أن أناقش النتيجة العملية التي تهمنا والمبنية على الإيمــان بنظرية وجــود الإمــام المهــدي (محمد بن الحسن العسكري) وهي الموقف العملي من إقامة الدولة الإســلامية في عصر الغيبة، فقد طرحتم نظرية (النيابة العامة للفقهاء) واعتبرتم حكـــــومتهم هي الحكومة الشــــرعية الوحيـــــدة، وحكمتم على الحكومـــات الأخـــرى المنتخبة من الشـــعب أو غيرها بالحرمة والبطلان .[81]

وهــذه نظرية حادثة وجديــدة ، وقد كــانت النظرية الأولى الســـــابقة هي نظرية (التقية والانتظـــــار) وحرمة إقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، ولا تزال آثارها ممتدة حـتى اليـوم في فتاوى الفقهاء المعاصـرين الـذين يحرمـون أو يهملـون كثـيرا من الجــوانب الحيوية في الإســلام بــالرغم من قــولهم بنظرية ولاية الفقيه.

وكانت تلك النظرية تشكل الوجه الآخر الملازم للإيمان بوجود الإمـــام المعصـــوم الغـــائب وحرمة إقامة الدولة لغـــير الإمـــام المعصوم ، ومن هنا فقد تحتم الالتزام بالتقية والانتظـار ، ولـذلك كان العلماء الأوائل كالشيخ الصدوق يرفضون نظرية ولاية الفقيه بشدة.

وفي الحقيقـة: ان اضـطرار الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية للإيمـــــان بنظرية ولاية الفقيه كــــان انقلابا في الفكر الشــــيعي الإمــامي وتخليا عن أهم أركــان النظرية الامامية وهي (العصــمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمـام ، أي الحـاكم) وهـذا ما يشكل تناقضا صـارخا مع المقـدمات الكلامية الـتي قـادت الى افتراض وجود ولد للإمام العسـكري ، وإذا أجزنا قيـام إمـام فقيه عادل غـير معصـوم ولامعين من قبل الله لا تبقى هنـاك أية حاجة لافتراض إمام معصـوم لا تـراه الأبصـار منذ اكـثر من ألف عـام ، وهو ما يتنـاقض مع فلســفة الإمامة وضـرورة وجــود الإمــام في الأرض.

إن وجوب وجود الإمام هو للقيام بمهمات الإمامة وليس للقيام بمهمة إدارة الكون حسبما يعتقد بعض الغلاة ، وان الغيبة تتناقض ببســـاطة مع مهمة الإمامـــة. وقد أتعب المتكلمـــون الامــــاميون أنفسهم كثيرا في فلسفة الغيبة وحاولوا الخروج من المأزق الذي أوقعوا أنفسهم فيه بلا طائل.

---

81 - (في كتاب:الجواب عن عشرة أسئلة ص 16)

ثم إن نظرية ولاية الفقيه المبنية على نظرية النيابة العامة المحدثة نظرية تحمل في طياتها مخــاطر إقامة حكم ديكتــاتوري مطلق يســتحوذ على صــلاحيات رســول الله باسم النيابة العامة عن الإمام المهدي ، ويؤدي بالتالي الى إلغاء دور الأمة في تعــيين الإمام أو تحديد صلاحياته، وهو ما يشكل خطورة توازي الخطورة الناجمة عن الانســـحاب عن المســـرح السياسي باسم التقية والانتظار.

سماحة الشيخ الصافي:

إن كل ذلك يدعونا – على الأقل – الى إعادة النظر في مسألة وجـود الإمـام المهـدي (محمد بن الحسن العسـكري) والتأكد مما إذا كان القول بولادته واستمرار حياته حتى الآن مسـألة حقيقيـة؟ أم فرضية فلسفية وهمية اجتهادية؟ إن الإجابة الصحيحة عن ذلك كفيلة بهدايتنا الى الطريق الإسـلامي السياسي الصـحيح.. طريق أهل الــبيت الــواقعي .. طريق الشــورى والتــوازن بين الحــاكم والمحكوم.

هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

احمد الكاتب

10 شوال 1414هـ/1994

9 - مع الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية)[82]

استبعاد نظرية تطور الفكر الشيعي، وتشكيك بالأمانة العلمية للكاتب

لعل من أبرز الكتب التي تستحق التوقف عندها، كتاب الدكتور الصـغير، والـدكتور - كما هو معـروف - درس أكـثر من عشـرين عاما في حـوزة النجف الأشـرف من عـام 1952 حـتى 1975 ، وتخرج على يدي الإمـام الخـوئي، وجمع بين الدراسـات الحوزوية والحديثة، حيث أكمل دراسـاته العليا في الآداب في جامعة بغـداد وجامعة القـــاهرة وجامعة درهـــام البريطانيـــة، وحصل على

---

[82] - د. محمد حسين الصغير، الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية ، ردا لشبهات أحمد الكاتب . دار المؤرخ العربي لبنان 2000

الـدكتوراه ودرجة الأسـتاذية (البروفيسـور) عـام 1988، وأسس الدراسات العليا في جامعة الكوفة عام 1988 ، وأشرف وناقش أكثر من مائة رسالة ماجسـتير ودكتـوراه في الدراسـات القرآنية والبلاغية والنقديــة، وله أكـثر من خمســين بحثا علميا وعشــرين مؤلفا.

وهو ما يؤهله جـدا لمناقشة كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشـيعي من الشـورى الى ولاية الفقيـه) أفضل مناقشة علميـة. وفي الحقيقة عنـــدما رأيت كتابه وقرأته عنوانه ســـررت بقيامه بالرد، أكثر من الـردود الـتي قرأتها لرجـال دين آخـرين، رغم أني فهمت من العنوان الفرعي (رداً لشبهات أحمد الكـاتب) أنه يتخذ موقفا ناقدا، وحسبت أنه سوف يقـوم بـرد علمي على ما ذكـرت في كتابي من تطور الفكر السياسي الشيعي، ويأتي بما لديه من أدلة علمية لدحض ما طـرحت من أفكـار، بـروح علمية أكاديميـة. ولكن صـدمتي به كـانت كبـيرة إذ أنه عـبر منذ البداية عن موقف رافض لأي تفكير أو مناقشة أو نقد أو نقض لأي مبدأ من مبـاديء الفكر الإمـــامي، الـــتي اعتبرها نســـخة واحـــدة متكاملة وثابتة وجامــدة، نازلة من الســماء، ومجمع عليها منذ عهد رســول الله (ص) حتى اليوم، وبالتالي فلا مجال لأي نقاش أو حوار فيها. فقد قـال في الصـفحات الأولى من كتابــه، بعد أن اسـتعرض أصـول الـــدين عند الشـــيعة وهي التوحيد والنبـــوة والإمامة والعـــدل والمعـاد:"هـذه أوليـات اعتقـاد الإماميـة، وهي مبـاديء أساسـية وليست هامشية، فقد قام عليها إجمـاع الامامية منذ عهد رســول الله (ص) حــتى اليــوم" وأضــاف:" ومن هنــا، **فقد نشأ الفكر الإمامي في مبادئه الأولى الــتي لا تقبل نقضا ولا رداً، فهي ليست فرضيات تطـرح على بسـاط البحث فيُقبل منها ما يُقبل، ويُرفض منها ما يُرفض"**.[83]

وكان من الواضح ان الدكتور الصغير يعتبر الفكر الإمامي فكرا حيويا صامدا عـبر القـرون، فقد قـال:"الفكر الإمـامي عـبر أربعة عشر قرنــا، عرضت له ضــغوط سياســية عــبر ســلطات زمنية جائرة، ونصبت له الحرب على قدم وساق، سواء أكان ذلك نتيجة عصور التخلف ومصادرة الرأي، أم عبر سياسة الإرهـاب الـدموي والاضطهاد، أم حصيلة الصراعات المذهبية التي مــني بها التـاريخ الإســلامي ضــمن قنــوات ســخرتها قــوى الشر والطغيــان بين المسلمين، أم كان ذلك في نطاق التعصب الأعمى المرير.

---

[83] - ص 12 - 13

وما زال الفكر الإمامي غضا في حيويته وعطائه، نابضا بالنشاط والاســـتقامة رغم كل تلك الملابســـات التاريخيـــة، وفـــوق كل المضاعفات الطائلة.. أترى كل هذا البقاء الطويل يستند الى قوة ذاتيــة، أو انه يســتند الى عناية إلهيــة، أم انه مــزيج متفاعل بين الأمرين؟

ان مئات من المبادئ والمذاهب والاتجاهات والأفكار عفا عليها الزمن نتيجة ممارسات لا إنسانية في الضغوط والتطويح والإبـادة والاستئصال، وهي أقوى عدة، وأكثر عددا، وأمضى ســلاحا، وبقي الفكر الإمامي صامدا أمام جميع تلك التفاعلات اللامشروعة، وما ذاك إلا بعناية اللطف الإلهي والغيبي والتأييد الإلهي يضـاف اليهما صدق النية وسلامة القصد". [84]

ومن هنا فان الدكتور الشيخ الصغير اعتبر كتاب (تطور الفكر السياسي الشــيعي) محاولة للنيل من الفكر الإمــامي ومجموعة شــبهات ليس إلا، وتعامل معه على هــذا الأســاس، فقــال:" ان حقـــائق الأشـــياء لا تزيفها أوهـــام الصـــنائع والمـــأجورين، وان مرتكزات العقائد لا تغيرها أهـواء المبتـدعين والعملاء، وان الفكر الصامد لا يزلزله الريح مهما عصف.

ان النقد النزيه والمنهج التحليلي وحــدة متكاملة الأجــزاء في الأداء والتعبير، ووحدة ذاتية السلوك في معايير الرد والجدل سلبا وإيجابا، وهذه الوحـدة في جوهرها المتأصل تـأبى منطق الهجـوم والسباب والشتم والاستخفاف، وتأبى أيضا لغة التجريح والتـوهين والاسـتفزاز، وتـدعو الى البحث الموضـوعي القـائم على أسـاس الـدليل والبرهـان، وهـذا ما لم نجـده عند "الكـاتب" فلقد تمـادى باتهام الأئمة (ع) وشكك بالنص عليهم بل نفاه نفيا قاطعا، ورفض العصـمة وتجـاوز على المبـدأ العـام، وتهجم على القـائلين بإمامة المهدي المنتظـر، بل ذهب الى اعتبـاره فرضـية فلسـفية لا أصل لها، فهو عنـده لا وجـود له بل وغـير مولـود أساسـاً، وكـذَّب نوابه الأتقياء البررة، وتناول متكلمي الامامية بالسـوء والانتهـاك، واتهم المؤسسـين الأوائل بالكـذب والانتحـال، وعـرض لسـيرة العلمـاء بالتفنيد والامتهـان، ونـازع الفقهـاء مسـائل ليست من تخصصــه، وليس له حق القـــول فيهـــا، وطمس الحقـــائق المســـلمة، ورد الأحاديث الصحيحة، وشوه الوقائع الناصعة، وغاص الى الشــبهات الباطلة غوصا، وخاض فينا لا يحسنه جزافا.

ان المقطـوع به ان كتـاب الكـاتب يعتمد الروايـات الضـعيفة والمراســيل، ويســتجمع الأحــاديث المنحولة والمتقطعة لتيســير شبهاته وتسييرها، والتي لا يؤمن بأي منها الفكر الإمامي منذ عهد

---

[84] - ص 17

علي (ع) الى يومنا هـذا بل وما بعـده حـتى قيـام السـاعة، وهي مناورة فاشلة في أبعادها كافة..".[85]

تضمن كتاب (الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية) اثني عشر فصلا، في 280 صفحة، وهي:

1- مباديء الفكر الإمامي وشبهات الكاتب
2- لغة الطعن والاتهام والتحريف عند الكاتب
3- نظرية الشورى.. لا يؤمن بها أهل البيت
4- من الشورى الى الحكم الوراثي/ رد وتعقيب
5- بوادر الفكر الإمامي/ مناقشة وتصويب
6- أركان نظرية الإمامة/ التأكيد على المبدأ والنص
7- مبدأ الإمامة في مواجهة التحديات
8- الواقع الاثنا عشري.. لا التطور
9- الإمام المهدي المنتظر.. حقيقة تاريخية
10- النص على الأئمة
11- الفكر الإمامي في عصر الغيبة
12- المرجعية عند الامامية

وبالإضافة الى ما سجله الـدكتور الصـغير في الفصل الأول، من امتعـاض ورفض لكتـاب تطـور الفكر السياسي الشـيعي، واعتبـاره له مجـرد شـبهات وشـتائم، قـال في الفصل الثـاني تحت عنــوان (لغة الطعن والاتهــام عند الكــاتب): مفــردات الطعن والاتهام، لغة الكاتب تقوم على أساس الطعن والاتهـام والتكــذيب في جنايا كتابه "تطــور الفكر السياسي الشــيعي" وهي تقوم على أساس المفردات الآتية نموذجا ومثالا لا حصرا واستقصاء:

1- عبارات الشك والاستبعاد يحشـرها بـأجواء من الحـيرة والغموض وعـدم الوضـوح مقترنة بالمشـكلة المـدعاة حينا، وبالمحاولة اليائسة حينا آخر...
2- الطعن بكل ضررويات الامامية ومسلماتها، قــولا وفعلا وعملا..
3- التناقض والتهافت الذي حفل به الكتاب لا تحده حــدود باعتمــاده المراســيل وبــتر الأحــاديث، والتأكيد على الضعيف منها، وطعن الصحيح من جهـة، ونكـران مبـدأ الإمامة من جهة أخـــــرى..فهو ينكر الأصل رأسا في المقدمة، فماذا تنفعه النتائج؟

---

85 - ص 19

4- **لغة الطعن والتكـذيب لكل علمـاء الامامية**، بل **للأئمة أنفسهم ووصـفهم بما لا يليق** وشـأنهم، ونسبة الكذب الى النواب الأربعة عن الإمام المنتظر ، فهم أدعيـاء لما لم يكن، وتكـذيب المؤسسـين الأوائل للمــذهب في أصــوله العامة اســتنادا لفكر أئمة أهل البيت كالكليني والصدوق والصـفار والمفيد والمرتضى والطوسـي... أما **علماؤنا المتـأخرون فتنـاولهم بــالتجريح ابتــداء من المحقق الحلي فالعلامة الحلي وابن فهد وابن ادريس والاردبيلي والكركي والـنراقي والشـهيد الأول والشـهيد الثاني وصـاحب الجـواهر حـتى انتهى بالإمـام الخوئي ومن بعده،** كما في الجزء الثالث من كتابه.

5- نســـبة الفكر الإمـــامي لمتكلمي الشـــيعة وفلاسفتهم على حد تعبيره...

6- لغة **التهجم والاتهــام** لأبـــرز علمـــاء الامامية من الــرواة المــوثقين كــزرارة بن أعين، ويــونس بن عبد الرحمن وأبي بصير ومعاوية بن عمـار وابن أبي عمـير وأضرابهم من أصحاب الصحاح.

7- خلطه في القول بولاية الفقيه، واكتشافه المزعـوم أن العلمـــاء الســـابقين يجهلـــون النظرية ولا يعرفونها مطلقا...

8- يتهم الكاتب النـواب الأربعة بالكـذب في نيابة صـاحب الأمر .. [86]

ثم تطـرق الـدكتور محمد حسـين الصـغير الى مسـألة اقتطـاع النصوص والتحريف في كتـاب (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) فقـال:" ويا ليت الكـاتب اكتفى بـالطعن والسب والاتهـام، ولكنه عمد الى النصوص فاقتطعها، والى الروايات فحرفها عن موقعها، فأورد ما شاء إيراده، وحذف ما شاء حذفه، فالقضية عنــده كيفية لا موضوعية، وفوضوية لا تنظيمية، فله إثبات ما يشـاء وله حـذف ما يشاء، وقد جرى هـذا في أكـثر من خمسـين موضـعا من كتابه العتيد!!! اكتفي بإيراد بعض النماذج على سـبيل المثـال لا الحصر والاستيعاب، ليرى القارئ أمانة الكاتب؟

1- نسب الكـاتب للسـيد المرتضى نصا يعـرض فيه للعبـاس بن عبد المطلب مخاطبا أمير المؤمنين في مرض النــبي

---

86 - ص 25 - 27

(ص) الـذي تـوفي فيـه، وهو يتخـوف الاسـتخلاف خشـية التفرق. ولدى ملاحظة النص وجدنا الـدعوى فيه للقاضي عبد الجبـار المعـتزلي، والمرتضى يـورد ذلك للـرد عليـه، فيقول المرتضى:"والـذي يـبين صـحة تأويلنـا، وبطلان ما توهمـوه قـول النـبي (ص) في جـواب العبـاس على ما وردت به الرواية:"انكم المقهورون" وفي رواية أخــرى:" انكم المظلومون" والكاتب يحذف هذا النص الـذي أورده المرتضى ردا على الكلام الذي ذكره الكاتب واستدل به، وهو للقاضي عبد الجبار وليس للسيد المرتضى.

2- ويستدل الكاتب رواية تنسب للإمـام البـاقر (ع) بروضة الكافي أن عليا لم يـدع الى نفسـه، وأنه أقر القـوم على ما صنعوا وكتم أمره، بينما نص الرواية بعد بيـان أسـباب امتنـــاع الإمـــام عن البيعة أولا، ومبايعته لاحقا مع كرهه لذلك: "ولذلك كتم علي أمره، وبايع مكرها، حيث لم يجد أعوانا" فـأين هـذا من ادعائه ان عليا أقر القـوم على ما صنعوا وكتم أمره.

3- وحرف الكـاتب أيضا نصا واقتطعه ليسـتدل به على ان زين العابــدين قد بــايع يزيد بن معاوية بعد الحــرة. بينما نجد الإمــام مكرها بــذلك بعد تهديــده بالقتل بنص قوله الذي حذفه الكاتب " قد أقررت لك بعدما سألت، أنا عبد مكره".[87]

وفي الفصل الثالث يرد الدكتور الصغير مقولة أن الشورى هي نظرية أهل الـبيت، ويقـول ان الأئمة لم يعينـوا بالشـورى، وان القـرآن تحـدث عن الشـورى في حـدود معينـة، كما هو ظـاهر النص القـــرآني في مـــوردين، والآيتـــان لا يعطيـــان الحق في تعيين الإمامة أو الخلافة أو القيادة إطلاقا ولا يتحدثان عن نـوع الحكم لا من قــريب ولا بعيــد، فالآية الأولى تتحــدث عن خلق النـــبي ورقة قلبـــه، وتـــأمره بـــالعفو عنهم والاســـتغفار لهم، ومشـــاورتهم في الأمـــر، ولكن أي أمر هـــو؟... والآية الثـــاني تتحــدث عن الــذين اسـتجابوا للــه، وأقــاموا الصـلاة واتفقت كلمتهم، فـأمرهم – لا أمر الله – شـورى بينهم، فالآية تتحــدث عن إيمـــانهم وتـــدينهم وطبيعة أدائهم للواجبـــات وتشـــير الى حيـاتهم وشـؤونهم الخاصة بهم، كالمشـاورة وعـدم الاسـتبداد بـالرأي. فالسـياق القـرآني في الآيـتين لا يسـاعد على نظرية الشورى بالمعنى المطروح، وإذا ابتعد القرآن العظيم عن هـذا

---

[87] - ص 39

الفهم الـذي حمل عليه حملا قسـريا، فلا عـبرة بما سـواه. ص 52

ويستشهد الدكتور الصغير بحديث الغدير وأحـاديث أخـرى ليبطل مبدأ الشورى.[88] ويقول: "عقدنا الفصل الثـاني من هـذا الكتاب للنصوص على إمامة الأئمة جملة وتفصيلا، فالنص على الاثـني عشر إماما جملـة، والنص على إمامة كل إمـام باسـمه هو التفصيل المراد". [89]

ويعقد الـدكتور الصـغير الفصل الرابع من كتابه للـرد على موضــوع (تطــور الفكر السياسي الشــيعي من الشــورى الى الحكم الوراثي) من كتابي، والـذي اسـتعرض ثلاث مراحل هي المرحلة الكيسانية، وفكر الإمام الباقر، ومن بعـده فكر الإمـام الصــادق السياســي، قبل أن يولد الفكر الإمــامي، فــيرفض الدكتور الصغير كل ذلك بجـرة قلم ويقـول:" الكيسـانية حركة سياسية لا علاقة لها بأهل البيت (ع) لا من قريب ولا من بعيد، وقد سـبق القـول أن المختـار كـان رجلا ذكيا علم من سـيرة الإمـام زين العابـدين (ع) عـدم القـول بـالتحرك السياسي بعد مصــرع أبيه ســيد الشــهداء، فاتكأ على محمد بن الحنفيــة، وادعى نيابته لاستقطاب الناس وتقوية أمـره لا أكـثر ولا أقـل. ولم يتصد محمد بن الحنفية – كما يــدعي الكــاتب – لقيــادة الشيعة في أعقاب مقتل الحسين، ولم يأمر المختار بالثـأر من قتلة الحسـين. فكل هـذا موضـوع لا أصل لـه".[90] ويقـول:" لا علاقة للدولة العباسية بالشيعة الامامية، فكل له منهجـه، وكل له دعاتــه، كما لا علاقة لأتبــاع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار بالشيعة الامامية". [91]

وهكذا يفعل عندما يتوقف عند موضوع الإمام محمد الباقر والمعـترك السياسـي، فيقـول:" ما أورده من نظرية سياسـية مزعومة للإمام محمد بن علي الباقر فهو مما نسجته مخيلتــه، وهو مرفــوض عند الامامية جملة وتفصــيلا... واما ان الإمــام الباقر قد قام بمحاولة تعزيز شرعية مطالبته بقيادة الشـيعة – على حد تعبـير الكـاتب النـابي – فالإمـام البـاقر لا يحتـاج الى محاولة لتعزيز وجــوده الشــرعي، وانما شــأنه شــأن الأئمة الطاهرين، يدفع خصوم الامامية بالحجج التي يشهرها الخصوم أنفســهم، والبــاقر يحتج بلغة العصر الكلامية لــدرء الــدعاوى

---

88 - ص 56

89 - ص 57

90 - ص 68

91 - ص 69

الباطلة ضد منصب الإمامــة، وهــذا حقه الشــرعي الــذي لا ينازعه أحد فيه". [92]

وهكذا يرفض الدكتور الصغير أيضا الحديث عن فكر سياسي خاص للإمام الصادق، ضمن تطور الكفر السياسي الشيعي، ويقول:"لم تكن للإمام الصادق (ع) نظرية سياسية بالمفهوم الذي طرحه الكاتب طرحا فجا بعيدا عن الأصالة والحصافة، وقريبا من الترف العشوائي في المنهج والطريقة والأسلوب". ويضيف:" ادعاء الكاتب أن الصادق يخوض معركة الإمامة مع منافسيه ادعاء لا يقوم على أساس اجتماعي أو تاريخي، فلم يكن للإمام منافس له من أهل بيته في المنصب وهو الإمامة، فلم ينافسه عمه زيد ولا ابن عمه ذو النفس الزكيــة!!! فــأين هي المعركة المزعومة؟".[93]

وينهي الصغير الفصل الرابع بالقول:" أما حديث الكاتب عن الجارودية وعامة الزيدية وسواهم من المتطرفين الذين يبنون نظــريتهم في الإمامة على مبــدأ الخــروج والثــورة، فلا تخص مبحث الامامية الاثني عشرية لا من قريب ولا من بعيد، وليس هو من صلب الموضوع، والخوض فيه تطويل بلا طائل".[94]

ويكرس الدكتور محمد حسين الصغير الفصل الخامس من كتابه لمناقشة فصل (بوادر الفكر الإمامي) من كتابي، فينفي حــدوث التشــرذم والتطــور "الــوهمي" ويقــول:" التشــرذم المدعى موضوع لا أصل له، وانما نشأت بعض الموضوعات الصغيرة التي ضلت طريق أهل البيت فشرقت وغـربت بعيـدا عن السبيل الذي اختطه أئمتنا (ع). وأما التطـور المزعـوم فلا أســاس له من الصــحة... إذ أن مبــدأ الإمامة منذ عهد النــبي (ص) منحصر بتسعة من ذرية الإمــام الحســين من بعــده، وهو ما عليه الامامية في العالم أجمع، ومنذ عهد مبكر حــتى اليــوم وغدا وحتى قيام الساعة". [95]

وينــاقش الــدكتور الصــغير في الفصل الســادس من كتابــه، الفصل الرابع من كتابي (أركان نظرية الإمامة) والــذي ذكـرت فيه اعتمــاد الفكر الإمــامي في البداية وحــول عــدد من الأئمة على الوصية، ثم اعتماده على النص، وعند افتقــاد النص يعتمد

---

[92] - ص 70 - 71
[93] - ص 73
[94] - ص 76
[95] - ص 79 - 80

على العقل، وعند افتقاد العقل يعتمد على المعجـزة، وحـدوث النزاع بين الشيعة حـول انحصـار الإمامة في ذرية الحسـين بلا دليل، ثم قولهم بقـانون الوراثة العموديـة، وقـولهم في البداية باسـتمرار الإمامة الى يـوم القيامـة، ثم تطـور نظرية الإمامة الى اثـني عشر إمامـا، فيعتـبر "كل ذلك تمحلا وتفريقا طـويلا عريضا بين النص والوصـــية في الإمامـــة، وان الكـــاتب يـــأتي بمباحث التفريق الواهمة، وتكثـير العناصر المشـترطة وتـرويج الشـبهات الواهيـة، وكلها باطلة لا أسـاس لها من الواقعية أو الصحة، وهي بمنأى عن منهج البحث العلمي الرائد".

وناقش الدكتور الصغير في الفصل السابع من كتابه (مبدأ الإمامة في مواجهة التحـــديات) وموقف الأئمة من العصـــمة، وعلق على رسالة الإمام الحسـين لأهل الكوفة "فلعمـري ، ما الإمـام إلا العامل بالكتـاب، الحـابس نفسه على اللـه، القـائم بالقسط الدائن بدين الله" والتي لا يذكر فيها شـرط العصـمة، بـالقول:" إذا اجتمع للإمـام العمل بكتـاب اللـه، وحبس النفس على الله، والقيام بالعدل لا يزيغ عنه، والدائن بدينه الله وحـده وهو الحـق، فـذلك الإمـام هو الإمـام المعصـوم بعينـه، بلحـاظ الحابس نفسه على الله وحدها إضـافة الى الصـفات الأخـرى، فان التحبيس على الله دون سواه يعني عدم المخالفة لله في كل جزئية تتنافى مع التحبيس عليـه، وهو دليل العصـمة، فهـذا القول للإمام الحسين لا شاهد فيه للكاتب، وهو عليه لا له كما رأيت".[96]

أما في الفصل الثـامن كتابه فقد رفض الـدكتور الصـغير مقولة (التطور الاثنا عشري) وقال : ان الأئمة منصوص عليهم بعـددهم وأسـمائهم من قبل " وقد أثبتنا أن مبـدأ الإمامة قـائم عند الامامية منذ عهد مبكر، وهنـاك مئـات الروايـات المعتـبرة في الموضـوع، وإنكـار ذلك لا يقـوم على أسـاس عند الكـاتب سوى الابتعاد والتشكيك". [97]

ومر في هـذا الفصل على موضـوع طفولة عـدد من الأئمة (كـالجواد والهـادي والمهـدي) لـدى تسـلمهم زمـام الإمامـة، ومشكلة البداء التي حـدثت في تسـمية عـدد منهم ثم وفـاتهم قبل آبـائهم كإسـماعيل والسـيد محمد بن الهـادي، ودافع عن إلغاء العمـوم الـوارد في آية الحجـر، أو تخصيصـه، فقـال:" ان القرآن نفسه ألغى هذا العموم – لا الشيخ المفيد – بنصه على نبوة عيسى وعمره يـوم واحـد، وعلى نبـوة يحـيى وهو صـبي،

96 - ص 120
97 - ص 145

فإذا كان هذا الإلغاء لعموم الآية صحيحا، وهو صـحيح، فقد صح بـالنص القـرآني إلغـاء المفيد لعمـوم الآيـة". ص 158 ورفض أخـيرا تـأثير نظرية الغيبة والإيمـان بإمـام غـائب سـلبيا على الشـيعة، مما أدى الى انسـحاب الشـيعة الاثـني عشـرية من المسرح السياسي وانقراضهم في القرن الرابـع. فقـال:" هـذا الزعم مناقش في صحته فلم يفقد مبدأ الإمام أثره في الحياة للقـــول بوجـــود الإمـــام الغـــائب ، فهو على نهج رتيب يتبـــنى مشكلات الزمن بالحل، ويعرض لتـأريخ الأمة بـالتطوير، وينشر من علمه ما تتسع له الآفـاق، أما أنه قد فقد دلالته السياسـية نتيجة الغيبة والانتظار، فالمبدأ قائم سواء أترك سياســيا أم لم يتحـرك، ولا علاقة بين قيـام المبـدأ كحقيقة واقعة وبين تحركه السياســـي، فالسياسة لا تخـــاض غمارها في كل وقت، ومن السياسة ترك السياسة الى حين، وليست السياسة كل شــيء في حيــاة الفكر الإمــامي. وأما أن ذلك قد أدى الى انقـــراض الامامية.. فقلة تدبر بتأريخ الحياة السياســية والدينية والفكرية والاجتماعية بالمبــدأ، **فالإمامة كانوا بكل زمـان ومكـان، وقد بقوا حتى اليوم في كل زمان ومكان**". [98]

وبعد كل هذه الرحلة الطويلة في مناقشة ورد نظرية تطور الفكر السياسي الشـيعي، ومحاولة إثبـات وجـوده منذ اليـوم الأول وبصـورته الأخـيرة، وحـتى النهايـة، يصل الـدكتور محمد حسين الصغير الى أهم فقرة وهو موضوع وجود الإمام الثـاني عشر "محمد بن الحسن العســكري" الـــذي قلت انه لم يولد قـط، وانه ليس سـوى فرضـية فلسـفية وهميـة، فيقـول في الفصل التاسـع: (الإمـام المهـدي حقيقة تأريخيـة)، وينفي أولاً وجـود عصر الحـيرة، بكلمـات مختصـرة، حيث يعـده افتراضـا: "وقد عرض فيه الى ما يسـمى بعصر الحـيرة دون **وجود أية حـيرة**، ولكنها افتراضـات وتمحلات لا يعضـدها نص علمي ولا يوثقها سند تأريخي، وانما هو التشـكيك المتعمد المتكيء على الاسـتبعاد، والاسـتبعاد أمر نفسي لا يشـكل منهجا في الـرد والجدل". [99]

ثم يسـتعرض الـدكتور الـدليل العقلي لحقيقة المهـدي، فيقـول:"الـدليل العقلي قـائم على أسـاس أن لله الحجة على عباده، وذلك يقتضي وجود الحجة في كل عصـر، وهـذا يقتضي وجود الإمـام المعصـوم، وهـذا ينحل عقليا الى القـول بالإمامة أولاً، والى ضرورة القـول بالعصـمة ثانيـا... ويا ليت شـعري ما

---

[98] - ص 159
[99] - ص 163

ينكر الكـاتب من هـذا الاسـتدلال؟ وما هو الخلاف فيـه؟وهل يناقضه الـدليل النقلي أم يعضـده؟ وقد أيـده الشـيخ الطوسي بقوله: ان كل من قطع على وجوب اعتبار الدليل العقلي قطع على وجود صاحب الزمان وإمامته". [100]

ويأتي بعد ذلك بمجموعة روايات عامة عن المهدي المنتظر، حتى يصل الى الـدليل التـأريخي على حقيقة المهـدي، فيقـول في صفحة واحدة:" وقد لجأ الكاتب الى الهمز واللمز في هـذا الدليل، ونفى به ولادة المهدي بحجة الظـاهر من حيـاة الإمـام العسـكري وسـيرته النافية أن يكـون له ولـد. **متجـاهلا أن البرهان التأريخي كـان قاطعا على وجـوده بـالولادة، وبمشاهدة أهل بيته لـه، وبمعرفة جملة من أصـحاب أبيه له عنـدما شـاهدوه، وهو صـبي يـدرج.** وأما التكتم على ولادته فهو مما ينبغي أن يكـون لتعقب الدولة العباسـية لـه، ولعلم سـلاطينها بأنه سـيولد، وانه الإمـام الثـاني عشـر، والهجـوم على دار الإمـام العسـكري في محاولة القبض عليه من قبل المعتضد العباسي أشهر من أن تـذكر. ولأمر ما أوحى الله لأم موسى أن تتكتم على ولادة موسى (ع) بنص القـرآن العظيم، وذلك الأمر هو الخـوف عليه من القتل من قبل فرعون، فإذا كان ذلك واقعا، وهو واقع لا شك فيـه، فما يقـال هناك يقال هنا. ثم لماذا يجوز الكتمان في ولادة النبي والنبـوة أهم، ولا يجوز الكتمان في ولادة الإمام؟؟

وبعد الولادة يقـول الإمـام الحسن العسـكري على ما يرويه الكـاتب نفسه عن الفضل بن شـاذان عنه (ع) أنه قـال:" ولد ولي الله وحجته على عباده، وخليفتي من بعده..".

وحينما ولد في النصف من شعبان سنة 255 هجرية هناك ظاهرتـان عند الإمـام العسـكري: الأولى أنه أرسل أمـوالا الى بعض مواليه من الشيعة في أماكن مختلفة، وأمرهم أن يعقـوا عن ولده المهدي.

الثانيـة: ان الإمـام العسـكري كـان يعرضه على أشـخاص بمفردهم حين يزورونه، كعمرو الأهوازي، والحسن بن الحسين العلوي.

وإذا أنكر الكـاتب كل هـذا ، **فهل باسـتطاعته نكـران النواب الأربعة وهم العدول الثقاة** عند جميع المسلمين، وتلك طرائحهم في بغداد يشاهدها الرائح والغادي". [101]

---

[100] - ص 164

[101] - ص 169

وبعد أن يفرغ الدكتور الصغير كنانته، يرتدي زي المحلل النفسي فيقول:"يبدو لي ان **الكاتب يعيش في صراع نفسي داخلي**، فهو موزع بين نوازع اللاشعور التي تدفعه وتشده الى عقيدته الأولى، **وبين المغريات في الجاه والمال والشهرة** وما تجر اليه من انحلال وتبعية في المعتقد والسيرة، وهو لا يكاد يلمح حقيقة الأمر بحياد تام لأنه مزدوج الشخصية والتفكير والعطاء، وقد أدى به هذا التناقض الغريب الى القلق وعدم الاستقرار النفسي والذهني، فهو يدعو الى السير على نهج الأئمة ولكن بأسلوب يبدو عليه الالتواء.. ويدعو أتباع أهل البيت للالتزام بطريق أهل البيت والسير على نهجهم لإرساء قواعد الشورى... ويدعو الشيعة الى السير على نهج أهل الأئمة بالتخلص من أوهام المتكلمين وفرضياتهم، من علماء الشيعة ومتكلميهم ..". [102]

هذا هو أهم ما جاء في كتاب الدكتور (البروفيسور) الشيخ محمد حسين الصغير (الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية).

وإذا ما أردنا أن نلخص كلامه في سطور، فانه يمكن القول: انه يعتقد بنشوء المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري في عهد الرسول الأعظم محمد (ص) واستمراره الى اليوم، وعدم حدوث أي تطور فيه، وان الحركات الشيعية الأخرى التي بلغت السبعين، ما هي إلا انشقاقات جانبية عنه. على العكس مما قلت في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) من تطور الفكر السياسي الشيعي من موضوع الولاء والحب لأهل البيت، الى القول بأحقيتهم، وحصر الحق في الإمامة والخلافة بهم، ثم انشقاق الشيعة ،وحدوث فريق جديد يحصر الحق بالإمامة في البيت الحسيني، ثم ولادة فريق يقول بقانون الوراثة العمودية، وتذبذب الامامية بين الإسماعيلية والفطحية والموسوية والقطعية، ومواجهتهم للتحديات في رفض أهل البيت لنظريتهم، وحدوث مشكلة البداء، ووصول الإمامة الى أطفال صغار، وأخيرا وصول النظرية الى طريق مسدود بوفاة الإمام العسكري دون خلف، واختراع ولد موهوم له، ثم انقراض الفكر الإمامي، وغيبة الشيعة.

ويلاحظ أن الدكتور الصغير لم يأخذ الأفكار التي طرحتها فكرة فكرة بصورة كاملة، ليرد عليها بحذافيرها ، وانما اختار

---
[102] - ص 177

بعض النقاط المتفرقة منهـا، لـيرد عليها بصـورة منفـردة، ولم يتوقف لينـاقش الروايـات والأدلة الـتي قـدمتها على التطـور، وانما اكتفى بما يحلو له ويســهل عليــه. وردد دائما الصـــورة التقليدية الموروثة والمعروفة عن نظرية الإمامــة، واعتــبر أي نقد لهذه الصورة أو تشـكيك بها هجوما على الشـيعة والتشـيع وأئمة أهل البيت والعلماء والمتكلمين والرواة والنواب، ولست أدري ماذا كان يريد مـني ؟ أن أمجد وأقـدس وأعظم الرجـال الذين صنعوا الفكر الإمامي؟

ولكي يسوق الصغير النظرية الامامية فانه تجنب بالمرة أية عملية نقد للـرواة والروايـات الـتي ذكرها أو سـاقها لإثبـات ما يريـد، واتبع منهجا أخباريا حشـويا فريـدا من نوعـه، لا يقبل به أدنى بـاحث علمي موضــوعي. ورفض أن يفتح عقله على أي سؤال؟ أو التفكـير في أية قضـية أو أية مشـكلة واجهت الفكر الإمامي في تاريخه الطويل، واضـطر الى ان يغمض عينيه عن كثير من أحداث التاريخ، أو يقرأها بعيون إمامية منحازة سـلفا. فقد رفض مثلا حـدوث البـداء في عملية تسـمية الأئمـة، وهي قصة يذكرها علمـاء الامامية الاثـني عشـرية، وتـدل على عـدم وجـود القائمة المسـبقة بأسـماء الأئمة الاثـني عشر من قبـل، وعلى غمــوض تسلسل الأئمة حــتى لــدى الأئمة وأصــحابهم وخاصة شـيعتهم، فضلا عن عامة الشـيعة أو عامة المسـلمين. وكـان يجــدر بالــدكتور الصـغير التوقف عند هـذه القصة قليلا ليدرســها أو يفكر فيها قليلا، ولكن تمســكه بأفكـاره الموروثة عن قدم الفكر الإمامي، جعله يرتجف ويــرفض النظر الى تلك الحقيقة التي تنسف كثيرا من موروثاته الساذجة والأسطورية. وكـذلك رفض اسـتماع الحـديث عن (الحـيرة) الـتي عصـفت بشــيعة الإمــام العســكري، وألفــوا فيها الكتب مثل (الإمامة والحـــيرة) لعلي بن بابويه الصـــدوق. وبــدلا من أن ينــاقش موضوع الحيرة التي تدل على غمـوض الخلف والـتي أدت الى تفـرق الشـيعة الى أربعة عشر فرقة حسـبما يقـول النوبخـتي والأشعري القمي والمفيد والطوسي والمرتضى وكل مــؤرخي الشيع، فانه ارتضى لنفسه القول:" انها افتراضات وتمحلات لا يعضدها نص علمي ولا يوثقها سند تـاريخي،وانما هو التشـكيك المتعمد المتكيء على الاستبعاد".

ولست أدري من الذي يستبعد؟ مـاذا؟ أنا الـذي اعتمد على التـاريخ الشـيعي، الـذي لا يحب الصـغير قراءتـه؟ أم هو الـذي يحـاول قـراءة التـاريخ وكتابته حسـبما يشـتهي، وينسـجم مع نظرياته الوهمية والأسطورية؟

وكنا نتوقع أن يتوقف الدكتور ولو للحظات عند ما يسمى بالدليل التاريخي الذي يثبت أو لا يثبت ولادة ووجود "محمد بن الحسن العسكري" والذي بحثناه في فصل كامل، فإذا به يختصر الكلام في سطور قليلة ويريح نفسه من عناء البحث والحديث، ويستعير نصوصا من السيد المرتضى والشيخ الطوسي تفترض بصورة "عقلية" وجود الولد للإمام العسكري، ليدعي بعد ذلك :" ان البرهان التأريخي كان قاطعا على وجوده بالولادة، وبمشاهدة أهل بيته له، وبمعرفة جملة من أصحاب أبيه له عندما شاهدوه وهو صبي يدرج". ويستشهد ببعض الروايات التي تقول أن الإمام العسكري أخبر عددا من مواليه بولادته، وأنه أرسل أموالا اليهم ليعقوا عن ولده، وأنه كان يعرضه على بعض أصحابه.

ان الصغير يذكر هذه الروايات بدون أي تحقيق في أي سند، ويقول في نفس الوقت، بتناقض عجيب، ان الإمام العسكري قد تكتم على ولادة ابنه، فهو مما ينبغي أن يكون لتعقب الدولة العباسية له، ولعلم سلاطينها بأنه سيولد، ويشبه الخوف الذي يدعي انه كان محيطا بولادته بالخوف الذي كان محيطا بولادة النبي موسى عليه السلام.

ولا يفكر الصغير ذرة واحدة فيما ينقل ويقول، فهو من جهة يدعي الخوف الشديد والكتمان، ومن جهة أخرى يشير الى اعلان الإمام العسكري لمولده والعق عنه.

لقد استعرضت في كتابي جميع الروايات والإشاعات التي ذكرها المتأخرون في القرن الرابع والخامس ، كالصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي والنعماني وغيرهم، ودرستها رواية رواية وراويا راويا، وبينت التناقض الموجود فيها ، وانعدام الإسناد، وصدورها عن كذابين ووضاعين ومجهولين، بحيث لا يجوز الاعتماد عليها مطلقا، ولكن الدكتور الصغير يرددها من دون تفكير، ويتعجب بعد كل ذلك قائلا:" وإذا أنكر الكاتب كل هذا، فهل يستطيع نكران النواب الأربعة، وهم العدول الثقاة عند جميع المسلمين".

وأقول للشيخ الصغير لماذا تتعجب من ذلك؟ فكر قليلا وسوف يزول عجبك؟

ولماذا تفترض الثقة بهؤلاء المدعين للنيابة، وقد كان ينافسهم عشرون آخرون، كل منهم يدعي النيابة لنفسه ويكذب الآخرين؟ فلماذا تصدق هؤلاء الأربعة وتكذب العشرين الباقين؟ وما هو دليلك على صحة كلامهم؟ خصوصا وانهم يؤسسون لعقيدة دينية بلا آية من القرآن الكريم ، ولا حديث

من الرســول، وخلافا لأقــوال الأئمة من أهل الــبيت وخصوصا للإمـام العسـكري الـذي تـوفي دون خلف ودون ان ينص على أحد أو يذكر وجود ولد له، في الظـاهر؟ ولمـاذا ترفع يـدك عن الظاهر وتقبل قول مدعي النيابة الباطني، والذي يحمل شـبهة لهم أن يكونـوا يجـرون النـار لقرصـهم؟ وإذا كنت تقبل قـول هؤلاء النواب الأربعة، فلماذا لا تقبل قول أشـخاص آخـرين من أصحاب الإمام الصادق ادعوا وجــود ولد لابنه عبد الله الأفطح، وقالوا انه المهـدي المنتظر وانه سـوف يظهر في المسـتقبل؟ لماذا ترفض قول هؤلاء وتقبل قول أولئك؟ وعلى أي أساس؟

ان التاريخ الشيعي يقول ان أخا الإمام العسكري جعفر بن علي أنكر وجـود ولد لأخيه ، وان أمه (حـديث) اسـتلمت إرثـه، ولم تعرف له ولـدا، وان جارية له يقـال لها نـرجس ادعت انها حامل، أو ظنت أنها كذلك ، ربما لتأخر الطمث عنهـا، ثم تـبين كـــذبها، فمن هم أهل الـــبيت الـــذين شـــاهدوه؟ وهل درست الروايات أو الإشاعات التي اختلقت فيما بعد وادعت ذلك؟

لقد كـــانت قراءتنا الخاصة عن تطـــور الفكر السياسي الشيعي، محاولة اجتهادية لإعادة قراءة التاريخ الشيعي، وكـان يفترض بالـدكتور (البروفيسـور) الشـيخ الصـغير أن يقـوم بـرد علمي يمــارس فيه قــدرا من التحقيق والاجتهــاد، لا أن يـــردد كالببغاء المفاهيم والإشاعات الموروثـة، بتقليد أعمى لا يناسب شهاداته التي يحملها على صدره.

وإذا كان هو يلتزم بقدسية الفكر الإمامي الموروث الذي لا يقبل نقضا ولا ردا، كما يقول، فانه لا يستطيع أن يمنع الآخرين من طـــرح ذلك الفكر على بســـاط البحث والتحقيق العلمي، وقبوله كله أو رفضه كلــه، وليس فقط اختيــار بعضه أو رفض بعضه.

وإذا لم يسـتطع الـدكتور الصـغير ان يثبت وجـود وولادة "محمد بن الحسن العسكري" فان كل "أدلته" الأخـرى تـذهب أدراج الريــاح، لأنها تصـبح افتراضـات فلسـفية وهمية وخيالية ظنية، وروايات مختلقة فيما بعــد، وقد أثبت في فصل آخر من كتابي ضعف واختلاق كل تلك الروايات التي تتحدث عن الاثني عشـــرية وعن الإمـــام الثـــاني عشـــر، ويمكنك مراجعتها على موقعي على العنوان التالي (www.alkatib.co.uk).

يعتقد الدكتور الصغير أن الفكر الإمـامي فكر حي وخالـد، وينسى ان الشـيعة يعيشـون منذ أكـثر من ألف عـام بلا إمـام معصوم معين من قبل الله، وانهم قد دخلـوا من أجل ذلك في مرحلتين:

الأولى: الغيبة والتقية والانتظار، حيث حرمـوا إقامة الدولة في عصر غيبة الإمــام، لاشــتراطهم العصــمة والنص في الإمــام، وتحـريمهم للشـورى وولاية الفقيـه، ورفضـهم لنظرية الشـيعة الزيدية الذين كانوا يدعونهم للثورة والقيـام، خصوصا في أيـام العهد البـــويهي (الزيـــدي) في القـــرنين الرابع والخـــامس الهجريين.
الثانية: المرحلة الجديدة التي قـالوا فيها بنظرية ولاية الفقيـه، والنيابة العامة للفقهاء، وأجازوا لأنفسـهم الانخـراط في العمل السياسي والمبـادرة الى تأسـيس الدولة الإسـلامية، وقبـولهم بالنظــــام الــــديموقراطي، وهو ما يتعـــارض تماما مع الفكر الإمامي الذي كان يشترط العصـمة والنص في الإمـام ويحـرم الشورى.
فـأين الحيوية والخلـود في الفكر الإمـامي؟ ومـاذا يعـني الانقراض؟
نعم.. انه موجود في الكتب والأذهان، ولكن لا يمكن تطبيقه في الخــارج، ولــذلك فــان الشــيعة الامامية قبلــوا أخــيرا بما رفضوه من قبل.
ألم يقل الشـيخ الصـدوق:"التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الامامية وفارقـه. والتقية واجبة لا يجوز تركها الى أن يخرج القائم، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عز وجل ونهي رسوله والأئمة (ع) ويجب الاعتقاد أن حجة الله في أرضه وخليفته على عبـاده في زماننا هـذا هو القــائم المنتظر ابن الحســن. ويجب ان يعتقد انه لا يجــوز أن يكون القائم غـيره بقي في غيبته ما بقي، ولو بقي عمر الـدنيا لم يكن القائم غيره"؟
ألم يقل الشــيخ محمد بن أبي زينب النعمــاني:"ان أمر الوصية والإمامة بعهد من الله تعـالى وباختيـاره، لا من خلقـه، ولا باختيــارهم، فمن اختــار غــير مختــار الله وخــالف أمر الله سبحانه، ورد مورد الظالمين والمنافقين الحالين في ناره"؟
ربما سيقول الدكتور الصغير: ان المقصود بـ:"الإمام" هنا هو الإمــام المعصــوم، وليس الإمــام بمعــنى الــرئيس والخليفة والســلطان والأمــير والــزعيم، وأقــول لــه: راجع كتب الكلام الشــيعية الامامية بدقة حــتى تعــرف معــنى "الإمــام" ومحل الخلاف بينهم وبين بقية المسلمين، الـذين كـانوا يتحـدثون عن ضــرورة نصب الإمــام من بعد الرســول لتطــبيق الشــريعة الإســلامية، وانه ليس ســوى الــرئيس أو أمــير المؤمــنين. ولا يسعفك أبدا تحوير معنى كلمة (الإمام).

وقبل أن انهي ردي على كتاب الشيخ الصغير، الـذي لم يحمل أي رد على كتـابي، ولم يكن سـوى "رفضـا" ضـعيفا. أود التوقف عند نقطة طرحها في طيـــات كلامـــه، وهي موضـــوع (الأمانة العلميـــة) واتهامه لي بتحريف كلام الســـيد المرتضى في نقله لرواية العبـــاس بن عبد المطلب. وهي نقطه أثارها عـــدد ممن تصدى للرد علي، فأقول:

ان كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشـيعي من الشـورى الى ولاية الفقيـــه) ضم ثلاثة أجـــزاء، وكـــان يقع في ألف صـــفحة ، فاختصرته الى حوالي النصف ، وقد ضم أكثر من ثمانمائة وســبع وعشرين إحالة الى مصدر ، توخيت الدقة فيها والأمانة واعتمـدت في كتابته في لندن ، سنة 1992 على قصاصـات ورقية سـجلت فيها ملاحظـاتي ومصـادري أثنـاء إجـراء البحث في قم ومشـهد وطهران ، وكان الكتاب يتركز حول فرضية وجـود الإمـام الغـائب (محمد بن الحسن العســــكري) حيث عرضت في القسم الأول منه الأدلة الفلسفية العقلية والأدلة الروائية والتاريخية ، وناقشتها في قسم آخر لأخلص الى ضعف جميع الأدلة ، وان القول بوجـود ولد في السر للإمام الحسن العسكري كان افتراضا فلسفيا أكـثر منه حقيقة تاريخية ثابتة ومجمع عليها بين الشــيعة ، وان الــدافع الرئيسي لـذلك الافـتراض كـان يرتكز على نظرية الإمامة الإلهية لأهل الــبيت الــذين استعرضت أقــوالهم وتــاريخهم ووصــاياهم وتجربتهم السياسية وقلت انهم كـانوا يؤمنـون بنظرية الشـورى ، وان نظرية الإمامة الإلهية الـــتي تقـــوم على العصـــمة والنص والوراثة العمودية كانت نظرية سرية باطنية تتسـتر بالتقية، و انها من اختلاق المتكلمين، ويرفضــها أهل الــبيت في الظــاهر ، وقد واجهت منذ نشـوئها في أواسط القـرن الثـاني الهجـري تحـديات كثيرة وانقسامات عديـدة وتطـورات مختلفة الى ان وصـلت الى طريق مسدود بوفاة الإمام الحسن العسكري في منتصف القرن الثالث الهجري دون ان يشير الى وجود ولد له في السر يرثه في الإمامة أو يكون خليفة لـه. وان عامة الشـيعة في القـرون الثلاثة الأولى لم يكونــــوا يؤمنــــون بنظرية الإمامة ومن آمن منهم بها اضطر للتخلي عنها بعد وفاة الإمام العسـكري وانقطـاع سلسـلة الأئمة من أهل البيت.

وفي معـرض حـديثي عن بعض الحـوادث التاريخية المؤيـدة لنظرية أهل البيت في الشورى ، ذكـرت محاولة العبـاس بن عبد المطلب لسؤال النـبي عند الوفـاة عن القـائم بـالأمر من بعـده ، ودعوته الإمــــام علي بن أبي طـــــالب للبيعة بعد وفاته ، ورفض

الإمام لها، وكذلك رفضه الاستجابة لطلب أبي سفيان بمعارضة أبي بكر والتأليب عليه ، وعدم وصية النبي بالإمامة الى أحد ، وقلت في كتابي: ان الشيعة الامامية ينقلون تلك الروايات والنصوص المناقضة لنظرية الإمامة، ولكنهم يؤولونها بالتقية أو يفسرونها تفسيرات أخرى ، واستشهدت بالشريف المرتضى الذي يذكر بعض تلك الحوادث والنصوص في كتابه السجالي (الشافي) دون ان ينكرها أو يردها لضعف في السند ولكنه يؤولها بما يتفق مع عقيدته في الإمامة ، حيث يقول عن سؤال العباس رحمه الله للنبي (ص):" يحتمل ان يكون سؤاله للنبي عن حصول الأمر لهم وثبوته في أيديهم ، لا عن استحقاقه ووجوبه ، يجري ذلك مجرى رجل نحل بعض أقاربه نحلا وأفرده بعطية بعد وفاته ثم حضرته الوفاة ، فقد يجوز لصاحب النحلة ان يقول له: أترى ما نحلتنية وافردتني به يحصل لي من بعدك؟ ويصير الي؟ أم يحال بيني وبينه؟ ويمنع من وصوله الى ورثتك؟ ولا يكون هذا السؤال دليلا على شكه في الاستحقاق بل يكون دالا على شكه في حصول الشيء الموهوب به الى قبضته ، والذي يبين صحة تأويلنا وبطلان ما توهموه قول النبي في جواب العباس ، على ما وردت به الرواية: إنكم المقهورون ، وفي رواية أخرى: إنكم المظلومون" (الشافي ج4 ص 153)

"وأما الخبر الذي رواه (صاحب المغني) عن العباس من انه قال لأمير المؤمنين: لو سألت النبي عن القائم بالأمر بعده ، فقد تقدم في كتابنا الكلام عليه وبينا انه لو كان صحيحا لم يدل على بطلان النص" (المصدر ص 101)

وقال المرتضى عن بيعة العباس :" يقال عن هذا جوابان : أحدهما : ان العباس لما بلغه فعل أهل السقيفة وقصدهم الأمر من جهة الأخبار ، أراد ان يحتج عليهم بمثل حجتهم فسأل أمير المؤمنين بسط يده للبيعة ليبايعه فيكون آخذا للحجة من جميع جهاتها ومضيعا لعذرهم فيما صنعوه ، والجواب الآخر: ان البيعة لا تناقض النص ولا تدل على بطلانه. واما امتناعه (أي الإمام علي) عما بذله العباس من البيعة فلأنه كان يعرف الباطن ، وكلام العباس على الظاهر ، وليس يمتنع ان يغلب في ظنه ما لا يغلب في طن العباس فلا يكون امتناعه دلالة على صواب ما جرى" (الشافي ج 4 ص 252)

ويقول المرتضى عن قصة أبي سفيان وعرض دعمه للإمام علي :" هو خبر متى صح لم يكن فيه دلالة على أكثر من تهمة

أمـير المؤمـنين لأبي سـفيان وقطعه على خبث باطنه وقلة دينه وبعده عن النصح فيما يشـير به ولا حجة فيه ولا دلالة على إمامة أبي بكر".

ان الشـــريف المرتضى يعـــرب عن طريقته التأويلية في رفض الروايات والنصوص المخالفة لعقيدته في الإمامة إذ يقول :" لا بد ان نطرح كل خبر ناف ما دلت عليه هذه الأدلة القطعية ، ان كان غـــير محتمل التأويل ، ونحمله بالتأويل على ما يوافقها ويطابقها إذا ساغ ذلك فيه". ومن هنا فانه لا يـرد الروايـات التاريخية الـتي قدمها له القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمداني في (المغني) ولا يرفضـها لعيب في السـند ، وانما يحـاول تأويلها بصـورة تعسـفية لأنها لا تنسجم مع عقيدته.

وهذا شأنه ولا دخل لنا فيه.

وما يهمنا من الحــديث هو موضــوع الإمامة العلمية الــتي أثارها بعض المنتقـدين الـذين ادعـوا بـأني أهـدف من وراء نقلي لتلك الأخبار عن الشريف المرتضى زعزعة الثقة والتشـكيك في عقائد بعض الأفراد محـدودي الثقافة وتضـليلهم، أو التلاعب بالنصـوص. فأقول:

أولا : ان الشـــريف المرتضى رحمه الله ذكر فعلا تلك الروايـــات ولم يردها ، وانما أولها ، وهذا اعتراف منه بصحتها .

ثانيـا: حـتى إذا لم يعـترف المرتضى بتلك الروايـات فانه لن يغـير من التـاريخ شـيئا ، ولن يـؤثر على مجمـوع الروايـات الأخـرى الواردة في أصح الكتب الشيعية كنهج البلاغة والكافي.

ثالثا: ان من يحاول تضليل الناس والتشـكيك في عقائد محـدودي الثقافة لا يرسل كتابه أولا الى المراجع والعلماء وأساتذة الحـوزة وينتظر سبع سنين ويطلب منهم الرد عليه ومناقشـته وتنبيهه الى نقاط الضعف في بحثه قبل ان يقوم بنشره.

رابعـا: ان سـقوط بعض الكلمـات أو الإشـارات ، فرضا ، لا يـدل بالضــرورة على النية السـيئة أو الخيانة العلمية ، ولا يــؤثر على أساس البحث ، خاصة إذا كان هذا يتعلق بموضوع هامشي جدا لا يقـــدم ولا يـــؤخر في البحث ، فســـواء اعـــترف المرتضى بتلك الروايات أو لم يعترف وذكرها أو لم يـذكرها أو نقلها عن المغـني

أو لم ينقلها، لا يثبت ذلك ولادة ابن للإمـــام العســـكري، ولا ينقذ نظرية الإمامة الإلهية ولا يسندها الى أهل البيت.

خامسا: ان تركيز النقد على بضع مصـادر في الكتـاب فقط ، بعد عشر سنين ، ينطوي على اعتراف ضـمني بصـحة أكـثر من 820 مصـدر آخر يحيل اليه الكتـاب ويقـدم شـهادة علمية من الحـوزة بقيمة الدراسة.

سادسا : ان التضليل العلمي والخيانة والتدليس يتمثل في إطلاق صـفة التـواتر والإجمـاع على حكاية سـرية اختلف حولها الشـيعة الامامية وكـانت خلاف الظـاهر وهي أسـطورة ولادة ابن للإمـام الحسن العسكري .

ســـابعا : ان العجز عن مناقشة الدراسة والـــرد عليها أو إثبـــات وجود الإمام الثاني عشر يدفع بعض المتحاورين للبحث عن نقاط جانبية وتضخيمها للتغطية على تهربه من الاعتراف بالحقيقة.

ولو راجع الدكتور الشـيخ محمد حسـين الصـغير كتابـه، لوجد نفسه يقـوم بما اتهمـني به مـرتين: الأولى: عنـدما نسب لي في الصـفحة 100 في السـطر العاشـر، القـول بمعجـزة تكلم الحجر الأسـود وتسـليمه على الإمـام علي بن الحسـين في مقابل عمه محمد بن الحنفيــــة، بينما كنت أنا انقل الرواية عن الاماميــــة، وانتقدهم فيها، فكيف أقول بها؟

الثانية: عندما استشـهد بحكاية حـوار هشـام بن الحكم مع الرجل الشامي في منى، وحواره مع ضرار وعبد الله بن يزيد الاباضي ، في صفحة 86 ، والتي ذكرتها في معرض نقل استدلال الامامية على العصمة، وليس الإيمـان بها أو تبنيهـا، بـالطبع، ولكن الشـيخ الصـغير قـال عن الرواية الأولى :" وقد أوردها الكـاتب نفســه"، وقـال عن الثانيـة:" وقد ذكرها الكـاتب نفسه أيضـا، وهي عليه لا له" دون أن يشير بالطبع الى رفضي لها بقوة.

فمــاذا يعتــبر الشــيخ الــدكتور فعله المتعمد هــذا ؟ هل هي أمانة علمية؟ أم ماذا؟

10- مع الشيخ جواد التبريزي في (رسالة مختصرة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الإثني عشر).[103]
تمخض الجبل فأولد..فأراً

في رده على كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي) اعتبر الشيخ جواد التبريزي، نقد نظرية الإمامة وفرضية وجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري)، عملية تشكيك في المسلمات العقائدية الموجودة لدى المسلمين، وبالذات لدى الطائفة المحقة أتباع أهل البيت عليهم السلام، ومحاولة لإلقاء الشبهة في قلوب العوام من أتباع هذا المذهب وتشكيكهم في عقيدتهم. وأخذ التبريزي على من يطرح تلك الاشكالات نشرها بين عامة الناس من الذين لم يطلعوا بشكل دقيق على حدود تلك المسائل ولم يفحصوا في أدلتها، وعدم طرحها على علماء الدين المتخصصين في العقائد والقادرين على إثباتها بالدليل القاطع.

وبالرغم من خلط التبريزي بين العقائد الإسلامية الثابتة كالتوحيد والنبوة والمعاد، وبين النظريات المذهبية الخاصة والخرافات والأساطير المتسربة في التراث، واعتبارها من المسلمات العقائدية التي لا يجوز التشكيك فيها، واتهام كل نقد بناء لها، بأنه "شبهة" فانه حاول مسبقا أن يتعالى على الأسئلة المعقولة التي طرحها الكتاب بالإدعاء بأن الكاتب توجه في حديثه الى عوام الناس ليضلهم ويجد بينهم سوقا نافقة، وتهرب من مواجهة علماء متخصصين في شئون الدين والعقائد. وهذا خلاف الحقيقة حيث يعلم الجميع بأني طرحت مواضيع الكتاب للمناقشة في صفوف الحوزة العلمية في قم وغيرها، بصورة عامة وفردية، ولمدة سبع سنوات، وطلبت من عدد كبير من العلماء مناقشة المسودة قبل طبع الكتاب ونشره، ولكني واجهت إعراضا مريبا وتهربا مغلفا باستعلاء واستهانة بالكتاب. ولم يقم أحد بالتصدي للرد على الكتاب إلا بعد نشره وتأثيره الكبير على الناس الذين هبوا للضغط على "العلماء" للرد عليه، ومع ان بعضهم قد اهتم بالكتاب وقرأه على الأقل قبل أن يرد عليه، إلا ان بعض "العلماء" حاول الرد من دون أن يحمل نفسه عناء الاطلاع على ما جاء في الكتاب من مناقشة للأدلة المختلفة والروايات التي يوردها أصحاب نظرية الإمامة ووليدتها فرضية

[103] - http://www.tabrizi.org/?W3Village=rad/nosoos/main

وجود الإمـام الثـاني عشـر. ويبـدو ان الشـيخ التـبريزي كـان أحد هؤلاء "العلماء" الذين اعتصـموا بمسـلماتهم الموروثـة، رافضـين أية محاولة للاجتهـاد أو إعـادة النظر في نظرية الإمامـة، من قبل ومن بعد. ورغم أنه وعد بتقديم إجابة شـافية وافية على الأسـئلة المطروحة، إلا انه لم يتمخض إلا عن (رسـالة مختصـرة) انطـوت على أمـور متناقضة واعترافـات بوجـود غمـوض ومـبررات للشك والحــيرة. في حين كــان يفــترض فيــه، وفي من يــدعي العلم والاجتهـاد أو يتبـوأ مقعد المرجعية الدينيــة، أن يبـادر الى دراسة موضوع الإمامة الذي يعتبره جـزءا مهما من العقيـدة، ويـرد على الإشـكالات والأسـئلة المطروحة بدقة وتفصـيل، لا أن يجعل من مجرد الرد عنوانا دعائيـا، وذرا للرمـاد في العيـون، وادعـاء فارغا بتقديم الجواب الشافي الوافي.

ولأن رد الشـيخ التـبريزي على كتـاب (تطـور الفكر السياسي الشيعي) لم يكن بالمستوى، فاني لم اسمع به مطلقـا، لـولا تنبيه أحد تلامذته لي اليه مــؤخراً، وادعائه بتقــديم الشــيخ روايــات صحيحة على وجود الإمام الثـاني عشر ونظرية الإمامـة، وهـذا ما دفعـني للبحث عن الكتـاب الى أن وجدته في موقع الشـيخ على الإنـترنت، وقد كـان مفاجئة كبـيرة لي لأنه لم يكن سـوى كـراس صغير جداً ، أصـغر مما تـوقعت من "مرجع ديـني كبـير" يتصـدى لبحث أمر عقائدي يقول انه من المسلمات، ويستنكر من يشـكك فيه.

وبدلا من أن يبحث الشـيخ التـبريزي موضـوع وجـود (الإمـام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) بصورة مستقلة، ويبـني نظريته في الإمامة بعد إثبــات ذلــك، فضل اختصــار الطريق بمحاولة إثبـات نظرية الإمامة أو الاثـني عشـرية والاسـتنتاج من بعض الأحـاديث صـحة فرضـية وجـود الإمـام الثـاني عشر "ولـد" الإمـام العسـكري. ورغم ان هـذا طريق معكـوس وغـير منطقي، فانه لم يفلح في مسعاه هذا أيضا.

لقد ادعى في البداية :"انه يتعـرض إلى ذكر بعض الروايـات الصحيحة والصريحة التي تعين أسماء الأئمة (عليهم السـلام) مما يقطع الطريق على من يــدعي عــدم وجــود النص عليهم أو على بعضهم، ويثبت أن المدعي لعدم وجـود النص ـ لو سـلمت نيته ـ فإنه ضـعيف الإطلاع جــداً على أخبــار أهل الــبيت وغــير بصــير بأحاديثهم. والتزم أن يكون النص الذي يورده **صـحيحاً من غـير شـبهة أو مناقشـة"**. ووعد بأنه سـيتعرض إلى ذكر النصـوص الواردة بشأن إمامة كل إمـام بخصوصـه. وقـال:"ان النص عليهم كان حاصلاً بطرق مختلفة" ولكنه اعترف مقدماً "بـأن الظـروف

التي أحاطت بأئمة أهل البيت وشيعتهم الكرام في أدوار التـاريخ كانت من الصعوبة بحيث كان نقل الحديث الذي ينص على إمامة المعصومين خصوصاً الذين كانوا في فـترات متـأخرة، كـان أمـراً في غاية الخطورة".

ولكن هل استطاع الشيخ التبريزي أن يفي بوعده، أو أن يقدم نصا صحيحاً واحداً؟ أم حاول التشويش على عامة الناس الذين لا يميزون بين الأحاديث ولا يعرفون الصحيح من السقيم؟

قبل أن ننظر في "أدلته الصحيحة" يجدر بنا أن ننبه الى نقطة مهمة وهي ضــرورة اســتقلالية الأدلة واتفــاق جميع المســلمين عليهـا، وإلا فـان كل فرقة من الشـيعة كالاسـماعيلية والواقفيـة، وكل طائفة من المسلمين تأتي بأدلة وروايات خاصة من شيوخها وعلمائها ورجالها على صـــحة مـــذهبها، ولا يمكن ان تكـــون كل المذاهب والطوائف صحيحة في وقت واحد مع اختلافها حول أمر معين، ولا بد من النظر الى ما تنفرد به من روايات بعين مستقلة خارجة عن إطارها الخــاص، فمثلا لو جــاء الواقفية وقــالوا بــأن الإمامة محدودة في سبعة وان سابع الأئمة (موسى الكــاظم) هو خــاتم الأئمة وانه غــائب وأنه المهــدي المنتظــر، وجــاءوا على مــزاعمهم بأحــاديث كثــيرة قــالوا انه صــحيحة لأنها مروية عن شيوخهم الثقاة العدول في نظرهم، فـان قـولهم لن يشـكل حجة لبقية المذاهب ، وان دعواهم بصحة أحـاديثهم مشـبوهة ومناقشة ومـردودة، ولا يجـوز حـتى لهم الاعتمـاد عليهـا، وكـذلك إذا جـاء الاســماعيليون وقــالوا بــأن الإمامة في ولد إســماعيل بن جعفر الصادق وجاءوا كذلك بأحاديث قالوا عنها أنها صحيحة ومروية عن ثقــاتهم وعــدولهم، فــان قــولهم لن يشــكل حجة بالنســبة لبقية المذاهب، وذلك لأن دعواهم بالصحة والوثاقة مـردودة ومشـبوهة ومنـاقش فيهـا، وكـذلك إذا جـاء الاثنا عشـريون بأحـاديث حـول نظـريتهم الخاصة في الإمامـة، قـالوا عنها انها مروية عن ثقـاتهم وعــدولهم فــان ذلك لن يشــكل حجة حــتى لهم فضلا عن بقية الشيعة أو عامة المسلمين، وذلك لوجود الشك والشبهة فيها، ولا بد أن يــأتي الجميع بروايــات يعــترف بصــحتها جميع المســلمين والفرق الأخرى حتى يصح أن يحتجوا بها لأنفسهم وعلى غيرهم.

ان الثقة والعدالة التي يدعيها كل فريق لشيوخه ورواته، خاصة في المسـائل الـتي ينفـرد بهـا، لا يعـترف بها الآخـرون، ولا يجـوز الاعتمــاد في التوثيق والتصـحيح على رجـال المـذهب أنفســهم، وانما يجب النظر إليهم بصورة مستقلة فإذا ثبتت وثــاقتهم وثبتت صـحة روايــاتهم نأخذ بها ، وإذا لم تثبت بصــورة مســتقلة لا نقلد أحدا من أتباعهم فيما يدعون.

وهذه مسـألة واضـحة وبديهيـة، ولكن الشـيخ التـبريزي يلتف عليها، ويدعي الصحة والوثاقة لروايات من داخل المذهب الاثــني عشـــري، فيقـــول:"يوجد **في مصـــادرنا الحديثية** العديد من الروايات التي تنص على تحديد أسماء الأئمة المعصـومين (عليها السـلام)، ولكن حيث أن بناءنا هو على الاختصــار في هـــذه الرسالة، لذلك سنكتفي بذكر رواية صحيحة صريحة في كل بـاب (أو روايتين)، وفيها لمن أراد الدليل كفاية وغنى. وهـذه الروايـات تنقسم بحسب المدلول إلى أقسام:

القسم الأول

ما ورد من الروايـات في تحديد أن الأئمة (عليها السـلام) هم من وُلد الحسين (عليه السلام)... فمن تلك الروايــات: (**صحيحة**) ما رواه الشيخ الكليني رحمه اللّه عن محمد بن يحـيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبـوب عن إسـحاق بن غـالب عن أبي عبد اللّه الصـــادق (عليه الســـلام) من كلام يـــذكر فيه الأئمـــة.. إلى أن قـــال "فلم يـــزل اللّه يختـــارهم لخلقه من وُلد الحسين من عقب كل إمـام، كلما مضى منهم إمـام نصب لخلقه من عقبه إماماً وعلماً هادياً".

ومنها (**صـحيحة**) ما رواه الشـيخ الصـدوق رحمه اللّه عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عن محمد بن الحسن الصــفار عن أحمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحســين بن أبي الخطـاب والهيثم ابن مسروق النهدي، عن الحسن بن محبوب السـراد عن علي بن رئـــاب عن أبي حمـــزة الثمـــالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سمعته يقـول: "إن أقـرب النـاس إلى اللّه عز وجل وأعلمهم به وأرأفهم بالنـاس محمد صـلى اللّه عليه وآلـه، والأئمة فادخلوا أين دخلوا وفارقوا من فارقوا، عنى بـذلك حسـيناً وولـده فــإن الحق فيهم وهم الأوصـياء ومنهم الأئمـة، فأينما رأيتمـوهم فـاتبعوهم **وإن أصـبحتم يومـاً لا تـرون منهم أحـداً منهم** فاستغيثوا باللّه عز وجل وانظروا السنة الـتي كنتم عليها واتبعوها وأحبّوا من كنتم تحبون وأبغضـوا من كنتم تبغضـون فما أسـرع ما يأتيكم الفرج".
ويؤيدها ما رواه في كمـال الـدين، عن أبيه عن سـعد بن عبد اللّه عن يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان عن أبان عن سـليم بن قيس الهلالي عن سـلمان الفارسي قـال: "دخلت على النـبي صـلّى اللّه عليه وآلـه، فـإذا الحسـين بن علي

على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول: أنت سيد ابن سـيد، أنت إمـــام ابن إمـــام أبو أئمة أنت حجة الله ابن حجته وأبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم".

القسم الثاني:الروايـات الـتي تنصّ على أسـماء الأئمة (ع) بـدءاً من الإمـام أمـير المؤمـنين (ع) حـتى الإمـام محمد بن علي الباقر (ع)

وهي متعددة نكتفي منها بروايتين:

الصحيحة الأولى: رواها الشيخ الكليني رحمه اللّه عن علي بن إبـــراهيم عن محمد بن عيسى عن يـــونس، وعلي بن محمد بن سـهل بن زيـاد أبي سـعيد عن محمد بن عيسى عن يـونس، عن ابن مسكان عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللّه (ع) عن قوله اللّه عز وجل "أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمر منكُم" ، فقـال: نـزلت في علي بن أبي طـالب والحسن والحسـين (ع)، فقلت: إن النـاس يقولـون فما باله لم يسـمِّ عليّـاً وأهل بيته في كتاب اللّه عز وجل؟ فقال: قولوا لهم: إن رسول الله نـزلت عليه الصلاة ولم يسمّ اللّه لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسـول اللّه هو الــذي فسر ذلك ونــزلت الزكـــاة ولم يســمّ لهم من كل أربعين درهماً درهم، حتى كان رسول اللّه هو الذي فسّر لهم ذلك، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله هو الـذي فسّر لهم ذلك ونزلت "أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولي الأَمر منكُم" ونزلت في علي والحسن والحسين فقال رسـول الله في علي (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فقـال (ص): أوصـيكم بكتـاب اللّه وأهل بيتي فإني سألت اللّه أن لا يفـرق بينهما حـتى يوردهما علي الحوض فأعطاني ذلـك، وقـال لا تعلمـوهم فهم أعلم منكم، وقال إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم باب ضـلالة. فلو سـكت رسـول اللّه فلم يـبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان، لكن اللّه أنزل في كتابه تصـديقاً لنبيه "إِنَّمَا يُرِيـدُ اللّـهُ لِيُذهبَ عَنكُمُ الـرِّجسَ أَهـلَ البَيت وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً" فكـان علي والحسن والحسـين وفاطمة فـأدخلهم رسـول اللّه تحت الكسـاء في بيت أم سلمة ثم قـال: اللهم إن لكل نـبي أهلاً وثقلاً وهـؤلاء أهلي وثقلي. فقالت أم سـلمة: ألست من أهلـك؟ قـال: إنك إلى خير، ولكن هـؤلاء أهلي وثقلي، فلما قبض رسـول اللّه كـان علي **أولى النــاس** بالنــاس، لكـثرة ما بلغ فيه رسـول الله وإقامته للناس وأخذه بيده، فلما مضى علي لم يكن يسـتطيع علي ــ ولم يكن ليفعل ــ أن يـدخل محمد بن علي ولا العبــاس بن علي ولا واحـداً من ولـده.. إذن لقـال الحسن والحسـين إن اللّه تبـارك

وتعالى أنزل فينا كما أنـزل فيك فـأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتـك، وبلغ فينا رسول الله كما بلغ فيـك، وأذهب عنا الـرجس كما أذهبه عنك، فلما مضى علي، كان الحسن أولى بها لكبره فلما توفي لم يســتطع أن يــدخل ولــده ولم يكن ليفعل ذلــك، واللّه عز وجل يقـول: "**وَأُولُوا الأَرحَـام بَعضُـهُم أَولَى' ببَعض في كتَـاب اللّه**" فيجعلها في ولـده.. إذن لقـال الحسـين أمر اللّه بطـاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيـك، وبلغ في رسـول اللّه كما بلغ فيك وفي أبيك وأذهب اللّه عـني الـرجس كما أذهب عنك وعن أبيـك، فلما صـارت إلى الحسـين لم يكن أحد من أهل بيته يسـتطيع أن يدعي عليه كما كـان هو يـدعي على أخيه وعلى أبيـه، لو أرادا أن يصـرفا الأمر عنـه، ولم يكونا ليفعلاه، ثم صـارت حين أفضت إلى الحسـين فجـرى تأويل هـذه الآية "وَأُولُـوا الأَرحَـام بَعضُـهُم أَولَى' ببَعض في كتَــاب اللّــه" **ثم صــارت** من بعد الحســين لعلي بن الحسـين **ثم صـارت من بعد علي بن الحسـين إلى محمد بن علي**، ثم قــال: الــرجس هو الشــك، والله لا نشك في ربنا أبداً".

الصحيحة الثانية: ويؤيدها ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد ابن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليمـاني وعمر بن أذينة عن أبان عن سـليم بن قيس قـال: شـهدت وصـية أمـير المؤمـــنين حين أوصى إلى ابنه الحسن وأشـــهد على وصـــيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤسـاء شـيعته وأهل بيته ثم **دفع إليه الكتـاب والسـلاح** وقـال لابنه الحســن: "يا بــني أمــرني رسول اللّه أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبه وسلاحه، **وأمرني أن آمـــرك إذا حضـــرك المـــوت أن تـــدفعها إلى أخيك الحسين**، ثم أقبل على ابنه الحسين فقـال: وأمـرك رسـول اللّه أن تــدفعها إلى ابنك هــذا. ثم أخذ بيد علي بن الحســين وقــال: **وأمرك رسـول اللّه أن تـدفعها إلى ابنك محمد بن علي** واقرأه من رسول اللّه ومني السلام".

القسم الثالث:ما نص على أسماء الأئمة (ع) جميعاً

ومع هـذه الــروايات الـتي سـوف نـذكر بعضـها ينقطع عـذر كل متعلل **لصراحتها وقوتها**، وما يحف بها، ففي الأولى نلتقي مع أسماء الأئمة (ع) في سجدة الشكر عقيب كل صلاة، حيث يشـهد المصــلي ربه والملائكة والخلق بمجمل اعتقاداته الــتي ينبغي أن يلقاه بهـا، ومنها تولّيه للأئمة الطـاهرين من أهل الـبيت (ع) وأنه يتولاهم ويتبرأ من أعـدائهم، ولا يخفى الارتبـاط بين الصـلاة وبين

ذكر الأئمة الهادين وفضلهم على الخلق في تعليمهم معالم الدين. وسنشير إلى هذه الجهة أيضاً في الخاتمة..
فمن هذه الروايات:
الصحيحة التي رواها الصدوق بإسناده عن عبد اللّه بن جندب عن موسى بن جعفر **(**ع) أنه قال: تقول في سجدة الشكر: "اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت اللّه ربي والإسلام ومحمداً نبيي وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن أئمتي بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ".
و**الصحيحة** الأخرى التي رواها الكليني عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر الثاني (ع) قال:"أقبل أمير المؤمنين (ع) ومعه الحسن بن علي وهو متكىء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين، فرد (ع) فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضي عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء! فقال له أمير المؤمنين (ع): سلني عما بدا لك، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى الحسن، فقال: يا أبا محمد أجبه! قال: فأجابه الحسن، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصي رسول اللّه والقائم بحجته ـ أشار إلى أمير المؤمنين ـ ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته ـ أشار إلى الحسن ـ، وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، واشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا

يكنّى ولا يسمّى حتى يظهر أمـره فيملأها عـدلاً كما ملئت جـوراً، والسـلام عليك يا أمـير المؤمـنين ورحمة اللّه وبركاتـه، ثم قـام فمضـى، فقـال أمـير المؤمـنين: يا أبا محمد اتبعـه! فـانظر أين يقصـد؟ فخـرج الحسن بن علي (ع) ، فقـال: ما كـان إلا أن وضع رجله خارجـاً من المســجد فما دريت أين أخذ من أرض اللّــه، فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته، فقـال: يا أبا محمد أتعرفـه؟ قلت: اللّه ورسوله وأمير المؤمنين أعلم. قال هو الخضر".

ونتوقف هنا لنقـول للشـيخ التـبريزي ان جميع هـذه الروايـات الست، التي ذكرها غير صـحيحة بل انها ضـعيفة جـدا، وذلك أولاً: لأن التبريزي ذكرها من مصادر الاثني عشـرية المتهمة باختلاقهـا، وثانيــا: لوجــود النقــاش في وثاقة بعض الــرواة، مثل أبــان، أو وجــودهم، مثل سـليم بن قيس الهلالي، من قبل علمـاء الرجـال الاثني عشريين أنفسـهم، وثالثا لوجـود الـدور الباطل فيهـا، حيث تنسب أقـوالا أو آراء لبعض الأئمة من أهل الـبيت كالإمـام البـاقر والصــادق، وهي حجة لمن يعتقد بإمــامتهم بعد ثبــوت ذلــك، والمفروض ان إمـامتهم لم تثبت بعـد، فكيف يحتج بـأقوالهم على إمامة أنفســهم؟ هــذا إذا صـحت الرواية عنهم ولم يثبت تزويرها عليهم من قبل الامامية.
فالرواية الأولى من القسم الأول ينقلها الكليــــني عن الإمــــام الصــادق، وهي تتحــدث عن انحصــار الإمامة في ذرية الحســين، وليس فيها تحديد عــدد ولا ذكر أســماء بقية الأئمــة، ولا حصر الإمامة في موسى بن جعفر أو ذريتــــه، بل تشــــمل الأئمة الاسماعيليين.
وأما الرواية الثــاني من القسم الأول، رواية الصــدوق عن أبي حمزة الثمـالي، عن الإمـام البـاقر، فهي بغض النظر عن مناقشة سندها، تشـكل رأيا للإمـام البـاقر وتـأويلا منه لبعض آيـات كتـاب اللــه، وليست رواية منه عن رســول الله (ص) ومع ذلك فانها لا تنص على أحد بالإمامة، وتعـترف بإمكانية غمـوض النص أو عـدم وجــود إمـام في الخـارج (**وان أصبحتم يوما لا تـرون منهم أحدا**). وكذلك الرواية الأخرى الـتي يسـتعين بها التـبريزي لتقوية تلك الرواية، وهي رواية الصدوق عن أبيه عن سـلمان الفارسـي، والتي لا يجرؤ التبريزي على تسميتها بالصـحيحة، لوجـود الضـعف الظـاهر فيها من حيث السـند، وذلك لعـدم رواية علي بن بابويه الصــدوق لها في كتابه (الإمامة والتبصــرة من الحــيرة) قبل أن تظهر نظرية الاثني عشرية في القــرن الرابع الهجـري، فضلا عن ضعف أبان.

أما الرواية الأولى من القسم الثـــاني، فهي مـــدعاة من الامامية على لسان الإمام الصادق، ولم تثبت عنه بطريقة مســتقلة، وهي مع ذلك لا تدل على شيء ، وانما هي مجرد تأويل متعسف لبعض آيـــات الـــذكر الحكيم، حيث تـــدعي نـــزول آية الطاعة في علي والحسن والحسـين، مع أن تتمة الآية تتحـدث عن إمكانية الـنزاع مع أولي الأمر، وتأمر بالرجوع الى الله والرسول في تلك الحالة، مما ينفي صفة العصمة والإطلاق في الطاعة لأولي الأمر، وهو ما تحـاول الرواية ان تثبته لأئمة أهل الـبيت. وتتضـمن الرواية أيضا تأويلا لآية التطهير بمعنى العصمة، ومع افتراض صحة هذا التأويل فانه لا يعني الإمامة بصراحة، فضلا عن تحديد الأهل بأئمة معينين من أهل البيت، وهذا ما تعترف به الرواية الـتي تسـتعين بحـديث منسـوب الى النـبي يشـرح من المقصـود به من الآيـة، وبعد كل ذلك فـان الآية لا تشـكل دليلا على الإمامة بـالنص، وانما الأولوية كما تقول الرواية:" **فلما قبض رسول اللّه كـان علي أولى النـاس بالنـاس، لكـثرة ما بلغ فيه رسـول الله وإقامته للنـاس وأخـذه بيـده**". وتتضـمن الرواية تـأويلا ثالثا مكملا هو تأويل آية ولاية الأرحـــــــام، وهي واردة أساسا في الإرث ، ولكن المتحدث يجرها الى الإمامة والسياسة بالقوة، ثم يدعي صـيرورة الإمامة في علي بن الحسـين وابنه محمد البـاقر، وهـذا ادعـاء بلا دليـــــل، وحصر للإمامة في ذرية الحســـين مقابل نفيها عن ذرية الحسـن. ولا تـدعي الرواية وجـود نص على ذلك من أحـد، بل ان هناك روايتين عن الإمام الباقر والصادق تؤكد عـدم وصـية الإمـام الحسين لابنه زين العابدين في كــربلاء. ولم يكن النص على علي بن الحســـين معروفا لـــدى أوائل الامامية في القـــرن الثـــاني الهجـري، ولـذلك فـانهم يبنـون نظـريتهم في انتقـال الإمامة اليه على أساس المعجـزة، وهو ما أكـده الشـيخ التـبريزي الـذي نقل رواية الكليني (الصحيحة) حول احتجـاج محمد بن الحنفية مع زين العابدين، ومنافسته حول الإمامة، ونفي وجود نص عليه من الله، واحتكامهما الى الحجر الأسود "الذي نطق بقدرة اللّه: أن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي إلى علي بن الحسين"**.**

وبغض النظر عن صحة هذه الرواية أو كذبها، فانها تـدل على عدم معرفة محمد بن الحنفية، بوجــود النص على إمامة ابن أخيه علي بن الحسين، وعدم إذعانه له إلا بعد شهادة الحجر الأسود له بذلك. وهذا بالطبع ادعاء أجوف مخالف للحقيقة والتاريخ.

وبعد تبين حـال هـذه الروايـة، يتـبين حـال الرواية الثانية من القسم الثـاني، وهي رواية الكليـني عن سـليم بن قيس الهلالي، والتي تدعي وصية أمير المؤمنين للحسين، أمام جميع ولـده بمن

فيهم محمد بن الحنفية، بوجوب نقل الكتب والسلاح (دليل الإمامة) الى ابنه علي زين العابدين، ثم الى ابنه محمد الباقر. وهو الأمر الذي كان ينفيه ابن الحنفية، الذي تصدى لقيادة الشيعة بعد مقتل أخيه الحسين، بعد اعتزال الإمام زين العابدين، ثم نقل قيادة الشيعة الى ابنه أبي هاشم عبد الله. وهو ما يكشف عن تأليف الامامية لهذه الرواية في وقت متأخر، ويكفي أن أحد رواتها أبان الضعيف باعتراف الشيخ الطوسي، فضلا عن سليم بن قيس الهلالي المشكوك بوجوده أصلا.

وننتقل الى روايات القسم الثالث، وهي التي تنص بصراحة على أسماء الأئمة الاثني عشر، والتي يسميها الشيخ التبريزي بصحيحتي الصدوق والكليني، فانهما في الحقيقة روايتان موضوعتان في وقت متأخر في القرن الرابع، بعد نشوء نظرية الاثني عشرية ، ولم يكن لهما ذكر في القرون الأولى، يشهد على ذلك غموض أسماء الأئمة الاثني عشر في أيام حياتهم، بالنسبة لهم ولخاصة شيعتهم وعامتهم فضلا عن عموم المسلمين، ذلك الغموض الذي أدى الى تفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام الى فرق عديدة نتيجة جهلهم بالإمام، وذهابهم يمينا وشمالا، وحدوث البداء في بعض الأئمة مثل إسماعيل بن جعفر الصادق ومحمد بن علي الهادي، اللذين أشار اليهما أبواهما ونصباهما ثم توفيا في حياة الصادق والهادي، واضطرار الشيعة الامامية للانتقال الى إمام جديد، أو وقوعهم في الحيرة بعد وفاة الإمام السابق، كما حدث بالنسبة للإمام الصادق عندما ذهب عامة الشيعة للقول بإمامة ابنه عبد الله الأفطح، ثم انتقلوا الى إمامة أخيه موسى بعد وفاته، وكذلك حيرة الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري وتفرقهم الى أربعة عشر فرقة، وعدم معرفتهم بهوية الإمام من بعده.[104]

---

[104] - يؤكد الصفار والكليني والمفيد والكشي : على ذهاب أقطاب النظرية الامامية كهشام بن سالم الجواليقي ومحمد بن النعمان الأحول في البداية الى عبد الله الأفطح ،الذي اجمع الناس عليه انه صاحب الأمر بعد أبيه "وذلك لرواية الناس عن أبي عبد الله ، ان الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة " وإصرار عمار الساباطي وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق على القول بإمامته حتى النهاية.

الكليني، الكافي، ج1 ، ص 351 – 352، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم.

ان تاريخ الشيعة يناقض بقوة وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة من قبل، وهذا ما يدل على تأليف القائمة الاثني عشرية بعد رحيلهم بفترة من الزمن، ومن هنا فان تينك الرواتين غير صحيحتين بالمرة ، وانما هما موضوعتان ومكذوبتان على أئمة أهل البيت. وقد بحثنا هذا الموضوع بتفصيل في كتابنا (تطور الفكر السياسي الشيعي) لدى بحث موضوع الاستشهاد بأحاديث الاثني عشرية على وجود الإمام الثاني عشر، ومن أراد المزيد فليراجع، ولكن يبدو ان الشيخ التبريزي لم يلق نظرية على الكتاب، واستعان بما حضر في ذهنه من روايات، دون تمحيص ولا تثبت ولا تأمل، وادعى لها صفة الصحة جزافا واعتباطا.

وبعد أن يعجز التبريزي عن إثبات أصل الإمامة، وخصوصا إمامة علي بن الحسين بالنصوص الصريحة والصحيحة، يحاول إثبات إمامة الأئمة الباقين بطرق أوهى وأضعف، فيقول:"بعد أن ذكرنا الروايات التي تذكر أسماء الأئمة الطاهرين، نعود ونذكر الروايات الخاصة التي تنص على كل إمام بشخصه، وهي قد تذكر الإمام باسمه وأخرى بالقرينة والصفة، فإن بعض الروايات تعتمد على ذكر أمر، ذلك الأمر يلازم كونه إماماً كما سيأتي في وصية الإمام الباقر لابنه الصادق (ع) أن يغسله ويجهزه ويكفنه، **فإن هذا من النص عليه، لما ثبت عندنا من النصوص والإجماع على أن الإمام لا يتولى تجهيزه إلا إمام مثله عند حضوره، وقد لا ينتبه لمثل هذه الإشارات إلا من كان على مستوى من الإحاطة بتعابير الأئمة**، كما نرى أن هشاماً بن الحكم عندما سمع من علي بن يقطين قول الكاظم أن **علياً الرضا سيد ولده وأنه قد نحله كنيته، فقد استنتج هشام من ذلك أنه نص عليه بالإمامة من بعده،** ومثل ان يعطيه السلاح والكتب...".

وهذا اعتراف من التبريزي بعدم وجود النصوص الصريحة الصحيحة على إمامة بعض الأئمة، وانما معرفة ذلك بالقرائن والتأويلات والصفات والإشارات، وان كان بعضها غير صحيح بالمرة، مثل ما يزعم من تجهيز الإمام اللاحق للسابق وحضوره عند وفاته. فقد أثبت التاريخ ان الإمام الرضا توفي في خراسان وابنه الجواد طفل صغير في المدينة، وكذلك توفي الإمام الجواد في بغداد وابنه علي الهادي طفل صغير في المدينة، فكيف حضر كل منهما عند وفاة أبيه وهو لم يعلم بها إلا بعد فترة من الزمن؟ وكيف جهز كل منهما أباه وصلى عليه وهو طفل صغير لم يتكلف بالصلاة؟

ولم يستطع التبريزي إثبات إمامة الصادق إلا بالتأويل والجمع والطرح والاستنتاج الخفي، حيث أورد رواية وصـية الإمـام البـاقر للصادق بتكفينه في بـرده وتعميمه وتربيع قـبره، والاسـتنتاج منها أن المقصـــود الوصـــية بالإمامة "وأن والوصـــية هي من علائم الإمامة ينتج ذلك النص على إمامة الصادق (ع)".

ولسنا بحاجة بعد ذلك لمناقشة الروايات الأخرى الـتي حـاول التـبريزي من خلالها إثبـات إمامة بقية الأئمة بالإشـارات والعلائم الخفية، المشكوك في صحتها، والمنافية للتاريخ الشيعي الذي لم يعـرف إمامة الأئمة البـاقين بوضـوح وبصـورة مباشـرة بعد وفـاة الإمــام الســابق، مما أدى الى نشــوء الحركــات المختلفة الــتي تشبثت بإمامة كل ولد من أولاد الأئمة السابقين.

وهذا ما اعترف به التـبريزي نفسه من حيث لا يشـعر عنـدما علق رواية تعيين الإمام الكاظم لابنه الرضا بقوله:"فأنت عزيــزي القارئ:ترى هنا أن **هشاماً بن الحكم لما كـان متبحـراً في العقائد، وعارفاً بإشارات الأئمة في ما يرتبط بموضوع الإمامــة، والصــفات الــتي لابد من توفرها في الإمــام، فإنه بمجرد أن سمع تلك الكلمات وضمها إلى الكبريات الموجــودة في ذهنه المرتبطة بموضــوع الإمامــة،** فقد انتقل فـوراً إلى معـنى نص الإمـام الكـاظم على الرضا (ع) **وإن كــــان مثل علي بن يقطين على جلالته ربما لم يتوجه إلى ذلك المعنى بنفس السرعة".**

وعندما كان الشيخ التـبريزي يحـاول إثبـات النص على إمامة علي الهادي، نسي الأحاديث السابقة التي وصفها بالصـحة والـتي تضـمنت النص على أسـماء الأئمة الاثـني عشر من قبـل، فـذكر رواية مناقضة وصفها بالصحة أيضا، وهي تقول بأن إســماعيل بن مهران سأل الإمام الجواد عند خروجه من المدينة الى بغــداد في المرة الأولى عن الإمام بعده، وان الإمام رفض التصريح بذلك.

وينتقل الشــيخ التــبريزي الى الحــديث عن إمامة الحسن العسكري، دون أن يشير مطلقا الى موضـوع البـداء الـذي حـدث في النص على السـيد محمد بن علي الهـادي، ثم وفاته في حيـاة أبيه، وقول الإمام الهادي للعسكري:" يا بني أحدث لله شكرا فقد أحــدث فيك أمــرا، أو نعمــة".[105] وهو ما يــدل على عــدم معرفة

---

[105] - الكليني، الكافي، ج 1، ص 326 – 327، الصفار، بصائر الدرجات، ص 473، المفيد، الإرشاد، ص 337، الطوسي، الغيبة، ص 122

وقد روى الكليـــــــني والمفيد والطوسي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : كنت عند أبي الحسن العسكري وقت وفــاة ابنه أبي جعفر ،وقد كـان أشـار اليه ودل عليه ، واني لأفكر في نفسي واقـول هـذه قصة

الإمامين الهادي والعسكري بإمامة الأخير إلا بعد وفاة أخيه الأكبر السيد محمد.

ورغم كل ذلك لا يجرؤ الشيخ التبريزي على وصف الرواية التي ينقلها عن يحيى بن يسار القنبري حول النص على الإمام العسكري بالصحة، ولكنه يستشهد بها ويقول:"أوصى أبو الحسن الى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي". وإذا قبلنا هذه الرواية فانها لا تتضمن تصريحا بالنص على العسكري بالإمامة.

وبعد تهافت الروايات التي ينقلها الشيخ جواد التبريزي حول الإمامة والأئمة بشكل عام أو خاص، وعدم وجود رواية واحدة صحيحة بينها، ينتقل للحديث عن موضوع وجود (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) وإمامته، فينقل مجموعة روايات يتردد في وصف أية رواية منها بالصحة، لأنه يعلم انها تأتي عبر كذابين مشهورين مثل جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، أو أدعياء النيابة الخاصة مثل محمد بن عثمان العمري، المتهم باختلاق شخصية الإمام الثاني عشر، واستغلال اسمه لامتصاص أموال الشيعة، فيقول:"وأما الروايات الواردة في إمامة الإمام الحجة بن الحسن العسكري صاحب الزمان عجل اللّه فرجه الشريف، وفي صفاته وعلامات ظهوره، وما يرتبط بخريطة تحركه بعد الظهور، وأنصاره، فهي كثيرة جداً، **حتى لقد ألفت كتب ومجلدات خاصة في هذا الأمر**" متغافلا عن قيمة تلك الروايات ودلالاتها، ومتهربا من مناقشتها، كأن كثرة الروايات الموضوعة تشكل دليلا على صحتها.

ومما يلفت النظر هنا أن بعض الروايات التي يذكرها تشير الى الغموض حول وجود الخلف، واختلاف الشيعة وحيرتهم، ولكنها تطالب الشيعة بالتسليم بصورة عمياء بلا دليل، بل تهدد من لا يؤمن بوجود الخلف بالكفر بالأئمة السابقين وبنبوة رسول الله (ص).

أبي إبراهيم وقصة إسماعيل، فأقبل الي أبو الحسن وقال : نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر وصير مكانه أبا محمد كما بدا له في إسماعيل بعدما دل عليه أبو عبد الله ونصبه ، وهو كما حدثتك نفسك وأنكره المبطلون ..أبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده ما تحتاجون اليه ، ومعه آلة الإمامة والحمد لله.

الكليني، الكافي، ج1 ، ص328، والطوسي، الغيبة، ص 55 و130، والمفيد، الإرشاد، ص 317، والمجلسي، البحار، ج50 ص 241

يقـول الشـيخ جـواد التـبريزي:"**إن الإيمـان بالأئمة كل لا يتجـــزأ وأن الاعـــتراف بهم من دون الإمـــام الحجة لا يساوي شيئاً وهو كإنكار أمير المؤمنين** (ع): ما نقله في كفاية الأثر عن الحسن بن علي عن أحمد بن محمد بن يحـــــيى العطار عن سعد بن عبد الله عن موسى بن جعفر البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسـكري (ع) يقـول:"**كأني بكم وقد اختلفتم بعـــدي في الخلف مـــني** ألا إن المقر بالأئمة بعد رسول الله المنكر لولدي **كمن أقر بجميع الأنبيـاء والرسل ثم أنكر نبـوة رسـول اللّه (ص)** لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا، **والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه اللّه".**[106]

وإذا صدقنا هـذه الرواية فانها تـؤدي الى تكفـير جميع الفـرق الشيعية ما عدا الاثني عشرية، فضلا عن عامة المسـلمين، مع ان الرواية نفسـها تتحـدث عن غيبة تسـبب ارتيـاب النـاس، ولكنها تطالب بالإيمان بولد العسكري دون دليل.

وكان يجدر بالشيخ التبريزي أن يتوقف قليلا عند تلك الروايات التي تتحدث عن وجود الولد للإمام العسكري، ودراسة أسـانيدها، بدلا من التصديق الساذج والسريع بما روى أدعيـاء النيابة الخاصة من أمثال العمري، الذي تحدث عن رؤيته للمهـدي متعلقا بأسـتار الكعبة، خاصة بعد حدوث الحيرة لـدى الشـيعة الامامية وتفـرقهم بعد وفــاة الإمــام العســكري دون خلف ظــاهر الى أربعة عشر فرقة، وتفتيشـهم عن الولد الى حد اليـأس، ما عـدا فريق صـغير من أصحاب الإمام ادعى وجوده في السر، والنيابة الخاصة عنـه. وهو أمر يخالف قوانين الشريعة الإسلامية الـتي تحـرم نسـبة ولد الى رجل لم يدعه بعد وفاته، مع إنكار أهله وعشـيرته لـه، وعـدم وجود أي أثر له طوال أكثر من ألف عام.

وكان يجدر بالشيخ التبريزي مرة أخرى، إذا لم يكن قد حقق بروايات وجود الولد للإمام العسكري، من قبـل، أن يحقق بها بعد

---

[106] - وينقل التبريزي روايات أخرى في هذا المضمون، فيقول: قال رسول اللّه (ص): المهدي من ولـدي اسـمه اسـمي، وكنيته كنيـتي، أشـبه النـاس خلقاً وخُلقاً **تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديــانهم**". وما رواه الشـيخ الصـدوق في كمـال الـدين ... عن زرارة بن أعين، قـال: سـمعت أبا عبد اللّه (ع) يقـول: «إن للقـائم غيبة قبل أن يقـوم. قلت لـه: ولم؟ قال: **يخاف وأومأ بيده إلى بطنه**، ثم قــال: يا زرارة هو المنتظر **وهو الــذي يشك النــاس في ولادته منهم من يقــول هو حمل ومنهم من يقول هو غائب، ومنهم من يقول ما ولد ومنهم من يقول ولد قبل وفاة أبيه بسـنتين، غـير أن اللّه تبـارك وتعـالى يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون**".

صدور كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) الذي نسف كل تلك الروايات، وأن يلقي على الكتاب نظرة واحدة حتى يتأكد من صحة تلك الروايات، لا أن يبادر الى تكرارها بصورة بلهاء، ونشرها بين عوام الشيعة الذين لا يفرقون بين الصحيح والسقيم من الروايات، مستغلا لقبه "كمرجع ديني وآية من آيات الله"!

لقد ادعى الشيخ جواد التبريزي في بداية كراسه :"انه يتعرض إلى ذكر بعض الروايات الصحيحة والصريحة التي تعين أسماء الأئمة (عليهم السلام) مما يقطع الطريق على من يدعي عدم وجود النص عليهم أو على بعضهم، ويثبت أن المدعي لعدم وجود النص ـ لو سلمت نيته ـ فإنه ضعيف الإطلاع جداً على أخبار أهل البيت وغير بصير بأحاديثهم. والتزم أن يكون النص الذي يورده **صحيحاً من غير شبهة أو مناقشة"**. ولكنه اعترف في الخاتمة بوجود صعوبات تحول دون النص الصريح عليهم ، فقال:" وفي الختام ينبغي ذكر ملاحظة هامة وهي: أن الوضع العام الذي عاش فيه الأئمة (ع) خصوصاً بعد شهادة الإمام الحسين **كان وضعاً ضاغطاً وعصيباً**، وقد حاول فيه الظالمون بكل جهدهم أن "يُطفئُوا نُورَ اللّه بأفواههم" فكانوا يتربصون بالأئمة الدوائر ويبغونهم الغوائل للقضاء عليهم. وهؤلاء الظالمون ـ في العهدين الأموي والعباسي وإن لم يكونوا يقدمون على قتلهم جهراً وعلانية، إلا أنهم كانوا يحاولون ذلك غيلة، وشاهد ذلك ما نجده من إقدامهم على دس السم للأئمة(ع). وهذه الظروف والأوضاع غير خافية على المتتبع لأحوالهم، والعارف بتأريخهم، ويكفي لمعرفة ذلك، النظر إلى كيفية نص الإمام الصادق (ع) على إمامة الكاظم في وصيته له حيث **كان العباسيون ينتظرون أن يعيّن بنحو صريح الإمام بعده ليقتلوه، فكان أن أوصى لخمسة**، فضيع عليهم هذه الفرصة، ثم ما جرى على مولانا الكاظم (ع) من سجنه ثم قتله، وأيضاً ما جرى من التضييق والاضطهاد للإمام الهادي (ع) ومن بعده ابنه الحسن العسكري، ومحاولتهم القبض على خليفته الإمام المهدي وقتله ـ بزعمهم ـ.
وهكذا ما عاشه الشيعة الكرام من ظروف القمع والتقية، بحيث كانوا لا يسلمون على عقائدهم في وقت كان يسلم فيه الكفار في بلاد الإسلام على ما كانوا عليه من ضلالة، ولا يسلم شيعة أهل البيت بما عندهم من الهدى. فكان الكشف في هذه الظروف عن أسماء الأئمة المعصومين خصوصاً من كان منهم في الفترات اللاحقة، وتناقل النصوص المصرّحة بإمامتهم بين

الرواة أمراً في غاية الخطـورة على الإمـام وعلى شـخص الناقل أيضاً. ولكنهم مع ذلك قد حفظوا لنا ـ جـزاهم اللّه خـير الجـزاء ــ تلك النصـوص وتناقلوها فيما بينهم بـالرغم مما كـان يكتنفها من المشـاكل والضـغوط حـتى أوصـلوها لنـا، بحيث تمت بواسـطتها الحجة على من أنكـر، والاحتجــاج بها والاسـتناد عليها لمن آمن. ولهـذا فقد أصـبحت هـذه القضـية **من المسـلمات العقائدية** لدى شيعة أهل البيت، والمتواترة إجمالاً**،** بحيث أنهم عرفوا حتى عند أعـدائهم بتـوليهم لهـؤلاء الأئمة الطـاهرين، **وميزوا بـأنهم (الاثنا عشرية)** في إشـارة إلى اعتقـادهم بإمامة الأئمة الإثـني عشر. وصار الأمر عند الشيعة بحيث أن من كان لا يؤمن بأحدهم أو جعل غيره مكانه لا يعد من هذه الطائفة المحقة".

وقد خلط الشيخ التبريزي هنا بين أمـرين: بين قيـام الطائفة الاثـني عشـرية على أسـاس مجموعة روايـات، وبين صـحة تلك الروايـات، وثبوتهـا، بـالرغم من وجـود الشك والمناقشة في تلك الروايات بين الشيعة أنفسهم، ووجود الشك والمبررات الشرعية والعقلية الـتي تحـول دون الإيمـان بوجـود ولد في السر للإمـام العسكري. وأراد أن يستغل تحول الإيمان بالاثني عشـرية ووجـود الإمام الثاني عشر، الى "مسلمة" لدى عامة الشيعة ، منذ القرن الرابع الهجري، الى تأكيد صحة النظرية، بالرغم من وجــود الشك بصــحة كل الأحــاديث الــتي يوردها الاثنا عشــريون واتهــامهم باختلاقها في وقت متأخر، واخـتراع فرضـية وجـود الإمـام الثـاني عشر لأسباب فلسفية نظرية ظنية. علما بأنه ليس كل "مسلمة" صحيحة وتسـتند الى دليل شـرعي، فما أكـثر المسـلمات الباطلة التي يعتقد بها هذا المذهب أو ذاك أو هذا الدين أو ذاك**.** وقد قال الإمــام الســيد محسن الحكيم وهو يوصي بعض طلابــه:"إيــاك والمسلمات، ولا سيما في غير العبـادات من أبـواب الفقـه، فـان كثــــيرا من المشــــهورات عند النــــاس والطلاب، وكثــــيرا من المرتكزات في الأذهان إذا راجعها الفاضل في مظانها وتأمل فيها وجـدها لا واقع لها يعتمد عليـه، ولا أصل تسـتند اليـه". وقـال:" لا يصل الإنســان الى النتــائج حــتى يشــكك فيهــا، وإنما العــثرات والأخطــاء الى حسن الظن بما يقوله العظمــاء من المدرســين والمؤلفين".[107]

[107] - كتاب حجر وطين، للشيخ محمد تقي الفقيه، ج4 ، ص 192 – 193 ، الطبعة الأولى بيروت، 1995

11- مع الشيخ محمد باقر الأيرواني في كتابه: (الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال)[108]

العقائد لا تبنى على الافتراضات

الشيخ محمد باقر الأيرواني، هو أحد أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقم، وله اختصاص في علم الأصول والحديث، وقد استخدم علمه هذا في الرد على الأسئلة المشككة بوجود (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) وخصوصا كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي)، الذي ناقش بعض نقاطه ، من دون أن يسميه صراحة، وقد ميز في البداية بين فكرتين، هما: المهدوية العامة، ومسألة ولادة الإمام الثاني عشر، فقال:" قد يسلّم بفكرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الجملة، ولكن يدّعى أنّ هذه الفكرة بعد لم تولد، وإنّما تولد فيما بعد، فشخص بعنوان الإمام المهدي لم يتحقق بعد، وإذا كان هناك مصلح يتحقق على يديه إزالة الظلم فذلك يتحقق ويولد فيما بعد". واعترف بعدم دلالة أدلة المهدي العام على الإمام الثاني عشر ، فقال:"أؤكد لكم أنّ هذه الآيات لا تدلّ على أنّ هذا الشخص قد ولد الآن وهو موجود الآن وغائب عن أعيننا الآن، هذه تدل على أنّه سوف يتحقق هذا الحلم وهذه الأمنية في يوم من الأيام، الأرض يرثها العباد الصالحون ـ جميع الأرض ـ ومن الممكن أنّ الإمام لم يولد بعد وسوف يولد في المستقبل، وتتحقق هذه الأمنية على يده في المستقبل من دون أن يكون مولوداً الآن، فمثل هذه الآيات لا تثبت ولادة الإمام وأنّه غائب، بل من المحتمل أنّه سوف يولد مثل هذا الشخص في المستقبل". وكذلك قال عن الأحاديث العامة.[109]

---

108 -http://www.14masom.com/14masom/14/mktba14/book11/1.html#20%تمهيد:

طبع ونشر مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب السيد علي السيستاني، قم ، إيران

ثم تساءل: كيف نتمكن أن نثبت ولادة الإمام المهدي الآن وأنّه قد تحققت ولادته؟ وأجـاب:"سـأحاول إن شـاء الله إثبـات ولادة الإمـام من خلال طـريقين: طريق التـواتر مـرّة، وطريق حساب الاحتمال أخرى".[110]

وأضـــاف:"إن أي مســـألة تاريخية إذا ما أردنا إثباتها فهنـــاك طريقان لإثباتها:أحدهما: التواتر. وثانيهما: حساب الاحتمـال". ثم شرح معنى التواتر، فقال:"التـواتر كما تعلمـون يعـني: أن يخبر بالقضـية مجموعة كبـيرة من المخـبرين بحيث لا نحتمل اجتماعهم واتفاقهم وتواطئهم على الكذب، فإذا كان خبر من الأخبار جاء ثلاثمائة شخص أو مائتا شـخص أخبرونا بـه، وكـلّ واحد نفترضه من مكان غير مكان الآخر، في مثل هذه الحالة لا نحتمل تواطؤ الجميع واتفاقهم على الكذب، مثل هذا الخبر يقال له الخـبر المتـواتر. هـذا طريق لتحصـيل العلم بالقضـية والمسألة التاريخية.

الطريق الثاني: أن نفترض أنّ الخبر ليس متواتراً، كما إذا أخـــبر به واحد أو اثنـــان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة من دون تـواتر، ولكن انظمّت إلى ذلك قـرائن من هنا وهنـاك، يحصل العلم بسـببها على مسـتوى حسـاب الاحتمـال".[111] وضـرب لذلك مثلا بمريض يصاب بمرض عضال، ويأتي شخص ويخـبر بـأنّ فلانـاً قد شـفي من مرضـه، يحصل احتمـال أنّه شـفي بدرجة ثلاثين بالمائة مثلاً، لكن إذا انضـمّت إلى ذلك قـــرائن فســـوف ترتفع القيمة الاحتمالية من ثلاثين إلى أربعين وإلى خمسين وإلى أكثر، افـترض أنّنا شـاهدناه لا يسـتعمل الـدواء بعد ذلك وكان حينما يحضر في مكان يسـتعمل الـدواء، فهـذا يقـوّي احتمـال الشـفاء، وإذا كـانت القيمة الاحتمالية للشـفاء بدرجة ثلاثين الآن ترتفع وتصـــير بدرجة أربعين مثلاً، وأيضـــاً شـــاهدناه يجلس في المجلس ضـــاحكاً مستبشـــراً، هـــذه الظاهرة أيضاً تصعّد من القيمة الاحتمالية لهذا الخبر، وهكـذا حينما تنضـمّ قـرائن من هـذا القبيـل، فسـوف ترتفع القيمة الاحتمالية للخـــــبر إلى أن تصل الى درجة مائة بالمائـــــة. ويقول:"هـذا الخـبر هو في الحقيقة ليس خـبراً متـواتراً، لكن لانضـــمام القـــرائن حصل العلم. فهنا حصـــول العلم يحصل

---

109 - ص 14

110 - ص 15

111 - ص 16

بحساب الاحتمال، يعني بتقوّي القيمة الاحتمالية بسبب انضمام القرائن.

إذن، حصول العلم بأي قضية تاريخيّة يتمّ من خلال أمرين: من خلال التواتر. ومن طريق حساب الاحتمال بتجميع القرائن". [112]

ويذكر الشيخ الأيرواني حقيقة معروفة لدى علماء الأصول، وهي:" أنه لا يلزم في الخبر المتواتر أن يكون المخبر من الثقاة، فان اشتراط الوثاقة في المخبر يلزم في الخبر غير المتواتر". ويضيف:"أرجو أن لا يحصل خلط في هذه القضية بين الخبر المتواتر وبين الخبر غير المتواتر، إذ البعض يتصور أنّ مسألة الوثاقة ومسألة عدالة الراوي يلزم تطبيقهما حتى في الخبر المتواتر، هذا غير صحيح، بل الذي نشترط فيه العدالة والوثاقة هو الخبر غير المتواتر". ويشرح ذلك بقوله: "**أنّ الخبر المتواتر حسب الفرض يفيد العلم**، لكثرة المخبرين، وبعد ما أفاد العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة والعدالة، إذ **المفروض** أنّ العلم حصل، وليس بعد العلم شيء يُقصد، فلا معنى إذن لاشتراط الوثاقة والعدالة في باب الخبر المتواتر، وهذه قضيّة بديهيّة وواضحة في سوق العلم".

وبعد هذه المقدمة الأصولية يصل الشيخ الأيرواني الى بيت القصيد، فيقول:"على أساس هذه القضيّة ليس من الحق وليس من الصواب أن نأتي إلى الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) أو أي قضية ترتبط به ونقول: هذه الرواية ضعيفة السند، الرواة مجاهيل، هذا مجهول أو ذاك مجهول، هذه الرواية الأولى إذن نطرحها، الرواية الثانية الراوي فيها مجهول إذن نطرحها، والثالثة كذلك، الرابعة هكذا و...

هذا ليس بصحيح، فان هذا صحيح لو فرض أنّ الرواية كانت واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر، أما بعد **فرض** أن تكون الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه قد بلغت حدّ التواتر لا معنى أن نقول هذه الرواية الأولى ضعيفة السند، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة هكذا، فان هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر، أمّا في الخبر المتواتر فلا معنى لها".[113]

---

[112] - ص 17

[113] - ص 18

ثم يوضح الشيخ الأيرواني نقطة أصولية أخرى، فيقول:"إذا فرض أنّ لدينا مجموعة من الأخبـار تختلف في الخصوصـيّات والتفاصيل، لكن الجميع يشترك في مـدلول واحد من زاويـة، كما لو فرضـــنا أنّه جاءنا مجموعة كبـــيرة من الأشـــخاص يخبروننا عن تماثل ذلك الشـــخص المـــريض للشـــفاء، لكن الشـخص الأول جـاء وأخـبر بالشـفاء في السـاعة الواحـدة، والثاني حينما جاء أخبر بالشفاء أيضاً لكن في الساعة الثانية، والثـالث حينما جـاء أخـبر بشـفائه لكن في السـاعة الثالثـة، فـــاختلفوا في رقم الســـاعة، لكن الكـــلّ متفق على أنّه قد شفي، والخامس أو السادس جـاء وأخـبر بالشـفاء لكن بهـذا الـدواء، والآخر قـال بـذلك الـدواء، فكـان الاختلاف بمثل هـذا الشكل، أي: اختلاف في الخصوصـيّات، لكن الكـلّ متفق من زاوية واحدة، وهي أنّه قد شفي.

في مثل هذه الحالة هل يثبت الشفاء؟ نعم أصل الشفاء يثبت بنحو العلم".

ويستنتج من ذلـك:" أنّ الأخبـار الكثـيرة **إذا اتفقت** من زاوية على شـــيء معيّن فـالعلم يحصل بـــذلك الشـــيء، وإن اختلفت هذه الأخبار من الجوانب الأخـرى في التفاصـيل". ثم يقول:"بعد هذا فليس من حقّنا أن نناقش في روايات الإمــام المهدي (عليه السـلام) ونقـول: هـذه مختلفة في التفاصـيل، واحدة تقـول بـأنّ أم الإمـام المهـدي اسـمها نـرجس والثانية تقول أنّ أم الإمام اسمها سوسن والثالثة تقول اسمها شـيء ثـالث، أو أن واحـدة تقـول وُلد في هـذه الليلة والثانية تقـول وُلد في تلك الليلة أو واحـــدة تقـــول وُلد في هـــذه الســـنة والأخرى تقول في السـنة الأخـرى، فعلى هـذا الأسـاس هـذه الروايـــات لا يمكن أن نأخذ بهـــا، وليست متـــواترة وليست مقبولة، لأنها تختلف في التفاصيل، ولا تنفع في إثبات التـواتر وفي تحصيل العلم بولادة الإمام سلام الله عليه، لأنها مختلفة ومتضاربة فيما بينها حيث اختلفت بهذا الشكل.

إنه باطل، لان **المفروض** أن كل هذه الأخبار متفقة في جانب واحد، وهو الأخبار بولادة الإمـام سـلام الله عليـه، ولئن اختلفت فهي مختلفة في تفاصـيل وخصوصـيات أخـرى، لكن في أصل ولادة الإمــام هي متفقــة، فــالعلم يحصل والتــواتر يثبت من هذه الناحية". [114]

وقد حاول الشيخ الأيرواني الـرد بـذلك على الملاحظـات الــتي طرحتها في كتــابي (تطــور الفكر السياسي الشــيعي)

[114] - ص 20

حول غموض واضـطراب التفاصـيل المحيطة بقصة ولادة ابن الحسن العسكري.

ثم انتقل الشيخ الى قاعدة أصولية ثالثة مهمة جدا، وهي (عدم جواز الاجتهاد في مقابل النص) فقال:"النقطة الأخـيرة التي أردت الإشارة إليها: ليس من حق شـخص أن يجتهد في مقابل النص، فإذا كان عنـدنا نص صـريح الدلالة وتـام السـند من كلتا الجهـتين، فلا حق لأحد أن يـأتي ويقـول أنا أجتهد في هذه المسألة".

ثم بنى عليها قائلا:"على ضوء هـذا أخـرج بهـذه النتيجة أيضاً: ليس من حق أحد أن يقول روايـات الإمـام المهـدي أنا اجتهد فيها كما يجتهد الناس في مجالات أخرى، هذا لا معـنى له، لانّ الروايات **حسب الفرض** هي واضحة الدلالة صريحة وتامة غير قابلة للاجتهاد، وسندها متواتر، فالاجتهاد هنا إذن لا معنى له أيضـاً، فـان للاجتهـاد مجـالاً إذا فـرض أنّ الدلالة لم تكن صريحة أو السـند لم يكن قطعيـاً، أما بعد قطعية السـند وصراحة الدلالة، فالاجتهاد لا معنى له، فانّه اجتهاد في مقابل النصّ، وهذه قضية واضحة أيضاً". [115]

وبعد اسـتعراض هـذه المقـدمات الأصـولية، انتقل الشـيخ الأيـرواني الى التطـبيق، فقـال:" الآن أدخل في البحث وأريد أن أبيّن عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام المهدي سـلام الله عليه، وسوف نلاحظ أن هذه العوامل إما تفيد التواتر، أو تفيد اليقين بحساب الاحتمـال، كما أوضّـح لكم فيما بعـد". ثم ذكر ثمانية عوامل خلقت لديه اليقين بولادة "الإمام المهدي".

وكان العامل الأول عبارة عن "الأحاديث الكثيرة المسلّمة بين الفريقين الامامية وغيرهم، والتي تـدلّ على ولادة الإمـام سلام الله عليـه، ولكن من دون أن تـرد في خصـوص الإمـام المهـدي وبعنوانـه، فهي تـدلّ على ولادة الإمـام من دون أن تنصب على هذا الاتجاه، مثل حـديث الثِقْلين أو الثَقَلين: "إنّي تارك فيكم الثقلين: كتـاب اللـه، وعـترتي أهل بيـتي، أحـدهما أكبر من الآخر، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض" الذي هو حـــديث متـــواتر بين الامامية والاخـــوة العامـــة، ولا مجـــال للمناقشة في سنده".[116]

---

[115] - ص22

[116] - ص24

"وهذا يدلّ على أنّ العترة الطاهرة مستمرة مع الكتـاب الكــريم، وهــذا الاســتمرار لا يمكن توجيهه إلاّ بــافتراض أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) قد ولد ولكنه غائب عن الأعين، إذ لو لم يكن مولــوداً وســوف يولد في المســتقبل لافــترق الكتاب عن العترة الطـاهرة، وهـذا تكـذيب ـ اسـتغفر الله ـ للنبي، فهو يقول: "ولن يفترقا حتى يـردا علي الحـوض" هـذا لازمه أنّ العترة لها اسـتمرار وبقـاء مع الكتـاب الى أن يـردا على النــبي (صــلى الله عليه وآله وســلم)، وهــذا لا يمكن توجيهه إلاّ بما قلت: إن الإمــام المهــدي ســلام الله عليه قد ولد ولكنه غائب، وإلاّ يلزم الأخبار على خلاف الواقع.

وهذا حديث واضح الدلالة، يدل على ولادة الإمام سلام الله عليـه، لكن كما قلت هـذا الحـديث لم يـرد ابتـداء في الإمـام المهــدي، وإنّما هو منصــبّ على قضــيّة ثانيــة: "وإنّهما لن يفترقا" لكن نستفيد منه ولادة الإمام بالدلالة الالتزامية".[117]

"الحديث الثاني: حديث الاثني عشر، وهـذا أيضـاً حـديث مســلّمٌ بين الفــريقين، يرويه البخــاري ومســلم وغيرهما من طــرق أهل الســنة، ومن طرقنا أيضــاً قد رواه غــير واحد كالشيخ الصدوق مثلاً في كمال الـدين والحـديث منقـول عن جابر بن سمرة ...وهذا الحديث من المسـلّمات أيضـاً، وليس له تطــبيق معقــول ومقبــول إلاّ الأئمة الاثــني عشر (عليهم السلام).

وجاء البعض وحاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين واثنين أو ثلاثة من بني أميّة واثنين أو ثلاثة من بني العباس. إن هــذا تطبيق غير مقبـول، وكـلّ شـخص يلاحظ هـذا الحـديث يجـده إخباراً غيبيا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قضية ليس لها مصــداق وجيه ومقبــول ســوى الأئمة صــلوات الله عليهم الاثني عشر". [118]

وهــذا الحــديث يــدلّ بالملازمة على ولادة الإمــام المهــدي ســلام الله عليــه، إذ لو لم يكن مولــوداً الآن، والمفـروض أنّ الإمـام العسـكري تـوفي، ولم يحتمل أحد أنه موجـود، إذن كيف يولد الإمــام المهـدي من أب هو متـوفى. فلابدّ وأن نفترض أنّ ولادة الإمام (عليه السـلام) قد تحقّقت،

[117] - ص 25
[118] - ص 26

وإلاّ هذا الحديث يعود تطبيقه غير وجيه.فهذا الحديث بالدلالة الالتزامية يدل على ولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

الحديث الثالث الذي أريد أن أذكره في هذا المجال، حديث أيضاً مسلّم سنداً بين الفريقين، وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم):"من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة"، هذا أيضاً يرويه أهل السنة، ويرويه الشيخ الكليني في الكافي، فهو مسلّم عند السنّة والشيعة.

فإذا لم يكن الإمام المهدي (عليه السلام) مولوداً الآن، فهذا معناه نحن لا نعرف إمام زماننا، فميتتنا ميتة جاهلية.فالحديث يدلّ على أنّ كلّ زمان لابدّ فيه من إمام، وكلّ شخص مكلّف بمعرفة ذلك الإمام ومكلّف بأن لا يموت ميتة جاهلية، فلو لم يكن الإمام مولوداً إذن كيف نعرف إمام زماننا؟.

هذه أحاديث ثلاثة، وإن لم تكن منصبّة على الإمام المهدي صلوات الله عليه مباشرة، ولكنّها بالدلالة الالتزامية تدلّ على أنّ الإمام سلام الله عليه قد ولد وتحققت ولادته". [119]

ان هذه الأحاديث في الحقيقة تشكل أساس النظرية الإمامية، والاثني عشرية، وهو ما عرف بالدليل العقلي الذي يفترض وجود الإمام الثاني عشر، وولادته، قبل النظر الى الواقع التاريخي، وربما كان الشيخ الأيرواني أول من يعترف بصراحة بعدم دلالاته بصورة مباشرة ، وانما بالدلالة الالتزامية، ولكنه لم يكتف به فقط، وانما أضاف اليه سبعة عوامل أخرى يقول انها ولدت لديه اليقين بمولد الإمام الثاني عشر.

ومن تلك العوامل:" إخبار النبي والأئمة صلوات الله عليهم بأنّه سوف يولد للإمام العسكري ولد يملا الأرض قسطاً وعدلاً ويغيب، ويلزم على كلّ مسلم أن يؤمن بذلك".

ويستعرض الشيخ الأيرواني مجموعة أحاديث بهذا المضمون نقلها الشيخ الصدوق في كتابه (إكمال الدين)، ثم يقول" هذا فقط ما يرويه الشيخ الصدوق ...ولا أريد أن أضمّ ما ذكره الكليني في الكافي، والشيخ الطوسي، وغيرهما ، وربما آنذاك يفوق العدد الألف رواية. وبهذا المضمون أو قريب منه أحاديث كثيرة، وبعض الأحاديث تذكر أسماء الأئمة صلوات الله عليهم... وهي تشكّل في الحقيقة مئات الأحاديث في هذا المجال. وبعد هذه الكثرة فهي من حيث

---

[119] - ص 27

السند متواترة لا معنى للمناقشة فيها، وهي واضحة غير قابلة للاجتهاد، وإلاّ لكان ذلك اجتهاداً في مقابل النص". [120]

وإضافة الى ذلك، اعتمد الشيخ الأيرواني في بناء يقينه، على "رؤية بعض الشيعة للإمام المهدي (عليه السلام)، كما حدّثت به مجموعة من الروايات ...رغم التعتيم الإعلامي الذي حاول الأئمة (عليهم السلام) أن يقوموا به رأى الإمام المهدي (عليه السلام)جماعة من الشيعة".

ونقل رواية عن الشيخ الكليني عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً عن عبد الله بن جعفر الحميري عن أحد النواب الخاصين للمهدي وهو أبو عمرو العمري، أنه رأى بنفسه الإمام. ثم علق الشيخ الأيرواني على سند هذه الرواية فقال:"وهذا السند في غاية الصحة والوثاقة، فالشيخ الكليني معروف إذا حدّث هو مباشرة بكلام يحصل من نقله اليقين، ومحمد بن عبد الله هو محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري من الثقاة الأجلّة الأعاظم، ومحمّد بن يحيى العطار هو أستاذ الشيخ الكليني من الأعاظم الأجلّة، فاثنان من أعاظم مشايخ الكليني الكبار ينقل عنهم، وعبد الله بن جعفر الحميري معروف بالوثاقة والجلالة".

ثم تساءل:"فهل هذه الرواية قابلة للاجتهاد من حيث الدلالة؟ "

وأجاب:"هذه الرواية لوحدها يمكن أن يحصل منها اليقين، وهي واضحة في الدلالة على أنّه قد رئي الإمام صلوات الله وسلامه عليه. وهناك رواية أخرى تنقل قصة حكيمة بنت الإمام الجواد سلام الله عليه، وهذه القصة مشهورة، ولكن لا بأس أن أشير إلى بعض مقاطعها، وهي مذكورة في كتاب كمال الدين وغيره".[121]

وأضاف الى هذه الروايات قصة عرض الإمام العسكري لابنه أمام أربعين شخصا من أصحابه، قبيل وفاته، ثم قال:"هذه أربع روايات نقلتها لكم، والروايات في هذا الصدد كثيرة جدّاً، وحسبنا ما روي في رؤية الإمام الذي هو في الحقيقة يمكن أن يشكّل مقدار التواتر". [122]

وقال الشيخ محمد باقر الأيرواني : إن عوامل أخرى ساهمت في بناء يقينه حول وجود الإمام الثاني عشر، مثل

---

120 - ص 33

121 - ص 38

122 - ص 40

توقع الشـيعة في الأجيـال السـابقة لغيبة الإمـام المهـدي، ووجـود أدعيـاء النيابة الكـذابين، وخـروج التواقيع على أدي السفراء الأربعة، وعدم تشكيك أحد من الشيعة بهم، وتفتيش الخليفة العباسي المعتمد لـبيت الإمـام العسـكري بحثا عن الولد، واعتراف المـؤرخين والنسـابة السـنة بولادتـه، وتبـاني الشيعة واتفاقهم منذ زمان الكليني والصدوق وإلى يومنا هـذا على فكرة الإمـام المهـدي (عليه السـلام) وغيبتـه، واعتبارها أصلا من أصول المـذهب الشـيعي، وعـدم تشـكيك أحد منهم في ولادته طوال التـاريخ. وكل هـذه قـرائن على صـحة هـذه النظرية وتورث اليقين. ثم اختتم كلامه قائلا:

" نحن إمّا أن نسـلّم **بكثرة الأخبـار وتواترها** ووضـوح دلالتها على الغيبـــــــــة، ومعه فلا يمكن لأحد أن يجتهد في مقابلها، لأنّه اجتهاد في مقابل النص.

أو لا نسلّم التواتر، ولكن بضميمة سائر العوامل إلى هـذه الأخبـار ــ الـتي منهـا: تبـاني الشـيعة، وكلمـات المـؤرخين، ووضوح فكرة الإمام المهدي وولادته بين طبقات الشـيعة من ذلك التـاريخ السـابق، وتصّـرف السـلطة، ومسـألة السـفارة والتوقيعـات، وغـير ذلك من العوامل ــ يحصل اليقين بحقانية القضية.

إذن نحن بين أمرين:

أما التواتر، على تقدير التسليم بكثرة الأخبار وتواترها.

أو اليقين، من خلال ضم القـرائن على طريقة حسـاب الاحتمال".[123]

بين الاجتهاد والتكرار

ونقول للشيخ الأيرواني حفظه الله، ان بحثه هـذا هو عمل اجتهادي، وقد سبقه اليه الشـيخ النعمـاني والصـدوق والمفيد والمرتضى والطوسـي، والـذين قـالوا بوجـود "الولد للإمـام العسكري" على أسـاس الاجتهـاد والنظر في مجموعة أخبـار ومقالات ونظريات فاستنتجوا منها حتمية وجود الولـد، وعـدم جواز خلو الأرض من إمام معصـوم. وان القضـية لم تكن في تلك الأيام بمستوى من الوضوح بحيث تمنع أحـدا من التوقف عن الانصياع، وانما حصل فيها جـدل طويـل، وتفـرق الشـيعة الى فرق عديدة، وعانوا فـترة من الحـيرة، حـتى سـموا ذلك العصر :"عصر الحيرة" وألف الشيخ الصـدوق علي بن بابويه

[123] - ص 50

كتابا بهـذا الاسم (الإمامة والتبصـرة من الحـيرة). وقـال أبو سهل إسماعيل بن علي النوبخـتي في كتابه (التنبيـه) - الـذي ألفه فيما يسـمى بالغيبة الصـغرى -:"إن الشـيعة قد علمـوا بوجـود ابن الحسن بالاسـتدلال" وكـذلك النعمـاني ابن أبي زينب في كتاب (الغيبة).

ولو كانت النصوص واضحة وصريحة، وتمنع من الاجتهاد، لما وقع الشيعة في تلك الحيرة المهلكة التي يصفها النعماني بقوله :"ان الجمهـور منهم يقـول في الخلـف: أين هـو؟ وأنى يكون هذا؟ والى مـتى يغيب؟ وكم يعيش هـذا؟ .. فمنهم من يـذهب الى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجـوده بواحـدة، ويسـتهزئ بالمصـدق به – الى أن يقـول- أي حـيرة أعظم من هـذه الـتي أخـرجت من هـذا الأمر الخلق العظيم والجم الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسـير، وذلك لشك الناس".[124]

وهذا ما يؤكد أن الأخبار الكثيرة "المتواترة" الـتي يتحـدث عنها الشيخ الأيرواني، لم يكن لها وجود في ذلك الزمان، وان القرائن التي يستشهد بها ويدعي أنها تورث اليقين، فلم يكن لها دور في "عصر الحـيرة" وانما اختلقت فيما بعـد، وان من قـال بوجـود الولد للإمـام العسـكري فقد قـال به عن طريق الاجتهـاد المبـني على الظن والتخمين والافـتراض والتأويل والروايات الضعيفة والإشاعات المتهافتة.

وإذا كان السابقون قد "اجتهـدوا" وتوصـلوا الى ما توصـلوا اليـه، فـان من الضـروري جـدا ان نعيد النظر في اجتهـادهم، ولا نقلـدهم تقليـدا أعمى، ومن الممكن أن نصل الى نتيجة مغايرة. وإذا كـان الشـيعة الاثنا عشـرية قد اتفقـوا فيما بعد، أو تبانوا على فكرة معينة، فلا يجـوز أن نعتمد على رأيهم، لأنه ليس حجة أمـام اللـه، ولا بد أن ننظر في أدلتهم وبراهينهم، فإذا وجدناها ضعيفة وبـدون حجة قويـة، فلا يجـوز لنا اتباعهم، حتى إذا مشى آباؤنا عليها ألف عام.

ولست أدري كيف يرفض الشـيخ الأيـرواني الاجتهـاد في موضوع وجود الولد للإمام العسكري، بهذه الصورة القاطعة؟ هل خوفا من انكشاف الحقيقـة؟ والحقيقة هـدف كل مـؤمن وعالم. أم ماذا؟

ان تعريف الشيخ الأيـرواني للتـواتر صـحيح، ولكن تطبيقه على موضـوع ولادة ابن الحسن العسـكري، غـير صـحيح بـالمرة، لأن التـواتر يفـترض وجـود العلم القطعي، ولم توجد

---

124 - النعماني، الغيبة، ص 113 و 186

قضية غامضة ومشكوك فيها مثل قضية وجـود الإمـام الثـاني عشـر. وقد اعـترف الشـيخ الأيـرواني نفسه "بـأن أوّل من شكك في الـولادة جعفر عمّ الإمـام المهـدي (عليه السـلام)، لعدم اطلاعه على الـولادة، ووجـود تعـتيم إعلامي قـوي على مسألة ولادة الإمـام المهـدي (عليه السـلام)، نتيجة الظـروف الحرجة المحيطة بالإمامة في تلك الفـترة، حـتى أنّه لم يجز الأئمة التصريح باسم الإمام المهـدي، فجعفر ما كـان مطّلعـاً على أنّ الإمام العسكري (عليه السـلام) له ولد باسم الإمـام المهدي، لذلك فوجئ بالقضية وأنكر أو شـكّك في الـولادة ". [125]

ومن هنا فانه يستحيل ادعاء التواتر حول موضوع الولادة أو حصـول اليقين فيهـا. وبما أن خـبر وجـود الولد للإمـام العسـكري، كـان سـريا ومخالفا لأقـوال الإمـام الظاهريـة، وسـيرة حياته السـابقة، وقد رفض الاعـتراف به أهل بيت الإمام، فان الالتزام به يحتاج الى العدالة والوثاقة والاطمئنان التام. إذ انه حسب الفرض ليس متواترا وانما خبر آحـاد، ولم يحصل العلم بـه. "وهـذه قضـيّة بديهيّة وواضـحة في سـوق العلم".

وقد قال الشيخ المفيد:"ما روي من خـبر الواحـد... ولو رواه ألف إنسان وألف ألف لما جـاز أنّ يجعل ظـاهره حجة في دفع الضرورات وارتكاب الجهالات بدفع المشاهدات".[126]

ومن هنا فان من الحق والصواب أن نأتي إلى كل رواية رواية وننظر في سندها بدقة، حتى نميز بين الحقيقة والأساطير.

ولو كان التواتر موجودا وحاصلا حول دعوى وجود الولد، كما هو حاصل مثلا حول وجود الإمام العسكري نفسه، فانه لم يكن يجوز لنا التوقف عند التفاصيل واختلافهـا، فلو جاءتنا عـدة روايـات مثلا تتحدث عن أسماء مختلفة لأم الإمام العسكري، لما توقفنا عندها طويلا، وذلك لأن الإمام العسكري موجـود، والخـبر حوله متـواتر، ولكن الحـال يختلف جـذريا بين الإمـام العسـكري، وبين دعـوى وجـود ولد لـه، ومن هنا فـان توقفنا عند اختلاف الروايـات المتناقضة حول هوية أمه، وتـاريخ ميلاده، وطريقة نمـوه وما الى ذلك، ويشكل ذلك التناقض والاختلاف دليلا عن أسطورية الخبر.

ولو أمعن الشيخ الأيرواني قليلا ، لأدرك أن اصل القضـية غـير متفق عليه، ويكتنفه الشك والغموض.

---

125 - ص 31

126 - المفيد، الفصول المختارة، ص 249.

ولقد أعجبني الشيخ الأيرواني باعترافه بصراحة بعدم دلالة أحاديث المهدي العامة، على ولادة ابن الحسن، كما أعجبني باعترافه الصريح بأن روايات (الثقلين) تدل على ولادته بالملازمة ، وليس بصورة مباشرة. أي بالتخمين والافتراض، وهو ما صرح به أيضا في تعليقه على الروايات واستنتاجه منها. حيث قال:" هذا يدلّ على أنّ العترة الطاهرة مستمرة مع الكتاب الكريم، وهذا الاستمرار لا يمكن توجيهه **إلاّ بافتراض** أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) قد ولد ولكنه غائب عن الأعين ".[127] وقال بالنسبة لحديث الاثني عشرية:" وهذا الحديث يدلّ بالملازمة على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه، إذ لو لم يكن مولوداً الآن، والمفروض أنّ الإمام العسكري توفي، ولم يحتمل أحد أنه موجود، إذن كيف يولد الإمام المهدي من أب هو متوفى. **فلابدّ وأن نفترض** أنّ ولادة الإمام (عليه السلام) قد تحقّقت". وكذلك بالنسبة لحديث:"من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة" الذي يقول عنه يدلّ على أنّ كلّ زمان لابدّ فيه من إمام، وكلّ شخص مكلّف بمعرفة ذلك الإمام ومكلّف بأن لا يموت ميتة جاهلية، فلو لم يكن الإمام مولوداً إذن كيف نعرف إمام زماننا؟.[128]

ان هذه الأحاديث في الحقيقة تشكل أساس النظرية الإمامية، والاثني عشرية، وهو ما عرف بالدليل العقلي الذي يقوم على افتراض وجود الإمام الثاني عشر، وولادته.

وهذا ما تعبر عنه الرواية التي ينقلها الأيرواني عن الكليني عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى العطار، عن عبد الله بن جعفر الحميري، الذي يقول فيها:" اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو (رحمه الله) عند احمد بن إسحاق ، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أساله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه، **فإنّ اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجّة**.... ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فانّ إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى فقال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي...فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد؟ ـــ يعني من بعد العسكري ـ فقال: إي والله.... فقلت له: فبقيت واحدة، فقال

127 - ص 25
128 - ص 27

لي: هــات، قلت: الاســم؟ قــال: محــرّم عليكم أن تســألوا عن ذلك"...[129]

وهو ما يكشف عن ارتكـاز القـول بوجـود الولد ، أصـلا، على أساس نظرية عدم خلو الأرض من إمام، مما يـؤدي الى افـتراض وجود ولد للإمـام العسـكري، رغم عـدم مشـاهدته ، وعـدم تـوفر الأدلة على وجوده، سوى دعوى "السفراء والنواب الخاصين".

وليس خافيا على الشيخ الأيرواني، ان هذه الرواية خبر آحاد، وتنطـوي على دور بوجـوب قبـول خـبر الآحـاد، وقد أثـارت أبحاثا طويلة في علم الأصول حـول جـواز قبـول خـبر الثقـة. وإذا كـان الاثنا عشرية قد قبلوا هذه الروايـة، وصـدقوا بخـبر الآحـاد لرواية من يعتبرونه ثقة وعظيما مثل الكليـــــــــني ومحمد بن عبد الله ومحمد بن يحــيى العطــار والحمــيري، والســفير العمــري، ولم يحتملـوا بحقهم الكـذب أو الخطـأ، وحصل لـديهم القطع بصـحة كلامهم، فان من حقنا التشكيك بصدق العمري نفسه، الـذي كـان يجر النـار الى قرصه ويـدعي النيابة الخاصة عن إنسـان لم تثبت ولادتــه، كما ادعى أصــحاب عــدد من الأئمة غيبتهم ومهــدويتهم والنيابة عنهم. ونحن لسنا مكلفين من الله بتصديق كل من يدعي أمرا لا دليل عليه. ولا نقلد السذج الذين صـدقوا أولئك الـدجالين، خاصة بعد مرور أكـثر من ألف عـام على دعـواهم الباطلة وعـدم ظهور ذلك الولد المزعوم.

لقد ارتكب الشـيخ الأيـرواني، أسـتاذ الأصـول والحـديث في الحــوزة العلمية في النجف وقم، مغالطة كــبرى عنــدما ادعى "تــواتر" أحــاديث الــولادة، وأراح نفسه من معانــاة نقل الإسـناد والرجال ودراستها، فراح يتكلم بطريقة خطابية حشوية بعيدة كل البعد عن لغة العلمــاء والمحققين والمجتهــدين، بحيث أخذ يحث الروايــات حثــاً، ويكيلها كيلاً، كما فعل لــدى استشــهاده "بإخبــار النبي والأئمة صلوات الله عليهم بأنّه سوف يولد للإمام العسكري ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويغيب، ويلـزم على كـلّ مسـلم أن يـؤمن بـذلك". وادعائه وجـود مئـات الروايـات، وانها من الكـثرة والتواتر بدرجة " لا معنى للمناقشة فيها، وهي واضـحة غـير قابلة للاجتهاد، وإلاّ لكان ذلك اجتهاداً في مقابل النص".[130]

ورغم اعتراف الشيخ الأيرواني بوجود التعتيم الإعلامي حـول ولادة ابن الإمام الحسـن، إذ يـروي عن أبي القاسم الجعفـري :" سـمعت أبا الحسن ـــ يعــني الإمــام الهــادي (عليه السـلام) ـــ

---

[129] - ص 38

[130] - ص 33

يقول:"الخلف من بعدي الحسن ابني، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟" فقلت: ولم جعلـني الله فـداك؟ فقـال:" إنّكم لا تـرون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسـمه"، فقلت: فكيف نـذكره؟ قـال: "قولوا الحجة من آل محمّـد". [131] إلا انه يقـول ان بعض الشـيعة رأى المهـدي في حيـاة أبيـه، ويقـول أن الإمـام العسـكري أراه أربعين رجلا من أصـحابه قبيل وفاتـه، دون أن يبحث الأيـروانى مطلقا في سند هـذه الروايـات، الـتي بحثتها أنا في كتـابي وأثبت ضعفها. كما روى قصة حكيمة، وهو يعرف انها إشاعة مقطوعة لا ترقى الى خبر الآحاد." وحسبنا ما روي في رؤية الإمـام الـذي هو في الحقيقة يمكن أن يشكّل مقدار التواتر". [132]

وهذا ما يفسر رفض الشيخ الأيرواني للاجتهاد وإعادة النظر في مسألة وجود ابن الحسن. لأن عملية "الاستدلال" العشوائية تلك، تعاني من خلل كبير، وتنطوي على مؤامرة ضد الحقيقـة. ولا يريد لها الكثيرون أن تبرز الى الضوء.

وفي الحقيقة أن كثـيرا مما يصـطلح عليه الأيـرواني بالأدلة اليقينيـة، هي ليست سـوى أحـاديث ضـعيفة ومختلقـة، وتـأويلات تعسـفية، وافتراضـات وهمية وظنيـة، لا تـورث يقينا ولا علمـا. والغـريب أنه أحيانا يقلب الأدلة بـالمعكوس، مثل أحـاديث الغيبة التي اشتهرت في صـفوف الشـيعة منذ وفـاة محمد بن الحنفيـة، ومن بعـده الإمـام الصـادق وابنه إسـماعيل وابنه الآخر موسى الكـاظم، وغـيرهم وغـيرهم، من الأئمة الـذين ادعيت لهم الغيبة والمهدويـة، وبالتـالي فانها لا تحمل أي دليل على وجـود ابن الحسن أو غيبتـه، ولكن الشـيخ الأيـرواني، يتخذ منها قرينا على صحة فرضية وجود الولد للإمام العسكري.[133] وكـذلك مثل وجـود أدعيـاء النيابة الكـذابين ، الـذين بلغ عـددهم العشـرين، والـذين يلقون بظلالهم على "النواب الأربعة" الذين بدفعنا وجود الكذابين الى السؤال عن صدق هؤلاء، وعدم اتفاقهم معهم، والشك بأصل الـدعوى السـرية المشـبوهة، ولكن الشـيخ الأيـرواني يـدعي ان وجود النواب الكذابين زاده يقينا. أما خروج "التواقيـع" المتناقضة والمريبة، على أيدي النـواب الأربعـة، فقد اعتـبره الأيـرواني أيضا

131 - ص35

132 - ص 40

133 - يقول:إذا راجعنا كتاب الغيبة للشيخ الطوسي نجده يذكر بعنوان الوكلاء المذمومين وهذا العامل أيضاً لا يكـون سـبباً لتضـعيف فكـرة الإمام المهدي وولادته وغيبتـه، بل هـذا في الحقيقة عامل للتقويـة، إذ يـدلّ على أنّ هـذه الفكـرة كـانت واضـحة وثابتـة، لـذلك ادعى هـؤلاء الوكالة كذباً وزوراً، وخرجت البراءة واللعنة في حقهم. ص 41

دليلا على صحة النظري، رغم أنه لا يشكل أي دليل، بل ان حاجة النواب الأربعة لعلماء قم، وعدم قيامهم بأي دور علمي، كتصحيح كتـــاب الكـــافي وتنقيته من الخرافـــات والأكـــاذيب والأحـــاديث الضعيفة، يشكل دليلا على عدم ارتباطهم بأي إمام، وعـدم وجـود المنيب.

ولست أدري كيف اعتبر الأيرواني، تفتيش المعتمد لبيت الإمام العســكري، بعد وفاتــه، بحثا عن الولــد، دليلا على وجــوده ، وهو الـذي لم يعـثر على أحـد، كما لم يعـثر كثـير من الشـيعة الـذين فتشوا عن الولد ولم يجدوا له أثرا.

وربما كان غريبا جـدا اتخـاذ الأيـرواني اتفـاق الشـيعة منذ ذلك الحين على فكرة الغيبة، دليلا على صحتها، وهو يعـرف أن شـيعة الإمـام العسـكري تفرقـوا الى أربعة عشر فرقـة، ولم يقل منهم بوجـــود الولد إلا فرقة واحـــدة. ومع ذلك فقد أثبت التـــاريخ خطأ إيمانهم بتلك الفكرة أو اتفاقهم عليها.

والأغرب من ذلك أن يستشهد الشيخ الأيرواني، باعتراف بعض السـنة والنسـابة في التـاريخ، بـأمر لم يجمع عليه الشـيعة، ولم يعرفه أهل البيت، ولم يظهر له أي أثر في التاريخ.[134] ويعتبر ذلك قرينة تورث اليقين فيما يسميه حساب الاحتمالات.

وفي الحقيقة ليس من المفروض أن نتعصب لأخطاء أجـدادنا، خاصة بعد طـول انتظارنا لـذلك الإمـام المفـترض، الـذي لم يولد قط، والـذي لم يخـرج الى الآن ولن يخـرج في المسـتقبل. ولا بد أن نفكر بعقولنـا، ونتسـاءل ما فائـدة إمـام لا نعرفه ولا يعرفنـا؟ وكيف ينقذنا الإيمان به من النـار؟ ويميتنا ميتة إسـلامية؟ وما هي قيمة مئـات أو آلاف أو ملايين "الأدلـة" إذا كـانت النتيجة صـفرا؟ ولمــاذا نصر على افــتراض وجــوده رغم غيبته الطويلة الــتي لا تنتهي؟ خاصة بعد التزامنا بـــالفكر الـــديموقراطي أو الشـــورى، وتخلينا عن الشـــروط المثالية في الرؤســـاء، كالعصـــمة والنص والسلالة العلوية الحسينية، وقبولنا بالعدالة والكفاءة والإيمان.

12 - مع السيد صـادق الحسـيني الشـيرازي في كتابيه (المهدي في القرآن) و (المهدي في السنة)[135]

---

[134] - ص 47

[135] - http://www.s-alshirazi.com/library/books/mahdi/01.htm

الطبعة الأولى 1400هـ 1980م مؤسسة الوفاء بيروت لبنان

تكفير من لا يؤمن بوجود المهدي

لم يدرك كثير من القراء أهمية طـرح موضـوع وجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) للنقـاش، كما فعلت في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيـه) الـذي نشـرته قبل حـوالي عشر سـنوات ودعـوت حينها لإعـادة النظر في هـذه الفكـرة الموروثة منذ مئـات السـنين، ولا يزال كثير من القراء غير مـدركين للعلاقة بين هـذه الفكـرة وبين المجـازر الدموية الـتي تحـدث في العـراق اليـوم، وربما يتسـاءل الكثـير من الأخـوة بتعجب: وهل نحن متفرغـون لمناقشة هكـذا أمور تاريخية قديمة وغيبية؟

ومع إيمـاني بتجـاوز عامة الشـعب العـراقي للخلاف التـاريخي القديم بين السنة والشيعة، والذي كـان يـدور في القـرون الأولى حول أحقية هذا البيت العلوي أو ذاك البيت الهاشـمي أو القرشي بالخلافة، واتفاق جماهير الطائفتين حول الدسـتور الـديموقراطي الجديد، مما يعني توحـدهما حـول فكر سياسي جديد يضع جـوهر الخلاف الطـائفي على الـرف، ويبشر بغد مشـرق، ولكن تمسك بعض رجال الـدين، أو بعض الحركـات والأحـزاب الدينية بـالتراث السياسي القــديم من دون معرفة حقيقة جــوهر ذلك الــتراث، وتضخيم عناصر الاختلاف الطائفي الى حد إضـفاء الصـبغة الدينية عليها وتصويرها جـزء من العقيـدة الإسـلامية وضـروريات الـدين، أدى الى إشـعال نـار فتنة طائفية عفنة غـير ذات معـنى معاصـر. وبـــالرغم من رفض عامة الشــعب للفتنة الطائفيـــة، إلا ان المتطرفين من الفريقين راح يكفر بعضهم بعضا، ويؤججـون نـاراً لا تحـرقهم فقط وانما تحـرق الكثـير من النـاس البسـطاء الـذين ليس لهم من الهوية الطائفية إلا الاسم.

ومن الواضح ان هؤلاء الطائفيين يجانبون القرآن الكريم الـذي يدعو الى الوحدة ويقول:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" أو "إن هـذه أمتكم أمة واحـدة ، وأنا ربكم فاعبـدون". ويمزقـون الوحدة الإسلامية بأحاديث واهية أو تأويلات تعسـفية أو اجتهـادات مريضــة، يحــاولون من خلالها تشــكيل هويــات طائفية وعقائد متطرفة منغلقة لا يمكن ان تتعايش مع المسلم الآخر.

وقد كانت عقيدة الإمامة الإلهية لأهل البيت أساس هوية الطائفة الشيعية الامامية، كما كانت عقيـدة (المهـدي المنتظـر) وخصوصا (الإمام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري) أسـاس وجـود الفرقة (الاثني عشرية).

وعلى ضـوء هـذه العقيـدة اتخذ الشـيعة الامامية الاثنا عشـرية موقفا متمـــيزا من بقية الشــــيعة وعامة المســـلمين، كما اتخذ الآخــرون موقفا مضــادا منهم، وقد كــان الخلاف بينهم سياســيا ولكنه اتخذ صــبغة دينية فيما بعــد، وربما كــان في البداية عنيفــا، ولكنه ذاب عبر التاريخ حتى لم يعد له وجود أو مبرر أو معـنى، إلا لـــدى المتطـــرفين الـــذين يتمســـكون بعوامل الخلاف الفكرية ويضــخمونها الى حد تــأجيج الفتنة بين الشــيعة والســنة اليــوم، وخاصة عندما تتوفر ظروف سياسية مناسبة.

وأبرز مثل على ذلك هو ما قام به ويقوم به تنظيم القاعدة في بلاد الرافـدين، من مجـازر بشـعة بحق الشـيعة في العـراق، بعد إعلان الحـرب عليهم وتكفـيرهم، اسـتنادا الى فتـاوى قديمة من علماء سنة أفتوا بها ضد الشـيعة في أيـام الصـراعات السياسـية الطائفية الغابرة.

ولا شك ان فتاوى العلماء السنة اليـوم بصـورة عامة تـرفض تكفير الشيعة، وتدعو الى الوحدة والتعايش معهم، كما ان فتـاوى علماء الشيعة بشكل عام تـدعو الى الوحـدة الإسـلامية، وتـرفض الرد على دعوات القاعدة بإشعال الحرب الطائفيــة، ولكن ذلك لا يعني عدم وجود أنـاس متطـرفين يسـيرون على خطى القاعـدة، ونحمد الله أنهم لا يشكلون تيارا عامــا، وانما يقبعــون في جيــوب صــغيرة ومنعزلــة، ولكنا نخشى ان تتــاح لهم الفرصة لاختطــاف القرار الشيعي يوما، لا سـمح اللـه، وترجمة أفكـارهم الى أقـوال وأفعال.

ولكي نكون أكثر صراحة، فانا نشير الى تيـار شـيعي متطـرف يضخم من درجة أفكاره ويرفعها الى مسـتوى العقيـدة الإسـلامية الــتي من آمن بها نجا ومن رفضــها كفــر، ولا يكتفي بالإيمــان بها لنفسه واحترام من لا يؤمن بها من سائر الشيعة والمسلمين.

ومن المعروف ان عامة الشيعة والمسلمين لا يؤمنـون بوجـود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) الــذي يــؤمن به الاثنا عشرية، ويعتقدون انه فرضــية وهمية افترضــها بعض شــيعة الإمام العسكري بعد وفاته، وادعوها سـرا بلا دليـل، ثم انتشـرت في القــرون التالية في صــفوف الشــيعة، لتشــكل أســاس هوية الشيعة وعقيدتهم في الإمامة. وقد كانت لها آثارا مضرة بالشـيعة

قبل غـيرهم، حيث دفعتهم الى تحـريم العمل السياسي أو إقامة الدولة في (عصر الغيبـة)، الى أن تخلصـوا منها مـؤخرا وأقـاموا دولهم المعروفة في إيـــــران كالدولة الصـــــفوية والقاجارية والجمهورية الإسلامية، وقبلـوا بالنظـام الـديمقراطي في العـراق وغير العراق.

وكان من المفترض بعد قبـول الشـيعة بـالفكر الـديموقراطي، تجـاوز الفكر الطـائفي القـديم والتخلي عنه ، أو عـدم التحمس الزائد لـه، إلا ان بعض رجـال الـدين لم يسـتوعبوا التطـورات الجذرية الـتي حصـلت في الفكر السياسي الشـيعي، ولا زالـوا يحاولون جر الناس الى الماضي السحيق، ويتشـبثون بكل خرافة وأسطورة. وبدلا من أن يعتمدوا على القرآن الكـريم، والأحـاديث النبوية الثابتة والصــحيحة، إذا بهم يعتمــدون على التـــأويلات التعسـفية والأخبـار الضـعيفة والمختلقـة، ويبنـون نظريـات خاصة يتهمون من لا يؤمن بها بالخروج من الدين، وفي هذا تطرف كبير وغلو وفتنة وفساد كبير وتمزيق لوحدة الأمة الإسلامية.

ولهذا كانت دعوتنا الى الاهتمـام بموضـوع (الإمـام المهـدي) ودعـوة العلمـاء الشـيعة لإعـادة النظر في الأدلة التاريخية الـتي تتحـدث عن ولادته واسـتمرار حياته منذ أواسط القـرن الثـالث الهجري الى اليوم، أو على الأقل الى الاجتهاد في هـذا الموضـوع كما يجتهدون في مواضـيع الطهـارة والنجاسة والصـلاة والصـوم وسائر العبادات. ولكن مع الأسف الشديد قابل كثـير من العلمـاء دعوتنا لدراسة الموضــوع بالإهمــال والإصــرار على اتبــاع منهج التقليد، ومن هؤلاء العلماء المرجع السيد صادق الشـيرازي الـذي كتب ونشر عدة كتب حـول الموضـوع خلال السـنوات الماضـية، ولكنها خلت من أي مســتوى من مســتويات البحث والاجتهــاد، وظلت تـدور في إطـار الجمع والتـأليف. ولم يكتـف بـذلك وإنما اعتـبر من لا يـؤمن بوجـود (الإمـام المهـدي) كـافراً بنبـوة النـبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)!

ونظـراً لأن السـيد صـادق الشـيرازي يحتل موقع المرجعية الدينية لتيار كبير في العراق وإيران والخليج، هو التيـار المعـروف والمنسـوب الى أخيه المرحـوم السـيد محمد الشـيرازي، والـذي يضم أيضا تيـــار منظمة العمل الإســلامي، والطليعة الرســالية وحركة الوفاق الإسلامي، ومرجعية السيد محمد تقي المدرســي، فان موقفه المتطرف القاضي بتكفـير من لا يـؤمن بالمهـدي من الشـيعة والسـنة، يحتمل أن يـؤدي الى فتنة خطـيرة في العـالم

الإسلامي، تشابه فتنة الزرقاوي الذي يكفر الشيعة، كما يمكن أن تنعكس سلبا على المسيرة الديموقراطية والسلمية في العراق.

لقد عرفت السيد صادق الشيرازي منذ الستينات مؤلفا وداعية للإسـلام وأحد رواد النهضة الشـيعية الحديثـة، حيث كنت أحضر محاضـراته الأسـبوعية في أجد المسـجد في كـربلاء، ، وهو على قدر كبير من التواضع والأخلاق الرفيعة، وقد ساعدني على إنجـاز بحثي عن ولاية الفقيه سنة 1989 عنـدما وفر لي نسـخا مصـورة لكتب نـادرة وقديمة في علم الأصـول، تتحـدث عن ولاية الفقيـه. ومع أني لم أتـابع معه نتـائج ما توصـلت اليه من أفكـار، وخاصة أبحاثي حول الإمامة ووجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري)، وذلك لمغـادرتي إيـران، إلا أني اعتقد أن فقيها متابعا مثله لن يمر على كتـاب مثل كتـابي "تطـور الفكر السياسي الشـيعي من الشـورى الى ولاية الفقيـه" مـرور الكـرام، أو يغض النظر عنه بـالمرة، ولا أدل على ذلك من اهتمامه بتـأليف ونشر عـدة كتب حـول "إثبـات" وجـود الإمـام المهـدي، ومنها كتـاب (المهـدي في القـرآن) و(المهـدي في السـنة). ورغم أن هـاذين الكتابين قـديمين ألفهما قبل حـوالي أربعين عاما في العـراق، إلا أن نشـرهما حـديثا، وخاصة في موقعه على الإنـترنت، يـدل على إيمانه المسـتمر بهمـا. وبانتظـار أن أقـرأ للسـيد الشـيرازي رأيا جديدا يرد على كتابي بالتفصـيل أو أهم النقـاط الجديـدة الـواردة فيـه، فـإني سـوف أنـاقش كتبه القديمة – الجديـدة، وأبين نقـاط الضعف فيهـا، عسى أن يلتفت اليهـا، أو يعيد النظر من الأسـاس في بحث موضـوع وجـود الإمـام الثـاني عشـر، ومن ثم موضـوع الإمامة.

ان الملاحظة الرئيسية على كتب السيد صادق الشيرازي حول الإمام المهدي هي أنها تجميع روايات أكثر منها أبحـاث علميـة، أو دراسات اجتهادية، اعتمادا على رسوخ الفكرة في الأذهـان، ولـذا فانه لا يطرح أي سؤال تشكيكي حول الموضـوع بقـدر ما يحـاول تعزيز الصـورة التقليدية الموروثـة، ويقفز على الجـدل العلمي الضـروري بنـوع من القفز العـالي والعـريض. وبكلمة أخـرى انه يهرب من ممارسة الاجتهاد في هذا الموضوع الـذي يعتـبره جـزء مهما من العقيدة، ويكفر من لا يؤمن به.

يقول السيد صادق الشيرازي في مقدمة كتابه (المهـدي في السنة):"الإمـام المهـدي.. اسم يتواجد في كل مكـان، في الكتب السماوية الغابرة الزبور، والتـوراة، والإنجيل وفي القـرآن الحكيم

في عشـــرات الآيـــات الكريمة المفســـرة، أو المؤولة به (عليه السـلام). وعلى لسـان رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) في مختلف المناسبات، وشتى الأحاديث في مكة، وفي المدينة، وفي المعراج، وعند الوفاة وعلى شـفاه عـترة النـبي (صـلى الله عليه وآله) الأئمة الطـاهرين كلهم جميعـاً. فعلي أمـير المؤمـنين (عليه السلام) ذكر ولده المهـدي.. وفاطمة الزهـراء بنت النـبي (صـلى الله عليه وآله) ذكرت المهـدي والإمـام الحسن (عليهما السـلام) ذكر ابن أخيه المهـدي والإمـام الحسـين (عليه السـلام) ذكر ابنه المهـــدي والســـجاد علي بن الحســـين والبـــاقر محمد بن علي والصادق جعفر بن محمد والكـاظم موسى بن جعفر والرضا علي بن موسى والجـــــواد محمد بن علي والهـــــادي علي بن محمد والعســـكري الحسن بن علي كلهم.. ذكـــروا ولـــدهم المهـــدي. وأصحاب رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه) ذكـروا المهـدي: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وسـمرة بن جندب، وسلمان، وأبو ذر، وعمـار وغـيرهم كثـير. وزوجـات النـبي (صـلى الله عليه وآلـه) ذكـروا المهـدي: عائشـة، وحفصـة، وأم سلمة، وغيرهن أيضاً. والتابعون ذكروا المهدي: عـون بن جحيفـة، وعباية بن ربعي، وقتادة وغيرهم كثير".

ويتـابع:"وفي كتب التفسـير كلها تجد ذكر المهـدي: تفسـير الطبري، وتفسـير الـرازي، وتفسـير الخـازن، وتفسـير الآلوسـي، وتفسير ابن كثير، وتفسير الدر المنثور. وغيرها.. وغيرهـا.. كثـير. وفي الصـحاح السـتة تجد ذكر المهـدي: في البخـاري، ومسـلم، وابن ماجة وأبي داود، والنسـائي، وأحمد وفي كتب الحـديث كلها تـرى ذكر (المهـدي) في مسـتدرك الصـحيحين، ومجمع الزوائـد، ومسند الشافعي، وسنن الـدار قطـني، وسـنن الـبيهقي، ومسـند أبي حنيفة وكـــــنز العمـــــال، وغيرهـــــا.. وغيرهـــــا.. كثـــــير. وفي كتب التاريخ تجد ذكر (المهـدي) في تـاريخ الطـبري، وتـاريخ ابن الأثـير، وتـاريخ المسـعودي، وتـاريخ السـيوطي، وتـاريخ ابن خلـــدون، وغيرهـــا.. وغيرهـــا.. وعلمـــاء المســـلمين من مختلف المـذاهب أذعنـوا (بالمهـدي) وذكـروه في مجالسـهم، وكتبهم، وخطبهم: علمـاء الحنفيـة، وعلمـاء الشـافعية، وعلمـاء الحنبليـة، وعلماء المالكية. وغـيرهم من أئمة المـذاهب الأخـرى، وأتبـاعهم، والعلماء، والكتاب، والشعراء.. في كل مكان.. (المهدي). في كل كتاب.. (المهـدي). وعلى كل شـفة.. (المهـدي). السـماء تقـول.. (المهدي). الأرض تقول.. (المهدي)".

وهكذا يحاول الشيرازي الإيحاء بأن موضوع (المهدي) من أهم العقائد الإسلامية، التي تقوم على الأخبار المتواترة، وبغض النظر عن المناقشة في هذه الأحاديث التي يعتمد عليها، فانه يخلط بين أمرين أو مفهومين لكلمة (المهدي)، الأول: المهدي العام بمعـنى المنقـذ، الـذي يـؤمن به كثـير من المسـلمين. والثـاني : المهـدي الخاص، الذي يؤمن به الشيعة الاثنا عشـرية، وهو (الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العســكري)، حيث يســتعين الشــيرازي بأحـاديث المهـدي الـتي تشـبثت بها الفـرق الإسـلامية والشـيعية المختلفة عبر التاريخ، ليستدل بها على وجود وولادة "ابن الحسن العسـكري" الـذي كـان موضـوع خلاف بين أهل الـبيت وشـيعة العسكري أنفسهم، فضلا عن سائر الشيعة وعامة المسلمين.

وهذا منهج اتبعه كثير ممن كتب عن (الإمام المهدي) أو حـاول الـرد علي، أو تظـاهر بـذلك. وهو منهج أقل ما يقـال فيه أنه غـير علمي، ولا أمين أو هــادف لبحث الموضــوع بصــورة جديــة. فلو سلمنا بصحة الأحاديث التي تتحدث عن خروج إمام مهـدي يصـلح ما فسد من أمــور المســلمين، فانها لا تشــكل دليل إثبــات على ولادة ابن للإمام العسكري الذي لم يـتزوج أبـدا، ولم يتحـدث عن وجـود ولد له في حياتـه. وتـوفي بعد أن أوصى بأمواله الى أمـه، في إشارة منه الى عدم وجود وارث له.

يـدعي السـيد صـادق الشـيرازي وجـود أكـثر من مائة آية في القرآن الكريم تدل على المهدي، حيث يقول:" وردت مائة آية ـــ بل وتزيد ـ بشأن الإمام المهدي (عليه السـلام) بمختلف الأنـواع، من التفســير، والتأويــل، والظــاهر، والبــاطن، وغــير ذلــك...وقد خصصنا كتاباً خاصاً بذلك أسميناه (المهدي في القرآن)". وهــذا أمر غريب حقا، فنحن لا نجد آية واحدة في القـرآن تـدل صـراحة على ذلــك، وانما هنالك بعض الآيــات الـتي تعد المؤمـنين بالنصر وبوراثة الأرض مثل هـــــذه الآية " ونريد أن نمن على الـــــذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الـوارثين". القصص 5، ولكن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية على وجود الإمام المهـدي محمد بن الحسن العسـكري، وإذا كـان الشـيرازي يتخذ من هـذه الآية والآيــات المشــابهة لها ، أو الأضـعف منها في الدلالــة، دليلا قاطعا على مبتغاه، فانه يكشف عن وجود خلل منهجي كبـير لديه في طريقة الاستدلال والبحث والاجتهاد.

وإذا كــان الشــيرازي يتعامل مع القــرآن الكــريم الواضح والصريح، بهذه الطريقة التعسفية، ويحــاول تحميله ما لا يتحمل ، فكيف يتعامل إذن مع الأحاديث؟ وهل يتوقف ليحقق في ســند أو

متن أي حديث؟ أو يدرسه بعناية ودقة؟ أم سوف يغـرف من تلك الأحاديث ما يشاء؟ وبدون أية مسئولية؟

لنسـتمع اليه وهو يتحـدث قـائلا:"(وأما في السـنة) فالأحـاديث الـواردة بشـأن الإمـام المهـدي (عليه السـلام) في مختلف كتب التفسير، والحـديث، والتـاريخ، والصـحاح، وغيرهـا، وكتب السـنة، وكتب العامة، لو جمعت هـذه الأحـاديث لـزادت على الثلاثة آلاف حـديث. (نعم) إنها أكـثر من ثلاثة آلاف حـديث.كلها بشـأن الإمـام المهـــدي (عليه الســـلام) تملأ مجلـــدات عديـــدة". ويتوقف ليتساءل:"من هو هذا (المهدي) الذي أولي هذا الزخم من القرآن ومن السـنة؟" ويجيب:"إنه أمل السـماء إنه غاية الشـرائع الإلهية إنه المأمول لتطبيق شريعة السماء على كل الكرة الأرضـية لأول مـــــــــــــرة في تـــــــــــــاريخ الإنســـــــــــان. (وهـذا الكتـاب) إلمـاع إلى بعض ما ورد في هـذا الإمـام العظيم لكي يفتح للقارئ (كـوة) يسـتهدي بها الطريق إلي معرفة الإمـام المهدي (عليه السلام) ولو بعض المعرفة".

وبعد أن يـذكر السـيد صـادق الشـيرازي مجموعة من تلك الأحاديث يتساءل:"من هو الإمام المهدي)؟ ومتى ولـد؟ ومن أي سلالة انحدر؟ومن أبـواه، وأجـداده؟ولمـاذا غـاب؟ وما فائدته في غيبتـه؟ إلى غـير ذلك من عشـرات الأسـئلة" ويقـول:" ان كتابه يجيب عليها من خلال الأحـــاديث الشـــريفة المجموعة كلها من الصحاح الستة، ومن كتب التفسير، والحديث، والتاريخ التي ألفها غير الشيعة من علماء المذاهب الأربعة (الأحناف) و (الشـوافع) و (الحنابـل) و (المالكيـة)... وذلك سـداً للطـرق على من زعم، أو بـــالأحرى أدعى أنه زعم أن ما يتعلق بالإمـــام المهـــدي (عليه الســـلام) مما يختص به الشـــيعة، وأن نقلته ورواته هم فقط الشـيعة، لكي يعلم ــ أو تتم الحجة عليـه، ويعلم غـيره وتتم حجة الله عليه أيضاً ــ أن الكثـير.. الكثـير مما ورد في الإمـام المهـدي إنما هو من كتب غـير الشـيعة، وبـأقلام غـير الشـيعة، ورواة غـير الشيعة، ونقل غير الشيعة".

وهذه دعوى عظيمة جداً.

وأعظم منها أن يقـول:"لم نحـاول جمع كل ما ورد في الإمـام المهـدي (عليه السـلام) من كتب المـذاهب الأخـرى، بل الإلمـاع، والاختيار، وذكر نماذج، فقط وفقـط. (وإلا) فـالجمع، والاسـتيعاب يستدعي تدوين مجلـدات.. ومجلـدات وهـذا ما نفسح به المجـال لغيرنــا، ممن يوفقه الله تعــالى لــذلك من بعــدنا. (فــإن) هنــاك جمهرة من أعيان علماء المـذاهب الأخـرى، وحفـاظهم، وأئمتهم،

ومـؤلفيهم، قد خصصـوا كتابـاً خاصـاً في الإمـام المهـدي (عليه السلام) وأفردوا مؤلفاً مستقلاً في بعض أحواله، وشـؤونه، ونقل الأحـاديث الشـريفة عنـه. مثل علامة (الشـافعية) الشـيخ جمـال الدين يوسف بن يحـيى بن علي بن عبد العزيز بن علي المقـدس السـلمي الدمشـقي ألف كتابـاً خاصـاً في الإمـام المهـدي (عليه السلام) أسماه (عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر)". ويضرب لـذلك مثلا آخر بما رواه " (البخـاري في صـحيحه) عن جـابر بن سـمرة عن النـبي (صـلى الله عليه وآلـه) قـال: يكـون اثنا عشر أمـيراً. فقـال كلمة لم أسـمعها فقـال أبي: إنه قـال: كلهم من قريش. و (ما رواه) محمد بن عيسى الترمذي في صـحيحه، قـال رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه): يكـون من بعـدي اثنا عشر أميراً. ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليـني فقـال: قـال: كلهم من قــريش. (وما رواه) مسـلم بن الحجـاج القيـثري في صـحيحه، عن جـابر بن سـمرة قـال: دخلت مع أبي على النـبي (صـلّى الله عليه وآلـه) فسـمعته يقـول: إن هـذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي علي فقلت لأبي: ما قـال؟ قـال: قـال: كلهم من قـريش. (وما رواه) صحيح مسـلم، وعنه قـال: قـال النـبي (صـلى الله عليه وآلـه): لا يـزال أمر النـاس ماضـياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً. ثم تكلم النـبي بكلمة خفيت علي فسألت أبي ماذا قال رسول الله؟ فقال: كلهم من قريش. (وما رواه) صحيح أبي داود السجستاني، وعنه أيضاً، عن رسول الله قـال: لا يـزال هـذا الـدين عزيـزاً إلى اثـني عشر خليفة. فكبر الناس وضجوا، ثم قـال كلمة خفيت علي قلت لأبي: يا أبت ما قال؟ قال: كلهم من قـريش.و(مسـند أحمد بن حنبل ــ إمام الحنابلة) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قـال: يكـون لهـذه الأمة اثنا عشر خليفة. و(الحاكم النيسابوري في المسـتدرك على الصحيحين) عن عون بن جحيفة عن أبيه قال: كنت مع عمي عند النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: لا يزال أمر أمتي صالحاً حـتى يمضي اثنا عشر خليفــة. ثم قــال كلمة وخفض بها صــوته فقلت لعمي، وكان أمامي: ما قـال يا عم؟ قـال: يا بـني قـال: كلهم من قريش. و(تيسـير الوصـول إلى جـامع الأصـول) قـال رسـول الله (صلى الله عليه وآله): لا يزال هذا الدين عزيـزاً منيعـاً إلى اثـني عشر كلهم من قـريش. قيـل: ثم يكـون مـاذا؟ قـال: ثم يكـون الهرج. و(منتخب كنز العمال): يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيمـاً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش. و(الحافظ القندوزي الحنفي في ينـابيع المـودة) عن جـابر بن سـمرة قـال: كنت مع أبي عند النـبي (صـلّى الله عليه وآلـه) فسـمعته يقـول: بعـدي اثنا عشر

خليفة. ثم أخفى صوته فقلت لأبي: ما الـذي أخفى صـوته؟ قـال: قال: كلهم من بني هاشم.

و(مسند أحمد ـ إمام الحنابلة) عن مسـروق قـال: كنا جلوسـاً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القـرآن فقـال له رجـل: يا أبا عبد الـرحمن هل سـألتم رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم ولقد سألنا رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه) فقـال: اثنا عشر كعـدّة نقبـاء بـني إسـرائيل.

(ينابيع المودة) عن ابن مسعود عن النبي قال: الخلفاء بعـدي اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل".

ويعلق الشيرازي على كل ذلك قائلا:" اتفقت كلمة المسلمين جميعاً بمختلف مـذاهبهم، وأجمعت كتبهم في التفسـير والحـديث والتـاريخ، وخاصة (الصـحاح السـتة) على: أن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) تفوه بهذه الكلمة:"الخلفـاء بعـدي اثنا عشر كلهم من قـريش" وإن اختلف التعبـير حسب اختلاف الـرواة فبعضـهم رواه (النقباء) وبعض نقله (الأئمة) وبعض ضبطه (اثنا عشر قيمـاً) وبعض أخرجه (وهم اثنا عشر رجلاً) وبعض أثبته (اثنا عشر أميراً)، والمعـنى في الكل واحـد، **والمقصـود متحد وهو واضح لا غبار عليه".** ثم يقـول:**"** والكلام الـذي ينبغي التأمل عنـده هـو: من هـؤلاء الاثنا عشـر؟

والجواب المقنع الحاسـم، الـذي لا يقبل النقـاش: إنهم هم الـذين سـماهم رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) في أحـاديث أخـرى بأسـمائهم وهم: علي بن أبي طـالب والحسن بن علي والحسـين بن علي وعلي بن الحسـين (السـجاد) ومحمد بن علي (البـاقر) وجعفر بن محمد (الصـادق) وموسى بن جعفر (الكـاظم) وعلي بن موسى (الرضـا) ومحمد بن علي (الجـواد) وعلي بن محمد (الهـادي) والحسن بن علي (العسـكري) والحجة المهـدي (القائم)".

ان الشـيرازي يعتـبر حـديث (الاثـني عشر خليفة أو أمـيرا) متواترا، ويستدل به على صحة النظرية الاثـني عشـرية الشـيعية، وعلى وجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) في حين يأخذ على أهل السنة الذين يروون ذلك الحـديث أنهم لا يجـدون تفسـيرا صـحيحا لـه، ما عـدا الاثـني عشر إماما من أهل الـبيت. رغم أن تفسـير الاثـني عشر للحـديث غـير صـحيح وغـير شاف، لعدم ثبوت ولادة الإمام الثاني عشر.

وكما فعل الشـيرازي مع أحـاديث (المهـدي) العامة فعل هنا وأكثر، حيث لم يتوقف ليـدرس سـند أي حـديث، بل لم يـذكر أي سند، وانما التقط الأحاديث بسـرور بـالغ، واعتبرها متـواترة، دون أن يتـأنى في تعريف التـواتر، أو ينظر فيما إذا كـان ذلك الحـديث متواترا أو قويا أو ضعيفا وخبر آحاد.

ولقد بحثت هذه الأحاديث (الاثني عشرية) السنية والشيعية ، في كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) والـتي اسـتدل بها القائلون بوجود الولد للإمام العسكري، ورددت عليها حديثا حديثا، وقلت إنها كلها أحاديث آحاد وضعيفة ومختلقة، وذلك لأن النظرية الإثني عشرية لم تكن معروفة عند الشـيعة الامامية حـتى القـرن الرابع الهجـري، لأنهم كـانوا – سـابقاً- يقولـون باسـتمرار الإمامة الى يــوم القيامــة، ولم يكن يعقل ان تقتصر الإمامة على اثــني عشر رجلا، أو اثني عشر ألف أو مليون رجل. هـذا عند الشـيعة ، وأما عند السنة، فـانهم يقولـون بـأن النـبي (ص) لم يتحـدث عن الإمامة أساسـا، ولم يـوص الى أحـد، والحـديث عنـدهم لا يحـدد الإمامة بــاثني عشر إماما فقــط، وانما يتنبأ بحــدوث المشــاكل والفتن بعد الإمام الثاني عشر.

ومن هنا فالحديث ضعيف ولا يتفق أبـدا مع اسـتمرار الإمامة في الأرض، وهو باطل يســتدل به على باطل آخــر. ولو فرضــنا صحة الحديث فانه لا يتضمن بصراحة أسماء الأئمة الاثـني عشـر، الذين كـانوا موضع خلاف بين الشـيعة أنفسـهم، ومحل رفض من قبل أبناء الأئمة وفـرق شـيعية عديـدة، فلا يـدل على المطلـوب، وكذلك لا يدل على وجود ولد للإمام العسـكري الـذي تـوفي دون أن يعلن أو يشــير في الظــاهر الى وجــود ولد لــه، وهو ما ينفي صحة رواية الاثني عشرية أيضا، إذ سـوف يصـبح عـدد الأئمة أحد عشر ، حسب القائمة الشـيعية. ولا يمكن أن نســتدل بالحــديث على ولادة إنســــان لم تثبت ولادته بطريقة صــــحيحة وعلمية وشرعية.

والغريب ان السـيد صـادق الشـيرازي يسـتدل بـأقوال بعض علماء السنة كالحافظ الحنفي، صاحب ينابيع المـودة، الـذي ينقل حديثا عن أبي طفيل عامر بن واثلة عن علي (رضي الله عنهمــا) قال قال رسـول اللـه:" يا علي أنت وصي حربك حـربي وسـلمك سلمي وأنت الإمام وأبو الأئمة الأحد عشر الـذين هم المطهـرون المعصـومون ومنهم (المهـدي) الـذي يملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً فويل لمبغضيهم".

ولا أدري كيف يسمي من ينقل هكذا رواية بالسني؟ فإذا كانت الرواية صحيحة فلماذا لا يؤمن بها ويصبح شيعيا إماميا إثني عشريا؟ وإذا كانت الرواية صحيحة وينقلها ولا يؤمن بها عنادا وتعصبا، فكيف يمكن الاعتماد عليه والثقة به؟ وهل تصح نسبة الكتاب اليه؟ أم هناك تشابه في الأسماء، وتزوير في الكتب؟ وعلى أي حال لا يسأل الشيرازي عن الحافظ الحنفي متى عاش؟ في أي قرن؟ وممن أخذ روايته؟ وما هو سندها؟ هل أخذها من الشيعة الامامية؟ أم المصادر السنية؟

ولكن مع الأسف الشديد، يفضل السيد صادق الشيرازي أن يحطب بليل ويعمش عمش جهال، ويتنكب طريق البحث العلمي والاجتهاد والتحقيق. ولا غرابة بعد ذلك أن يقول الشيرازي انه يمكن تأليف مجلدات عديدة حول المهدي، إذ يمكن بهذه الطريقة فعلا تأليف موسوعات وموسوعات وموسوعات. فما أكثر الأحاديث الموضوعة والمختلقة، وقد بلغت في القرن الثاني الهجري حوالي مليون رواية.

ولسنا بحاجة لمناقشة أية رواية يذكرها الشيرازي في كتابه (المهدي في السنة) لأنه لم يأت برواية واحدة مسندة، فضلا أن تكون صحيحة السند، وانما اعتمد على ذكرها في كتب السنة، غافلا أو متغافلا عن اختلاط كثير من الشيعة بالسنة في التاريخ السحيق حتى ليصعب الفصل بينهم في كثير من الأحيان، وان كثيرا من الفريقين كانوا حشويين ينقلون الروايات بلا تمحيص ولا تدقيق، وان بعضهم كان يزيد عليها وينقص منها، ويختلق مئات الأحاديث بحيث لم نعد نصدق بأية رواية إلا إذا درسنا سندها ومتنها بدقة، وعرضناها على القرآن الكريم والعقل السليم والتاريخ المتواتر.

وان التاريخ المتواتر الذي يذكره المؤرخون الشيعة والسنة يقول: بأن الإمام الحسن العسكري توفي دون أن يشير الى وجود ولد له في الظاهر، وهذا الظاهر حجة علينا، لأنه لا يجوز شرعا وقانونا نسبة ولد الى إنسان بعد وفاته بالرغم من أنفه، وقد رفض أهل بيت الإمام العسكري ومعظم أصحابه الاعتراف أو التصديق بوجود ولد له، ما عدا فرقة صغيرة (واحدة من أربع عشرة فرقة) ادعت وجود الولد في السر، وهي لم تأت بدليل شرعي، وانما افترضت وجود ذلك الولد المزعوم افتراضا، خوفا من الاعتراف بانهيار النظرية الامامية ووصولها الى طريق مسدود. ولما لم تجد ما تدعم به دعواها الباطلة، التفتت الى بعض الأحاديث الضعيفة عند السنة مثل حديث (الاثني عشر

خليفة أو أميرا) وحاولت الاستدلال به على دعواها، واصطنعت بذلك النظرية الاثني عشرية، دون أن يفيدها ذلك شيئا، لأنه لم ينطبق على القائمة التي صنعتها في ذلك الوقت، حيث كان يمكن إضافة بعض الأسماء وحذف بعض الأسماء الأخرى لتأليف قائمة بأسماء اثني عشر إماما كما يريد أي إنسان.

ولأن القضية كانت أسطورية من أساسها، فان أصحاب النظرية الاثني عشرية لم يستطيعوا أن يبعثوا الحياة بالإمام الثاني عشر المزعوم والمفترض، وظل في غياهب العدم منذ ذلك الحين والى يوم القيامة.

وإذا كانت تلك الأسطورة قد مرت على بعض المغفلين والسذج والبسطاء ردحا من الزمن، فانه كان لا بد ان تلفت العلماء والمجتهدين وتدعوهم للتوقف عندها ، وبحثها بدقة، واستخدام أدوات الاجتهاد المعروفة لديهم مثل التحقيق في المتن والسند، ودراسة القضية من كل جوانبها، وعدم تقليد الآباء والأجداد تقليدا أعمى، وإلصاق البدع والخرافات والأساطير بالدين، أو بمذهب أهل البيت بهذه الطريقة الغوغائية.

ولكنهم لم يفعلوا من ذلك شيئا.

ويا ليتهم وقفوا عند الإيمان بهذه القضية ولم يذهبوا الى أبعد من ذلك.

ومع الأسف الشديد ينقل الشيرازي قول (الحافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة):" عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من أنكر خروج (المهدي) فقد كفر بما أنزل على محمد" ويعلق عليه قائلا:" الكفر درجات (الأولى) الكفر بالله تعالى بإنكاره، (الثانية) الكفر بما أنزل الله تعالى، (الثالثة) الكفر بنعم الله تعالى. وهذا الكفر المذكور في هذا الحديث هو من الدرجة الثانية لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي عين الإمام المهدي (حقاً) فإنكاره كفر برسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأنه يتضمن تكذيب النبي (صلّى الله عليه وآله) بما أخبر عن الإمام المهدي (عليه السلام)".

وينسى الشيرازي بأن فرقة واحدة فقط من سبعين فرقة من الشيعة آمنت بوجود المهدي (محمد بن الحسن العسكري) كما يقول مؤرخو الشيعة الاثني عشرية مثل النوبختي والأشعري القمي والطوسي والصدوق والمفيد والسيد المرتضى وغيرهم وغيرهم، فضلا عن بقية المسلمين، فهل كانت القضية على درجة

كبـــيرة من الوضـــوح بحيث يكفر من ينكرهـــا؟ وهل يكفر جميع الشيعة والمسلمين ما عدا الفرقة الاثني عشرية؟

ان عامة الشيعة اليوم يعترفون بإسلام من لا يؤمن بإمامة أهل الـبيت، من أهل السـنة، ويـدعون للوحـدة معهم والتعـايش معهم بسلام، فكيف يريد الشيرازي تكفـير من لا يـؤمن بجزئية صـغيرة فرعية وأسـطورية؟ ألا يشـيع بـذلك جـوا من العنف والتطـرف والإرهـاب ويهـدد الوحـدة الوطنية والسـلام الأهلي والمسـيرة الديموقراطية؟

إنني أعرف في السيد صادق الشيرازي، رجلا مجتهـدا عـاقلا ومسالما وديموقراطيا ومحبا للخير، وربما كان كتابه هذا (المهدي في السنة) كتابا قديما لم يراجعه حديثا، وقد كتبه في أيام شـبابه في كربلاء، وقبل ان يتعرف على أصـول البحث والاجتهـاد، ولهـذا أطلب منه أن يعيد النظر فيـــه، وان يقـــدم لنا دراسة جديـــدة ومعمقة عن الموضوع، ويحـذف ما في كتابه من تطـرف وتكفـير للمسلمين الذين لا يؤمنون إلا بما ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية، بصورة صحيحة وواضـحة، ويرفضـون الإيمـان بالخرافـات والأساطير.

13- مع الشـــيخ محمد حســـين الوحيد الخراســـاني في كتابه (مقتطفات ولائية)[136]:

ماذا يحدث عندما تمتزج الفلسفة الوهمية بالأساطير؟ الغلو بالإمام الى درجة الربوبية ، والشرك بالله!

136 - مقتطفات ولائية، للشيخ الوحيد الخراساني، ترجمة عباس بن نخي، الكويت

اختلف المسلمون ، والشيعة بالخصـوص ، كثـيرا حـول هوية (الإمـام المهـدي): من هو بالضـبط؟ وهل ولد في الماضـي؟ أم سيولد في المسـتقبل؟ وقـال الاثنا عشـرية من الشـيعة الامامية بأنه ولد في منتصف القـــرن الثـــالث الهجـــري ، وانه (محمد بن الحسن العسكري) وانه ظل حيا مختفيا الى الآن ، وسـوف يظهر في المستقبل.

وبـالرغم من أن مهمة الإمـام في الفكر السياسي الشـيعي الإمامي تعني القيـام بـدور التشـريع في الحـوادث الواقعة وتنفيذ الشـريعة الإسـلامية وقيـادة الأمة ، وان هـذه المهمة قد تعطلت بغيبة الإمـام ، إلا ان بعض المؤمـنين بوجـود هـذا الإمـام الغـائب (محمد بن الحسن العسـكري) دأب على نشر قصص عن قيـام الإمام بإغاثة الملهـوفين وإرشـاد التـائهين في الصـحاري والقفـار وحل المشاكل وإنقاذ المستغيثين به أينما كانوا في العالم . ولكن علمـاء الامامية لا يجمعـون على صـحة هـذه القصص ولا يعطـون للإمام هـذا الـدور الخـارق البعيد عن مهمة الإمامة الأساسـية، أو عملية الإعداد للظهور.

إضافة الى ذلك كان موضوع الإمامة والإمام المهدي بالـذات موضــوعا لتطــرف بعض الغلاة المندســين في صــفوف الشــيعة الامامية الــذين كــانوا يغــالون في مرتبة (أهل الــبيت) ويضــفون عليهم صــفات ومهمــات وأدوارا من صــنع خيــالهم المــريض ، فيشركون بهم مع الله في خلق الكـون وإدارته والقيـام بعمليـات الــرزق والإحيــاء والإماتة وما الى ذلك ، واتخــاذهم أربابا أو محلا لحلول الله عز وجل في أجسادهم.

وقد انتبه أئمة أهل البيت لذلك فحاربوا الغلو والغلاة ولعنوهم وتبرءوا منهم ، وقاوموهم بشدة ، وفي الـوقت الـذي كنا نظن أن الغلاة قد انـدثروا في الـزمن السـحيق وذهبـوا الى غـير رجعة ، خاصة بعد انتصار المدرسة الأصولية ضد المدرسة الأخبارية الـتي كانت تتلقف كل حديث وارد عن أهل الــبيت دون تمحيص أو نظر أو اجتهاد ، نفاجأ بأحد أساتذة الحوزة العلمية في قم وهو (الشيخ محمد حسين الوحيد الخراساني) أستاذ علم الأصول، الشهير في الحوزة ، يقـوم بـاجترار بعض نظريـات الغلاة ويمزجها مع أوهـام الفلاســفة الباطلة ويضــيف عليها بعض الحكايــات الأســطورية المضحكة ليحدثنا عن إمام فاعل للوجـود مشـارك لله تعـالى في الربوبيـة. في حين كنا نأمل منه أن يقـوم بدراسة أسـاس نظرية وجـود ذلك (الإمـام) المفـترض أو المختلق الـذي لا توجد أية أدلة

علمية تاريخية على وجوده وولادته ، بدلا من تقليد الآباء والأجـداد تقليدا أعمى.

ونعتقد انه بتبنيه لتلك النظريـات المتطرفة المفعمة بـروح الشـرك والانحـراف ، يسـيء الى الإسـلام والى التشـيع والى الحوزة العلمية والى الثورة الإسلامية الإيرانية، وينحـرف عن أداء دوره العلمي والتبليغي المتمثل في الـــدعوة الى الله ومحاربة البدع والخرافات والأساطير.

وإننا إذ نحترم حقه في الاختلاف في الرأي والإيمان بما يشاء ، لا يسعنا إلا أن نرفض أقواله المغالية في أئمة أهل البيت إلى حد الشـرك بالله تعـالى ، ونسـتغرب من اتباعه للمنهج الأخبـاري السـاذج في قبـول الأحـاديث الضـعيفة والأدعية والزيـارات الموضـوعة والحكايـات الأسـطورية ، خلافا لمبـادئ المدرسة الأصـولية الـتي يـدعي الانتمـاء اليها ، دون أي تحقيق أو اجتهـاد ، ونسـتنكر خلطه لنظريـات الفلاسـفة الباطلة كنظرية الفيض ، ومزجها مع فكر أهل الـبيت. ونطـالب العلمـاء العظـام ومراجع الـدين الكبـار ، و طلبة العلـوم الدينية ، التصـدي له بكل ما أوتـوا من قوة ، وعدم السكوت على أفكـاره المنحرفة والمغالية ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) :"إذا ظهـرت البـدع فعلى العـــالم أن يظهر علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

يخاطب الوحيد الخراساني ، الإمام المهدي ، بالقول:" يا فاعل " ما به الوجـود" ويا من أينما كـان "ما منه الوجـود" (أي الله تعـالى) كنت أنت أيضا هنـاك ، فلا يخلو مكـان – بحكم البرهـان- من فاعل ما منه الوجـود ، ولا يخلو مكـان منك أنت أيضا ، لأن أفعاله تعالى وان كانت أفعاله ولكنها بواسطتك ، فمنه تعـالى كل شـيء ، لأن كل شـيء منه لا اله إلا الله ، ومنك كل شـيء ، لأن كل شيء يكون بواسطتك. إننا موحـدون... لا نعـرف شـيئا منك ، بل نعرف أن كل شيء من الله تعالى، ولكن في عين الحال التي نـرى أن كل شـيء منه هو ، نـرى أيضا أن أنفـاس صـدورنا منه ولكن بك أنت ، والنظرة والرؤية التي نتمتع بها ، والخطـوة الـتي نخطوها ، كلها منه سـبحانه وتعـالى ، ولكنها بك أنت... أيتها الرحمة التي وسعت كل شيء". [137]

و يقول الوحيد الخراساني بصراحة مثيرة :" إن إمـام العصر صار عبداً ، وعندما صار عبداً صار رباً، فـ " العبودية جوهرة كنهها

---

[137] - ص 41

الربوبية" فمن ملك هذه الجوهرة تحققت ربوبيته – بالله تعالى لا بالاستقلال – بالنسبة إلى الأشياء الأخرى.[138]

وتأييـدا لأقواله الباطلة في هـذه النظرية ، يسـتورد الوحيد الخراســاني حــديثاً من أحد أقطــاب الفرقة الخطابية الملعونة والبائدة التي كانت تؤله الإمام الصادق ، وهو (المفضل بن عمـر) يقـول فيه كـذبا وزورا وبهتانـا: " انه سـمع أبا عبد الله (ع) يقـول في قول الله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها): رب الأرض إمام الأرض. قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام".[139]
واستنادا إلى أقوال الغلاة هذه يعتقد الشيخ الوحيد الخراساني: " إن إمـام العصر هو صـاحب مقـام الإمامة المطلقة ، أي العلم المطلق والقـــــــدرة المطلقة والإرادة المطلقة والكلمة التامة والرحمة الواسعة".[140] ويقـول:" لا شك ان إمـام الزمـان جـوال في زيــارة أوليــاء الله ولا حجــاب أمامه ، فمن هو "فاعل ما به الوجود" لا يكون محجوبا".[141]

ومع ان الله عز وجل ينهانا عن دعـوى غـيره ويقـول:" ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون".[142] ويقول:"ولا تـدعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضـرك، فـإن فعلت فانك إذا من الظـالمين".[143] و"إن الـذين تـدعون من دون الله عبـاد أمثـالكم فـادعوهم فليسـتجيبوا لكم ان كنتم صادقين".[144] و"يا أيها الناس ضرب مثل فاسـتمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقـوا ذبابا ولو اجتمعـوا له وان يسـلبهم الـذباب شـيئا لا يسـتنقذوه منه ضـعف الطـالب والمطلوب".[145] فان الشيخ الوحيد الخراسـاني يوجه المسـلمين وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي (الموهـوم الـذي لا وجـود له) ، فيقـول:" من الضـروريات والمسـلمات: إن كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق ، سواء كان يهوديا أو نصرانيا ، أو مسلما شيعيا أو سنيا ـ لا فــرق

138 - ص 39
139 - ص 62
140 - ص 43
141 - ص 42
142 - الأحقاف 5
143 - يونس 106
144 - الأعراف 194
145 - الحج 73

بتاتا ، إذا ما نــدب في ذلك الحين وقــال: (يا أبا صــالح المهــدي أدركـــني) فـــان النتيجة قطعية الحصـــول... والسر في ذلك إن الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضـطرار واقعي يخــرق الحجب ، وفي غــير تلك الحالة فــان الندبة غــير متوجهة اليــه! والأمر ســيان بين الله وبين ســبيل الله "من منه الوجود" و "من به الوجـود" والحكم في الحـالين واحد ، فكما إن التوجه بالـــدعاء إلى "من منه الوجـــود" يجب أن يتحقق حـــتى تتحقق الاستجابة ، كذلك الأمر بالنسبة إلى "من به الوجــود" فهو السبيل الأعظم والصراط الأقوم ، فـان التوجه اليه بالـدعاء يجب أن يتحقق فتتحقق الاستجابة في ذلك الحين بالضرورة".[146]

" وإذا اضـطر أحد فتوجه إلى (السـبيل الأعظم) أي "من به الوجود" للنجاة من صحراء تاه فيها وبلـوغ المعمـورة ، فانه عليه السـلام يرشـده إلى الطريق ويدله على ما يجب أن يفعله حـتى ينجو ... لقد اضـــطرته تلك الحـــال فلجأ إليه وتوسل به ، فينظر عليه السلام إليه نظرة يكون فيها دواؤه وشفاؤه".[147]

ويغفل الوحيد الخراساني عن حقيقة ان النبي الأعظم صـلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من أهل الـــبيت كـــانوا في حيـــاتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصـرة أوليـائهم أو المســـتغيثين بهم ، وقد تعرضـــوا هم الى أشد ألـــوان العـــذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون.

وربما كانت الاستغاثة العادية من جهلة الناس بالأئمة والأولياء أو بالإمام المهدي لا تحمل معنى الشـرك الصـريح، ولكنها عنـدما تقترن بتصـور أن "الإمـام رب الأرض ، وانه فاعل ما به الوجـود" فإنها تعطي للإمام المفترض (الموهوم) دوراً من أدوار الله تعالى ، يريد الله عز وجل أن يحصـــره بنفسه ويطلب من النـــاس أن يوحدوه ويدعوه وحده لا شريك له في السراء والضراء.

يقول الشيخ جعفر السبحاني (أحد كبار العلماء المعاصرين في قم): " لو أن إنســـانا اعتقد بـــأن الله قد فـــوض أفعاله - من الإرزاق والإحيـــــــاء وغيرهما – الى بعض مخلوقاته ، كالملائكة والأولياء ، وانهم الذين يديرون شؤون الكون ويدبرون أموره ، ولا علاقة لله سبحانه بذلك ، ودفعه هذا الاعتقـاد الى الخضـوع لهم ،

---

[146] - ص 50
[147] - ص 51

فما من شك أن خضـوعه هـذا عبـادة وأن عمله هـذا شـرك بالله سبحانه".[148]

و على أي حــال ، ولكي يثبت الوحيد الخراســاني دعــواه الأسطورية هـذه ينقل قصة عن أحد الأطبـاء الإيرانـيين ، دون أن يذكر اسمه ، يقول فيها: انه عالج رجلا من المقاومة الإيرانية ضد الغـــزو الروسي لإيـــران في الحـــرب العالمية الثانية ، وأخــــرج رصاصة من جســـده دون مخــــدر ، وذلك بعد أن أخـــرج الرجل المقــاوم روحه من جســده أثنــاء العملية بواســطة ترديد جملة (باسم الله النـور) عـدة مـرات (!!!) وعنـدما انتهى من العملية ، علم الطـبيب أن الرجل كـان على علاقة بالإمـام المهـدي ، وانه قال له إن الجيش الروسي سيرحل من إيران " قال هـذه الكلمة فقط (لـيرحلوا) ثم مضى ، وفي عصر ذلك اليـوم وصـلت برقية من قيادة الروس تأمر الجيوش بالعودة ، ولم يتوان العســكر عن شيء واقفل راجعا في نفس تلك الليلة".[149]

وبالطبع لم يذكر لنا الخراساني ، اسم الدكتور الذي يقول انه كان يدرس معه ، ولا اسم ذلك الرجل المقاوم ، ولا تـاريخ القصة الأسطورية ولا مكانها، كعادة مروجي الأساطير.

ومن أجل أن يؤكد مزاعمه في نجـدة (الإمـام المهـدي) لمن يستغيث به ، يأتي الشيخ بقصة أسطورية أخرى فيقول:" إن رجلا صـاحب حمـام عمـومي في مدينة الحلة كـان يطعن في قـاتلي فاطمة ، فاعتقله حـــاكم الحلة ، و أمر بضـــربه وتعذيبه حـــتى سقطت أسنانه وقلعوا عينيه ولسانه وجدعوا أنفه ، ثم ربطوا فيه خيطا واخــذوا يجولــون به في الأســواق ، ثم أعــادوه إلى داره وألقــوه فيها وذهبـوا ، ولما عــادوا إليه في صـباح اليـوم التـالي وجـدوه كأنه شـخص آخر ، فقد نبتت أسـنانه وعـوفيت أسـقامه وزالت جراحاته وانقلب منظره القبيح بفعل الجراحات والتعـذيب إلى صورة حسـنة وهيئة جميلة ، فسـألوه عما حـدث له ، فقـال: عندما القوني هنا شـاهدت المـوت بـأم عيـني وكنت من الضـعف بحيث يعجز لســـــاني حـــــتى عن النطق فندبته (أي الحجة بن الحسن) بقلبي وهتفت بضميري (يا صاحب الزمان) وما أن حدث ذلك حتى رأيته جالسا إلى جـواري فنظر الي نظـرة ، ووضع يـده على جسمي وقـال لي : انهض واذهب في تحصـيل قـوت عيالك، ولم تكن ثمة حاجة ليمسح على جميع أعضاء ذلك الجسم المثقل

148 - في كتابه (الوهابية في الميزان ص 234)

149 - ص 55

بالجراحـــات والآلام ، فقد وضع يـــده على بـــدن الرجل ولمس جسمه لمسا وقال له : انهض ".[150]

وهنا أيضا لم يجد الخراســاني حاجة لــذكر مصــدر القصة الأســطورية ، ولا تاريخها وأشخاصــها ورواتها ، فــان الأســاطير لا يمكن أن تمر إلا في أجواء من الغموض والتعتيم.

وهكذا ينقل لنا الخراساني "قصة عجيبة " أخرى عن المحدث المجلســي، الــذي ينقلها عن كتــاب (الســلطان المفــرج عن أهل الإيمـــان) (لمؤلف مجهـــول؟) أنه حكي (...) عن محي الـــدين الاربلي " انه حضر عند أبيه ومعه رجل (؟) فنعس فـــــــــوقعت عمامته عن رأسه ، فبدت في رأسه ضربة هائلــة، فســألته عنها ، فقـــال: هي من صـــفين! فقيل لـــه: وكيف ذلك ووقعة صـــفين قديمــة؟! فقــال : كنت مســافرا إلى مصر فصــاحبني إنســان من "غزة" فلما كنا في بعض الطريق تذاكرنا وقعة صفين ، فقال لي الرجل: لو كنت في أيام صفين لرويت سـيفي من علي وأصـحابه ، فقلت: لو كنت في أيـــام صـــفين لـــرويت ســـيفي من معاوية وأصـــحابه ، وها أنا وأنت من أصـــحاب علي ومعاوية لعنه الله ، فاعتركنا عركة عظيمة ، واضـــــــطربنا، فما أحسست بنفسي إلا مرمياً لما بي ... فبينما أنا كـذلك ، وإذا بإنســان يوقظـني بطـرف رمحه ، ففتحت عيني فنزل الي ومسح الضربة فالتأمت ، فقـــال: البث هنا ، ثم غـــاب قليلا وعـــاد ومعه رأس مخاصـــمي مقطوعا والـــدواب معه ، فقـــال لي: هـــذا رأس عـــدوك ، وأنت نصـــرتنا فنصــرناك ، ولينصــرن الله من نصــره ، فقلت: من أنت؟ فقــال : فلان بن فلان – يعـني صــاحب الأمر عليه الســلام – ثم قــال لي: وإذا سئلت عن هذه الضربة فقل ضربتها في صفين".[151]

ولو عرضنا هذه القصة على محكمة شرعية لحكمت على ذلك الرجل المجهــول بالقتل والســرقة وربما الجنــون ، ولكن الشــيخ الوحيد الخراســـاني " أســـتاذ علم الأصـــول" يقبلها ويرويها دون نقاش وكأنها من المسلمات والحوادث التاريخية الثابتة.

ولكن .. حسنا ، إذا كان الخراساني يصدق ذلك الرجل الــذي ذهب إلى أعماق التاريخ وشارك في معركة صــفين وتلقى ضــربة على رأسه ثم عــاد بقطيع من الــدواب ، فلا تســتغربوا من ذلك ، لان الشــيخ الوحيد يؤكد لنا " انه ســمع من أحد العظمــاء الــذين يعتمد على قـــولهم: إن هنـــاك رياضة روحية خاصة تمكن الـــذين يمارسونها من رؤية الزمن الماضي ومشــاهدة وقائعه ، مثل يــوم عاشـــوراء ، ويقـــول : إن هـــذا أمر تـــام وممضي وفقا للقواعد

---

150 - ص68

151 - ص 31 ، المحاضرة الثانية بتاريخ 14 شعبان 1410

العلمية (...) لأن كل هذه الأمـور محفوظة ومخزونة في (الجفـر) لم تتلف ولم تمسح ، ويمكن للـــــروح بواســـطة تلك الرياضة الخاصة أن تتصل بها وتراهـا". ويقـول بنـاء على ذلك:" إن إمـام الزمان (عليه السلام) يشهد منظر كر بلاء في كل صباح ومساء ، هذه هي حياة ولي العصر ، وهذا هو امتحانه".[152]

والغريب إن الشيخ الوحيد الخراساني ، أستاذ علم الأصول في الحــوزة الدينية في قم يعــرف: " إن أصــول المعــارف الدينية والمعتقــدات لا يصح أن تؤخذ من أي أحد ، وان مبــدأها والمرجع فيها هما اثنــان لا غــير: القــرآن والحــديث " ويقــول:" إنما تنشأ الانحرافات عندما نأخذ عن غير هذين المصدرين ، فان أصل هذه القضــايا يجب أن يؤخذ من القــرآن الكــريم وتؤخذ الفــروع من الروايات".[153]

ولكنه مع ذلك ينسج نظريته حول (الإمام المهدي) من حبـال الخرافات والأساطير والفلسـفة الباطلـة، حـتى يصل إلى القـول بربوبية الإمــام المهــدي والشـــرك بالله تعــالى، حيث يفتح بابا للمعرفة مناقضا لعلم الأصـــول ، يقـــوم على الـــذوق الخـــاص المتقلب ، فيقـــول:"إن تفقه حـــديث أهل العصـــمة يتطلب ذوقا خاصا ، وهو غير المتعارف المعهود ، انه ذوق إفاضي لا تحصيلي" .[154]

ويستند إلى أحاديث ضعيفة أو موضـوعة مثل زيـارة الجامعة والناحية ودعـــاء الندبة وزيـــارة ياســين وما إلى ذلك من تـــراث الغلاة. فهو مثلا يستند إلى فقرة في دعاء يرويه عثمان بن سـعيد العمري (أحد أدعياء السفارة الخاصة عن الإمـام الغـائب) وهي:" اللهم عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني" ويتخذ من هذه العبارة حجر الأساس في تفكـيره الأسـطوري ، إذ يعلق عليها بالقول:" هذه كلمة محفوفة بالأخطـار! وقبل البـدء لا بد من التنويه إلى أن المســـألة من الأهمية بمكـــان بحيث انها خارجة عن إطار قدرات وإمكانية أمثالي وأمثالكم... إن الموضوع هو (معرفة الحجة) لا معرفة العبادات والمعاملات الشـرعية ، ولا معرفة (الصـحيح والأعم) ولا معرفة (الـبراءة والاشـتغال) فهـذه يمكننا أن نلجها بإقـدام ونبحثها دون وجـل. أما في هـذه الأبحـاث فنحن ندخل بخوف ورهبة. إذ لا أهلية لنا ولا كفاءة فلا منـاص من أن نقول (اللهم عرفـني حجتـك) إن معرفة حجته شـأن أكـبر من

---

152 - ص 41
153 - ص 36
154 - ص 47

أن نبلغه. وهـذه الأبحـاث - في حقيقة الأمر – لم تنقح ولم تخضع للتحقيق كما ينبغي".[155]

وهذا اعتراف من الشيخ الوحيد الخراساني بعدم امتلاك الأدلة العلمية الشرعية على وجود الإمام الثاني عشر الغـائب (المهـدي المنتظر) وصـعوبة التعـرف عليه والتأكد من حقيقته وهويتـه. ولو بـذل الشـيخ جـزءا يسـيرا من حياته ونشـاطاته العلمية لدراسة حقيقة دعـوى وجـود ولد للإمـام العسـكري لعـرف أن الأمر من بدايته إلى نهايته ليس سوى فرضية فلسـفية وأسـطورة خيالية لا حقيقة خارجية لها، وأنها لم ترد في القرآن الكريم ولا في السـنة الصـحيحة الثابتة ، ولم يعرفها الشـيعة ولا أهل الـبيت حـتى وفـاة الإمـام العسـكري في منتصف القـرن الثـالث الهجـري. خاصة لو اعتمد الشـيخ الخراسـاني على منـاهج البحث العلمية الأصـولية الـتي يعتمـدها الشـيعة والعلمـاء في الحـوزات الدينية ، وصـدق أقوال الإمام العسكري الظاهرية الـتي كـان ينفي فيها وجـود ولد له في حياته ، ورفض دعاوى الغلاة الباطنية الذين كـانوا ينسـبون إلى أهل البيت ما يحلو لهم من دعاوى منكرة باسم التقية.

ولكن مشكلة الشيخ الوحيد الخراسـاني وأمثاله ، انه خلافا لما يوحي موقعه في الحـوزة، وتدريسه لعلم الأصـول ، ينطـوي على قـدر كبـير من السـذاجة والتقليد الأعمى والاعتمـاد على أقـوال الفلاسفة المنحرفين والمتكلمين والغلاة الذين اختلقـوا أسـطورة وجــود الولد للإمـــام العســـكري، وانه يكوِّن نظرياته في معرفة الإمـــام أو الغلو فيه من خلال الأدعية الموضـــوعة والزيـــارات المختلقة والروايات الضعيفة والحكايات الأسطورية الـتي نسـجها فريق من أصـحاب الإمــام العسـكري بعد وفاته وادعى بعضـهم النيابة الخاصة عن ذلك "الإمام الموهوم".

يقـول الوحيد الخراسـاني:" إن معرفة الـولي الأعظم والسر الأكـبر منوطة بـأن يقحم العلمـاء ، وعنـدما أقـول "العلمـاء" فلا اقصد الطبقة الدنيا منهم ، بل أولئك الـذين قضـوا سـنين متمادية في معالجة القضـايا الفكرية ، أن يقحمـوا مضـمار التعـابير الـتي جـــاءت في الأدعية والزيـــارات وان يوظفـــوا أقصى قـــدراتهم وطاقاتهم العلمية لشرح وتوضيح تلك الكلمات ، وبـالطبع لو كـان ذلك مقترنا بقلب عـامر بـالتقوى فالمـأمول أن تفتح نافـذة على المعرفة".

وأخـيرا يعـترف بـالعجز وانطفـاء سراج العقل في السـعي لمعرفة الإمـام، يقـول:" إن النكتة الأساسـية في معرفته انه من

[155] - ص 38

هـو؟ ومـاذا يكتنف ذاتـه؟ وعنـدما يبلغ البحث هـذا الموضع فـان سرج العقول تخبو وتنطفئ". [156]

ومع ذلك يقـول:" إن الارتبـاط بالله سـبحانه وتعـالى متعـذر ومحال إلا إذا تحقق الارتباط بالإمام ، إذ يجب أن يتحقق الارتباط بــ " من به الوجـود" حـتى يتحقق الارتبـاط بــ" من منه الوجـود" هذه هي حقيقة الأمر".[157]

ولست أدري كيف يؤمن الوحيد الخراساني برب لا يعرفه ولم ير له أثرا في الحيـاة أو الخلـق؟ ولا يمتلك أي دليل شـرعي على وجـوده وولادتـه؟ وكيف يشـرك هـذا "الـرب المجهـول" بخـالق السماوات والأرض ؟

"فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياتـه؟ انه لا يفلح المجرمون، ويعبدون من دون الله مالا يضـرهم ولا ينفعهم ، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون".[158]

"هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيِّن، فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا".[159]

"فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين".[160]

"فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفـونهم قـالوا أين ما كنتم تـدعون من دون الله قـالوا ضـلوا عنا وشـهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين".[161] صدق الله العظيم

وربما كان الشيخ الوحيد الخراساني غافلا عما يخالط عقيدته بالله تعــالى من الشــرك بســبب الغلو في الإمــام المهــدي ، والاعتقــاد بأنه "فاعل ما به الوجــود" أو انه "رب الأرض" أو انه يغيث المضـطرين في أي مكـان..ربما ظنا منه انـه يقـول ذلك لا بالاسـتقلال ولكن باسـتمداد القـوة من الله تعـالى، ولكن كلامه يوحي باختلاط الحق مع الباطل. ولعله إذا التفت الى هذه الأمـور الشـركية المنكـرة المناقضة لعقيـدة التوحيد ، لاسـتغفر الله من كل ذلك ، فهو يعــرف أن الشــرك في النــاس أخفى من دبيب النمــل، و" إن الله لا يغفر أن يشــرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

[156] - ص 62
[157] - ص 62
[158] - يونس 17 - 18
[159] - الكهف 15
[160] - الأنعام 144
[161] - الأعراف 37

يشـاء، ومن يشـرك بالله فقد افـترى إثما عظيمـا".[162] وان "إن الله لا يغفر أن يشـــرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء ومن يشـرك بالله فقد ضل ضـلالا بعيـدا".[163] "وقـال المسـيح يا بـني إسـرائيل اعبـدوا الله ربي وربكم انه من يشـرك بالله فقد حـرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار".[164]

ولذا نطلب من الشيخ أن يبادر الى التوبة الى الله و تصـحيح عقيدته ، وان يراجع خصوصا نظريته حـول "وجـود الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العســكري" ويدرســـها بعمق ويتأكد من الروايـات التاريخية الـتي تتحـدث عن ولادته واختفائه ، وان يبتعد عن الفلاسفة المنحرفين الذين نسجوا نظرية (الفيض) واعتقــدوا بوجــود مســاعدين لله تعــالى في خلق الكــون وإدارته ، الــذين يعبرون عنهم بـ: " ما بهم الوجود". الى جـانب: "ما منه الوجـود" وهو الله عز وجل وتعالى عما يشركون علوا كبيرا.

ونسأل الله أن يهدينا وإيـاه لما فيه الخـير والصـواب ويعرفنا على صراطه المستقيم ودينه الواضح القويم.

14- مع الشيخ علي الكوراني (العـاملي) في محـاولات عديدة للحوار[165]

ما هو دور الإمام؟ قيادة الأمة؟ أم إدارة الكون؟

كان الشيخ علي الكوراني (العاملي) أول شـخص يلـبي نـدائي الأول الــذي وجهته سـنة 1992 لعــدد من المراجع والمفكــرين والمثقفين الشيعة للحوار حول موضوع وجود الإمام الثاني عشر، وذلك في أعقـاب إتمـام مسـودة كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشــيعي من الشــورى الى ولاية الفقيــه) مباشــرة، وقد طلب

[162] - النساء 48
[163] - النساء 116
[164] - المائدة 72
[165] - راجع شبكة العراق الثقافية: http://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=2539&highlight=%C7%E1%DA%C7%E3%E1%ED+%C7%E1%DF%C7%CA%C8+%C7%E1%E3%E5%CF%ED

إرسـال الكتـاب اليه الى قم حيث يقيم، وأرسـلت له نسـخة منه وانتظـرت أن يـرد علي بكلمة فلم يفعـل، حـتى مضت سـنوات ، وطبعت الكتاب، طلب مـني بعض الاخـوة في موقع هجر للحـوار على الإنترنت، ان نبدأ حوارا مفتوحا حول الموضـوع، شـارك فيه العاملي الكوراني، ثم انسحب منه بسـرعة، وقد طبع الحـوار في مجلـدين بعد ذلك عـدة طبعـات، الى ان حلت سـنة 3003 حيث قمت بالتحـدث عن تجربـتي مع الكتـاب والمتحـاورين في قنـاة المستقلة الفضائية، فتدخل الشيخ الكوراني على الهاتف من قم، مما دفع مدير الحوار الى الطلب من الكوراني القدوم الى لنـدن والمشاركة المباشرة في الحوار مع الكـاتب على الهـواء، فوافق وحضر من يـوم غـد، ولكنه طلب أن يبـدأ الحـوار حـول موضـوع الإمامة والنص على الإمـام أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب (عليه السـلام) ثم التـدرج في الحـوار حسب تسلسل محتويـات كتاب تطور الفكر السياسي، الـذي يتضـمن ثلاثة أجـزاء ويقع في 450 صـفحة، فقلت له ان هـذا غـير ممكن لأن مـدة البرنـامج التلفزيـوني محـدودة، وسـاعاته محـدودة، ولكنه أصر على رفض الحوار أو بدئه من موضـوع (وجـود الإمـام الثـاني عشـر) الى أن قـارب البرنـامج على الانتهـاء، فطلبت منه في إحـدى الليـالي أن يأخذ وقــتي كــاملا ويعــرض ما لديه من أدلة وبــراهين ينتظرها الجمهور، وأعده أنني لن أتكلم في تلك الليلة، فرفض ذلك أيضا، ليعود ويطالب في الليلة الأخيرة من الحـوار بمنحه تلك الفرصـة، ولكـني رفضت هـذه المـرة أن أعطيه الـوقت الأخـير كـاملاً لكي يقــول ما يريد دون تعقيب مــني، وعرضت عليه المناصــفة في الوقت، فرفض وانتهى اللقاء دون أن يقدم أي دليل حول ما جـاء لإثباته من قم الى لندن.

وبعد ذلك بشـهور طلب عـدد من الأخـوة في موقع (شـبكة العراق الثقافية) الـذي كنت والشـيخ الكـوراني نتحـاور فيه حـول موضـوع التوحيد والتفـويض، أن يجـري بيننا حـوار حـول (الإمامة ووجـود الإمـام الثـاني عشـر) كتابـةً، فكتبت بتـاريخ 16/6/2003 قائلا:

لا حاجة لمواصلة الحوارات الطائفية العقيمة

هل التراث الطائفي ضرورة حضارية يجب ان نستوعبه بدقة وقوة ثم نورثه الى أجيالنا القادمة؟

أم انه عبأ ثقيل وكابوس مزعج يجب ان نتخلص منه في أقرب فرصة؟

لم أكن لأسأل نفسي هذا السؤال قبل أربعين عاما عندما نشأت في بيئة إسلامية شيعية متدينة وترعرعت في حوزة علمية ناشطة ومتوثبة للدفاع عن الإسلام و التشيع في مواجهة التيارات الإلحادية و القومية و الليبرالية و الديموقراطية والوطنية ، و البناء على أنقاضها حكومة إسلامية شيعية تحت قيادة الفقهاء المراجع. ولكن تجربة الدولة الإسلامية في إيران ، التي امتزجت بكثير من الديكتاتورية دفعتني لمراجعة الفكر السياسي الذي نشأت عليه و دعوت اليه ، فوجدت انه يقوم على كثير من الأساطير و الخرافات و الفرضيات الوهمية. وأقف اليوم على أعتاب مرحلة جديدة من عملية بناء الدولة و المجتمع في العراق ، وأنا اعرف ان كثيرا من الاطروحات و البرامج التي يحملها البعض تنطوي على بذور التخلف و الديكتاتورية و التناحر و التمزق ، التي تعيق عملية البناء و التوحيد و التجديد والنهوض. واعتقد ان الخلاف الطائفي أحد عوامل التخلف والتمزق والانحطاط ، وذلك لأنه خلاف عقيم و يدور حول أحداث تاريخية لا يمكن إعادتها الى الحياة اليوم ، و حول أشخاص لا يمكن إعادتهم الى الحياة اليوم. إذ ينشط المتحاورون الطائفيون الذين يتصارعون بعصبية ظاهرة و محتدمة حول من كان (لاحظوا: كان) أحق بالخلافة قبل أربعة عشر قرنا. وسواء قلنا بأن فلانا أحق بالخلافة وانه كان معصوما و منصوصا عليه من الله ، أو لم نقل ذلك بل قلنا ان الرسول الأعظم ترك الأمر شورى ، فاننا لن نستطيع ان نعيد عقارب الساعة الى الوراء ، و لن نستفيد من هذا الخلاف أي شيء ، إلا التناحر في ما بيننا اليوم وزرع العداوة و البغضاء في نفوس بعضنا البعض، وصولا الى التكتل الطائفي شيعة و سنة حول قضية بائدة ومنقرضة وأشخاص لا وجود لهم اليوم. وحتى لو قلنا بوجود الإمام الثاني عشر و غيبته ، فانه بحكم المعدوم إذ لا ظهور له و لا يمكن إقامة نظام سياسي معاصر يتبع قيادته ويخضع له ويستلم إرشاداته و توجيهاته وتعليماته.

وأرى ان السنة و الشيعة اليوم، يبحثون معا شكل النظام السياسي الذي يريدون إقامته في المستقبل، هل يكون جمهوريا أم ملكيا؟ وهل يكون رئاسيا؟ أم برلمانيا؟ وما هي صفات الرئيس؟ هل هي الوطنية و النزاهة؟ أم العلم و العدالة؟ وما هي علاقة النظام السياسي و الهيئة التشريعية فيه بفقهاء الدين من السنة و الشيعة؟ وهل يكون أساسا نظاما إسلاميا؟ أم علمانيا؟

أم بين بين؟ وما الى ذلك من الأمور المشـتركة الـتي تهم الجميع بلا فرق بين سنة أو شيعة.

إذن فلماذا يجب علي ان أعـود الى الماضي السـحيق لأبحث من كان أحق بالخلافة يومئذ؟ وأغفل عمن يحق له و يجـوز له ان يتولى السلطة اليـوم في العـراق وكيف يمارسـها بعدالـة؟ وكيف يحافظ على الحريات العامة و يلتزم بالقانون؟

ان نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت سالبة بانتفاء الموضوع ، على فرض صـحتها ، و مهما جئنا عليها بأدلة ، وبنـاء على ذلك أعتقد ان من الابتعــاد عن العقل التحمس المبــالغ فيه في بحث موضــوع الإمامة ، إلا بقــدر ما يبحث الإنســان قضــية تاريخيــــة. وان من الخطأ تحويلها الى قضـــــية دينية أو مركزية والتطــرف في طرحها كأنها صــلب المــذهب الشــيعي ، وان أية مناقشة لها هي محاولة لضـــرب المـــذهب الشـــيعي ، وذلك لأن نظرية الإمامة لم تكن شـــائعة عند عامة الشـــيعة في القـــرون الهجرية الأولى و انما كانت نظرية سرية يهمس بها بعض الغلاة و المتطــرفين بعيــدا عن أئمة أهل الــبيت الــذين كــانوا يصــرحون بــأقوال مخالفة لها و يمارســـون سياسة بعيــدة عنها و يتخـــذون مواقف متناقضة معها ، و لــذلك كــان الامــاميون ينســبون نظرية الإمامة سرا لأهل البيت و يدعون ان هؤلاء يمارسون التقية.

هذا أولاً ، و ثانياً: **ان هذا البحث أو الحوار عقيم** ولا ينتج أية نتيجة ، إذ لا يمكن ان نـــذهب اليـــوم الى إمـــام من أئمة أهل الــبيت و نبايعه بالخلافة أو نأخذ منه العلم الإلهي أو حـتى تفسـير القــــــــــــــــــــــــــــرآن و تأويله.

نعم يوجد تراث لأهل البيت و علوم واجتهادات وسـيرة ونمـاذج خلقية رائعة وقدوات حية في الشهادة و الكـرم و الزهد و الــورع والتواضع ، و هذه أمور نابعة من صميم الإسـلام ولا نقـاش حولها ويعـترف بها كل المســلمين . ويمكن ان تفيـدنا في عملية البنــاء الحضاري.

ان المسلمين عامة يوالون أهل البيت و يأخذون من علومهم وأخلاقهم و سيرتهم الفاضلة ، ويشـهدون انهم أوليـاء الله ، ولكن هذا شــيء، والخلاف حـول إمـامتهم من الله وانهم معصـومون أو منصــوص عليهم من الله ، شـــيء آخر ، و هو غــير مفيد ولا منتج لأي شيء.

هذا إذا لم نتحـدث عن الغلاة و المفوضة (لعنهم الله) الـذين يــدعون الى القــول بمشــاركة الأئمة لله تعــالى في إدارة الكــون وفي الرزق و الحياة و الموت وما الى ذلك ، فـان الحـديث عندئذ يخرج من دائـرة الإمامة لكي يـدخل في دائـرة التوحيد ، ويتطـور

من حـــوار طـــائفي ســـني شـــيعي ، الى حـــوار بين الإســـلام و المسلمين و الغلاة و المفوضة.ولا اعتقد ان أحـدا من المسـلمين الـواعين العـارفين لما يقولـون ، مسـتعد للحـديث عن دور الأئمة في مساعدة الله ومشاركته عز وجل.

إذن فلنطو صـفحة التـاريخ السـحيق و الخلافـات الطائفية العقيمة ، و لنفتح صـفحة الحـوار حـول الفكر السياسي المعاصر وشكل النظام الجديد الذي نريد.

وكتبت أيضا قائلا:

"قبل الحوار مع **العاملي** في موضوع الإمامة ، لا بد ان يكمل الحوار حول موضـوع التوحيد ، ومشـاركة الأئمة في إدارة الكـون مع الله ، و الذي يعتـبر موضـوعا أساسـيا لكل مسـلم ، حـتى يتم وضع حد بين الإســـلام و المســـلمين و بين المشـــركين و الغلاة والمفوضة.

ثم عليه ثانيا ان يعلن تمسكه بالقرآن الكريم مصدرا أساسيا لأية عقيـدة إسـلامية ، و يعلن تمسـكه بصـحة القـرآن الكـريم و سلامته عن التحريف.

وعليه ثالثـا: ان يلـتزم بمبـدأ الاجتهـاد ، و النظر في سـند الأحـــاديث الـــتي ينقلها ، وكـــذلك يعلن اســـتعداده لبحث رجـــال الروايـــات الـــتي يعتمد عليها، ولا يكتفي بالاعتمـــاد على النقل و التقليد للسابقين.

وعليه رابعا: ان يعلن موقفه من العقل ، هل هو حجة دائمـا؟ أم في بعض الأوقات وحسب الحاجة؟ و ليس بحجة عنـدما يغلب عليه النقل الضعيف و أخبار الآحاد.

وعليه خامسـا: ان يعلن موقفه من المنهج البـاطني؟ وهل يشـكل الظـاهر حجة لديه دائما ؟ أم في بعض الأحيـان وحسب الحاجة ، ليعود الى المنهج الباطني عندما يحتـاج لإثبـات ما يشـاء من أمور؟

وعليه سادسا: أن يعرِّف "التـواتر" ، ويمـيز بينه و بين أخبـار الآحاد ؟ و يعلن موقفه منها خاصة في أمور العقيدة.

وعليه سـابعا: أن يعلن تمسـكه بـأخلاق القـرآن الكـريم في الحـوار (وإنا أو إيـاكم لعلى هـدى أو في ضـلال مـبين) ويعلن إمكانية خطأ تصـوراته عن مـذهب أهل الـبيت ، و اسـتعداده لتغييرها و إصلاحها و العودة الى مـذهب أهل الـبيت ، ان تـبين له غير ما يعتقد بعد الحوار ، دون تعصب أو حمية.

وعليه ثامنا: ان يلتزم بالإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليه ، و لا يكتفي بطرح الأسئلة ، ورفض الإجابة عن أسئلة الطرف الآخر.
وعليه تاسعا: ان يتجنب الأمور الشخصية و التنابز بالألقاب وإطلاق التهم والافتراءات و البهتان، ونبذ السياسة الغوغائية اعتمادا على بعض الأحاديث الموضوعة ، ويعلن تمسكه بالحوار الموضوعي.
وعليه عاشراً: أن يبحث الأمور حسب الاتفاق نقطة نقطة ، ولا يمزج بين عدد من الأمور جملة واحدة ، أو يقفز من موضوع الى آخر قبل إكمال بحث الموضوع السابق أو تلقي الرد و الإجابة عليه من الطرف الآخر.
هذه نقاط مبدئية في الحوار ، أعلن تمسكي بها ، و اطلب من **العاملي** الالتزام بها في مقدمة الحوار حتى لا يصبح حوار طرشان أو بحثا عقيما مملاً، واطلب من الله العون و الهداية و الرشاد.

واستجاب الشيخ علي الكوراني للحوار، ولكنه رفض الالتزام بمبادئ الحوار الأصولية التي قدمتها، فوجهت كلمة أخرى للمتحاورين في شبكة العراق الثقافية:

الاخوة الأعزاء

هذه ليست المرة الأولى التي يستعرض فيها الكوراني عضلاته للحوار ، ولم ادعه أنا اليه لأني اعرفه جيدا من خلال تجاربي السابقة معه ، ومن أراد ان يطلع على حواراتنا السابقة فليراجعها في شبكة هجر أو في موقعي أو في المواقع الأخرى ، ولا أظنه سوف يضيف جديدا ، و ليست لديه بضاعة سوى الاستهزاء و الكذب و البهتان و الافتراء كاستراتيجية إعلامية ثابتة ، ومع أني لم اقترح الحوار وانما استجبت له تلبية لطلب الأخوة الكرام ، فقد وضعت مبادئ أولية للحوار كقاعدة أو مرجعية للحوار وهي: أولا: القرآن الكريم ، إذ لا يجوز ان نختلق أفكارا و عقائد لم يتحدث عنها القرآن الكريم ، و لا يجوز ان نقبل بأية فكرة أو عقيدة يناقضها القرآن ، والمشكلة ان الكوراني يبني كثيرا من عقائده المنحرفة المغالية بعيدا عن القرآن الكريم ، ويستمدها من الأحاديث الضعيفة أو المختلقة. وحتى عندما نأتي الى الأحاديث ونحاول الاستعانة بها لتكوين أية فكرة أو عقيدة ، لا يجوز ان نغرف من الكتب غرفا من دون تحقيق أو تدقيق وانما

يجب علينا ان نجتهد فيها كما يفعل العلماء في مواضـيع الطهـارة و النجاسة و الصـــلاة و الصـــوم وما الى ذلك ، و لكن الشـــيخ الكــوراني يــرفض المنهج الأصــولي الاجتهــادي ويــروج للمنهج الأخباري الذي يعتبر كل الروايـات صـحيحة وانها صـادرة عن أهل البيت، بل ربما يتمسك ببعض الروايات المزورة اكثر مما يتمسك بالقرآن الكريم. فهل يمكن ان نتحاور مع شـخص لا يحـدد موقفه مســبقا من القــرآن الكــريم كمصــدر أساسي ووحيد للعقيــدة الإسـلامية؟ وهل يمكن ان نتحـاور مع شـخص لا يـؤمن بضـرورة الاجتهاد و التحقيق في الروايات والتميـيز بينهـا؟ وكيف نصل الى نتيجة؟

ثم أيضا هناك المنهج الظاهري والمنهج البـاطني ، حيث كـان الغلاة و المنحرفـون وأعـداء أهل الـبيت وأعـداء الإسـلام يضـلون السـذج و البسـطاء والجهلة و العـوام بأفكـار و نظريـات مغالية ومتناقضة مع القرآن وينسبونها زورا وكـذبا لأهل الـبيت وهم منها براء ، وعنـدما كـان أهل الـبيت يلعنـون أولئك الغلاة والمنحـرفين الذي يرتزقـون باسـمهم ، ويتـبرءون من أفكـارهم الضـالة ، كـان أولئك الغلاة يدعون خلاف الظاهر و يتمسـكون بـالمنهج البـاطني باسم التقية ، فيقلبـون أقـوال الأئمة الظـاهرة رأسا على عقب ، ويفسرون أفعالهم بصورة معكوسة ، بل كانوا ينفـون وفـاة بعض الأئمة ويدعون غيبتهم ، ويختلقـون لبعضـهم أولاداً لم يولـدوا ولم يوجدوا ، كذبا وزورا.

وبما ان الكوراني يدعي انه يتبع أهل البيت ، فنقول له قبل أي حوار ، هل تصدق بأقوالهم الظاهرة؟ أم تفسـرها تفسـيرا مقلوبا ومعكوسا؟ وهل تؤمن بوفاتهم بصـورة طبيعية أم تـؤمن بغيبتهم؟ وهل توافق بعض الفـرق الشـيعية الـتي قـالت بـالمنهج البـاطني ونفت وفاة بعض الأئمة أو نسبت أولادا لبعضـهم؟ ولمـاذا تـرفض هنا و تقبل هناك؟ وعلى أي أساس؟

نسأله أيضا: هل تقبل بالاحتكام الى العقل دائما أو في بعض الأحيان؟

وذلك لأن الشـيخ الكـوراني، ومن يفكر مثل تفكـيره ، يبـني نظرياته أحيانا على مقدمات عقلية ، ثم ينقضها ويرفض الاحتكـام الى العقل عندما يقع في أزمة أو طريق مسدود. مثلا: انه يقـول: ان الإمامة واجبة على الله ولا يجــــــوز ان تخلو الأرض يوما من إمـام معصـوم ، بحكم العقل. ولكنا عنـدما نسـأله :ولمـاذا غـاب

الإمام المعين من قبل الله على زعمك؟ ولماذا لا يظهـر؟ وما هو حكمنا اليوم في ظل غيبته؟ هل نجلس مكتوفي الأيدي بلا عمل؟ أو نبـادر الى تشـكيل الحكومة الإسـلامية عـبر الشـورى أو عـبر انتخـاب فقيه عـادل؟ وهل يجـوز ان نعطل إقامة الدولة وأحكـام الشـريعة انتظـارا للإمـام المعصـوم؟ يسـكت ولا يجيب ويقـول لا تســتخدموا عقــولكم ، ان عقل الإنســان قاصر ولا يســتطيع ان يعرف الغيب .

ونقول له: نحن نؤمن بالغيب الذي يتحدث عنه القرآن الكريم و الأحــاديث الصــحيحة الثابتة ، ولكن ليس بلا دليل ، فيحيلنا الى روايات ضعيفة ويمنعنا من الاجتهاد و التفكير فيه.

انه يحاول ان يؤلف نظرية سياسية ممتدة من زمـان رسـول الله صـلى الله عليه و آله الى يـوم القيامة ، وذلك اعتمـادا على بعض الأحـاديث و الروايـات الـتي توجد فيها نقاشـات كثـيرة في المتن والسند، وتدور حول النص على الإمام علي بن أبي طــالب وحقه بالخلافة. ونقول له: طيب عـال إذا كـانت نظريتك صـحيحة وان الله يجب ان يعين الأئمة من قبله الى يـوم القيامة ولا يجـوز ان ينتخب المسلمون أئمتهم بالشورى وحسب مواصفات العلم و العدالة ، فــأين إذن هــؤلاء الأئمة الــذين عينهم الله منذ أواسط القــرن الثـالث الهجـري؟ وما هو حكم النـاس في هـذه المـدة الطويلة الـتي يمكن ان تمتد الى آلاف السـنين؟ وأين هو الإمـام اليوم؟ فيقول انه غـائب؟ ونقـول لـه: وما هو موقفنا العملي؟ ما هو حكمنا الشرعي؟ هل ننتظره وننتظره وننتظره ؟ والى مـتى؟ ولماذا هو غائب؟ هل يخاف من النـاس ومن الحكومة العباسـية؟ وقد ذهبت منذ مئات السنين ، وقامت دول وانهارت دول أخـرى؟ ولماذا يخاف الإمام؟ ولماذا لا ينصره الله بصورة غيبية أو يســتعد للشهادة و الموت في سبيل الله؟

إنه لا يفكر ويريد منا ان نجمد عقولنا معه ولا نفكر في أي موضوع!

ويقــول أيضا: لا.. ليست مهمة الإمـام إقامة الدولة وانما هو يعمل سكرتيرا عند الله أو مساعدا له في إدارة الكون.

ونقول له : نستغفر الله على ما تقول ، ان هـذا شـرك وغلو وتفـويض مرفـوض في الإسـلام وفي مـذهب أهل الـبيت ، ما هو

دليلك عليه من القرآن الكريم؟ ومن الأحاديث الصحيحة؟ ولمــاذا لا تجتهد في الروايات؟ أو تخلط بينها بهذه الصورة؟

ولا يملك في الإجابة على هذه الأسئلة غير إطلاق الإشاعات و الأكاذيب و التهم و الافـتراءات والسـخرية و الاسـتهزاء و الهمز و اللمز.

وأخيرا .. نقول له: طيب، لا نريد ان نحاورك ، و إذا كنت تبني نظريتك في التفويض والولاية التكوينية على وجود الإمــام الثــاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) فتفضل واعرض ما لديك من أدلة تاريخية محققة للنــاس ، ولا تكتفِ بتقــديم الأدلة الفلســفية الــتي تقــوم على ضــرورة افــتراض ذلك الولد الموهــوم ، خلافا للظاهر من حياة الإمام العسكري وخلافا لأهل بيته الــذين أنكــروا وجوده.

فهل يفعل؟ طبعا.. لا، إذ أنه لا يريد الحوار، ولا يمتلك أي دليل ، و انما يريد استعراض العضلات وإضاعة الــوقت و التهــريج ليس إلا.

ولم يكن قصدي من طرح موضوع التوحيد والولاية التكوينية ، فتح موضوع جديد وبعيد عن موضوع الإمامة ، وانما بحث موضوع الإمامة من الزاوية التي يطرحها **العاملي** ، فهو يطــرح موضــوع مهمة الأئمة في إدارة الكون ومشاركة الله تعالى في ملكه ، ردا على سؤال: من هم الأئمة وما هو دورهم في الحيــاة؟ خاصة بعد غيبة (الإمام الثاني عشــر) المفترضة الطويلة ، والمناقضة لعملية نصبهم لإدارة المجتمع الإسلامي وتطبيق الشــريعة الإســلامية في الحياة.

ان الغيبة المفترضة تتناقض مع فلسفة الإمامة التي تقول بأن من الــواجب على الله تعــالى ان ينصب لعبــاده أئمة معصــومين ، وهو ما كان يقول به فلاسفة الامامية السابقون ، ويمكن مراجعة أي كتاب في الإمامة للشيخ المفيد أو الســيد المرتضى أو الشــيخ الطوسي أو العلامة الحلي ، وخاصة كتـــــــاب الألفين، للتأكد من فلســفة الإمامة ومعــنى الإمــام ودوره في الحيــاة في مفهــوم الاماميـــــة. حيث يقـــول الاماميـــة: انه لا يعقل ان يـــترك الله المســلمين بلا والٍ أو إمــام بعد الرســول، أو ان يــتركهم لكي ينتخبوا الإمام عبر الشورى . ولم يكن حديث الامامية عن الإمامة يدور حول إدارة الكون.

وطبقا لهذا المفهوم فان الغيبة تشكل تناقضا صارخا مع نظرية الإمامة ووجوب تعيين الله للإمام في كل زمان ، فقد مضى اكثر من ألف و مائة عام والمسلمون و الشيعة بالخصوص ليس لهم إمام من الله ، ولذلك ذهبوا يبحثون عن إمام فقيه عادل ويكتفون به لإقامة دولتهم ، بعد ان اضطرتهم النظرية الامامية السابقة الى الاعتزال السياسي والانتظار الطويل.

ومن هنا اعتقد ان الشيعة اليوم هم جعفرية فقط وقد تخلوا عن نظرية الإمامة وشروطها المثالية التعجيزية في العصمة و النص ، والاثني عشرية والتمسك بانتظار الإمام الغائب ، وذلك على المستوى العملي ، و ان كان البعض يحمل في مخيلته بعض آثار الفكر الإمامي البائد.

وقد عاد الشيعة بذلك الى فكر أهل البيت الأصيل القائم على الشورى وحق الأمة في الانتخاب ، وخرجوا من الفكر الدخيل الأسطوري الذي بثه الغلاة في تراثهم.

لقد كانت مهمة الأئمة في الفكر الإمامي تنقسم الى أمرين هما التشريع في الحوادث الواقعة وتحصيل العلم بها من الله ، والتنفيذ . وقد تخلى الشيعة عن الركن الأول من نظرية الإمامة بفتح باب الاجتهاد في القرن الخامس الهجري على يدي الشيخ المفيد والطوسي و المرتضى ، بعد كفاح طويل مع الامامية الذين كانوا يعتبرون "الاجتهاد" متناقضا مع الإمامة ، ثم تخلى الشيعة عن الركن الثاني من نظرية الإمامة بقولهم بولاية الفقيه أو الشورى ، حيث أجازوا إقامة الدولة الإسلامية بدون إمام معصوم معين من الله. وأذكركم مرة ثانية بقراءة كتاب الألفين للعلامة الحلي لكي تتأكدوا بأنفسكم لماذا كان الامامية يعارضون نظرية ولاية الفقيه ويعتبرونها نظرية سنية زيدية متناقضة تماما مع نظرية الإمامة .

أيها الاخوة الأعزاء

نحن نعيش اليوم في القرن الخامس عشر الهجري ، وقد ورثنا عن آبائنا و أجدادنا فكرا معينا ، ودرسنا الإسلام وآمنا بالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، الذي ترك لنا القرآن الكريم ، وكماً هائلا من الروايات و الأحاديث المنسوبة اليه و الى أهل بيته ، وكان يوجد منها في القرن الثالث الهجري حوالي نصف مليون رواية ، فقام علماء الحديث عند أهل السنة كالبخاري و مسلم بتصفية تلك الأحاديث الى بضعة آلاف ، وقام علماء الشيعة بتصفية الأحاديث الواردة في الكافي وغيره

وضــعفوا معظمها ، و لا تــزال توجد في كتب الســنة والشــيعة أحاديث ضعيفة غير منقحة، وينفرد الشيعة الامامية بذكر أحـاديث وقصص عن ولادة شـخص يقولـون انه الإمـام الثـاني عشر و انه غاب منذ حين ولادته وسوف يظهر في المستقبل ، ونحن لم نكن موجودين حين ولادته ولم نشهد قصته ، وانما وصلتنا كتب تتحدث عن ذلك ، و لكن لا يوجد له ذكر في القــرآن الكــريم ، ونريد ان نتحقق من صحة تلك الروايات التي شــكلت نظرية معينة يعتبرها البعض عقيـدة ثابتة وضـرورية من ضـروريات الإسـلام وأصلا من أصول التشيع ، فأعدنا قراءة القـرآن ولم نجد فيه شـيئا من ذلك واعدنا من قراءة الروايـات فوجـدنا ها ضـعيفة ومكذوبة ومـزورة ومختلقة بعد عشرات السنين من تلك الحادة المفترضة.

قلنا ان من حقنا بل من واجبنا الاجتهـاد في تلك الروايـات و القصص التاريخية ، ولكن البعض يمتعض ويرفض ممارسـتنا لهـذا الحق ويطالبنا بالتقليد الأعمى لكل ما ورثنا عن آبائنا و أجــــدادنا. قلنا لهــؤلاء: طيب، هل لــديكم دليل علمي تــاريخي قــاطع على ولادة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العســكري) ؟ قـالوا: لا، ليس لـدينا دليل تـاريخي قـاطع، وليس من حقكم ان تطـالبوا بالـدليل التـاريخي انما يجب عليكم ان تقبلـوا بالـدليل الفلسـفي الافتراضي؟

قلنا لهم: إننا نقبل الأدلة الفلســفية حــول القضــايا الكلية الفلسفية ، و لكنا نطالب بالأدلة التاريخية حول القضـايا التاريخية ، كما نطـــالب بالأدلة العلمية المادية حـــول القضــــايا العلمية الفيزيائية و الكيماوية المادية ، الــــتي لا يجــــوز ان نــــؤمن بها بالفلسفة كما كان يفعل فلاسفة الإغريق الذين كانوا يعتقدون ان العــالم كالبصل طبقــات بعضــها فــوق بعض و الأرض في مركز البصل.

ويقولون: بصراحة إذا لم نؤمن بهذه الفرضية (فرضية وجـود الولد للإمام العسكري) فان نظرية الإمامة الإلهية سـتنهار وتنتهي ، ونقول لهم: ومن قال لكم ان نظرية الإمامة هي من أهل البيت ؟ ولمـاذا لا تكـون نظرية وهمية مختلقة لا علاقة لها بأهل الـبيت وهي كذلك؟

الخلاصة انهم في أزمة وفي ورطة ، بعد أن وقعـوا في أسر نظريـات وفرضـيات وهمية أسـطورية لا علاقة لها بالإسـلام ولا بالتشيع ، ويحاولون فرضـها علينا و على العـالم الإسـلامي ، وهي نظريـات و فرضـيات أضـرت بالشـيعة قبل غـيرهم وعـزلتهم عن مسـرح الحيـاة قرونا من الـزمن ، ويحـاولون اليـوم الارتـداد عما حصل من تطور سياسي فكري عند الشيعة باتهام العلمـاء الـذين

يقولـــون بنظرية الشـــورى أو ولاية الفقيه بـــأنهم التقـــاطيون ومتأثرون بالسنة و الغرب.

وإذا كان بعضهم يجرؤ على توجيه نقدهم بصراحة الى السيد محمد بـاقر الصـدر ، فانه في الحقيقة يحمل نفس الملاحظـات و الانتقادات ضد رموز النهضة الشيعية الحديثة وعلى رأسهم الإمام الخميـــني ، ولكنه لا يجرؤ على توجيه أصــابع الاتهــام بالالتقاطية اليه.

أيها الاخوة الأعزاء محبي أهل البيت عليه السلام
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

لا أريد ان اجعل من هذه الفرصة مناسـبة لتبـادل السـباب و الشــتائم مع من لا يلــتزم بشــرف الحــوار، ومع انه يكــذب علنا ويراوغ جهارا ، و لكنه يلقي باتهاماته يمينا و شمالا ويتهم الآخرين بما ينطــوي عليه من صــفات قبيحة. دعونــاه الى بحث موضــوع التوحيد ، وقلنا له انه يشرك بالله بنظريات استقاها من المفوضة الغلاة الملعونين على لســان أهل الـبيت عليهم السـلام ، وقلنا له من أين تأخذ عقيدتك؟ من القرآن الكريم الذي يقـول (ان الله لا يغفر ان يشـرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشـاء ، ومن يشـرك بالله فقد افترى إثما عظيما) 48 النسـاء ؟، أم تأخـذها من الغلاة والمنحـــرفين و المدسوســـين في مـــذهب أهل الـــبيت ، و من الروايـــات الضـــعيفة و الموضـــوعة و المختلقـــة؟ ودعونـــاه الى التحقيق في تلك الروايات والعودة الى القرآن الكريم ، فرفض.

قلنا له: انك تبـني عقيـدتك على مجموعة روايـات موضـوعة ومؤولة ومجموعة خرافـات و أسـاطير وفرضـيات وهمية ، ولا بد ان تـدرس وتجتهد ، فـرفض ، و أصر على طـرح موضـوع الإمامة وموضـــوع النص على الإمــام علي عليه السـلام ، قلنا له حسـناً، ولكن بشرط ان تبحث موضوع ولادة الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) فرفض.

وإنني متأكد انه لم يدرس نظرية الإمامة بدقة وبصورة شاملة وبجميع فقراتها ، وانما يتشبث ببعض الروايات فقط ، فهو لا يريد ان يبحث موضوع النص على كل إمام ، وهو غير موجــود إطلاقا ، وهو لا يريد ان يبحث موضوع الوصـية بالإمامة على كل إمـام ، و هي غـــير موجـــودة أيضا ، ولا يريد ان يبحث موضـــوع علم الأئمة، وكيفية انتقـــــــال الإمامة من واحد الى آخر ، خاصة و ان بعض الأئمة كـانوا أطفـالا صـغارا عند وفـاة آبـائهم ، وقبل ان يتعلمـوا

منهم ، وهو لا يريد ان يبحث موضـوع البـداء الـذي ينسف نظرية النص نسـفا ، و لا يريد ان يبحث موضـوع التقية الـتي تتهم الأئمة بالازدواجية في حياتهم و أقوالهم بين الظاهر و الباطن.

وإذا سلمنا له بكل ما يقول ، فانه مع ذلك لا يستطيع ان يثبت وجود وولادة (الإمام الثـاني عشـر) المفـترض ، و ذلك لأن كثـيرا من الامامية الذين كانوا يؤمنون بإمامة الإمـام الحسن العسـكري لم يسـتطيعوا ان يتأكـدوا من ولادة ولد له ، فكيف يـأتي هو بعد اكـثر من ألف عـام ليـؤمن بـه؟ إلا عن طريق الـوهم و الخيـال والافتراض التعسفي المنـاقض للأدلة الشـرعي. وليست له ولمن قـال بضـرورة افـتراض وجـود الولد في السر ، من حجة سـوى شعار (لا تكـون الإمامة في أخـوين بعد الحسن والحسـين) وهـذا شـعار باطل ما انـزل الله به من سـلطان ، و لم يكن كثـير من الشـيعة الامامية الأولين والأفاضل كعلمـاء بـني فضـال والشـيعة الفطحية يؤمنون به ، لأنهم يقولون بجواز الانتقال الى الأخ إذا لم يكن للإمام السابق ولد ، كما انتقل الشيعة بعد قولهم بإمامة عبد الله الأفطح بعد الإمام الصادق ثم انتقلـوا الى إمامة أخيه موسى بن جعفر ، بعد وفاته دون عقب. أما الـذين أصـروا على التمسك بذلك الشعار الباطل ، فاضطروا الى اخـتراع ولد موهـوم للإمـام عبد الله الأفطح ، و قالوا ان اسمه محمد وانه المهـدي المنتظر ، وقد شطوا بذلك شططا كبيرا. وهكذا فعل الاثنا عشـريون الـذين قلدوا ذلك الجناح من الفطحية الـذين اخـترعوا لإمـامهم السـابق ولدا في السر عن طريق الخيال والافتراض والوهم و الأساطير ، وقالوا بضرورة وجود ولد للإمام العسكري ، من دون الحاجة الى تقـديم الـدليل ، وانما اعتمـادا على شـعار (لا تكـون الإمامة في أخـوين بعد الحسن و الحسـين). ولم يسـألوا أنفسـهم: ولمـاذا لا تكون؟ هل هنـاك آية أو حـديث يمنع من إمامة الأخـوين؟ هـذا إذا كـان الله تعـالى قد نص على الإمامة؟

وإذا كـان **العـاملي** يصر على افـتراض وجـود الولد للإمـام العسـكري ، فنحن نسـأله: لمـاذا لا يـؤمن بالإمـام (محمد بن عبد الله الأفطح ، حفيد الإمام الصادق)؟ ولماذا يتهم من يقول به بأنه باطني يخالف الظاهر من حيـاة الإمـام عبد الله الأفطح الـذي لم يشر الى وجوده ولم يعترف به؟ ولماذا يكـون ظاهريا هنا وباطنيا هناك؟ وما هو الفرق بينه و بين ذلك الفريق من الفطحية؟

ان مشكلة **العاملي** انه لا يقرأ التاريخ الشيعي ليعرف وجود فرق امامية عديدة ، و ان القول بالنص على الإمام علي لا يـؤدي ولم يـؤد بالضـرورة الى القـول بفرضـية وجـود الولد للإمـام العسكري ، وان هـذا القـول مبـني على خيطٍ واهٍ أوهن من خيط

العنكبـوت؟ فأية عقيـدة هـذه تقـوم على خيـوط واهنة و لا تعتمد على آية من القــرآن الكــريم أو حــديث متــواتر أو قصة تاريخية ثابتة؟

ان كنت لا تـدري فتلك مصـيبة ، و ان كنت تـدري فالمصـيبة اعظم.

وربما كان **العاملي** يعرف ولكن تأخذه العزة بالإثم...

وفي مداخلة لاحقة للعاملي ، لخصها المشرف المنهال ، اقترح ان نبدأ الحوار من موضوع الإمامة، و اقترحت ان نبحث موضــوع وجود الإمام الثاني عشر مباشر. ثم عـاد الأخ المنهـال جـزاه الله لاقـتراح بحث موضــوع التوحيد ثم النبـوة ثم الإمامة ثم موضــوع الإمام الثـاني عشر ، ويبـدو ان **العاملي** وجد في هـذا الاقـتراح خشــبة الخلاص للتهــرب من الموضـــوع الأساسي ليغــوص في مواضيع بعيدة وطويلة حتى يمل الأخوة القـراء وينتهي الحـوار أو لا ينتهي ، و لكن من دون بحث الموضـــــــــــــوع الأساسي. ولكي اخفف عنه المؤونة ، أقول :

ســأعود الى الــوراء خمسة عشر عاما ، حينما عــدت من السودان ومعي بعض الاخوة السودانيين المتشيعين ليدرسـوا في حــوزة القــائم في طهــران. وأنا الآن أؤمن بالأئمة الاثــني عشر وبنظرية الإمامة التي كتبت عنها ودعـوت اليها من قبل. فلا حاجة اليك لكي تتعب نفسك بإثبات موضوع الإمامة أو النصـوص حـول الإمام علي. طيب؟

ولكني اقرأ الآن كتابا للشيخ الطوسي اسمه (الغيبة) يستعرض فيه النظريــات المهدوية الشــيعية الســابقة الــتي تبلغ حــوالي عشرين نظرية ويفندها واحدة تلو الأخرى ، ينتقد المنهج البـاطني ، ويضــعف الأحــاديث الــتي يســتند اليها الواقفية والناوســيية و الكيسانية و غيرهم ، ويحـاول إثبـات وجـود الإمـام الثـاني عشر ، وأقرأ في كتابه: ان الشـيعة الامامية شـكوا في الخلف واختلفـوا وتفرقوا ، ولكن بعضهم جاء بأدلة وقصص عن رؤية الإمـام الثاني عشر في حيـــــــاة أبيه وبعد وفاته ، ولكنه ينقل تلك القصص و الروايـات عن أشـخاص ضـعفاء و مشـهورين بـالغلو والاختلاق و الكذب ، إلا انه يتدارك ليقول بأن الدليل الاعتباري هو أهم الأدلة. واقــرأ أيضا للشــيخ المفيد و الســيد المرتضى والشـيخ الصـدوق والنعماني ، وغيرهم من علماء الاثني عشرية ، لأجدهم يصـرحون بعدم وجود أدلة تاريخية قوية تثبت وجود الولد للإمام العسكري ، وانهم يســتدلون على ذلك بالأدلة الفلســفية الاعتبارية الظنية ،

فأشك في أقوالهم وأنكر ان يتم إثبـات وجـود إنسـان عن طريق الافـتراض و الظن والفلسـفة ، وأطـالب أسـاتذتي بتقـديم الأدلة العلمية الشـــرعية القاطعة حـــتى تســـتمر نظرية الإمامة في الوقوف ، و إلا فسوف تنهـار في نفسي كما انهـارت لـدى معظم الشيعة الامامية بعد وفاة الإمـام العسـكري. فهل لـديك من دليل على وجـود ذلك الولـد؟ وهل أنت مسـتعد لبحث الموضـوع بدقة رواية رواية وقصة قصة و كتابا كتابـــــا؟ ودليلا دليلا؟ وهل تقبل الاجتهاد في الموضوع ؟ أم لا؟ أم تطالبنا بالتقليد الأعمى؟

أرجوك يا عاملي لا تضيع اهتمـام النـاس والاخـوة المثقفين ، فان ذلك لن ينفعك وسـوف يثـير في قلـوبهم الشك اكـثر فـأكثر، وإذا كان صحيحا ما قلت سـابقا من انك أحضـرت الأدلة التاريخية لتعرضها في المستقلة ، فتفضل و اعرضها هنا ، و الـوقت أمامك متسع جدا فلماذا لا تفعل؟ وإذا كنت مصرا على بحث أمور أخرى ، فليكن بعد طرح ما لديك من أدلة تاريخية علمية شرعية قاطعة على وجود الولد.

وشكرا.

وعلق المشرف على الموقف الأخ (المنهال) قائلا:

"النتيجة أن الأخ أحمد الكـاتب يعتـبر نفسه يـؤمن بالإمامة كما كـان قبل 15سـنة ولكنه يقف أمـام أدلة وجـود الإمـام المهـدي المنتظر وولادته ويدعي أن لا أدلة صحيحة على ذلك!

ماذا يقول الأخ العاملي ؟"

وبعد برهة من الصمت أجبت:

مـاذا عسـاه ان يقـول؟ ومن أين يسـتطيع الإتيـان بالأدلة والـــبراهين؟ هل لديه مصـــنع ينتج أدلـــة؟ كل ما في الأمر ان المـؤرخين السـابقين الـذين عاصـروا وفـاة الإمـام العسـكري ، وشـهدوا (عصر الحـيرة) كـانوا يعـترفون بعـدم إشـارة الإمـام العسكري في الظـاهر الى أي خلف له من بعـده ، و عـدم تحدثه عن مصـــــير الإمامة ، ووصـــــيته بأمواله الى أمه المســـــماة بـ:"حديث". وان الذين قـالوا بوجـود "الولـد" كـانوا يهمسـون في السر ويطلبون من النـاس عـدم التحقيق أو السـؤال عن الاسم ، ووجدوا بعض السذج والبسطاء من الناس الذين صدقوهم لفـترة من الــزمن ، ثم عــرف عامة الشــيعة بعد مضي زمن طويل ان الحكاية لم تكن سوى إشـاعة وأسـطورة افترضـها رجـال حـاولوا استغلال الأزمة وجـني الأمـوال من الشـيعة ، فـتراجعوا عن هـذه

الفكرة الدخيلة في التراث الشـيعي والـتي لم يعـرف أهل الـبيت لها أساسا من الصحة. وقد آن لكل شـيعي محب لأهل الـبيت ان ينفض عنه غبار الخرافات و الأساطير ويعـود الى فكر أهل الـبيت الصافي و السليم ، ويتمسك بهداهم الذي هو هدى الإسلام.

الى هنا واعتبر الحوار منتهيا مع هذا الرجل الذي يحاول إعـادة عقارب الساعة الى الوراء ، ويرتد عن الثورة الإسـلامية المباركة ثـــورة الشـــورى وولاية الفقيه ، الـــتي انتفضت على الفكر الأسطوري المخدر فكر الانتظار السلبي الطويل للإمام الموهـوم ، وأعادت الشيعة الى مسرح الحياة من جديد.

وأحمد الله تعـالى ان عامة الشـيعة اليـوم قد وعـوا دورهم وواجبهم و مسئوليتهم في إقامة دولة الحق و العدالة و الشـورى أو الديموقراطية في العـراق وفي العـالم الإسـلامي ، ووضـعوا الأفكـار الخرافية المغالية و المفرقة بين الأمة جانبا ، و عملـوا ويعملون مع اخوتهم من عامة المسلمين على بناء نظام سياسي جديد وواحد ، نظـام جمهـوري إسـلامي عـادل، يقـوم على إرادة الأمة في اختيـار حكامها بلا شـروط مثالية تعجيزية كالعصـمة و النص ، أو السلالة العمودية العلوية الحسينية.

وهنا اعتبر العاملي كلمتي هـذه انسـحابا عن الحـوار، فـوجهت هـذه الكلمة الى الاخـوة المشـاركين في الحـوار، والـذين كـانوا يتابعونه بشوق:

أيها الاخوة الأعزاء

السلام عليكم

من بديهيات الإسـلام انه يقـوم على العلم واليقين ، و لا يقبل ان يعتنق الإنسـان أية فكـرة خاصة إذا كـانت أساسـية على الظن و التخمين والافـتراض و الـوهم ، ولـذلك فـان الله تعـالى يلـوم النصارى على إيمانهم بصلب المسيح عليه السلام ، لعدم تأكدهم تماما من العملية ، رغم وجـود عـدد من المؤشـرات الـتي تشـير الى ذلك ، ويقـول: (قل هل عنـدكم من علم فتخرجـوه لنـا؟ ان تتبعون إلا الظن ، و ان انتم إلا تخرصون) الأنعام 148 ، ويقول: (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ، ما أنـزل الله بها من سـلطان. إن يتبعـون إلا الظن وما تهـوى الأنفس ، و لقد جـاءهم من ربهم الهـــــدى). النجم 23،

ويقول: (وما لهم به من علم ، إن يتبعـون إلا الظن ، و إن الظن لا غـــــني من الحق شـــــيئا). النجم 28

وان الإيمان بولادة (الإمام الثاني عشر) اضعف بكثير من الإيمان بصلب المسيح ، و رغم ذلك يرفض الله عز وجل ان يؤمن الناس بحدث لم يتأكدوا منه ولم يحصل لديهم علم به ، إذ ان الإيمان بوجود الولد ليس إلا ظنا و تخمينا ووهماً و افتراضا تعسفيا مخالفا للقوانين الإسلامية التي لا تجيز نسبة ولد الى أي إنسان من دون علمه و اعترافه وبعد وفاته وبالرغم من رفض أهل بيته له. هذا في القضايا العادية، فكيف يجوز ان نقبل مثل هذه النسبة في قضية يعتبرها البعض عقائدية و دينية؟ وإذا عرضنا القضية على أية محكمة إسلامية شرعية لتفصل فيها فان أي قاضٍ سيرفض الاستماع الأولي لهكذا دعوى ، ويسخر منها اشد السخرية ، إذ كيف يجوز ان ننسب إنسانا لا يُرى أشبه بالشبح، الى إنسان آخر بعد وفاته ، و إذا كان ذلك الشخص (الولد) ظاهرا وحيا و مشاهدا ، فانه لا يمكن نسبته الى أبيه المدعى إذا لم يعترف به في حياته بشكل ظاهر أمام الناس ، و لم يشر الى وجوده في وصيته ولم يوص له بشيء من المال ، ونحن نعرف ان الإمام العسكري قد أوصى بأمواله الى أمه حديث. فكيف يجوز لنا بعد كل هذا ان نستمع الى أقوال الدجالين والكذابين الذين ادعوا وجود الولد في السر وادعوا النيابة الخاصة عنه ، ليقبضوا أموال السذج و البسطاء بدعوى إيصالها اليه؟ وكيف يجوز لنا ان نبني عقيدة على أساس هذه الدعوى الشاذة الغريبة؟ ثم نذهب و نخاصم الناس الذين لا يؤمنون بهذه الأسطورة ونتهمهم بمعاداة أهل البيت؟ ونقوم ببناء فكرنا السياسي عليها ، فنحرم إقامة الدولة الإسلامية الى ان يظهر ذلك الولد المفترض الموهوم ، وندعو الشيعة لانتظاره والنوم في السراديب؟

أيها الاخوة الأعزاء

هناك اليوم نهضة إسلامية شيعية مشهودة يخشى منها الأعداء والطغاة و المستكبرون ، وقد حاولوا ويحاولون إجهاضها من كل جانب ، و لكنهم فشلوا و الحمد لله ، والآن جاءوا ليهدموا حصوننا من الداخل ، و يبثوا الأفكار المخدرة السلبية في صفوفنا من جديد. ويتهموا رواد النهضة بالالتقاطية والتأثر بالسنة ، وهم يعرفون ان الشيعة لم يتأخروا إلا بسبب تلك الأفكار المخدرة.

وان من يعود الى الوراء قبيل مجيء نظام حزب البعث في العراق ، ليجد كثيرا من الأفكار السلبية المخدرة مخيمة على الحوزة في النجف ، و يعرف انها هي المسؤولة بنسبة ما عن قيام الديكتاتورية والاستبداد ، إذ ان أصحابها كانوا يدعون الناس الى الانسحاب السياسي وانتظار الإمام المهدي ، ولذلك فقد

شن الإمام الخميـني في محاضـراته الـتي ألقاها في النجف عـام 1969 هجوما عنيفا على تلك الأفكـــــار المخـــــدرة وتعجب من أصحابها قائلا: الى متى ننتظر ظهـور الإمـام المهـدي؟ ولنفـترض انه لم يخرج إلا بعد آلاف السنين فهل نعطل الشـريعة الإسـلامية ونجمد الحدود؟

وها هو العـاملي اليـوم ينكص على عقبيه وينظّـر (للحجتية) وينتقد رواد النهضة العظــام ولكنه لا يجــرؤ على انتقــاد الإمـــام الخميــني فينتقد الشــهيد الصــدر ويصــفه بالالتقاطية ، ويــرفض التفكير أو الاجتهاد أو الإجابة على الأسئلة الرئيسـية؟ مثـل: مـاذا نفعل اليـوم ؟ وليس لنا وسـيلة للوصـول الى الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله ، على فرض وجـوده، هل نجلس في بيوتنـا؟ أم نبـــادر الى تشـــكيل الحكومة الإســلامية؟ وإذا قلنا بجـــواز أو وجوب تشكيلها ، فعلى أي أساس؟ على أسـاس القهر و الغلبـة؟ أم على أساس الشورى وانتخاب الناس؟ وإذا جاز لنا اليوم إقامة النظـام الإسـلامي على أسـاس الشـورى فلمـاذا لم يجز لنا من قبل؟ ولمـاذا نفـترض شـروطا تعجيزية مثل العصـمة و النص من اللــه؟ ولمــاذا نضــرب رؤوســنا بالجــدران إذا لم نجد يوما إماما معصوما معينا من قبل الله ونفترضه افتراضا ونختلقه اختلاقا؟

وهنا قام أحد الأخوة المتابعين للحوار، واسمه (مالك) بالتعليق:
الاخوة الكرام
لقد حدث ما كنت أتوقع فإن كل المؤشـرات كـانت تـدل على أن النقاش لن يتم ، وقد اعتبر العاملي انسحاب أحمد الكـاتب هروبا وفرح به واعتبره انتصارا ، وأيده من كـان يصـفق له منذ البدايـة، وفرحوا به واعتبروه انتصارا على شـخص أحمد الكـاتب ، وحرمنا نحن من المناقشة وقــــــــــــــــــــــــــــراءة الأدلة.

ان موضـوع ولادة المهـدي يهمـني بصـفة خاصة وهو يهم اخـوة آخرين في المنتدى كما ذكـره الأخـوان المنهـال وصـيهود ، وكنت أتمنى أن يبدأ به ، ولم أفهم حتى الآن لِـمَ أصر الأخ العاملي على تأخيره مع أنه ذكر للأخ صيهود أن لديه نصوصا صحيحة في ولادته ، فهل صـحة هـذه النصـوص لا تثبت إلا بالمقـدمات الثلاثة الـتي ذكرها وأراد أن يبــدأ بها النقــاش أم أنها غــير مرتبطة بها ؟ هــذا ســـؤال قد وجهته إليه ولم يجبـــني عنه ولعله لم ينتبه إليه ، وإذا كان جوابه بعدم ارتباطها بما قبلها فلمَ تأخير عرضــها وهي أخطر مســـألة ذكرها الأخ أحمد الكـــاتب في كتابه ، وهي الـــتي جـــاء ليناقش عليها ، فهل هناك ما يـبرر تـأخير العـاملي لمناقشة هـذه

المسألة أم أنه كما يدعي الأخ أحمد الكــاتب ليس لديه نص واحد صحيح على ولادته وأنه إنما يريد أن يخوض في المسائل الأخــرى ويبدأ بها هروبا من هـذه المسـألة؟ فـإذا كـان كـذلك فيصـعب إذا تفسير انسحاب أحمد الكاتب على أنه هـروب بل كما هو الظـاهر من كلامه من أنه ملل وأنه يرى أنه يضيع وقته بما لا طائل وراءه .

انسحب الأخ أحمد الكـاتب وانسـحبت معه شخصـيته، وبقيت المشكلة التي أثارها قائمة : هل توجد نصوص صحيحة على ولادة الإمام المهدي أم ليس هناك نص واحد على ولادته ؟ فهل يتفضل الأخ العاملي ويعرض علينا هذه النصوص الصحيحة التي عنده ؟
والسلام عليكم

وقال البدري:
الأسـتاذ احمد الكـاتب، ما ذكرته أنت من أدلة من انها ضـعيفة ، فهناك كما قال الشيخ العاملي ، في قناة المسـتقلة ، أدلة أخـرى صحيحة فما ردك ؟؟

أحمد الكاتب:
أهلا وسهلا
ليعرض ما لديه من أدلة ، يقول انها صحيحة.
المشــكلة انه يقلد فيما يقــول ويــرفض الاجتهــاد ولا يفــرق بين الصحيح و الضعيف كالإخباريين الأوائل، وينقل عن غيره ، و يعتـبر كل ما نقله الأولـــون صـــحيحا ، في حين اننا يجب ان نقف على الحياد ولا نقبل من أحد المتخاصمين بسرعة كما لا يجـوز ان نـرد أحدا بسرعة ، و انما علينا ان ننظر في الأدلة و البراهين في هذه القضـية المشـكوكة كما يفعل أي محقق أو قـاض ، ولا يجـوز لنا شرعا ان نرفع اليد عن الظاهر من حياة الإمـام العسـكري الـذي كان ينفي وجود ولد له ، إلا بـدليل قـاطع شـرعي ، و لا يجـوز ان نعتمد على الظنـون و الخيـالات الواهية والافتراضـات التعسـفية القائمة على النظريات الاجتهادية الظنية و الأحاديث الضعيفة.

وفي الحقيقة كما قلت سابقا لو كان هناك طفل ظاهر موجود يراه الناس ، و ادعى أحد انه ابن فلان ، وكان ذلك الرجل ينكــره أو لا يتبناه ، لا يجوز نسبة ذلك الطفل اليه إلا بدليل علمي قــاطع ، فكيف ان القصة كلها كـانت خيـالات في خيـالات ودعـوى حـول شخص لا وجود له ولم يظهر طوال اكثر من ألف عام؟.

والمصيبة الأكبر اننا نعلق عليه كل أمور المسلمين ، و نحـرم على غيره إقامة الحكومة الإسـلامية. فهل توجد مصـيبة اكـبر من هذه المصيبة؟ وهل يوجد مخدر أشد من هذا المخدر؟

مالك:
الأخ أحمد الكاتب
هل يمكنك أن تتناول النص الأخـير الـذي نقله الأخ عبد الله محمد في إثبات ولادة الإمام الثاني عشر وتعلق عليه نقطة نقطة ؟
والسلام.

أحمد الكاتب:
الأخ العزيز مالك
السلام عليكم ورحمة الله و بركاته
لم افهم بالضبط ماذا تعني بقولك (النص الأخير) الـذي نقله الأخ عبد الله ، ولعلك تقصد هذا النص التالي ، فـان العـاملي كثـيرا ما يرتكز عليه ، وهو:" أقـَرّ الإمام الحسن العسـكري (عليه السـلام) أمَامَ الكثير من أصحابه بـأن له ولـد، سـمّاه محمـداً، ونصّ على أنه هو المهدي الموعود به في آخر الزمان. روى محمد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قـال:" قلت لأبي محمد (عليه السلام): جلالتك تمنعني من مسـألتك، فتـأذن لي أن أسـألك؟ فقـال: سَـلْ . قلت: يا سـيدي هل لك ولـد؟ فقـال: نعم".[166]

وهـذا النص منقـول عن أبي هاشم الجعفـري الموثق عند الشيعة الامامية مثله مثل "النواب الأربعة" الذين ادعوا السـفارة عن الإمـام الغـائب ، وقد ادعى الجعفـري النيابة كـذلك فيمن ادعاها وكـان يبلغ عـددهم الأربعة و العشـرين مـدعيا ، وكـان كل واحد منهم يكذب الآخرين.
وفي هذا النص لا يذكر الجعفري انه رأى الولد وانما يقول ان أباه قال ان لديه ولدا.
وحسبما أعتقد فإن الجعفري من الغلاة وكان ينسب الى الإمام العسكري العلم بالغيب وقراءة ما في القلـوب ، وإتيـان المعـاجز الخارقة.
ولكن مشكلة المقلدين المعاصرين انهم يقلدون السابقين في تـوثيقهم و تضـعيفهم للرجـال الـرواة ، ولا يحققـون في مـدى صدقهم ، في حين ان أي باحث محقق ومحايد عليه في البـدء ان يخرج من إطـار طائفته الضـيق ويـدرس الرجـال الـرواة بحيادية، خاصة في القضـايا المختلف عليها والمشـكوك فيها ، مثلا انك لا تستطيع ان تثق براوٍ مثل أبي هريـرة على ما يكتبه علمـاء رجـال

166 - (دفاع عن الكافي: 1 /546.)

السنة ، بل يجب ان تدرس حالته بصورة مجـردة و مسـتقلة قبل ان تكـون سـنيا أو شـيعيا ، فـإذا وجدته ثقة تأخذ منه و إذا وجدته ضعيفا تترك أحاديثه. وكذلك النواب الأربعة الذين ادعوا السـفارة ، فانهم بالطبع ثقاة يقـاربون درجة العصـمة عند الشـيعة الامامية الاثـنـي عشـرية ، ولكن مــاذا يقــول عنهم بقية الاماميــة؟ وبقية الشـيعة؟ وبقية المسـلمين؟ يجب ان تــدرس حــالتهم بصــورة مستقلة وليس اعتمادا على ما يقوله اتباعهم وأصحاب مـذهبهم ، حتى تتأكد من حقيقتهم ومن حقيقة دعواهم.

ثم ان القضية برمتها يجب ان تدرس بصورة متكاملة و شاملة ، و ليس اعتمادا على رواية أو خـبر من أخبـار الآحـاد ، ويجب ان ننظر الى نتيجة البحث والتحقيق ، ونعــثر على الإمـــام الـــذي يفــترض فيه ان يقـــود المســلمين و يقيم دولتهم في الأرض ، فالقضــية لا تتعلق ببحث نظــري تــاريخي وانما هي تمس الواقع والحياة الخارجية و السياسية للمسـلمين ، وهي تشـبه جـدا قصة رجل يقـول لك : ان في هـذا القـدر لحما وطبيخا و عليك انتظـار نضـجه ، فتجلس أياما و أياما وشـهورا و سـنين وأنت جـائع ثم لا تجد شــيئا في القــدر ، ولكنه يحلف لك بالله ويــأتي لك بالأدلة و البراهين العقلية و النقلية على وجود الطعـام في القـدر ، ولكنك تستمع الى صرير معدتك وتنظر الى ساعتك وتكاد تمـوت جوعا ، فماذا تفعل؟ هل تنتظر مزيدا من الوقت؟ أم تــذهب و تعدّ لك ما تيسر من الطعـام ، ولا تسـتمع الى ذلك الرجل الأحمق حـتى لو جاء لك بمليون دليل؟

هذه هي حالتنا مع أولئك المدعين الذين خدعونا بزعمهم وجود ولد مكتـوم و مخفي للإمـام العسـكري ، فجلسـنا ننتظر السـنين والقــرون ، و لما لم نجد شــيئا قمنا بإقامة الدولة على أســاس الشــورى وولاية الفقيه ، ولم نحصل من أدلتهم و بــراهينهم على غير الجوع و العطش والانتظار العقيم؟

من هو أبو هاشم الجعفري؟ وهل هو ثقة؟

أود التنبيه الى حقيقة لا اعتقد انها تغيب عن ذهن أحد ، وهي كثرة تفرق الشيعة في القرنين الثاني والثالث الهجــريين واختلاق كل فريق ما يشـــاء من الروايـــات ونســـبتها الى الأئمة من أهل البيت تأييدا لما يذهب اليه ، وقيام بعض الفرقاء بنسج روايات لها طابع الزمان الماضي وتتحدث عن المسـتقبل الـذي يصـوره ذلك الفريق كما يشــتهي ، في محاولة لإضــفاء صــفة الإعجــاز وعلم الغيب على الرواية ، ومن الأمــور الــتي حــدث فيها الخلاف بين

الشـيعة الامامية مسـألة إمامة الحسن العسـكري ، الـتي اختلف فيها شيعة أبيه الإمام علي الهـادي بين من قـال بإمامة محمد بن علي الهادي وعدم وفاته في حيـاة أبيه ، ثم قوله بغيبته ومهدويته وانتظار ظهوره في المستقبل ، وإنكار إمامة الحسن العسكري ، وبين من قـال بإمامة جعفر بن علي الهـادي بـالنص عليه من أبيه أو بالنص عليه من أخيه السيد محمد (المدفون في بلد) وبين من قال بإمامة الحسن العسكري ، الذي اعترف بأنه لم يحدث خلاف على أحد من الأئمة مثلما حدث في الاختلاف عليه.

وقد لعب أبو هاشم الجعفـري دورا كبـيرا في تثـبيت إمامة العسكري ، وبما انه كان يعترف بأن الإمام الهادي كـان قد أشـار الى السيد محمد ودل عليه فقد نقل حديثا عن الإمـام الهـادي انه قال له : "بدا لله في أبي جعفر وصير مكانه أبا محمد كما بدا لله في إسماعيل بعد ما دل عليه أبو عبد الله ونصبه". [167]

ومع ان الجعفري في هذه الرواية يعترف بإشارة الإمام الهادي الى ابنه السـيد محمد ، والدلالة عليه ، في البدايـة، إلا انه يـروي رواية أخرى عن أبي جعفر الثاني (محمد الجـواد) ينقل فيها رواية عن الإمــام الحسن المجتــبى ويــذكر أســماء الأئمة الى الحسن العسكري ، من دون ان يشير الى مسألة البداء والتعيين المسبق للسيد محمد ثم تنصيب الإمام العسكري مكانه. [168]

وإذا كانت هذه الرواية صحيحة فكيف لم يعرفها الإمام الهادي فأوصى الى ابنه محمد بالإمامة ثم عـــــدل عنها الى ابنه الحسن بعد وفـاة أخيه وحـدوث البـداء فيـه؟ إذن لا بد ان تكـون إحـدى الروايتين كاذبة وغير صحيحة .

وهكـذا يظهر لنا موضـوع اختلاق الروايـات على لسـان الأئمة تأييدا للمذاهب المختلفة.

وبما ان النص على الإمام الحسن العسكري كان غامضا ومحل شبهة ونزاع بين الشـيعة الامامية وبين أولاد الإمـام الهـادي ، فقد لجأ أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري الى اختلاق مجموعة من الروايات الأسـطورية القائمة على دعـوى علم الإمـام العسـكري بالغيب ، والتي يرويها الجعفري بنفسه ويقول انها حصلت له ، ولا يمكن التأكد منها بصـورة مسـتقلة ومحايـدة ، غـير دعـواه بعلم الإمام للغيب .

يقول الجعفري انه سمع الإمام أبا محمد (العسكري) يقـول ذات مرة ان (من الـذنوب الـتي لا تغتفر قـول الرجل ليتـني لا أو اخذ إلا بهذا) فقلت في نفسي: ان هـذا لهو الـدقيق ينبغي للرجل

---

167 - (راجع الغيبة للطوسي ص 55 و120).
168 - (الغيبة للطوسي ص 99)

ان يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء ، فأقبل أبو محمد فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك ، فان الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا. [169]

وهكذا يتحدث الجعفري عن علم الإمام الهادي لما يفكر فيه (الجعفري) غيبيا في مسألة البداء ووفاة السيد محمد ، حيث يقول: (فإني لأفكر في نفسي وأقول : هذه قضية أبي إبراهيم وقضية إسماعيل، فأقبل عليّ أبو الحسن فقال : نعم يا أبا هاشم ... هو كما حدثتك به نفسك وان كره المبطلون). [170]

ويروي أبو هاشم الجعفري رواية أخرى مشابهة تقوم على مادة علم الأئمة بالغيب ، يقول : (كنت محبوسا مع أبي محمد في حبس المهتدي بن الواثق فقال لي : يا أبا هاشم ان هذا الطاغي أراد ان يعبث بالله في هذه الليلة ، وقد بتر الله تعالى عمره وقد جعله للقائم من بعده ، ولم يكن لي ولد وسأرزق ولدا ، قال أبو هاشم : فلما أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه وولي المعتمد مكانه وسلمنا) .[171]

وهنا يتحدث عن علم الإمام العسكري بمقتل المهتدي قبل حدوث الشغب عليه. وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

ويضيف أبو هاشم الجعفري الى حكايته رتوشا أخرى فيقول انه كان يحتاج الى المال ولم يطلبه من العسكري استحياء فأرسل اليه الإمام مالا دون ان يطلب منه ، وكذلك يقول ان الإمام علم بنية أبي هاشم في طلب فص فأعطاه خاتما. [172]

ويعتبر الجعفري إخبار الإمام العسكري له عن مشادة حصلت له في الطريق نوعا من الإعجاز والعلم بالغيب الدال على إمامة الإمام. [173]

ويتحدث أبو هاشم الجعفري عن علم الإمام العسكري بأدق التفاصيل السرية كمعرفته بإفطار أبي هاشم ونوع الخبز الذي

---

[169] - (الغيبة للطوسي ص 123)

[170] - (الغيبة صد 55 و120)

[171] - (الغيبة للطوسي ص 123 و134 راجع أيضا بحار الأنوار ج50 ص 250 و276 و258 عن مختار الخرايج ص 239 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص 436 و432 و كشف الغمة ج3 ص 279 و299 وأعلام الورى ص 354 و355)

[172] - (الكافي للكليني جذ ص 507 و بحار الأنوار للمجلسي ج 50 ص 267 ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج4 ص 432 ومختار الخرايج ص 214)

[173] -(المجلسي: بحار الأنوار ج50 ص 283 عن مناقب آل أبي طالب ج4 ص 427 و428)

أكله ، كما يتحـدث عن معرفة الإمـام بحقيقة رجل كـان يتجسس عليه وكشفه هويته لأبي هاشم.[174]

وتأتي هذه الروايات في سياق الروايات التي يسوقها القائلون بإمامة العســـكري لإثبـــات إمامته بالمعـــاجز بـــدلا من النص ، ويتحدثون عن علمه غيبيا بحقيقة غني سائل كان يتظاهر بالفقر ، أو علمه بموت فرس بعد أيام وإشارته على صاحبها ببيعها سريعا قبل ان تموت ، واكتشاف نوايا بعض الخدم وعزمهم على شــرب الخمر واللواط ، ومعرفته بعطش إنسان وطلب الماء له دون ان يطلبه هو.[175]

ولكن أبا هاشم الجعفري يضيف عليها انه رأى الإمام العسكري يحك الأرض ويخــــرج الـــــدنانير الذهبية منها ويعطيها له ومعرفة الإمام بحاجته الى المال بصورة غيبية.[176]

ولا يكتفي أبو هاشم الجعفــري بــذلك بل يقــول انه شــاهد يوما الإمــام العســكري وهو يكتب كتابا ، ثم يــترك القلم ويقــوم الى الصلاة ، فإذا بقلم الإمام ينهض بنفسه ليكمل الكتـاب أثنـاء قيـام الإمام للصلاة.!![177]

وعندما تـوفي الإمـام الحسن العسـكري دون ان يخلف ولـدا ظاهرا تستمر الإمامة فيه بصورة عمودية الى يــوم القيامة ، وجد أصــحاب جعفر بن علي الهــادي في ذلك دليلا على عــدم صــحة إمامة العســكري، كما وجد أصــحاب الإمــام موسى الكـاظم في وفــاة عبد الله الأفطح دون ولد ظــاهر ، دليلا على عــدم صــحة إمامته ، وانتقلوا الى القول بإمامة موسى الكاظم ، كــذلك انتقل قسم من القائلين بإمامة العسكري الى القول بإمامة أخيه جعفر ، خاصة بعد وفاته دون خلف ظــاهر. ولكن قســما آخر أصر على افتراض وجود ولد له ورفض إمامة جعفر ، وكــان منهم أبو هاشم الجعفري الـذي قـال في البداية ان الإمـام الجـواد ذكر له أسـماء الأئمة واحدا واحدا حتى الحسن العسكري وانه قـال (أشـهد على رجل من ولد الحسين لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملأها

---

174 - (مناقب آل بي طالب ج4 ص 437 ومختار الخرايج ص 239 وأعلام الورى ص 354 و355)

175 -(الكافي ج1 ص 507)

176 - (الكافي ج1 ص 507 والبحار ج 50 ص 259 والإرشـاد للمفيد ص 322)

177 -(المجلسي: البحار ج 50 ص 304 عن عيون المعجزات)

عـدلا كما ملئت ظلما وجـورا). ولم يحـدد هوية الإمـام الأخـير.[178] ونقل عن الإمــام الهــادي انه قــال: (الخلف من بعــدي الحسن ، فكيف لكم بــالخلف من بعد الخلــف؟! فقلت: ولم جعلــني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا تـرون شخصه ولا يحل لكم ذكـره ، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا الحجة من آل محمد). [179]

وكما يلاحظ فـان أبا هاشم الجعفـري لم يحــدد في هـاتين الروايتين هوية الإمام الجديد بعد العسـكري ، ولكنه عـاد بعد ذلك ليقول ان الإمام العسكري قـال له من قبل عنـدما كـان معه في السجن أيام المهتدي: انه سيرزق ولدا . [180]

وفي هذه الرواية ما هو ظاهر من دعوى علم الإمـام بـالغيب وإخبــاره عن ولادة ولد له في المســتقبل (وهــذا ما لا يعلمه إلا الله).

ومع ذلك فان الجعفري يكاد يعترف بجهله بوجود ولد للإمـام وتاريخ ولادته فيقول في رواية أخـرى انه قـال للإمـام العسـكري يوما: جلالتك تمنعني عن مسألتك فتأذن لي في ان أسألك؟ قــال : سل، قلت: يا سيدي هل لك ولد؟ قال : نعم ، قلت : فان حدث حدث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة. [181]

وهنا لا يقول انه شاهد ابن الإمام العسكري ، ولا أنه الإمام بعد أبيه . وإذا لم يكن الجعفـري يـدعي مشـاهدته أو اللقـاء به فكيف عرف أنه الإمـام؟ وكيف اصـبح باباً له أو نائباً عنـه؟ وإذا كـان هو يقول بـأن ابن العسـكري لا يُـرى فكيف ادعى النـواب الخاصـون اللقاء به والنيابة عنه أيضا؟

والمشكلة في هاتين الروايتين ان الشيخ الطوسي يرويهما بلا ســند عن ســعد بن عبد الله الأشــعري وهو من أقطــاب الفريق القائل بوجود الولد والمتحالف مع أدعيـاء النيابة الخاصة (النـواب الأربعة) مما يحتمل اختلاقه لتلك الروايات ونسبتها الى الجعفري.

ويقول السيد ابن طاووس في (ربيع الشيعة):ان أبا هاشم داود بن القاسم الجعفــري كـــان من ســـفراء صـــاحب الأمر وأبوابه المعـروفين الـذين لا يختلف الامامية القـائلون بإمامة الحسن بن علي (ع) فيهم.[182]

---

178 - (الطوسي : الغيبة ص 99)
179 - (الغيبة للطوسي ص 122 واكمال الدين للصدوق ص 381)
180 - (الغيبة للطوسي ص 123 و134)
181 - (الغيبة للطوسي ص 139)
182 - (راجع الفائدة الثانية من خاتمة مجمع الرجال للقهبائي ، طبع دار الكتب العلمية بقم)

ومع ان علماء الاثني عشرية اعتبروا أبا هاشم الجعفـري من الثقاة ، ولم يتوقفوا عند رواياته الأسطورية المخالفة لكتـاب الله المجيد ، والتي تدعي علم الأئمة بالغيب ، ولم يحققوا في دعاواه الأخـرى الـتي لا يمكن إثباتها من أي طريق لأنها تتحـدث عن علم الأئمة بما في داخل نفسه ، إلا ان الكشي ذكر في ترجمته (أن روايته تـدل على ارتفـاع في القـول) أي غلو ، وان الطوسي ذكر في ترجمته في الفهرست: انه كان مقدما عند السلطان! وهاتان الشـهادتان تخدشـان في عدالته فكيف تقبل شـهادته بعد ذلـك؟ وكيف يمكن بعد ذلك ان نطمئن الى رواياته الغامضة والمشكوك فيها وان نصدق دعواه بوجود ولد للإمـام العسـكري؟ وأنه الإمـام المهــدي؟ خاصة إذا ثبت انه كــان يــدعي النيابة عن ذلك الولد الغائب الذي لم يظهر له أي وجود طيلة أكثر من ألف عام؟

وكيف يمكن ان نعتــبره شخصا موثوقا ونســلم برواياته في موضـوع شـائك كموضـوع وجـود ولد للإمـام العسـكري الـذي لم يعترف بهذا الأمر أمام الناس ليكون حجة عليهم؟

ألا يجدر بنا ان نقول كما قال الشيخ الطوسي في الـرد على روايات الفرق الشيعية الأخرى التي ادعت مهدوية وغيبة عدد من أئمتها ، وجاءت بروايات مختلقة أو ضعيفة: بأن (هـذه كلها أخبـار آحاد لا يُعوَّل على مثلها في هذه المسألة ، لأنها مسـألة علميـة)؟[183]

ان كل الــدلائل التاريخية تشــير الى عــدم وجــود ولد للإمــام العسـكري ، وان القـول بوجـود ولد له تم بعد وفاته على سـبيل الافتراض الفلسفي الظني ، وكان يلف القـائلين بـذلك شك كبـير لوجود مصالح مادية لهم. وكـان بعضـهم يحتج بروايـات الجعفـري وهو لم يــدع رؤية الولد أو اللقــاء به ، فضلا عن وجــود الشك بشخصه وبرواياته المليئة بالغلو والمعاجز الأسطورية.

15- مع الشيخ محمد رضا الجعفـري في محاضـرته عن (حتمية الغيبة)[184]:

لا يجب على المسلمين الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر

183 - (الغيبة ص 108)

184 - http://www.aqaed.com/shialib/books/04/nadwe36/

مع انتشــار الصــحوة الإســلامية في العقــود الأخــيرة ونمو الحركـات الإسـلامية ووصـول بعضـها الى سـدة الحكم ، نشـأت مخـاوف من عــودة الصــراعات الطائفية البغيضة وتفشي الفكر السلبي الذي كان سببا من أسباب انهيار الأمة الإسـلامية وتخلفها عن ركب الحضــــارة الإنســـانية في مختلف المجــــالات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا ما حتم العمل من أجل تشذيب التراث الديني وتنقيته مما علق به من خرافات وأساطير وبدع وإعادة قراءته بـروح اجتهادية موضـوعية ومحايـدة ، وعـدم التشبث بكل ما وصل إلينا من أفكـار وعـادات وتقاليد وخاصة ما يتعلق منها بـالنظرات الطائفية ، أو إعطائها صـفة الحق المطلق والوحي المنزل.

وعلى رغم ان هذه المهمة هي من مسؤولية كل مسلم وكل حركة إسلامية ، فان مسئولية دراسة الـتراث تقع بالدرجة الأولى على عـاتق الفقهـاء أو "رجـال الـدين" المختصـين بالدراسـات الإسلامية ، باعتبارهم أقرب الناس الى فهم الـتراث والـدين. وقد قام كثير من علماء الدين فعلا بجهود جبارة ومشكورة في بلــورة كثــير من المفــاهيم وتصـحيح الخــاطئ منها وممارسة الاجتهــاد وتطوير الفكر الديني والرد على التحديات المعاصرة. ولولا جهود أولئك العلماء العاملين والربـانيين لما انطلقت النهضة الإسـلامية الحديثة ، ولضـاعت الأجيـال تلو الأجيـال في تيه الأفكـار الإلحادية والمبادئ الهدامة.

ولكن ذلك لا يعـني نجـاح جميع رجـال الـدين وفي كل طائفة ومكــان ، في فهم الإســلام الصــحيح والتحــرر من الاجتهــادات الخاطئة والأفكار الدخيلة ، وذلك بسـبب تركـيز قسم منهم على بعض الأمور الجزئية كالفقه والأصول ، وإهمال الجوانب العقائدية أو المرور عليها مرور الكرام باعتبارها ثوابت ومســلمات بديهية ، أو بسبب ارتباطهم بأجهزة حكومية أو قواعد شعبية تفـرض نمطا معينا في التفكـــير وتـــرفض ما يخـــالف معتقـــداتها التقليدية ومفاهيمها الموروثة. أو بسـبب سـوء المنـاهج العلمية في البحث والتحقيق.

ولعل تأسيس (مركز الأبحاث العقائدية) التابع لمرجعية السـيد علي السيسـتاني ، والـذي يتخذ من مدينة قم قاعـدة له ، يشـكل خطـــــوة متقدمة على طريق الفهم الصــــحيح للعقائد الحقة ، والالتزام بـالبرامج والمنـاهج العلمية في البحث والتحقيق ، وذلك لما يعتمـــــده من أســــلوب عقد النـــــدوات العقائدية المختصة

واستضافة الأساتذة والمفكرين المرموقين ، وبحث الموضـوعات الهامة بـــالعرض والنقد والتحليل والحـــوار المفتـــوح والمناقشة الحرة.

وقد استضاف هذا المركز مـؤخرا أحد كبـار أسـاتذة الحـوزة العلمية في قم ســـماحة الشـــيخ محمد رضا الجعفـــري ، ليلقي محاضـــرة حـــول (حتمية الغيبة للإمـــام الثـــاني عشر محمد بن الحسن العسكري)

ونظـرا لرغبة المركز المـذكور بـإثراء الحـوار حـول الموضـوع ومناقشته بصورة أعمق فقد كانت لنا هذه المداخلة العاجلة :

هناك ملاحظة أولية وأساسية تتعلق بمنهج البحث الذي اعتمده الشـيخ الجعفـري في بحث موضـوع (الغيبـة) وهي مبادرته الى إبداء وجهة نظره حول ضرورة الغيبة وحتميتها ، قبل الحديث عن وجود (الإمـام الثـاني عشر الغـائب محمد بن الحسن العسـكري) واثبات كونه حقيقة تاريخية وليس فرضية فلسـفية اجتهادية ظنية ، ثم عـــرض النظريـــات المختلفة حـــول الغيبة ، الـــتي قـــدمها المتكلمون الاماميون الاثنا عشريون من قبيل : امتحان الشيعة أو الحكمة المجهولة أو الخوف من الأعداء ، والمبادرة بدلا من ذلك الى التركيز على حتمية الغيبة. وهذا في نظرنا منهج غير علمي لا يزيل الشك ولا يوفي الموضوع حقه.

ان أساس الغيبة والتفسيرات المختلفة لها كانت فرضيات ظنية افترضـــها المتكلمـــون الـــذين قـــالوا بوجـــود الولد للإمـــام العسكري وافترضوا انه الإمام المعصوم المعين من قبل الله بعد أبيه الحسن العســكري. وإذا لم يســتطع أحد ان يقـــدم الـــدليل العلمي التاريخي على وجـود هـذا الولد (الغـائب) ، فـان الحـديث عن (الغيبة) يصبح غير ذي أثر ولا فائدة.

ثم ان (الغيبـة) كـانت تتنـاقض مائة بالمائة مع نظرية الإمامة التي تحتم وجود الإمام المعصوم في كل زمان ، ووجـوب تعـيين الله للإمام ليقود المسلمين ويطبق الشريعة ويحفظ الأمن ويقيم الحدود ويشكل الحكومة الإسلامية. إذ ان الغيبة تعني عدم وجـود ذلك الإمام وعدم تمتع المسلمين بلطفه. وهـذا ما حـدث للشـيعة الامامية الاثني عشرية الـذين ظلـوا لقـرون طويلة يعيشـون على أمل ظهور ذلك الإمام الغـائب ثم يئسـوا منه وصـرفوا النظر عنه وقـاموا بانتخـاب الإمـام (الفقيه العـادل) بأنفسـهم . ولا يـزال

الشيعة محرومين من لطف ذلك الإمـام المفـترض وكأنه لم يكن شيئا مذكورا.

وبما ان الغيبة كـانت تتنـاقض مع نظرية الإمامة فقد كـان المتكلمون السابقون يشعرون بالإحراج وكانوا يفسـرونها بأعـذار واهية ويلقـون اللـوم على عـاتق الظـالمين الـذين أخـافوا الإمـام وألجئــوه الى الغيبة أو يحملــون الشــيعة المســئولية بســبب تقاعسهم عن نصرة الإمام ، ويطالبونهم بإعداد أنفسـهم لنصـرته والذب والدفاع عنه.

ومع ان الخوف من الأعداء ليس سببا معقـولا ولا مـبررا للغيبة أو الهـروب من مواجهة الحيـاة ، ولا توجد أدلة تاريخية تثبت وجــود الخـوف أو الظـروف الأمنية الشـديدة طـوال ألف عـام ، فـان الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي اعتبروا : "ان لا سـبب للغيبة ولا علة تمنعه من الظهـور إلا خـوف الإمــام على نفسه من القتل ، لأنه لو كـان غـير ذلك لما سـاغ له الاسـتتار ، وكـان عليه ان يتحمل المشـاق والأذى فـان منـازل الأئمة إنما تعظم لتحملهم المشاق في سبيل الله".[185]

ومن الواضح أنه لا يعقل ان نلقي بـاللوم على الله سـبحانه وتعـالى ونقـول انه عين لنا إماما معصـوما ثم نقـول ان حكمته اقتضت ان يغيب ذلك الإمـام كل هـذه المـدة الطويلة . وإذا كنا نؤمن بخروج إمام مهـدي في آخر الزمـان فيمكننا ان نقـول: ان الله لم يعين إماما معصـوما قبل ذلك الموعد وانه سـوف يخلقه عند الحاجة والضرورة. أما إذا قلنا بأن الله قد عين فعلا إماما هو الثاني عشر بعد الحسن العسـكري ، وحـرم على النـاس انتخـاب إمـام غـيره لا تتـوفر فيه صـفة العصـمة أو النص ، فلا يجـوز ان نقول : ان الله قد أخفـاه عن النـاس وغيبه ومنعه من أداء مهامه الكبرى .

وربما كان الشيخ الجعفـري ينظر الى الواقع الـذي قـامت فيه دول شيعية مستعدة لنصرة الإمام المهدي أو دول ديموقراطية لا تمنعه من التعبير عن نفسه ولا تقيد حركته ولا تشكل خطرا عليه ، ولذلك قال:" ان الله قدر للإمام الثـاني عشر ان يغيب من بيننا

---

185 - راجع الإرشاد الأمالي والفصول المختارة للمفيد ص 395 والشافي للمرتضى ج4 ص 149 والغيبة للطوسي ص 203 .

وهو حي وان يظهر في ألزمن الذي اختـاره الله سـبحانه وتعـالى بحكمته وقدره بعلمه شئنا أم أبينا".[186]

يعـترف الشـيخ الجعفـري:" ان الإمـام المهـدي لم يملك مـدة الإمامة ولا يوما واحدا ، ولم يتمكن ولا يوما واحدا من هداية الأمة حتى بالقدر الذي كان يتمكن منه آبـاؤه حـتى في أحلك الظـروف وأشدها عليهم" ثم يفترض :" ان الإمام المهـدي لا بد ان يمـارس إمامته في فـــترة أخـــرى بعد الغيبة ، ويجد نفسه مضـــطرا الى القول بحتمية الغيبة. ولكنه لا يقدم دليلا على ولادة الإمام الثــاني عشر ولا على غيبته أو ظهوره في المستقبل".[187]

كل ما يقدمه الشيخ الجعفري هو مجموعة أحـاديث أو أفكـار غـير مترابطة يجمعها في بوتقة واحـدة لكي يؤلف منها دليلا على وجود إنسان وإلصاق صـفة الإمامة والغيبة والمهدوية بـه. يقـول: "ان الله قد وعد بظهـور دينه على الـدين كلـه".[188] ثم يحـاول ان يستنتج من ذلك وجود ولد غير معروف للإمام العسكري الذي لم يتحـدث عنه ولم يـوص اليه ، ويفـترض اسـتمرار حيـاة ذلك الولد حتى تحقيق ذلك الوعد الإلهي. يقول: "إذن فما وعد الله سبحانه وتعــالى وعــدا قاطعا وهو ان يظهر دينه على الــدين كله ، لا بد وان يكـون على يد مهـدي هـذه الأمة ، لمـاذا ؟ لأن عـدد الأئمة عنـــدنا عـــدد معين ، اثنا عشر إماما ، اســـتوفى أحد عشر منهم مدته".(ص21)

ولم يأت الجعفري بأي دليل على ولادة الإمام الثاني عشر . وانما اعتمد على نظرية (الاثني عشـرية) وهي لا تحتم وجـود ولد للإمــام العســكري مع احتمــال انطبــاق النظرية على أشــخاص آخـرين. وهـذا نـوع من التأويل التعسـفي الـذي لا يرضى به أهل البيت عليهم السلام ، خاصة وان الله تعـالى لم يقل بأنه سـيظهر دينه على الدين كله بواسطة الإمام المهدي أو أي إمام آخر.

ومع ان الجعفــري يــؤمن برجعة الأئمة الى دار الــدنيا فانه يسـتبعد فكـرة وفـاة الإمـام الثـاني عشر ، على فـرض وجـوده ، وقيامه بعد الموت ، وهي الفكرة التي قـال بها قسم من الشـيعة الامامية في (عصر الحيرة) الذي أعقب وفاة الإمام العسكري.

---

[186] - (ص 6)
[187] - (في صفحة 13)
[188] - (ص 16)

ان الشيخ الجعفري يعـرف جيـدا ان فرضـيته بحتمية الغيبة قائمة على أساس القول بأن الإمام المهـدي هو الإمـام الغـائب الثـاني عشر ، وان عـدد الأئمة لا يزيد ولا ينقص ، وان هـذا القـول محل بحث ونقـاش ويرفضه عامة المسـلمين وطوائف من الشـيعة والشـيعة الامامية ، كالزيدية والواقفية والفطحية والإسـماعيلية والمحمدية وغيرهم. ولذلك يختصر الحـديث ويعـترف: بـأن حديثه خاص بالامامية الاثني عشرية ، وانه لا يلـزم من لا يقـول بالإمامة الإلهية ولا من لا يلتزم بحصر الأئمة في عـدد معين[189] ، ويقـول:" لا أتكلم مع الذين قالوا بأن الإمـام السـابع غـاب ولم يمت بالسم في سجنه ، وانما أتكلم مع الذين يقولـون بـأن الأئمة اثنا عشر لا يزيدون واحدا ولا ينقصون ، وهم نحن، أعـنى من آمن وأقر على نفسه والـتزم بأنه إمـامي اثنا عشـري ، وهـذا لا يمكنه إلا ان يقر بغيبة الثاني عشر وظهوره بعد غيبته... فمن يلتزم بأنه إمامي اثنا عشري لا يسعه إلا ان يؤمن بـأن هـذا العـدد قد اكتمل ... فحصر عـدد الأئمة بـالاثني عشر يلزمه لزوما قطعيا واضـحا صـريحا ان يكون الثـاني عشر له ظهـور ، وان هـذا الظهـور قطعا يكـون بعد الغيبة ، لأنه لم يكن له ظهور قبل الغيبة".[190]

ولم يوضح الشيخ الجعفري لماذا لم يتحدث مع غير الامامية أو غير الاثني عشرية؟ ولمـاذا لا يسـتطيع ان يلـزمهم برأيـه؟ وكيف يكـون الـدليل دليلا لمجموعة خاصة فقط هم (الاثنا عشـرية)؟ ولماذا لم يبحث موضوع الإمامة أو الاثني عشرية من الأساس؟

لقد مر الشيعة الامامية بفترة غمـوض وحـيرة بعد وفـاة الإمـام العسـكري نتيجة عـدم إشـارته الى وجـود ولد له في حياته ، وادعى فريق من وكلائه وجـود ولد له في السر ، ثم قـالوا انه الإمام من بعده ، ولم نعرف دليلا على ذلك . وبما انه لا يجـوز لنا تقليد ذلك الفريق تقليـدا أعمى فنحن لا يمكننا شـرعا الإيمـان بوجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) فضلا عن الإيمان بغيبته. وكان من الأحرى بالشـيخ الجعفـري ، الأسـتاذ الكبير في الحوزة العلمية في قم ، ان ينـاقش هـذا الموضـوع ثم ينتقل الى المواضـيع المتفرعة عنـه. ولكنه سـامحه الله ابتسر بحثه وأهمل ما هو ضـروري وأساسـي. واكتفى بـالقول بوجـود أحاديث متواترة حول المهدي بصورة عامة ، ولكنها لا تحدد هويته

189 - (ص 30)
190 - (ص 31و32)

بالاسم.[191] ولاحظ ان منهج تفسير الروايات عند السنة قد يختلف عن منهج التفسـير عند الامامية ، وان النتيجة قد تنتهي عنـدهم الى ما لا تنتهي اليه بحـوث الامامية العقائديـة. وقـال الشـيخ الجعفـري:" أنا حينما أتكلم عن المهـدي سـلام الله عليه ، أتكلم عن موقعه الخـاص في عقيـدتنا نحن الامامية الاثنا عشـرية ... لا أني أتنـاول حـديث غيرنا تنـاولا مباشـرا فأحل العقد وأبين جهة الإشـكال وأشـرح جهة النقض وحل هـذه المشـكلة ، هـذه كلها أتجنبها في حديثي هذا".[192]

وانتقل الجعفري الى موضوع آخر هو (حديث الثقلين) ليستنتج منه أيضا على طريقته حتمية الغيبة للإمام الثاني عشر. وهنا أيضا لم يشبع الموضوع ولم يعطه حقا من البحث والتحقيق. واعـترف الجعفري في البداية انه لا يلـزم الـذين يـروون الحـديث بصـيغة : (كتـاب الله وسـنتي). ولم ينفِ صـحة هـذه الرواية الـتي يأخذ بها أهل السنة ، ولكنه بنى قوله على من يرويها بصيغة : (كتاب الله وعترتي).

وبالرغم من وجود مناقشات كثيرة في معنى (العـترة) وتحديد هويتهم فان الشيخ الجعفري بادر الى افـتراض انهم الأئمة الاثـني عشر ، وان الثاني عشر مولود وموجـود وغـائب ، ثم مضى يـبرر غيبته ويصفها بالحتمية . وهـذا في نظرنا أسـلوب غـير علمي في البحث والتحقيق ولا يؤدي بالضرورة الى المطلوب.

ان الامامية عندما رووا بأن الرسول الأعظم قال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لن يفترقا حتى يـردا علي الحـوض) كـانوا يـدعمون نظـريتهم في ضـرورة وجـود الإمـام المعصوم المعين من قبل الله الى جانب الكتاب ليترجمه للنـاس ويفسـره ويأوله لهم ، وان النـاس لا يسـتطيعون فهم القـرآن لوحـدهم ولا يجـوز لهم الاجتهـاد بمفـردهم ، وهو ما يقوله الأخبـاريون اليـوم . وبغض النظر عن صـحة هـذه النظرية فـان التاريخ أثبت طوال ألف عـام عـدم وجـود أي شـخص الى جـانب القـرآن الكـريم ، وقد قـام المسـلمون والشـيعة بالخصـوص بممارسة الاجتهاد بأنفسـهم دون أي اسـتعانة بـأي مـترجم سـوى سـنة الرسـول ، وهـذا ما يؤيد حصر الصـحة برواية (كتـاب الله وسـنتي). وعـدم وجـود أي مصـداق أو أي تفسـير صـحيح لرواية (كتاب الله وعـترتي). وحـتى على فـرض التسـليم بوجـود الإمـام

[191] - (ص 9)
[192] - (ص10)

الثـاني عشر الغـائب فانه لم يقم بـأي دور الى جـانب القـرآن الكـريم طـوال الفـترة الماضـية. وقد اعـترف الشـيخ الجعفري:"**بأن الإمام الغائب لم يقم حتى الآن بـأي دور في الهداية والإرشاد"**.[193]

ومن هنا نود من الأستاذ الشيخ محمد رضا الجعفري ان يبذل جهدا أكبر في البحث والتحقيق خاصة في مسـألة مهمة كمسـألة وجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسـكري) الـتي تشـكل أسـاس وجـود الفرقة الاثـني عشـرية ، وأسـاس نظرية (النيابة العامة وولاية الفقهاء) ، وعدم الاسـتعجال في بحث هكـذا أمور أو محاولة الـرد بأية صـورة كـانت من أجل المحافظة على بعض العقائد الموروثة والـتي لا تتمتع بأدلة شـرعية كافية ، ونطالبه كما نطـالب (مركز الأبحـاث العقائديـة) باتبـاع المنـاهج العلمية الكفيلة بالوصول الى الحق.

وفي هـذه المناسـبة نقـدم الى المركز طلبا بنشر أية مقالة أو محاضـرة أو كتـاب للمرجع السـيد علي السيسـتاني حـول وجـود الإمـام الثـاني عشر أو الإمامة ، فانه أولى وافضل من الجميع باعتبـاره مرجعا دينيا ممـيزا يفـترض ان يـولي الأمـور العقائدية درجة عالية من الاهتمام والبحث والتحقيق.

وإذا لم يكن قد بحث هـذه الأمـور من قبل فإنا نقـدم له رجـاء ملحا بدراسة قضية وجود الإمام الثاني عشر وتبيان الرأي السليم . ولسنا بحاجة الى التأكيد على ان الاجتهـاد في الأمـور العقائدية أهم وأولى من الاجتهـاد في المسـائل الفرعية الجزئية ، وانه يشـكل مقدمة ضـرورية وأساسـية لأية عملية اجتهادية ، وان المسـلمين اليـوم أحـوج ما يكونـون الى الاجتهـاد في القضـايا الطائفية الموروثة الـتي تفـرقهم ، وتجـاوز الخلافـات التاريخية البائـدة الـتي تـزرع العـداوة والبغضـاء في صـفوفهم ، من أجل التوصل الى فكر سياسي إسـلامي موحد يقـوم على الشـورى وينظم عملية تبـادل السـلطة بشـكل سـلمي ويضـمن الحرية والعدالة والمساواة للجميع .

---

193 - (صفحة 13)

16- مع السيدين كمال الحيدري ونذير الحسني، في كتاب (دفاع عن التشيع)[194]

دفاع عن الشيعة؟ أم دفاع عن الغلاة المفوضة؟ والمنهج الأخباري الحشوي الحديث؟

ربما كان هذا الكتاب أكبر كتاب من حيث الحجم، صدر للرد على كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) فهو يتألف من أكثر من 500 صفحة من القطع الكبير، وقد نشرته مؤسسة تبليغية إيرانية في الحوزة الدينية في قم، والكتاب يدعي (الدفاع عن التشيع) كما يتضح من عنوانه الصارخ، الذي يتضمن أيضا عنوانا فرعيا هو (الرد على الشبهات التي أثارها أحمد الكاتب، وكشف التزوير والتحريف والكذب المتعمد على التشيع وعلمائه).

وقبل أن نرى فيما إذا نجح الكتاب في مهمته هذه، أم قدم خدمة جديدة للكاتب، واعترافا بانهيار الأساطير التي يحاول الدفاع عنها، لا بد أن نقدم بكلمة موجزة عن مصادرة شعار (الدفاع عن التشيع) في مقابل (الشبهات) ، هذه العملية التي قام بها عدد من الذين انبروا للرد على أحمد الكاتب، في قراءته الجديدة لفكر أهل البيت والتشيع.

ورغم أن الإسلام اتسع ويتسع لوجهات نظر عديدة قائمة على الاجتهاد، كما ان التشيع عبر التاريخ اتسع ويتسع لقراءات مختلفة، مما سمح لكل مذهب بالانتماء للإسلام أو التشيع، ووفر مساحة كبيرة من الحرية والتعددية الفكرية في الحضارة الإسلامية، رغم ذلك فان بعض الرادين عليّ ضاق صدرهم بالرحابة الإسلامية، وبادر فورا الى اعتبار ما يعتقده، أو ما ورثه من أفكار ونظريات وعقائد، أنها تمثل الإسلام الصحيح أو التشيع الصحيح، وان كل وجهة نظر أخرى، أو محاولة لتقديم قراءة أخرى للتراث والتاريخ وفكر أهل البيت، انما هي شبهات وخروج على مذهب أهل البيت أو الإسلام.

ان هذا البعض يقوم بمصادرة الإسلام والتشيع، على طريقة احتكار النجاة للفرقة الوحيدة الناجية من بين اثنتين وسبعين فرقة هالكة في النار.

ولو أنصف هذا البعض قليلا، لأدرك ان الأمر لا يعدو أن يكون محاولة لإصلاح بعض الأمور ، وتشذيب التراث من بعض

---

194 - الطبعة الأولى 2001 الناشر : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، قم إيران

الخرافات والأساطير التي دخلت في الإسـلام أو في مـذهب أهل الـبيت، وان الاختلاف على كـون هـذا الأمر أو ذاك من الإسـلام أومن التشيع، أو لا ، يتوقف على الحوار الهاديء والتفكير العميق في الماضي والحاضر والمستقبل. خاصة واننا أمام تجربة طويلة لفكر مضى عليه أكـثر من ألف عـام، ونحـاول أن نتلمس ما فيه من قيم أصـيلة أو تسـربٍ لأسـاطير، ولا يمكننا أن نخلط الأمـور كلها جميعا فنقـول ان كلّ ما وصـلنا من آبائنا وأجـدادنا، وكل ما قاموا به من اجتهادات وافتراضـات وتلفيقـات كـان وحيا مـنزلا لا يأتيه الباطل من بيد يديه ولا من خلفـه، إذ ليس لـدينا من تـراث ثـابت مائة بالمائة سـوى القـرآن الكـريم الـذي تعهد الله تعـالى حفظه الى يوم الدين. ولذلك فان من حقنا الاجتهاد وإعادة النظر في كثير من المسائل الموروثة، ولا يجوز أن نشـكل عائقا أمـام أي أحد يحـاول الاجتهـاد والتفكـير، أو نبـادر الى اتهامه بإثـارة الشبهات، فمن يدري لعل ما ورثناه من آبائنا ليس سوى شـبهات وأساطير؟

والآن كيف نعرف أن ما نؤمن به من صميم الدين؟ أو أنه ليس سوى بدعة أو شبهة دخيلة فيه؟

ان هذا السؤال يقودنا الى أمر أصولي حيـوي جـدا، وهو تحديد مصادر المعرفة في الإسلام.

فقد اتفق المسـلمون على مرجعية القـرآن الكـريم، واختلفـوا على مصادر أخرى، فقـال المعتزلة والأحنـاف بالاكتفـاء بـالقرآن، وبـالمتواتر من الحـديث، وهو قليل جـدا في نظـرهم، بينما توسع آخرون في قبول الأحاديث المنسوبة للنـبي (ص)، في حين اقتصر الشيعة على أخذ الأحاديث من طريق أهل الـبيت، ثم انقسم أهل الحديث بين حشوية يأخـذون كل حـديث بـدون نقد أو تمحيص أو نظر الى راويه، وبين من يدقق ويتثبت ويـدرس الرجـال الـرواة، ويمعن في متن الحديث.

وقد كان أئمة أهل البيت يحرصون على تعليم شـيعتهم التثبت حتى من الأحاديث المنسوبة اليهم وعرضها على القـرآن الكـريم، وضرب كل حديث يخالف القرآن عرض الجـدار. ولكن المنـافقين والغلاة الـذين كـانوا يسـتأكلون باسم أهل الـبيت، كـانوا يكـذبون عليهم في حياتهم، ويدسون ما يشاءون من روايات في صـفوف الشـيعة، مما خلقـوا مشـكلة كبـيرة لحركة التشـيع ، وتشـويهها وتحريفها، وإبعاد الناس عنها. وعندما كان أهل الـبيت ينفـون تلك الأقوال المنكرة الـتي كـانوا ينسـبونها اليهم، كـان هـؤلاء يـدعون (التقية) لتمرير أكاذيبهم على أهل البيت أمام السذج والبسطاء.

ومن هنا نشأ المـذهب البـاطني الـذي كـان يفسر ويئـول كل حديث أو عمل أو موقف لأهل الـبيت، بشـكل مقلـوب رأسا على عقب، ومن هنا نشأت المذاهب المنحرفة عن أهل الـبيت باسم أهل البيت.

وقد جئنا نحن اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة من ذلك التاريخ، ووجـدنا تراثا يسـمى باسم أهل الـبيت، وهنـاك من يسـتفيد ماليا وسياسيا من هذا الـتراث، فهل نصـدقه كلـه؟ أو نرفضه كلـه؟ أم نقف منه موقف الشك والبحث والدراسة والتنقيب والتفكـــــير، ونجتهد فيه من جديد؟

ان المستفيدين من ذلك التراث يرفضون الاجتهاد أو التفكير أو الاقتراب من أي نقد له، ويطالبون الشيعة بالتسليم المطلق لكل ما فيه، خوفا على مصالحهم من الانهيار، ولكن المصلحة الشيعية الشـعبية العامـة، تقتضي التحـرر والبحث عن حقيقة مـذهب أهل البيت، أو حقيقة الإسلام، بكل موضوعية وعلمية وشجاعة.

ولم يكن كتابنا إلا محاولة أو خطوة على هذا الطريق..

ماذا قلت في الكتاب؟

قلت: ان فكر أهل البيت يقوم على الشـورى واحـترام إرادة الأمة في اختيـــار أئمتهـــا، وان الفكر المنســـوب اليهم، وهو ما يســـمى بنظرية (الإمامة الإلهية القائمة على العصـــمة والنص والوراثـة) لا يمت اليهم بصـلة، وانه واجه رفضا منهم في حيـاتهم وتحديات عملية عديدة ، ووصل الى طريق مسدود بوفـاة الإمـام الحسن العسكري دون خلف ظاهر، وان فريقا من الشيعة اخترع "ولـدا" موهوما له في السـر، قـال انه الإمـام الثـاني عشر وانه المهدي المنتظر، ودعا الشـيعة الى انتظـاره أكـثر من ألف عـام، وحـرم عليهم الثـورة أو إقامة أية حكومة في (عصر الغيبـة)، وان هذه الفكرة سبب تخلف الشيعة عبر التـاريخ، ولـذا فـانهم اليـوم تخلـوا عمليا عن فكر الإمامة والانتظـار، ونجحـوا في إقامة دول لهم على أسـاس الشـورى ، أو ولاية الفقيـه. وآن لهم أن يتخلـوا عن ذلك الفكر السلبي المخدر الذي ضرهم ولم ينفعهم.

ولكن بعض من يرتدي عباءة التشـيع والإسـلام، ويتضـرر من الاجتهـاد والبحث والتحقيـق، لا يملك إلا شن هجمة شـعواء على كل من يهدد الأساطير أو الأصنام التي يعيش عليها.

وفي الحقيقة ان من حق أي أحد ان يرد على أي كتاب، وهـذا ما طلبته من عامة المراجع والمثقفين والمفكـــرين والكتـــاب الشيعة الذي أرسلت لهم كتابي قبل أن انشره وتوسلت اليهم أن يردوا عليه، ويصححوا ما يرون فيه من أخطاء، فربما عدلت عنه وتخليت عن نشره أو تراجعت عما توصلت اليه، ولكن أحدا منهم

لم يفعل ذلـك، وانما قـام بعضـهم ، وخصوصا بعض المؤسسـات السياسية والاستخبارية التي تتستر باسم الحـوزة والعلم والـدين، بشن حملة إعلامية شـعواء لتشـويه سـمعة الكـاتب، وتحـذير من يجازف بالاجتهاد في مثل تلك الأمور.

ولعل كتاب (دفاع عن التشيع) يشكل نموذجا واحدا من الكتب التي تصدت للرد على كتابي، وهي لا تملك ما ترد به، سـوى كيل السباب والشتائم ، والتنظير لمنهج جديد يرفض الاجتهاد والتفكير السليم.

ورغم أن الكتاب صادر عن إحدى مؤسسات الحوزة العلمية في قم، إلا انه يقدم نظرية جديدة في (الاجتهاد) قائمة على الأخبارية والحشوية التي تسمح بتسرب الخرافـات والأسـاطير والنظريـات المغالية المخالفة لعقيـدة التوحيـد، والمحافظة عليهـا، واسـتيلاد المزيد منها.

وعلى أي حال، ماذا قدم السيد نـذير الحسـني، في كتابه الضخم؟ وهل رد على كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي)؟

هل أثبت مثلا الإمامة الإلهية لأهل الـبيت؟ أو أثبت وجـود الولد للإمام العسكري، أي الإمام الثـاني عشر ؟ أبـدا لم يفعل أي شـيء. سـوى أنه وجه الى الكـاتب اتهامـات لا تحصى (بالكـذب، والمخالفـات العلمية لأبسط قواعد البحث العلمي، وصياغة نظرية شيعية من أعداء التشـيع، وعـدم تـوخي الأمانة في النقل من المصـادر، والبنـاء على أغلاط النسـاخ، وإنكـار المسلمات بدون بحث وتحقيق، وتضعيف الحديث ثم الاحتجـاج بـه، ومخالفة جمهـور المحـدثين والمفسـرين، والكـذب على التراث السني، وإنكار أحاديث صحيحة بدون علة، وإنكار علائم الظهـور بـدون بحث وتحقيـق،والاشـتباه في فهم ألفـاظ الروايـات،ومخالفة المفسـرين واتهـامهم،وادعـاءات إعلامية فارغة، والإهمال المتعمد لكثير من الروايات،وتفسـير الحـديث برأيه،والكذب المتعمد على علماء الشـيعة، وعـدم التميـيز بين موقع العقل والنقل في الاسـتدلال، والخلط في معـاني الاجتهاد، وعدم فهم معـنى الاجتهـاد في مقابل النص، و توجيه الافـتراءات والأكـاذيب على مصـاديق الإمامة الإلهيـة، وتحـدث عن نظرية الشـورى في مواجهة التحـديات، وإفلاس الشـورى من الوثـائق، و النص أم الشـورى في فكر الصـحابة، و أهل

البيت ونظرية النص، والعدو يعترف بإمامة أهل الـبيت، والنص والتعيين في الفكر الإسلامي، والعصمة في القرآن، والعصـمة في حـديث رسـول اللـه، والإمامة في ولد الحسـين، وحـديث الخلفاء اثنا عشر، ومصاديق الحديث، والنص على الاثني عشر إماما من غـير طريق سـليم، والتسـرع في الأحكـام من دون بحث ودراية، وجهل الكاتب بموارد التقية وعلم الأئمة بـالغيب) وما الى ذلك من الأمور التي لا تثبت أي شيء.

ان السيد نذير الحسني لم يبحث أية رواية يدعيها من ناحية السـند، حـتى يعـرف هو قبل غـيره، فيما إذا كـانت الرواية صـحيحة أم موضـوعة. وبالتـالي جـاء كتابه عبـارة عن عمل خطابي لا يقدم ولا يـؤخر. كما لم يبحث نظرية الإمامة من كل جوانبهـا، ويـدلنا على مصـداق حي خـارجي ظـاهر لها اليـوم؟ فماذا يجدي أن تثبت بألف دليل ودليل أمرا ثم لا تسـتطيع أن تضع إصـبعك عليـه، أو تحل به مشـكلة؟ انه يقـول ان نظـام الشـــورى باطل وغـــير صـــحيح؟ ويجب ان يعين الله الأئمة المعصـومين للأمة بـالنص من قبلـه، دون أن يلتفت الى أنه لا ينتج إلا وهما في وهم!

الإمامة ليست من أمور الشورى

وعندما حاول أن يرد على حديث أوردته في كتابي عن التزام أئمة أهل البيت بنظرية الشورى، واستشهدت بحديث عن الإمـام الرضا (عليه السـلام) يرويه عن أبيه عن جـده، عن آبائه عن رسول الله (ص)، يقول فيـه:"من جـاءكم يريد أن يفـرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتولى من غـير مشـورة فـاقتلوه، فـان الله قد أذن ذلك" لم يشكك الحسـني بهـذا الحـديث المطمـور، وانما حاول أن يأوله ويفسره كما يشـتهي، فـادعى تناقضه مع روايـات أخرى تؤكد أن الإمامة في ولد الحسين.[195]

وأنا لم أنكر ولا أنكر وجود روايـات أخـرى كثـيرة حـول نظرية النص، ولكن أقول انها موضوعة وغير صحيحة ، وانها تتنـاقض مع روايات أخرى في تراث أهل الـبيت تنفي نظرية العصـمة والنص، وانها على أي حـال وحسب التجربة التاريخيـة، نظرية مثالية غـير قابلة للتطبيق، وهذا ما أثبت ويثبت بطلانها.

وقلت في كتابي: ان نظرية الإمامة اختُلقت في أواسط القرن الثـاني الهجـري، وان النصـوص حـول أئمة أهل الـبيت لم تكن معروفة لدى الشيعة ، ولم يكن يعرفها حتى كبـار أصـحاب الأئمة مثل زرارة الذي توفي وهو لا يعرف من هو الإمام بعد الصادق.

---

[195] - ص 411

وقد حاول الحسني أن يلف ويدور، ولكنه اعترف أخيرا بغموض النص على الإمام الكاظم، فقال: "الذي يظهر من بعض الروايات أن الموقف يحتم على الإمام كتمان أمره ولو استلزم ذلك عدم معرفة الشيعة به، وهذا ما صرح به الإمام موسى بن جعفر، عندما سأله أحد أصحابه. قال له: جعلت فداك. شيعتك وشيعة أبيك ضلاّل – أي لا يعرفونك – فألقي اليه وادعهم اليك؟ فقد أخذت علي بالكتمان. قال: من آنست منهم رشدا، فالق عليه وخذ عليه بالكتمان، فان أذاعوا فهو الذبح، فان أذاعوا فهو الذبح.

وقال: ان الجو الحاكم في هذه الرواية هو جو الإرهاب السائد في عصر الإمام موسى بن جعفر، وصرح الكليني واصفا هذا الإرهاب: (ان أبا جعفر المنصور كان له بالمدينة جواسيس ينظرون الى من اتفقت شيعة جعفر فيضربون عنقه). فالإمام في الرواية أعلاه قسم شيعته الى قسمين: الأول: (من أنست منهم رشدا) ، الثاني: (من لم تؤنس منهم رشدا)...

وهذا القسم (الأول) كان يعرف الإمام جيدا، ولكن في بعض الحالات يشتبه عليه بداية إمامة اللاحق بعد وفاة السابق، وسبب هذا الاشتباه بعده عن محل إقامة الإمام السابق الذي توفي، وهذا ما نص عليه الصادق عندما سأله أحد أصحابه: أ فيسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفوا الذي بعده؟ فقال الإمام: أما أهل هذه البلدة – يعني المدينة – فلا، وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم.

وأضاف الحسني: إذن القسم الأول يعرفون الإمام جيدا، وعدم معرفتهم في بعض الحالات ليس بالإمام، كما اشتبه أحمد الكاتب، بل ببداية إمامته، كما نص الصادق على ذلك.

وأما القسم الثاني (من لم تؤنس منهم رشدا) فهم عوام الشيعة، فأولئك لا يستبعد منهم حتى عدم معرفتهم بالإمام، فضلا عن بداية إمامته، لما يلزم من معرفتهم محذور ذبح الإمام، كما نص على ذلك موسى بن جعفر ، فهم يعرفون الإمام من الشيوع العام، من دون امتلاك النص الصريح لأن معنى هذا الامتلاك تعريض الإمام للخطر، وهذا ما صرح به الصادق لعبد الأعلى عندما تكلم الإمام عن صفات صاحب الأمر، فسأله عبد الأعلى: هل هذه الصفات مستورة مخافة السلطان؟ قال: لا يكون في ستر إلا وله حجة ظاهرة، ان أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة، قال: ادع لي شهودا، فدعوت أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، قال اكتب... فالباقر ، وبتصريح الصادق يوضح إمامة ولده بأمور عامة – أي بمجرد الوصية – خشية عليه، ولكن هذا البيان ليس للجميع على حد

ســواء، بل للخاصة بيــان آخر من نــوع "هــذا خــير البريــة". ولم يستطع أحمد الكاتب أن يميز بين هـذين القسـمين من الشـيعة، كما مـــيزت رواية موسى بن جعفر بينهم، فـــاتهم عامة الشـــيعة بالجهل بالإمـــام اللاحق ،ووضع ذلك تحت عنـــوان (مـــاذا يفعل الشيعة عند الجهل بالإمام؟)".. [196]

وسواء ميزت بين القسمين أو لم أميز، فالنتيجة واحدة: وهي غمـوض النص لـدى عامة الشـيعة، وحـتى على الخـواص، الـذي يعترف الحسني بغموض النص لديهم على ما يسميه بداية الإمام. وهـذا ما يثبت عـدم وجـود قائمة مسـبقة بأسـماء الأئمـة، وبعـدم إعلان الأئمة لنظرية النص، وانما هي إشـــاعات كـــان يبثها بعض الناس في السر، وينسبونها الى أهل البيت.

ونتيجة لعدم وجود النص الواضح الصريح على أئمة أهل البيت، في حياتهم، فـان أدعيـاء نظرية الإمامـة، الـذين قـاموا باختلاقهـا، كانوا يبنون نظريتهم على أساس دعوى علم الأئمة بالغيب، وهـذا ما كان ينفيه الأئمة أنفسهم بشـدة ويتـبرءون الى الله من قائلـه، وقد أوردت في كتـابي عـددا من أقـوال الأئمة في هـذا الشـأن، والـتي تـرد في كتب الشـيعة. والـتي يعـترف الحسـني بصـحتها، ولكنه يضـطر الى تأويلها والالتفـاف عليهـا، في محاولة مسـتميتة لإنقاذ نظرية الإمامة.

وقد حاول الحسني أن يلتف كذلك على القرآن الكريم الـذي يقــول بصــراحة:" عــالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحــدا إلا من ارتضى من رسول"، فقال:"شنع الكاتب على الشيعة في قــولهم ان الأئمة يعلمون الغيب، ولم يميز الكاتب أي أنواع العلم بـالغيب يعلمه الأئمة، بل أطلق الكلمة من دون تحديـد، ومن المعلـوم ان علم الغيب له قسمان: الأول : اختص الله تعالى به، الثاني: اطلع الله رسـوله وأوليائه عليه (عـالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـدا إلا من ارتضى من رسول) وغير ذلك من الشواهد التي تؤكد علم الغيب الــذي اطلع الله رســوله ومن ارتضى من الأوليــاء عليــه. فـالفكر الإسـلامي لا ينكر مسـألة اطلاع أوليـاء الله ورسـله على بعض الغيوب الـتي علمها الله لهم، وما أثبته الأئمة لأنفسـهم من العلم هو القسم الثـاني الــذي أذعن المســلمون بإمكانه لأوليــاء الله، وهذا ما قالت به الشيعة.

يقـول الإمـام علي: سـلوني قبل ان تفقـدوني، فـان عنـدي علم الأولين والآخرين...

ويقول أبو عبد الله: إني لأعلم ما في السـماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم ما كـان وما يكـون، قـال

[196] - ص 357 – 359

الراوي: ثم سـكت هنيئة فـرأى ان ذلك كـبر على من سـمعه منه فقال: علمت ذلك من كتـاب الله عز وجل يقـول: (فيه تبيانا لكل شــــيء). وغـــــير ذلك من الروايـــــات الـــــتي حفلت بها كتب الشيعة...وهذه الروايـات الـتي أثبتت علم الأئمة بـالغيب ولم نجد أحدا في التاريخ استنكر عليهم ذلك، لهي خير شـاهد على علمهم بالغيب الذي اطلع الله أولياءه عليه وأنكره الكاتب".[197]

وأضـاف الحسـني:"أما رواية الإمـام الصـادق (يا عجبا لأقـوام يزعمون أنا نعلم الغيب) فلم يترك الإمام الصـادق الفرصة لأحمد الكاتب وغيره كي يسـتغل هـذا الحـديث، فـذكر الصـادق في ذيل هـذا الحـديث مباشـرة، وبعد ما قـام من مجلسـه، ذكر لأصـحابه بعدما سألوه: لمـاذا هـذا القـول؟ قـال لهم: ان لديه علم الكتـاب كلـه، وان الـذي جـاء بعـرش بلقيس الى سـليمان علمه من علم الكتـاب، وان نسـبة علم هـذا الى علم الإمـام كقـدر قطـرة من المطر في البحر الأخضر". [198]

ولم يقل لنا الحســني كيف أدخل الأوليــاء، أو الأئمة من أهل البيت في إطـار الرسل الـذين يسـتثنيهم الله تعـالى من المعرفة بالغيب؟ وعلى أي أساس؟ ألم يكن الإمام الصادق يعلن بصـراحة عدم علمه بالغيب؟ وهل يشكك الحسني بصحة الرواية؟ طبعا لا، ولكنه يشير الى إضافة موجودة في ذيل الرواية، تقول: ان الإمام الصادق عـاد فـادعى علم الغيب بعد ما قـام من مجلسه وبصـرة سـرية للـراوي. وهـذا ما كـان يقوله الغلاة الباطنية الـذين كـانوا يحرفون أحـاديث أهل الـبيت العلنية ويضـيفون اليها ما يشـاءون، ويمكننا التأكد من ذلك بعرض الرواية على القـرآن الكـريم، حيث يصـدق على حـديث الإمـام النـافي للعلم بـالغيب، ويكـذب ذيل الرواية الذي يثبته.

ولكن الحسني لا يستطيع التمييز بين أحاديث الأئمة الصـحيحة المطابقة للقـــرآن، وبين الأحـــاديث الموضـــوعة المدسوسة في تراثهم، ويريد منا أن نصدق بكل حديث دون تحقيق أو تدقيق.

ومن الأمور التي عرضتها في كتـابي (تطـور الفكر السياسي الشيعي) دليلا على بطلان نظرية الإمامة الإلهية، وعدم تبني أهل البيت لهـا، هو صـغر عمر بعض الأئمة عند وفـاة آبـائهم، كـالجواد والهـــادي، اللـــذين كـــان يبلغ كل واحد منهما الخمس أو الســـبع سـنوات، وذهـاب الشـيعة الى أئمة آخـرين من أهل الـبيت، مثل أحمد بن موسى وغيره، وذكـرت في كتـابي بالتفصـيل كيف واجه

---

[197] - ص 427- 428 عن (الكافي ج1 ص 319)
[198] - ص 406

الامامية هــذا التحـــدي الكبــير، وكيف حــاول المتــأخرون منهم، وخاصة الاثنا عشـرية، ان يحلـوا المشـكلة بـالتنظير لجـواز اتبـاع الإمـام الطفل الصـغير، قياسا على النـبي يحـيى (عليه السـلام) الـذي آتـاه الله الحكم صـبيا، وقلت إن هـذا القيـاس غـير جـائز شرعا، لأنه بلا دليل، ولا يعني حدوث شيء للأنبياء السابقين جواز القياس عليهم اعتباطا، واستشهدت بتعـيين الإمـام الجـواد نفسه وصيا على ابنه الهادي وهو (عبد الله بن المساور)، وعدم تسليمه الإرث حتى يبلغ ويرشـد، حسـبما يقـول القـرآن الكـريم:"وابتلـوا اليتامى حـتى إذا بلغـوا النكـاح فـإن آنسـتم منهم رشـدا فـادفعوا اليهم أموالهم" النساء 6، وعـدم جـواز الخـروج عن عمـوم هـذه الآية إلا بـدليل قـوي، ولكن الحسـني الـذي حـاول الـرد علي، لم يتوقف عند هذه الآية الكريمـة، وقـال: "لما كـانت الإمامة الإلهية تجـري مجـرى النبـوة، وأن أمر الإمامة ليس بيد أحـد، بل بيد الله يضعه حيث يشـاء، كما يقـول أبو بصـير...إذن فلا ضـير أن يكـون الجواد أو غيره من الأئمة بأعمار معينة ويستلمون الحكم والقيادة للشيعة...إذن مسألة تصدي من هو دون سن البلـوغ أمر واقع ولا مانع منه لحجج الله تعالى أبدا". [199]

وذلك رغم أن كون (**الإمامة تجري مجرى النبوة**) هو أول الكلام، ويحتـــاج إثباته الى دليـــل، وقد أدى وصـــول الإمامة الى أطفـــال الى تراجع الشـــيعة، أو من كـــان يقـــول منهم بنظرية الإمامة، عنها في ذلك الوقت.

ومن الأمور الـتي طرحتها في كتـابي، التحـديات الـتي واجهت نظرية الإمامة لـدى نشـوئها، وخاصة مسـألة انحصـار الإمامة في أبناء الحسين، وإخـراج أبنـاء الحسن منهـا، رغم أنهم كـانوا عمليا يقودون الشيعة في ميادين الثورة والسياســة، وقلت: انه لا يوجد أي دليل على ذلك.

فكيف رد السيد الحسني على ذلك، وكيف أثبت انحصار الإمامة في ذرية الحسين؟

لقد استشهد ببعض الروايات التي يرويها الشيعة الامامية الاثني عشرية، وينسبونها الى رسول الله (ص) وأنه قد نص على قائمة الأئمة من قبل أو ذكر عــــددهم، وأضـــاف اليهم أســـماء بعض المحــدثين الحشــويين ، المتــأخرين الضـعفاء والمجهـولين ، من الســنة ، دون أن يــذكر الحســني أية رواية أو يحقق في ســندها ويتأكد منهـــا، فقـــال:"لقد اتفقت الكتب الشـــيعية وبعض الكتب السنية الحديثية على أن الإمامة سارية في ولد الحســين، وأشــار الى تلك الحقيقة المقدسي الشـــــافعي، والقنـــــدوزي الحنفي

[199] - ص 366 - 367

والخــوارزمي والحموئيــني الشــافعي وغــيرهم من أهل الســنة، وكـــذلك الكليـــني والصـــدوق وغـــيرهم من علمـــاء الشـــيعة ومحـــدثيهم..وتنــاقلت هــذه الحقيقة ألسن الصــحابة والفقهــاء والمؤلفين من لسان رسول الله.واتفق سـلمان مع الحسـين في نقله هذا بقوله...". [200]

هكذا باختصار، يريح نفسه من عناء البحث والتحقيق، والاجتهاد في الروايات والرجـال الـرواة لهـا، أو ذكـر المصـادر الدقيقة لهـا. ومع ذلك فانه يتهمني بتجنب البحث والتحقيق. علما بأن المـدعي لأمر عليه هو أن يقدم الدليل، وليس المنكر له.

ولا يجد الحسـني ما يفعله عنـدما يواجه الأزمة الكـبرى الـتي واجهت الفكر الإمــامي، وحكمت عليه بــالزوال والانهيــار، وهي مسألة عدم وجـود الخلف للإمـام العسـكري، وبـدلا من أن يقـدم الأدلة على وجوده، يقوم بإلقاء الكلام على عواهنه، وإلقـاء اللـوم على الكاتب، فيقول:" أراح الكـاتب نفسه عنـاء البحث عن فصل مهم، نقله الثقاة الينا من فصول دراسة الإمام الثاني عشــر، وهو الاعترافات الصريحة والصـحيحة من قبل العشـرات، بل المئـات الذين شاهدوا الإمام المنتظر في حياة أبيه العسكري وبعدها.

ونحن هنا نكتفي بنقل بعض الأسـماء والثقـاة الـذين شـاهدوا الإمام ، والـذين ضـرب الكـاتب عنهم صـفحا فلم يشر لهم بكلمة واحـدة، منهم إبـراهيم بن إدريس أبو أحمـد، وإبـراهيم بن عبـده النيسابوري، وإبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصـاري، وإبـراهيم بن مهزيـــار أبو إســـحاق الأهـــوازي،وأحمد بن إســـحاق بن ســـعد الأشــــــــــعري...وأبو الأديــــــــــان.. وجعفر بن علي، وجعفر الكــذاب...والحسـين بن روح أبو القاسـم...وحكيمة بنت الإمــام الجـواد، وسـعد بن عبد الله القمي وأبو سـورة...وغـيرهم، هـذا فضلا عن المشاهدات الجماعية في حياة العسكري وبعدها، وآمن بتلك المشـاهدات ونقلها ثقـاة الشـيعة ومؤلفوهـا، أمثـال المفيد والطوسي والكليـــني والصـــدوق وغـــيرهم من أقطـــاب الفكر الشـيعي، كل ذلك تجاهله الكـاتب ولم يـذكره إلا بعبـارة إعلامية خالية من أي مصدر قائلا: (ان عامة الشيعة لم يكونوا شاهدوا أي ولد للإمـــام العســـكري) وأهمل الكـــاتب هـــذا الكم الهائل من الاعترافـات من دون تأويل أو تضـعيف وما شـابه ذلـك، والـذي تعودناه من الكاتب أمام كل دليل خلاف ما ادعاه". [201]

---

[200] - ص 351

[201] - ص 133

ويبدو ان الحسني لم يقرأ كتابي، ولم يطلع على المبحث الرابع من الجزء الثاني منه، والمخصص لنقد الدليل التاريخي، والذي احتوى على عدة مطالب: الأول: تناقض الروايات، والذي استعرضت فيه رواية حكيمة، ورواية أبي الأديان، والمطلب الثاني، الذي قيمت فيه روايات حكيمة وأبي الأديان ورجل من أهل فارس، ويعقوب بن منقوش وعثمان بن سعيد العمري وسعد بن عبد الله القمي، والمطلب الثالث، الذي تضمن التحقيق في شهادة النواب الأربعة، والمطلب الرابع، الذي تضمن التحقيق في رسائل المهدي، ومشكلة التعرف على الخط، وكذلك المبحث الخامس الذي يتحدث عن حكايات المعاجز التي ادعاها النواب الأربعة.[202]

ودرست الروايات واحدة واحدة، والرواة واحدا واحدا، وأثبت تناقضها وعدم وجود أسانيد لها، وأنه لم تكن هناك أية مشاهدة للولد، حسبما تقول روايات أخرى تفسر ذلك بجو الخوف والكتمان الشديد. فكيف يقول الحسني أنه شاهده العشرات والمئات بصورة جماعية؟ وهل حقق في أية رواية؟

صحيح انه يقول: **لقد آمن بتلك المشاهدات ونقلها ثقاة الشيعة ومؤلفوها، أمثال المفيد والطوسي والكليني والصدوق وغيرهم من أقطاب الفكر الشيعي.**

ونحن لا ننفي ادعاء هؤلاء للرؤية، ولكن نقول أنهم يقولون أيضا : ان تلك الروايات ضعيفة ولا يعتمد عليها، وان معوّلنا في إثبات وجود الولد للإمام العسكري، هو الدليل الفلسفي (العقلي أو الاعتباري) ونحن لا نقبل بهذا الدليل غير الشرعي وغير العلمي، ونبحث عن أدلة تاريخية قاطعة تخرجنا من الحيرة الى شاطيء العلم واليقين. وهذا ما لم يقدمه لنا أحد، ولم يستطع الحسني الإشارة اليه. وإذا كان الكليني والصدوق والمفيد والطوسي، قد اجتهدوا في أمر ، ثم تبين بطلانه، فنحن لسنا بمضطرين لتقليدهم بصورة عمياء، أو اتباعهم على غير هدى.

وأخيرا يكشف السيد نذير الحسني، عن منهجه الأخباري الحشوي الخطير، الذي يمنعه من ممارسة الاجتهاد الحر السليم، ويدفعه أو يسمح له بابتلاع الخرافات والأساطير، والخلط بينها

---

[202] - وقد اعترف الحسني في الصفحة التالية بذكري لرواية أبي الأديان ومناقشتي لها ، فقال:"قال الكاتب بحق رواية أبي الأديان: (وأما رواية أبي الأديان البصري التي ينفرد بنقلها الصدوق ويرسلها دون سند... ولا يعرف أحد شخصا بهذا الاسم مما يؤكد اختلاقه من بعض الغلاة) فما حدا مما بدا بالأمس..". ص 134

وبين أحاديث الأئمة من أهل البيت، حيث ينفي الحاجة للقيام بأي بحث في سند أية رواية تخص التاريخ أو القضايا الاعتقادية، ويستشهد بأحد أساتذة هذه المدرسة المعاصرين، وهو السيد الجلالي، الذي ينقل عنه قوله:**"إن اعتبار السند، وحاجته الى النقد الرجالي بتوثيق الرواة أو جرحهم انما هو لازم في مقام إثبات الحكم الشرعي للتعبد به، لأن طريق اعتبار الحديث توصلا الى التعبد متوقف على اعتباره سنديا، بينما القضايا الاعتقادية والموضوعات الخارجية لا يمكن التعبد بها، لأنها ليست من الأحكام الشرعية".**[203]

وهو ما يؤكده أستاذه الآخر السيد كمال الحيدري، الذي قدم لكتابه، وسوف نستعرض أقواله في هذا المجال، ثم نراجع ما كتبه في الرد على الأفكار التي طرحتها في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) بتلك المنهجية الأخبارية الحشوية، وكيف تهرب من الرد الحقيقي عليه ليلجأ الى اختراع نظريات جديدة لعلها تنقذ نظرية الإمامة التي يعترف في النهاية بفشلها وصعوبة إثباتها.

الحيدري والمنهج الحشوي

كتب السيد كمال الحيدري في مقدمته لكتاب الحسني ما يلي:" ان الكتاب الماثل بين أيدينا، وهو كتاب (دفاع عن التشيع) فقد طالعته وسرني ما وجدت فيه من الجهد العلمي والتحقيق الذي بذله أحد أعزة تلامذتنا المتتبع، السيد نذير الحسني، حيث تصدى فيه للرد على بعض الأسئلة والاستفهامات، بل جملة من الاتهامات التي جاءت في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي) لأحمد الكاتب)".[204]

وقد أصاب في جزء من كلامه بأن الحسني تصدى للرد على بعض الأسئلة، حيث لم يرد على كثير من النقاط الأخرى الواردة في الكتاب، ولكنا لم نفهم ماذا يعني بالجهد العلمي والتحقيق الذي بذله تلميذه العزيز الحسني، بعد أن أهمل دراسة الرجال والسند في كل الروايات التي نقلها من بطون الكتب، وقال بصراحة أنها لا يحتاج الى النقد الرجالي بتوثيق الرواة أو جرحهم.

---

[203] - ص 427- 428 ويقول: قام السيد الجلالي ببحث مستقل حول علم الأئمة بالغيب نشر في مجلة تراثنا (العدد 37 ص 37)

[204] - ص 56

ولسنا متأكدين: هل قرأ الحيدري كتاب تلميذه بدقـة؟ أم مر عليه مرور الكرام، وإلا لأعطانا رأيه في كثير من النقاط التي ذكرهـا، مثل موضـوع غمـوض النص على الأئمـة، الـذي أكـده الحسـني، خصوصا حول الإمـامين الصـادق والكـاظم، وإذا كـان وافقه على رأيه ، فكيف يقـول الحيـدري بعد ذلك : ان موضـوع النص كـان واضحا وثابتا ومعروفا منذ عهد رسـول الله (ص)؟ ومثل موضـوع (الشـورى) والمقصـود منها في القـرآن الكـريم، هل هو الحكم والخلافـة؟ كما يعتقد الحيـدري، أو أمـور أخـرى، كما يقـول الحسني؟

وقبل أن يغـرق الحيـدري نفسه في لجة البحث، قـدم اعتـذارا رسميا عن التحقيق في الروايات التي تعتمد عليها نظرية الإمامة الاثنا عشـرية، فقـال:"قد يستشـكل البعض على جملة من هـذه الروايات التي ترد في مثل هذه البحـوث بأنها ضـعيفة السـند، إلا ان هذا الإشكال غـير تـام بحسب **الموازين العلمية** الثابتة في محلها، لأن هذه الروايـات ليست هي آحـاد، حـتى يمكن الإشـكال السـندي فيهـا، وانما هي من الكـثرة بمكـان، بنحو إما أن تكـون متواترة، أو قريبة من ذلك. ومن الواضح أنه في مثل هـذه الحالة لا مجـال للبحث السـندي فيهـا، طبعا مع مراعـاة الخصوصـيات والعوامل الموضـوعية والذاتية الـتي أشـار اليها أسـتاذنا الشـهيد الصدر (قدس) في نظرية حساب الاحتمالات، فانه مع الأخذ بعين الاعتبـار تلك العوامـل، فلا ريب في حصـول الاطمئنـان للبـاحث المنصف، في صـدور كثـير من هـذه الأحـاديث عن النـبي الأكـرم (ص) وأئمة أهل البيت (ع)". [205]

ومع ان السيد كمال الحيـدري نفسه لم يسـتطع أن يصـفها بـالتواتر بقـوة، فـان كـثرة الروايـات لا تعـني التـواتر، وقد قـال الشيخ المفيد:"ما روي من خـبر الواحـد... ولو رواه ألف إنسـان وألف ألف لما جـاز أنّ يجعل ظـاهره حجة في دفع الضـرورات وارتكاب الجهالات بدفع المشاهدات". [206] وبالتالي فانها لا تغـني عن التحقيق والبحث في السند. وذلك لأن التواتر الـذي يسـقط البحث في وثاقة الرجـال، هو ذلك الإخبـار الـذي يـورث اليقين، مثل الإخبـار عن وجـود الإمـام الصـادق، مثلا، فانه لا يشك أحد بوجـوده بغض النظر عمن يـروي خـبر وجـوده، وكـذلك وجـود الرسول الأعظم أو الإمـام علي أو أي شـخص آخر في التـاريخ، وأما إذا حـدث شك في الأخبـار، وحـيرة وغمـوض وتـردد في

---

205 - ص 24

206 - المفيد، الفصول المختارة، ص 249.

التصديق أو التكذيب، فان تلك الأخبـار لا تعـود تسـمى متـواترة، وانما تسـمى بأخبـار آحـاد، حـتى لو كـانت بالعشـرات والمئـات والآلاف، وتعظم الحاجة للتحقيق والتأكد من كل خـــبر، وصولا الى العلم بصحتها أو كذبها.

وفي مسألة الإمامة، أو وجود الإمـام الثـاني عشـر، نحن أمـام مجموعة أخبـار آحـاد، لم يحصل العلم بها لـدى عامة الشـيعة ، فضلا عن عامة المسـلمين، وكـانت محلا للنقـاش والأخذ والـرد، إذن فهي ليست أخبـارا متـواترة، ولا يجـوز القبـول بها هكـذا بلا دراسة ولا تمحيص. ثم لا يجوز البناء عليها والاستنتاج منها أفكـارا ونظريات أخرى بالتلازم.

ولكن السيد كمال الحيدري، يغمض عينيه عن كل ذلك التفصيل المهم، ويواصل اسـتدلاله على نظرية الإمامـة، فيقـول:"حـديث الثقلين، هذا الحديث **يكاد يكـون متـواترا**، بل هو متـواتر فعلا، إذا لوحظ مجمـــوع رواته من الشـــيعة والســـنة في مختلف الطبقات، واختلاف بعض الرواة في زيادة النقل ونقيصته، تقتضيه تعدد الواقعة التي صدر فيهـا، ونقل بعضـهم له بـالمعنى، وموضع الالتقاء بين الرواة متواتر قطعا". [207]

وبهـذه الـروح اللاعلمية ، والمنهج الحشـوي (المسـتلهم من أسـتاذه الوحيد الخراسـاني) راح السـيد كمـال الحيـدري يسـتدل كتلميذه النجيب نذير الحسني، على بقية فقـرات نظرية الإمامـة، فقال:"تبنى أتباع مدرسة أهل الـبيت (ع) حصر عـدد الأئمة بـاثني عشر إماما، تبعا لما بين أيديهم من **الروايات الصحيحة** الدالة على ذلك". [208]

ولم يجد حاجة لذكر تلك الروايات، وأسانيدها، وانما قال:"ذكر المحقق آية الله الصـــافي في كتابه القيم (منتخب الأثـــر) أن الروايات التي ذكرت أن الخلفـاء من بعد النـبي الأكـرم (ص) هم اثنا عشـــر، قد تصل الى ما يتجـــاوز (270 روايـــة) من طـــرق الفريقين. ولعل العدد أكثر من ذلك بكثير، كما يقـول في (معجم أحاديث الإمام المهدي) ان مصـادر حـديث الأئمة بعد النـبي (ص) اثنا عشر، وأنهم من قـريش أو من أهل الـبيت كثـيرة، وقد أفـرد لها **بعضهم كتيبا خاصا**، وقد جمعناها فرأيناها تبلغ مجلدا كاملا، لذلك اخترنا منها هذه النماذج..". [209]

ولو قام السيد كمال الحيدري بإلقاء نظرية على كتابنا الملحق بتطـور الفكر السياسي الشـيعي، وهو الـذي يتعلق بنقد أحـاديث

---

[207] - ص 21

[208] - ص 25

[209] - ص 26

الاثني عشرية لدى السنة والشيعة حديثا حديثا، لما قال ذلك، ولكنه أراح نفسه من البداية بعدم حاجته للبحث والتحقيق. فكل حديث لديه متواتر، أو يكاد يكون كذلك.

ولذلك تابع قائلا:"ان هذه الروايات لا يمكن لأحد ان يتهم أتباع أهل البيت بوضعها واختلاقها، بعد أن آمنوا بأن عدد الأئمة اثني عشر، وذلك لورودها في أهم الصحاح والمسانيد السنية قبل ذكرها في المصادر الشيعية".[210]

وقد أصاب الحيدري في قوله (قبل ذكرها في المصادر الشيعية) ، لأن هذه النظرية لم تكن معروفة لدى الشيعة الامامية في القرون الثلاثة الأولى، وانما نشأت في القرن الرابع، وقد قدمت في كتابي الأدلة على ذلك، وقد ألفها الإماميون بعد توقف استمرار الإمامة، وغيبة الإمام الثاني عشر، واستعاروا لذلك بعض الأحاديث الضعيفة والمجهولة والغامضة الواردة في بعض كتب الحديث السنية التي لا يعترف الامامية بصحتها.

وبدلا من نقد تلك الأحاديث سندا ومضمونا، على ضوء تراث أهل البيت وتاريخهم الثابت، قام الحيدري بالاستعانة ببعض القرائن الهامشية غير الصحيحة والتي لا يمكن الاعتماد عليها، فقال:"قد أشار الى هذه الحقيقة جملة من المحققين منهم سيدنا الشهيد الصدر حيث يقول: (قد أحصى بعض المؤلفين روايات هذا الحديث النبوي الشريف عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده، أنهم اثنا عشر، فبلغت الروايات أكثر من 270 رواية، مأخوذة من اشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة، بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين.

وليست الكثرة العددية لهذه الروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك إضافة الى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها، فالبخاري الذي نقل هذا الحديث، كان معاصرا للإمام الجواد والهادي والعسكري. وفي ذلك مغزى كبير ، لأنه يبرهن على أن هذا الحديث قد سجل عن النبي (ص) قبل ان يتحقق مضمونه، وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلا، وهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثرا بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاسا له، لأن الأحاديث المزيفة التي تنسب الى النبي (ص) هي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنيا، لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث، ذلك الواقع الذي يشكل انعكاسا له.

---

[210] - ص 28

فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على ان الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاسا لواقع، وانما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى، فقال: ان الخلفاء بعدي اثنا عشر، وجاء الواقع الإمامي الاثني عشري ابتداء من الإمام علي وانتهاء بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف)". [211]

وأغفل الحيدري كل الملاحظات التي قدمناها على هذا الحديث واستحالة الاستشهاد به على ولادة إنسان، أو إمامته، وذلك لتضمن الحديث في الروايات السنية معنى الأمير أو الخليفة، وليس الإمام بالمعنى الشيعي، ووجود الاحتمالات المتعددة للقائمة الاثني عشرية، بضم الإمام زيد بن علي أو عبد الله الأفطح أو جعفر بن علي الهادي أو غيره من أئمة أهل البيت اليها، وقول الشيعة سابقا باستمرار الإمامة الى يوم القيامة، بمعنى عدم جواز حصرها باثني عشر إماما أو أثني عشر ألف أو اثني عشر مليون إمام.

ومع وجود كل هذه الملاحظات، وغيرها، فان الحيدري يقفز الى القول افتراضاً:"الواقع ان الأحاديث التي أشارت الى ان الخلفاء اثنا عشر، عينت بنحو واضح، من هم أولئك الخلفاء؟ وهذا **مقتضى القاعدة** في المسألة، لأنه من الطبيعي عندما يصرح الرسول الأعظم (ص) بأن خلفاءه من بعده اثنا عشر، **لا بد ان يذكرهم مباشرة أو بعد السؤال على الأقل**، وهذا ما نجده واضحا في التراث الشيعي الذي تكلم عن هذه الحقيقة، ونحاول هنا الوقوف على بعض النماذج من هذه الروايات الكثيرة في المقام". ويواصل نقله للأحاديث بلا أي سند، وانما هكذا:"عن سلمان، قال قال رسول الله... عن أبي ذر...". [212]

ولم يتوقف الحيدري لحظة ليفكر ما نقله وأكده تلميذه الحسني من غموض النص على الأئمة حتى لدى الشيعة وخاصتهم، فيفترض حسب مقتضى القاعدة أن يكون الرسول قد ذكر أسماءهم بعد السؤال منه عنهم.

وهذا منهج غريب في صناعة الأحاديث الافتراضية.

وإذا أضفنا اليه الاعتماد على المنهج الأخباري الحشوي، في تقبل الروايات بلا تمحيص، فاننا نصل الى نتائج أغرب، وهذا ما يقوله السيد كمال الحيدري.

---

[211] - ص 28 – 29

[212] - ص 33

انه يــدعي بكل جــرأة وجــود النص على الأئمة الاثــني عشر بطريقين:
"الطريق الأول: هو الطريق المباشر لتعـــيينهم من خلال الروايــات المنقولة عن النــبي الأكــرم (ص) والــتي تنص عليهم بأســمائهم. منها ما ذكــره في (ينــابيع المــودة) عن كتــاب (فرائد السمطين) بسنده عن مجاهد عن ابن عباس (النبي يذكر أسماء الأئمة واحــدا بعد واحــد)..[213]وقد أحصى الصـافي الكلبايكـاني في كتابه (منتخب الأثــر) أكـثر من خمســين رواية في هــذا المجــال، وقال بعد ذلك:"النصوص الواردة في ساداتنا الأئمة الاثني عشــر، بلغت في الكثرة حدا، لا يسـعه مثل هـذا الكتـاب، وكتب أصـحابنا في الإمامة وغيرها مشحونة بها، واستقصاؤها صعب جدا". [214]
ولم يشعر الحيدري بأية حاجة لذكر السند، ولا التحقيق في تلك الروايــات، بعد أن نقلها الصــافي الكلبايكــاني، ولا التســاؤل عن صـحة الرواية الـتي ينسـبها من ينسـبها الى مجاهد (السـني) في القــرن الثــاني الهجــري، والــتي لا يعرفها زرارة وخاصة أصـحاب الإمــامين الصــادق والكــاظم. ويتــابع اســتعرض الطــرق فيقــول: "الطريق الثاني: وهو طريق نقلي أيضا، ولكنه طولي، ونعني بــه: أن النبي الأكــرم يعين بعضا من هــؤلاء الأئمة من بعــده، ثم يقــوم كل واحد من هؤلاء بتعيين الخليفة الذي يأتي بعده، وهكذا".[215]
ورغم عدم صحة هذا الطريق، وعدم وجــود نص بالإمامة من أحد على أحد من أئمة أهل الـــبيت، واعـــتراف مشــايخ الطائفة الامامية بالغموض، واضطرارهم للاستعانة بـدليل (المعـاجز وعلم الأئمة بالغيب) لإثبات إمامتهم، فان الحيدري يعقب قــائلا:"مع كل هذه النصوص وعشرات غيرها، تأتي بعض الأقلام لتقول: أن أئمة أهل الــبيت وعلى رأسـهم الإمـام علي بن أبي طـالب، لم يـدعوا لأنفسـهم العصـمة، ولم يقولـوا ما قالته الشـيعة عنهم، وانما هي من اختلاقات فلاسفة الشيعة ومتكلميهم".[216]
ثم يستعين الحيدري بمنهجه الأخباري الحشوي، فيقول:"لا يقال ان بعض هــذه الروايــات إما هي ضــعيفة الســند، وعلى فــرض صحتها فهي آحــاد، لا يمكن الاعتمــاد عليها في الأصـول الاعتقادية كمبحث الإمامة. فانه يقال: حتى لو سلمنا ما يقوله المستشــكل، فانه لا نعتمد على خصــوص هــذه الروايــات لتعــيين الأئمة من

---

[213] - ص 37
[214] - ص 38
[215] - ص 38
[216] - ص40

السجاد الى القائم وانما يضاف اليها عشرات الروايات التي تحدثت عن أسمائهم جميعا، كما في الطريق الأول".[217]

وإذا كان هذا الطريق (الأول) أضعف من الطريق الثاني، فماذا يقول؟

وكيف يثبت وجود (الإمام الثاني عشر) حتى يصحح روايات (الاثني عشرية)؟ وأساس (نظرية الإمامة)؟

انه يعتمد على نفس تلك الروايات والنظريات لإثبات وجود (الإمام الثاني عشر) في عملية دور مكشوفة. فتلك الروايات صحيحة إذن فالإمام الثاني عشر موجود، والإمام موجود إذن فتلك الروايات صحيحة.

يقول:"لا بد أن ينصب الحديث على إثبات ان المهدي المنتظر حي أم لا، ويمكن ذكر طريقين:

الأول: وهو الطريق غير المباشر، ان صح التعبير، وذلك بأن يقال: بعد أن ثبتت ضرورة استمرار وجود معصوم، لا يفارق الكتاب ولا يفارقه الكتاب، كما هو نص حديث الثقلين، وأن هؤلاء المعصومين لا يتجاوز عددهم 12 كما هو مقتضى أحاديث (خلفائي اثنا عشر) وأن هؤلاء هم علي والحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين، ينتهون بالمهدي المنتظر، كما هو نص عشرات الروايات من الفريقين. **إذن يثبت بالدلالة الالتزامية العقلية**، أن الإمام الثاني عشر، حي يرزق، لكنه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهية في ذلك".

ثم يستدرك:"من الواضح ان هذا الطريق يثبت لنا وجود إمام معصوم غائب، هو المهدي المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري، الذي ينتهي نسبه الى الإمام الحسين بن علي. ولكنه لا يتعرض لتفاصيل سنة ولادته وكيفية ذلك، ومن هي أمه، ومتى غاب، وهل له غيبة واحدة أم أكثر، إلا ان هذا لا يؤثر في أصل إثبات وجوده، وانه حي غائب، لأن **الضرورة النقلية، وما يلزمها عقلا** تثبت هذه الحقيقة".[218]

ويتابع:"الطريق الثاني: **وهو الطريق المباشر**، ولكي يتضح ذلك جيدا لا بد من الإشارة الى التسلسل الوارد في الروايات لإثبات هذه الظاهرة الإلهية (ويذكر هنا أرقام مجموعات من الروايات العامة التي تبشر بظهور المهدي ومختلف الأمور المتعلقة به بشكل عام وخاص) ثم يذكر ما يشير الى **ولادته وتاريخها وبعض حالات أمه (214 رواية).**[219]

---

[217] - ص 43
[218] - ص 51
[219] - ص52

ويقـول:"ولا يخفى أن هنـاك طرقا أخـرى لإثبـات حياته (عج) كشهادة من رآه، وهم جم غفـير، وفيهم **الثقاة والعلمـاء**، فقد أحصى البعض عدد من شـاهد الإمـام المهـدي فبلغـوا زهـاء 304 شخص، ولعل ما فاته أكثر مما ذكره.

ومن هنا جاءت اعترافات عدد كبـير من علمـاء السـنة، تـبين ولادة المهدي ، وقد صرح بعضهم أنه هو الإمام الموعود بظهـوره في آخر الزمـــان. وقد أحصت بعض المؤلفـــات المعاصـــرة وهو (المهدي في نهج البلاغة) للشيخ مهـدي فقيه إيمـاني ما يزيد عن 100 شخصية صرحت بولادته (عج)". [220]

ويضيف:"وبهذا تخرج مسألة الإيمان بالمهـدي المنتظر وانه حي يـــرزق، عن دائـــرة اتهـــام الشـــيعة، باختلاقها وإيجادها في الفكر الإسلامي.

وبإضافة هذا المحور الى المحاور الثلاثة المتقدمة، ونعني بها: اسـتمرار الإمامـة، وعـدد الأئمـة، ومصـاديقهم، يتم بحث الإمامة **بشـــكل منطقي**، وننتهي من خلاله الى **نتـــائج قطعية لا ينكرها** أي عالم باحث عن الحق والحقيقة". [221]

بهذه السطور التي لا تتجاوز الصفحتين يختصر السـيد كمـال الحيدري الرد على الجزء الثاني من كتاب (تطور الفكر السياسي الشـيعي) الـذي يـدور حـول موضـوع وجـود الإمـام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العســــــكري) ليثبت أنه حقيقة قاطعة وليس أسطورة وهمية مختلقة.

وكما لاحظنا فقد اختصر في البداية ما يسمى بالدليل العقلي، أي نظرية الإمامة، وخاصة حـديث الثقلين والاثـني عشـر، **ليثبت بالدلالة الالتزامية العقلية: أن الإمام الثاني عشـر، حي يـــرزق**، وأنه ابن الإمـــام الحسن العســـكري. مع أن المتكلمين الامامية السابقين لم يكونوا يقولـون بـذلك، وانما كـانوا يضـيفون الى هذه المقدمة مقـدمات أخـرى حـتى يصـلوا الى هـذه النتيجة التي قفز اليها الحيدري بسـرعة، وذلك لوجـود احتمـال أن يكـون الإمـام المعصـوم شـخص آخـر، وان تكـون قائمة الأئمة الاثـني عشـر، الـتي لم تكن معروفة في ذلك الـوقت بعـد، تنطـوي على اسم شخص آخر. ومن تلك المقدمات إثبات وفاة العسكري التي كان يشـكك فيها بعض الشـيعة، وإثبـات وفـاة أخيه السـيد محمد الذي كـان بعض آخر يقـول باسـتمرار حياتـه، وإثبـات عـدم جـواز انتقال الإمامة الى أخوين بعد الحسن والحسين، حيث كان يقــول

---

[220] - ص 54
[221] - ص 55

بعض الشـيعة (كالفطحيـة) بجـواز ذلـك، وإثبـات عـدم عـودة العسكري الى الحياة مرة أخرى، أو حـدوث الفـترة في الإمامـة، كما كان دائما من يوجد من يقول بذلك.

أما إذا ثبت العكس، وتحقق عدم وجود ولد للإمام العسكري، كما كان هو يقول ويعلن، فان استنتاج وجود له بـالالتزام العقلي، يصبح نوعا سمجا من الافتراض الفلسفي الظـني العقيم. ويصـبح السؤال عن حقيقة دعوى ولادته سؤالا معقولا جدا وضروريا، لأنه يكشف تهـافت (الضـرورة النقلية وما يلزمها عقلا) ويثبت بطلان الاستنتاجات الافتراضية.

ونأتي الى الطريق الثاني الذي أشار اليه باختصار، وذلك بـذكر أرقام الروايات التي تحدثت عما يتعلق بالمهدي العـام، ومن بينها الروايات (214 روايـة) الـتي تحـدثت عن ولادته وتاريخها وبعض حالات أمه.

ولست أدري من أين جاء بهذه الأرقام؟ وهل اطلع على بعض تلك الروايــات المزعومــة، ولا يوجد في كل كتب الصــدوق والنعمـاني والمفيد والطوسي والمرتضى والطوسي والمـؤرخين والمتكلمين الذي عاشوا في القـرنين الرابع والخـامس ، والـذين أسسوا لهذه الحكاية أكثر من بضع حكايـات أو إشـاعات بلا سـند متصل ، وبعضها منقـول عن أشـهر الكـذابين والوضـاعين. فكيف أصبحت 214 رواية، ورواية صحيحة حسب الفرض؟

وهل هذا منهج علمي في البحث والاجتهاد والتحقيق؟

أم أن الأمر لا يحتـاج الى شـيء من ذلـك، فكل رواية هي متواترة ومجمع عليها تورث القطع واليقين؟

وعلى أي حـال، ما هي النتيجة الـتي نخلص من كل ذلك الحديث؟ هل نحصل على إمام يقودنا في دروب الحياة؟ ويتصـدر ليطبق لنا الشريعة الإسلامية، أو يغمرنا بعلمه الواسع؟

ان هـذا السـؤال ينسف بـالطبع كل تلك الروايـات والأدلة والبراهين التي يأتون بها لإثبات وجود (الإمـام الغـائب) . وهـذا ما يشعر به السيد كمال الحيـدري بقـوة، ولكنه بـدلا من أن يعـترف بالحقيقة، ويتخلى عن النظريـات الأسـطورية الدخيلة في مـذهب أهل الـبيت، يصـنع نظرية جديـدة في الإمامـة، لم يعرفها الـذين أسســوا لنظرية الإمامة ولا الاثــني عشــرية ولا الــذين اختلقــوا (الإمام الثاني عشر).

وتقوم نظرية الحيدري الجديدة على أسـاس التلاعب بمعـنى كلمة "الإمام" وإعطائه دورا أكبر من الإمامة السياسـية والروحية والتشريعية والعلمية، التي كان يـدور حولها الحـديث في القـرون الأولى، وهو دور (الوجــود والتكــوين) أو ما يســميه بعض الغلاة

بالولاية التكوينية. ومن هنا فانه الحيدري يضطر لانتقاد المتكلمين الامامية السابقين على مسايرتهم للفكر السـني في قصر تعريف كلمة "الإمـام" على البعد التشـريعي والسياسـي، وإهمـال البعد الآخر (الوجودي والتكويني).

يقـول تحت عنـوان (تحرير محل الـنزاع):" انطلقت المدرسة السنية من نقطة مركزية في تكوين نظامها الفكـري لفهم نظرية الإمامة تمثلت في أن الإمـام أو الخليفــة، يعـني القائد والـزعيم السياسي المســؤول عن إدارة شــؤون النـــاس على مختلف الأصعدة والمستويات...وحيث لم يتجـاوز دور الإمـام في النظـام الفكـري لهـذه المدرسة تخـوم القيـادة والزعامة السياسـية، فقد كـــان من المنطقي، بقطع النظر عن دلالات الـــوحي الإلهي، أن يولوا وجوههم صوب نظرية الشورى وانتخاب أهل الحل والعقــد، وذلك:

أولاً: لأن هذه النظرية أقر ب الى الذوق العرفي.

ثانيا: ان الحكومة شأن من شؤون الناس وعهد بينهم وبين الإمام القائــد، وإذ يكــون الأمر كــذلك، فلا بد ان يكــون للأمة دور في إدارة الشؤون والنهـوض بهـا، لأن القـرآن ينص (وأمـرهم شـوري بينهم) ومن الواضح **ان الإمامة بمعـنى القيـادة داخلة في أمر النـاس**. لهـذا اتجهت المجتمعـات البشـرية صـوب نظرية الانتخاب لا النص...

وعنــدما انتقلــوا الى الشــروط الــتي لا بد من توافرها فيمن يتصدى للنهوض بهذا الـدور ، لم يجـدوا مناصا من الالـتزام بأنه لا يشــترط أن يكــون معصــوما، بل تكفيه من الناحية الســلوكية العدالة بمعناها المتـــداول في البحث الفقهي، ومن ناحية التأهيل العلمي تكفيه قـدرة علمية ترفعه الى مستوى أداء المسـؤوليات التي أنيطت بـه. وهكـذا انتهت عناصر النظـام الفكـري للمدرسة السنية في الإمام الى المكونات التالية بشكل عام:

1- لا تعني الإمامة غير الحكم والقيادة السياسية.
2- تتم هذه العملية بالانتخاب والشورى
3- انها منقطعة ليست دائمة
4- لا يشترط فيها غير العدالة والعلم بمعناهما المألوف".[222]

وهنا يوجه نقـده للمنهج الكلامي الإمـامي، فيقـول:"عند الانتقـال الى الجـــانب الآخر من المشـــهد، نلمس أن المنهج الكلامي في المدرسة الشــيعية، لم يبـــادر الى تحرير محل الـــنزاع وتحديد الخلاف بين المدرسـتين، بل دخل الى تضـاعيف البحث مباشـرة، فأشهر نظرية النص بازاء نظرية الشـورى، وذهب الى ان الإمامة

[222] - ص 7 -8

متصلة ومستمرة الى ان يرث الله الأرض ومن عليهـا، في مقابل أولئك الذين أنكروا ديمومتها، كما اشترط العصـمة المطلقة على مسـتوى الاعتقـاد والأخلاق والسـلوك قبل البلـوغ وبعـده، والعلم الكامل التام من غير كسب.

لكن ولما كانت انطلاقة الطرفين المتنازعين، تبـدو وكأنها تبـدأ من نقطة شـــروع واحـــدة، فقد وجد بعضٌ أن هنـــاك ضـــربا من التهـافت وعـدم الانسـجام بين المسـؤولية الملقـاة على عـاتق الإمـــام، وهي الزعامة والقيـــادة السياســـية، وبين الشـــروط والمواصفات التي ذكرت له، فالشروط تبدو أضخم وأوسع بكثـير من المهمة التي ينهض بها الإمام. وبما أن هذه النقطة والمفارقة التي استتبعتها، هي التي تفسر لنا التداعيات الـتي راحت تتهـاوى اليها بعض الكتابات المعاصرة حتى داخل الصف الشيعي ذاته.

فمن هؤلاء من تجاوز تخـوم الشك الى حد رفض نظرية النص في الإمامــة، وما يســتتبع ذلك من لــوازم، ومنهم من احتمل أن العصمة تكفي بحد معين لا تتجاوزه، لعـدم الحاجة الى ما هو أزيد من ذلــك. وفريق رفض العصــمة بنحو كلي، محتجا أنها لو كـانت شرطا أساسيا في القائد، فلمـاذا لا يلـتزم أصـحاب هـذه النظرية بهذا الشرط الى آخر الشوط؟ بل تخلوا عنه واكتفـوا بـالقول بأنه يكفي في الإمـام – أي القائد – أن يكـون عـادلا لا أكـثر في زمن الغيبة.

كما ان منهم من ذهب الى ان النزاع في: من هو أحق بالإمامة بعد رســول الله (ص)؟ نــزاع تــاريخي عقيم لا طائل من ورائــه. ومنهم من راح يتســاءل عن الفائــدة المترتبة على وجــود إمــام غـــائب عن الأنظـــار ليس بمقـــدوره أن يواجه مشـــكلات العصر ويجيب عما يثيره من تحديات، ويتحمل مسئوليته فعلا، فان وجود مثل هذا الإمـام يُعد لغـواً لا فائـدة منـه، وهو محـال على الحكيم سبحانه.

لقد نشـأت هـذه التسـاؤلات والاسـتفهامات على أرضـية تلك الانطلاقة الـتي أسس لها نظـام الفكر السـني في فهم الإمامـة، وتبعتها بعض الاتجاهات في الكلام الشيعي". [223]

ومع ان الفكر الكلامي الإمامي الشـيعي كـان يـدور فعلا حـول محور الإمامة بمعنى الخلافة والحكم والزعامة، وهو نفس محــور الحديث عند الفكر السني، ولم يكن الطرفان يختلفان حول أصل الموضوع، بقدر ما كانا يختلفـان حـول شـروط الإمـام، فيشـترط الفكر الإمـامي العصـمة والنص، ويـرفض الفكر السـني القبـول بــذلك الشــرط. وبالتــالي فــان كل تلك الأســئلة الــتي طرحها

[223] - ص 9 – 10

الحيـدري قبل قليـل، هي أسـئلة واردة ومعقولـة، خاصة السـؤال الأخــير عن دور الإمــام الغــائب وعجــزه عن أداء مهمة الإمامة المطلوبة، وهو ما ينسف نظرية الإمامة والغيبـة. ويضـطرنا للأخذ بنظرية الشورى قديما وحديثا. إلا ان السيد كمال الحيدري يذهب الى تـراث الغلاة (المفوضـة) ليسـتعين بمقـولاتهم الباطلة الـتي تصل الى حد الشـرك باللـه، ويعطي "الإمـام" دورا آخر ، فـوق سياسـي، دورا وجوديا وتكوينيـا، فيقـول:"ان الـذي نسـتوحيه من القـرآن الكـريم، والسـنة النبوية الشـريفة، والروايـات الصـحيحة الـواردة عن أئمة أهل الـبيت.. أن الإمامة الـتي تعتقد بها مدرسة أهل الــبيت تختلف اختلافا جوهريا عن دور الإمامة الــتي تنحصر في الخلافة والحكم، وذلك لأن هـذا الاتجـاه يـرى أن للإمامة دورا فوق دور القيادة والزعامة، وهو الدور الـذي بينه القـرآن الكـريم من خلال قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة)...وهي الـتي قال عنها الإمام السـجاد:" نحن الـذين بنا يمسك الله السـماء أن تقع على الأرض إلا بإذنـه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلهـا، وبنا يـنزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخـرج بركـات الأرض، ولـولا ما في الأرض منا لساخت بأهلهـا". لـذا عنـدما يسـأل الإمـام البـاقر ويقال له: لأي شـيء يحتـاج الى النـبي والإمـام؟ فيقـول: "لبقـاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عز وجل يرفع العـذاب عن أهل الأرض إذا كـان فيها نـبي أو إمـام، قـال الله عز وجـل: (وما كـان الله ليعـذبهم وأنت فيهم) من هنا عـبر الرسـول الأعظم عن هـذا الدور لأهل بيته بقولـه: (النجـوم أمـان لأهل السـماء، وأهل بيـتي أمـــان لأهل الأرض، فـــإذا ذهبت النجـــوم أتى أهل الســـماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون).

ولعل تشبيه انتفاع الناس بالحجة في زمان غيبته، عندما يسأل الإمام الصـادق، فكيف ينتفع النـاس بالحجة المسـتور؟ قـال: كما ينتفعـون بالشـمس إذا سـترها السـحاب" يشـير الى حقيقـتين أساسيتين:

الأولى: ان الانتفـاع به لا يختص بعـالم التشـريع والاعتبـار، بل يتجاوز ذلك الى عالم التكوين.

الثانية: أن هذا الأمر غير محسـوس ومـرئي للنـاس، بل يرتبط بعالم الغيب لا نشأة الشهادة.

وتأسيسا على ما تقـدم فنحن نعتقد أنه لا يمكن الوقـوف على فلسـفة ما اشـترطناه في الإمامة من العصـمة والنص والديمومة والعلم الخـاص، إلا إذا أدركنا المهـام والمسـؤوليات الـتي أنيطت بدور الإمامة والخلافة في النظرية القرآنية، وخصوصا ما نصـطلح عليه بـ (الدور الوجودي) للإمام (ع) وهو غير (الدور التشريعي) و

(القيادة السياسية) و (القـدوة الصـالحة) بل ان صح التعبـير فـان هذه الأدوار انما هي ثمرات ذلك الأصل التي عبر القـرآن الكـريم بـ (الشجرة الطيبة) التي أصلها ثـابت وفرعها في السـماء، تـؤتي أكلها كل حين بــإذن ربها ، ويضــرب الله الأمثــال للنــاس لعلهم يتذكرون). (إبراهيم 24- 25).[224]

وكما لاحظنا هنا مرة أخرى، فان الحيـدري، يعتمد على تأويل القرآن بشكل تعسفي، وعلى مجموعة أحـاديث ضـعيفة، دون أن يذكر الرواة أو يلاحظ السند، أو يدرسها بصورة دقيقة، فهي عنده صحيحة لأنها تنسجم مع نظريته الجديدة التي يحاول بها حل أزمة نظرية الإمامة.

ولذا فانه يعود للتأكيد على هذه الفكرة قائلا:" أود الإشارة هنا الى أن البحث في مســائل الإمامــة، يمكن ان يكــون من خلال بعدين:

الأول: **البعد الوجودي والتكويني**

الثاني: البعد السياسي والفقهي والتاريخي

والمراجع لكتاب (تطـور الفكر السياسـي...) يجد أن المؤلف تجاهل البعد الأول تماما، وأغفل الحديث عنه بالكلية، وانما حـاول أن يقرأ الإمامة من خلال البعد الثاني، وهـذا ما أوصـله الى جملة من النتائج الخاطئـة، وهـذه هي النكتة الـتي أومأنا اليها في بداية هـــذا البحث، وقلنا بـــأن المدرسة الســـنية، انطلقت من نقطة مركزية لفهم نظرية الإمامـــة، تمثلت في أن الإمـــام والخليفـــة، يعــني القائد والــزعيم السياســي، لــذا بينا أننا ما لم نحــدد محل النزاع في الإمامة، ونقف على المسؤوليات التي أنيطت بها، فإن البحث لا يمكن أن ينتهي الى نتائج صحيحة".[225]

وفي الحقيقة أن بحث الإمامة عقيم ولا يمكن أن ينتهي الى نتيجة عمليـــة، بيد أنـــني لم أتجاهل البعد الأول الـــذي يســـميه الحيدري (البعد الوجـودي والتكويـني) لأنه غـير موجـود أصـلاً، ولا علاقة له بالموضـــوع بتاتـــا، وهو شـــرك وكفر بالله العظيم، ولم يتحـدث عنه متكلمو الامامية السـابقون، وانما يحـاول الحيـدري، اختلاقه وإضـافته اليـوم الى موضـوع الإمامة الـذي كـان يـدور بإجماع الفريقين السنة والشيعة حول الإمام والخليفـة، أي القائد والـزعيم السياسـي، ولم يكن يـدور يومـاً حـول (مسـاعد الإلـه) الجديد الـذي يتحـدث عنه الغلاة المفوضة (لعنهم اللـه) وذلك بعد وضوح عقم وانهيار نظرية الإمامة.

---

[224] - ص 01 – 12

[225] - ص56

وإذا استغفر الحيدري من كلامه هذا ، فانه سوف يكتشف بأنه لا حقيقة لنظرية الإمامة، ولا لأسطورة (الإمام الثاني عشـر) وانه لم و لا يوجد طريق أفضل من الشـورى لاختيـار الإمـام العـادل الكفء.

17 - مع الشـيخ محمد مهـدي الآصـفي في كلمته عن (الإمام المهدي):

دليل الانحصار والمطابقة

ألقى الشيخ محمد مهدي الآصفي كلمة عن (الإمام المهدي) في مـؤتمر عقد في لنـدن حـول الموضـوع، في المركز الإسـلامي الإيـراني، في شـهر تشـرين الثـاني سـنة 1999، واحتج لوجـود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) بثلاث قضايا، هي:

1- الانقلاب الكـوني الشـامل ، أو الوعد الإلهي باسـتخلاف المؤمنين، والذي يشير إليه القرآن في أكثر من آية.
2- قيادة الإمام المهدي لذلك الانقلاب .
3- "أن المهـدي المنتظر عجل الله فرجه الشـريف الـذي اخـبر عنه رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلّم هو محمد بن الحسن العسـكري بن علي الهـادي عليهم السـلام ، ولد سـنة 255 هــ . بسـامراء ، ثم غيّبه الله تعالى ، وهو الذي يرسـله الله حيث يشـاء لإنقـاذ النـاس من الظلم ، وإزالة الشـرك من على وجه الأرض ، وتقرير التوحيد وعبودية الإنسـان لله ، وتحكيم شـريعة الله وحـدوده في حيـاة النـاس . وهو الـذي يقـود هـذا الانقلاب الكوني الشامل الواسع ، في انتقـال القـوة من الطبقة المترفة المسـتكبرة الفاسـدة إلى الطبقة الصـالحة المستضـعفة (ونريد أن نمن على الـذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين). وقد تـواترت الرواية عن أهل الـبيت عليهم السـلام بـان المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف الذي بشّـر به رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلّم هو ابن الحسن

العســــكري ، والثـــــاني عشر من أهل الـــــبيت عليهم السلام" .

ووجه الآصفي حديثه الى" الذين يؤمنون بحجية حديث أهل البيت عليهم السـلام ، ويبحثـون عن أدلة كافية وواضـحة وصـريحة في الإثبـات العلمي لما يدعيه الإمامية من تعـيين وتشـخيص المهـدي المنتظر عجل الله فرجه الشـــريف".ثم قـــال:"ان الاختلاف بين الشيعة الامامية وبين سائر الفرق الإسلامية ليس في أصل قضية (المهدوية) ... وإنما في التشخيص والتعيين فقط. فـان الشـيعة الأمامية يذهبون قولا واحدا إلى أن الإمـام المهـدي المنتظر عجل الله فرجه الشــــريف هو محمد بن الحسن العســـكري بن علي الهادي المولود سنة 255 هـ . وقد غيّبه الله تعالى لحكمة يعرفها ، وهو الذي ادّخره الله تعـالى لنجـاة البشـرية ، وبشّـر به الأنبيـاء والكتب الإلهية من قبل ، بينما يــذهب الآخــرون إلى أن المهــدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لم يولد بعد ، أو ولد في عهد قريب ".

ثم انتقل الشـيخ الآصـفي الى اسـتعراض الأدلة " الـتي تثبت عقيدة الإمامية في تشخيص وتعيين الإمـام المهـدي " فـذكر انها على طائفتين :

الطائفة الأولى : الروايـات العامة الـتي لا تخص الإمـام، مثل حــديث الثقلين:"**أيها النــاس إنما أنا بشر أوشك أن ادعى فــأجيب ، وإني تــارك فيكم الثقلين ، وهما كتــاب الله وعترتي أهل بيـتي ، وانهما لن يفترقا حـتى يـردا على الحوض ، فلا تسبقوهم فتهلكوا ، ولا تعلّمـوهم فـانهم اعلم منكم" وحديث:" من مات ولم يعرف إمــام زمانه"** و حديث" **"أن الأرض لا تخلو من حجة".**

وقــال:"انها تنطبق بصــورة قهرية على عقيــدة الأمامية في المهدي عجل الله فرجه الشريف ، ولا نعـرف توجيها ولا تفسـيرا لها إذا أسـقطنا من حسـابنا عقيـدة الإمامية في هـذا الموضـوع ، وهــذه الروايــات صـحيحة بالتأكيد وبعضـها بــالغ حد التــواتر في المصـادر الإمامية من ناحية رجـال السـند في مختلف طبقاته ولا مجـال للمناقشة فيها من حيث الإسـناد . والإيمــان بصـحة هــذه الأحاديث يؤدي إلى الإثبات العلمي والقطعي لعقيـدة الإمامية في تشـخيص وتعـيين الإمـام المنتظر عجل الله فرجه ، وذلك بسـبب تطابقها أولا مع ما هو المعــروف عند الإمامية - كما سـوف نــرى

ذلك إن شاء الله - ولانتفاء حالة أخـرى تصـلح أن تكـون مصـداقا وتفسيرا لهذه الأحاديث ثانيا .

ونتيجة هاتين النقطتين، هي التطبيق القهـري والحتمي لهـذه الأحاديث على عقيدة الأمامية في تشخيص الإمـام المهـدي عجل الله فرجه الشريف" .

وقال عن حديث الثقلين :"إنه صريح في :أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يـترك من بعـده خليفـتين هما القـرآن وأهل بيته لهداية الأمة. وانهما باقيان لن يفترقا عن بعض إلى يـوم القيامـة. والتمسك بهما معاً يعصم الأمّة من الضـلال . وإذا ضـممنا النقطة الأولى (إني تـــارك فيكم الثقلين) إلى النقطة الثانية (وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) **اسـتنتجنا** أصلاً هامـاً وهو وجـود حجّة وإمام من أهل البيت عليهم السلام في كل زمـان لا يفـترق عن كتاب الله قط" .

وأضاف:"ليس لهذا الحديث تفسير أو تطبيق غـير ما يعتقـده الأمامية من وجـــود الإمـــام المهـــدي عجل الله فرجه الشـــريف وحياته وبقاؤه وعصمته وإمامته على المسلمين .وإذا أسقطنا هذا الأمر عن الاعتبـــار ، لم نجد تطبيقا وتفســـيرا له قط في هـــذه القـرون من حيـاة المسـلمين. فليس في المسـلمين اليـوم ، ولا قبل اليوم من يدّعي أنه أعلم الناس ، وان على الناس أن يتّبعوه ولا يتقدّموه ، وأن يتعلّمـوا منه ولا يعلّمـوه، كما في نص الحـديث الشـــريف الـــذي لا يختلف فيه من يعبأ بقوله ورأيه من علمـــاء المسلمين .

وإذا قيل **فما نفع إمام غائب عن الناس للناس** ؟ نقول إنّ الله تعـالى لم يطلعنا من أسـرار غيبه إلا على القليل ، وما أخفى الله علمه عنّا كثـــير، وما عرّفنا منه قليل . وقد أخبرنا الصـــادق الأمين صــلى الله عليه وآله وســلّم ببقــاء حجة من أهل بيته في الناس على وجه الأرض إلى يــوم القيامة ، فنتعبّد بحديثه ، ونحيل علم ما لا نعلم إلى من يعلم ...وليس كل ما في شـــــــريعة الله مفهوم معروف لنا ، وما يخفى علينا من أسرار دين الله اكثر مما نعلم بأضعاف مضاعفة".

وقـال عن الحـديث الثـاني:" **من مات ولم يعـرف إمـام زمانه"** بعد أن رواه بعـــدة طـــرق ســـنية وشـــيعية، وبألفـــاظ مختلفة:"روى الحـــديث ثقـــاة المحـــدّثين من أصـــحابنا الأمامية

وطـــرقهم إليه كثـــيرة وطائفة منها صـــحيحة ، وهي في الجملة قريبة من التـواتر ...ورجـال السـند كلهم ثقـاة . **ولسنا نحتـاج إلى توثيق الســند في أمثـــال هـــذه الروايـــات الـــتي تظافرت روايتها** عن الطـريقين والروايـات واضـحة الـدلالات صـحيحة السـند ، وهي تـدلّ على الحقـائق التاليـة: أن الأرض لا تصـلح إلا بإمـام. ولا بد في كل زمـان أن يعـرف الإنسـان إمـام زمانـه. ولا بد من طاعة الإمـام لكل أحد في كل زمـان ولا يجـوز لأحد أن يخـرج عن طاعة إمـام زمانـه. ومن يمـوت وليس عليه إمام يموت ميتة جاهلية. ومن يمـوت وليس في عنقه بيعة لإمـام يموت ميتة جاهلية. وهذه الحقائق تثبت جميعا أن سنّة الله تعالى قد اقتضت وجود إمام عدل في كل زمان ، قد فـرض الله طاعته على النـاس ، ولم يـأذن بـالخروج عن طاعته فهي حكم شـرعي يستبطن تقريراً لسنة إلهية . أمّا الحكم فهو وجوب طاعة الإمــام في كل زمان وأما السـنّة الإلهية الـتي يسـتبطنها هـذا الحكم فهو وجـــود إمـــام في كل زمـــان ، وإلاّ فكيف يطلب الله تعـــالى من الإنسان أن لا يموت إلاّ وهو في طاعة إمام زمانـــه، وعلى عهدته البيعة له ، غير نـاقض ولا نـاكث لها ، وغـير جاهل به ، فـإذا خـرج عن الطاعة أو نكث البيعة أو جهل به مـــات ميتة جاهليـــة، بهـــذه الدرجة من التغليظ والتشـــديد في الجـــزاء والعقوبة ؟ ومن نافلة القول أن نقول أن الحكـام الظلمة وأئمة الكفر والـذين يحـاربون الله ورسـوله لا يكونـون مصـداقاً للإمـام الـذي يفـرض الله على الناس معرفته وطاعته في كل زمان ... وبعد هذا الإيضـاح نقـول إن **التفسير الوحيد** لهذه الروايات هو ما تعرفه الأمامية وتعتقد به من استمرار الإمامة في أهل البيت عليهم السـلام ، منذ وفـاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى اليوم، وعـدم انقطـاع الإمامة بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام . وأي **فرض** آخر لا يستطيع أن يقدّم تفسيراً معقـولاً لهـذه الروايـات ، إلا أن نقول بوجوب الطاعة لكل برّ وفاجر ، كما يقول به بعض الناس . ولسـنا نعتقد أن الطاعة الـتي تسـاوي الإسـلام ، ويسـاوي خلافها الجاهلية هي طاعة هـؤلاء الـذين امرنا الله تعـالى بعـدم الركـون إليهم والكفر بهم".

ثم انتقل الشيخ الآصفي الى الحـديث الثـالث"**أن الأرض لا تخلو من حجة**" فقال:"روى هـذا الحـديث من أصـحابنا الإمامية محدّثون ثقاة مثل المحمدين الثلاثة الكليني والصدوق وأبى جعفر الطوسي رحمهم الله بطـرق كثـيرة تبلغ حـدّ التـواتر في مختلف طبقات إسـناده ...وهي صـريحة بـانّ الأرض لا تخلو من حجة لله

ظاهراً أو مغموراً ، والحجة في كلمات أهل البيت عليهم السلام مصطلح معروف لمن يألف كلماتهم عليهم السلام ، وهذه الأحاديث لا تحتاج إلى تعليق كثير وتأمّل وتوقف ، فهي صريحة في ضرورة وجود الإمام في كل زمان، **ولا تفسير لهذه الروايات** بغير ما تعرفه الشيعة الأمامية وتعتقده من وجود الإمام وحياته وغيبته ، وإذا أسقطنا هذا الأمر من الاعتبار فلا نجد تفسيراً لهذه الروايات ، البتّة ، وهي كثيرة ، بالغة حدّ التواتر" .

وتطرق أخيرا الى حديث **:"الأئمة الإثني عشر"** فذكر رواية البخاري عن جابر بن سمرة قال : "سمعت النبي ص يقول يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : انه قال كلّهم من قريش" . ورواية مسلم عن جابر قال:" سمعت النبي (ص) يقول لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ، أو لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم تكلّم النبي (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي : ماذا قال رسول الله، فقال : كلّهم من قريش". وهي الرواية التي يرويها أيضا الترمذي في السنن، وأبو داود في السنن، والحاكم في المستدرك، وأحمد في المسند، وكثير من المحدثين السنة والشيعة الإمامية " بطرق كثيرة لا نجد ضرورة في سردها على نحو التفصيل أو الإجمال".ثم قال:"ان الأحاديث ظاهرة في أن الأمراء المذكورين في هذه الرواية أمراء الحق ليس أئمة الظلم والجور من أمثال معاوية ويزيد والوليد والمتوكل واضرابهم. وأن عدتهم اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل. ولا يخلو منهم زمان.ولا نعرف لهذه الأحاديث بمجموعها تطبيقاً قط غير الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وآخرهم المهدي المنتظر (عج) وهو الإمام الثاني عشر..فلا نعرف تطبيقاً قط ينطبق بالتمام وبدقة على هذه الروايات في غير عقيدة الشيعة الإمامية وبضمنها ولادة الإمام عجل الله فرجه الشريف وغيبته. ولو أسقطنا هذا الواقع من الحساب لم يبق تفسيراً لهذه الروايات التي هي من أنباء الغيب التي أخبر عنها وبشّر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم" . وأضاف:" هذه أربع طوائف من الروايات ، لا يتطرق إليها الشك من حيث السند ، ولا من حيث الدلالة في معانيها ومضامينها. وتنطبق على ما تعتقده الإمامية وتعرفه من إمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام وولادة الإمام الثاني عشر وغيبته وظهوره بعد ذلك انطباقا تامّاً . وينحصر الانطباق عليهم ، فلا نعرف لهذه الروايات تطبيقاً آخر في تاريخنا المعاصر والقديم غيرهم . فلم يدّع غيرهم

لنفسه العصـــمة ، ولم يقل غـــيرهم أنّه حجة الله على الخلق ، وإمـام ، طاعته هـدى ودين ، ومخالفته ضـلال وجاهلية ، ولم يـدّع غـــيرهم أنّهم هم المقصـــودون بالأئمة الاثـــني عشر ، وأنّهم هم الثقل الآخر المقارن للقرآن ، المذكور في حديث الثقلين . **وهذا المعنى بالضـرورة يـؤدي إلى الانطبـاق القهـري لهـذه الروايات عليهم عليهم السـلام ...**وهم حلقـات متصـلة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى أن تقوم الساعة ، لم تخل منهم الأرض ولم يخل منهم زمان .

وإذا ضممنا هـذه النقـاط إلى الطوائف الأربعة من الروايـات المتقدمة **أنتجت بالضـــرورة الإثبـــات اليقيـــني العلمي** لمذهب أهل الـبيت عليهم السـلام . ولـذلك قلنا ان انطبـاق هـذه الروايـات على الأئمة الاثـني عشر من أهل الـبيت عليهم السـلام ومنهم الإمـــام الثـــاني عشر الغـــائب المنتظر ، انطبـــاق قطعي وضـــروري ولا يحتـــاج إلى جهد علمي بقـــدر ما يحتـــاج إلى رؤية صـــافية غـــير مثقلة بالشـــكوك والأهـــواء والعصـــبيات أعاذنا الله منها" .

الطائفة الثانية**:**الروايات التي تخصُّ الإمام المهدي.

وقد اعترف الشيخ الآصفي:"إن هذه الروايـات في الغـالب واردة عن أهل الــبيت عليهم الســلام" ولكنه قــال:"قد علمنا أن مخاطبنا في هـذا البحث هم الـذين يعتقـدون بحجية حـديث أهل البيت عليهم السلام ، ويعتقدون أن حـديث أهل الـبيت هو امتـداد ورواية لحـــديث رســـول الله صـــلى الله عليه وآله وســـلّم". ثم استعرض طائفة من الروايات "المتواترة" الواردة حول تشـخيص وتعيين الإمام المهـدي وولادته وغيبته وظهـوره . وأن المهـدي هو الثاني عشر من أئمة أهل الـبيت عليهم السـلام والتاسع من ذرية الحسـين عليه السـلام ، وابن الحسن العسـكري بن علي الهـادي عليهما السلام ، المولود بسامراء سنة 255 هـ.وقال: إنها روايات **تبلغ بالتأكيد حدّ التواتر** في كتب أصـحابنا القــدماء في جميع طبقات إسنادها ، وفي مختلف أدوار المعصومين عليهم السـلام . وقد جمع طرفاً من هذه الروايات السيد صدر الـدين الصـدر في كتابه المهـــــدي ، والتجليل التـــــبريزي في كتابه ، والصـــــافي الگلبايگـاني في منتخب الأثر ، والشـيخ علي الكـوراني في معجم أحاديث المهدي . والذي يراجع هذه الأحـاديث بأسـنادها **لا يشك في تواتر هـذه الأحـاديث** في مختلف طبقـات إسـنادها ممن أسميناهم من المحدّثين القدماء إلى المعصـومين عليهم السـلام.

وان لم تكن أحاديث المهـدي عجل الله فرجه الشـريف في كتب الشيعة الإمامية بالغة حدّ التواتر ، فليس لدينا حـديث متـواتر في المجاميع الحديثية".

وتوقف الشيخ الآصفي هنا ليعرف "التواتر" فقال:إن "تعريف التواتر هو: ما يمتنع معه تواطؤ الرواة على انتحال الرواية . يقول الشـهيد رحمه الله في الدراية في تعريف التـواتر (هو ما بلغت رواته في الكـثرة مبلغـاً أحـالت العـادة تواطـؤهم على الكـذب ، واستمر ذلك في جميع الطبقات) . والتواتر من الطـرق القطعية إلى السنّة وحجيته ثابتة بالفعل . وإذا بلغ الحديث حدّ التواتر فمن نافلة القول البحث الروائي عن صحة طرق الحديث".

ثم انتقل الآصـفي إلى الحـديث عن الروايـات "الصـحيحة" الـــواردة في إمامة وغيبة وظهـــور الإمـــام محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي ، من طـرق أهل الـبيت عليهم السـلام .ولكنه اعتذر عن إتمام البحث، اعدم سـعة الـوقت لإتمامه، على إتمامه في المستقبل القريب.

مناقشة كلمة الشيخ محمد مهدي الآصفي في مؤتمر الإمام المهدي

وقد نقل هذه الكلمة أحد الأخوة في شبكة هجر، أثناء الحوار مع عدد من العلماء، في بداية سنة 2000 فعلقت عليها قائلا:

كنت انتظر كلمة الشـيخ محمد مهـدي الآصـفي منذ زمـان لأني تحدثت معه هاتفيا عندما زار لندن قبل سنوات وطلبت منه اللقاء والبحث حـول موضـوع دراسـتي حـول المهـدي قبل ان انشـرها فرفض اللقاء ووعدني بكتابة رد علي.وكنت أتمنى من عالم جليل مثله ان يـرحب بصـاحب وجهة نظر مخالفة له يقـول انه درس جميع الروايات ولديه ملاحظات عليها فيسـمعها ثم يقـوم بنقضـها بما لديه من معلومات أو يـرحب بنظريته إذا عجز عن الـرد عليها ولكن الشيخ الآصفي رفض مجرد اللقاء والحوار معي.

لم اعرف أين عقد مؤتمر الإمام المهدي؟ ومتى؟ وكنت افترض في أي مؤتمر جاد ان يدعو أصـحاب النظريـات المتقابلة للحـوار، كما كنت أتمنى ان أشارك في هـذا المـؤتمر لأني كنت قد وجهت دعـوة الى الحـوزة العلمية في قم قبل سـبع سـنوات لعقد هكـذا مـؤتمر لمناقشة نظريـتي ولم اسـمع منها أي جـواب ، حـتى ان

الشيخ الآصفي لم يشر الى وجود بحث مضاد يعتمد على أحاديث أهل البيت والتراث الشيعي التاريخي ، خوفا من لفت الانتباه الى وجود احمد الكـاتب وكتابه ، مع ان من المفـروض في أي بـاحث علمي جاد ان يدرس مختلف النظريـات ويعلق عليها ويردهـا، ولا اعتقد انه لم يسمع بكتـابي وقد حدثته مباشـرة وطلبت منه الـرد والتعليق .

وعلى رغم أني ناقشت هذين الدليلين (الانحصار والمطابقة) في كتابي مناقشة مفصلة، وفي فصلين خاصـين، فـاني اعتقد ان الشــيخ الآصــفي لم يســتدل لهما بصــورة جيــدة إذ أغفل أهم الفقرات التي اسـتند اليها المتكلمـون السـابقون الـذين اسـتدلوا بهما على فرضية وجود الإمام المهدي.

ادعى الشيخ الآصفي وجود تـواتر في الرواية عن أهل الـبيت بأن المهدي المنتظر هو ابن الحسن العسكري والثـاني عشر من أهل البيت. وهو ادعاء غير صحيح بـالمرة ، إذ أن فكـرة المهدوية خلال القرون الثلاثة الأولى كانت عامة وغامضة وغير محـددة في أحد من الأئمة، ولـذلك كـان عامة الشـيعة وخـواص الأئمة وبعض الأئمة أنفســهم يتوقعــون ان يكونــوا هم القــائمين بــالأمر ، وقد اعتقد عامة الشــيعة ما عــدا فئة قليلة بــأن الإمــام الكــاظم هو المهــدي المنتظر وقــالوا انه غــاب غيبــتين الأولى في الســجن والثانية بعد هروبه من الســـجن ، حيث انهم لم يعـــترفوا بوفاته ودفنه.

وإذا راجعنا الروايات الواردة عن أهل البيت والتي تتناقض مع مهدوية الإمام الثاني عشر يتضح عدم وجـود أية إشـارة فضلا عن وجود إجماع في القرون الأولى حول مهدوية الإمام الثاني عشـر. وهـــذا ما يؤكد على افـــتراض المهدوية للإمـــام الثـــاني عشر ، واختلاق الروايــات بعد حين. فضلا عن انه لا يجــوز نســبة صــفة المهدوية لرجل لم تثبت ولادته بعد ، أو الحـــــــــديث عن غيبته وظهوره في المستقبل.

قال الشيخ الآصفي:" ان الشيعة الامامية يـذهبون قـولا واحـدا الى ان الإمام المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسـكري". وقد خلط في ذلك بين فـــــرق الشـــــيعة الامامية المختلفة كالإسـماعيلية والواقفية والفطحية والمحمدية الـذين قـالوا بأئمة مهديين آخرين ، ولم يلاحظ ان شيعة الإمـام العسـكري أنفسـهم انقسموا الى أربعة عشر فرقة ومنهم من قـال بمهدويته وغيبتـه،

ولم يقل بمهدوية محمد بن الحسن العســكري إلا فرقة واحــدة من عشـرات الفـرق الامامية والشـيعية والإسـلامية الـتي قـالت بنظريات أخرى عبر التاريخ.

ثم حاول الشيخ الآصفي ان يجتهد في تطبيق الأحاديث العامة التي تتحدث عن ظهور مهدي غير محدد الهوية على الإمام محمد بن الحسن العســكري ،وقــال: انها تنطبق بصــورة قهرية على عقيـدة الامامية في المهـدي . وهـذا غـير صـحيح أولا ، وهو ظن وافتراض ثانيا . وإذا لم يكن الآصفي يعرف توجيها لتلك الأحاديث فكيف يطبقها على إنسـان لم تثبت ولادته ولا وجـوده بعد ؟ فـان ذلك أبعد الفرضيات.

وهل يملك هو علم من الله؟ أو نص صريح من القرآن الكريم أو النبي الأعظم حـتى يقطع انه فلان؟ ولمـاذا لا يفـترض ان الله سوف يخلق إنسانا في المستقبل ويكلفه بهـذه المهمـة؟ إذن فلا مطابقة ولا انحصــار ولا حتم ولا قهر في دلالة الأحــاديث العامة حول المهدي على ابن الحسن العسكري.

كذلك حاول الشيخ الآصفي الاجتهاد في أحـاديث أخـرى وعصـرها واستخراج معاني غـير واضـحة منها كحـديث الثقلين الـذي يقـول فيه الرسـول الأعظم: ان الكتـاب والعـترة لن يفترقا حـتى يـردا عليه الحوض. وبالرغم من أننا لا نملك عمليا سوى الكتاب مرجعا نرجع اليه منذ ألف ومائة سنة على الأقل ولم يخـرج أي رجل من العـترة لكي يفسر لنا آية أو يـذكر لنا حكما أو يحل لنا مشـكلة ، فان المقصود من كلمة العترة غامض وعام وغـير صـريح بأسـماء الأئمة ، وقد استخدمه العباسيون لتثبيت حكمهم بدعوى انهم من العترة ، والعترة هم أقرباء الرجل حسب اللغة.

ونتيجة لغياب الركن الثاني المفترض (العترة) فقد لجأ الشيعة الامامية الى الاجتهاد واصبح لديهم حجج الإسـلام وآيـات الله وهم من غير العترة.

وربما كان المقصود من العترة هم الأئمة السـابقون وتـراثهم وليس بالضرورة ان يكون واحد منهم موجودا طـوال التـاريخ الى يوم القيامة ، وهم بالتأكيد لم يفـترقوا عن الكتـاب. ولكن الشـيخ الآصـفي يحـاول ان يسـتنتج قسـرا من هـذه الرواية وجـود حجة وإمـام من أهل الـبيت في كل زمـان وان يفـترض وجـود الإمـام محمد بن الحسن العسكري افتراضا محضا.

إذا كانت لدى الشيخ الآصفي مشكلة نظرية سـببت له الحـيرة كما ســببت الحــيرة لبعض الشــيعة الامامية بعد وفــاة الإمــام الحسن العســكري ، فلكي يخــرج منها عليه إما ان يعيد النظر بسند تلك الروايات أو مفاهيمها أو يبحث عن أي شـيء آخر قبل ان يفترض وجود شخص لم يظهر في التاريخ لا في حيـاة أبيه ولا بعد ذلك.

علما بأن الشيعة الامامية الإسماعيلية (البهرة) يعتقدون أيضا بوجـود إمـام مخفي ومسـتور ولكنهم يقولـون بأنه يعيش عمـرا طبيعيا وبتــوفي ويوصي الى أبنائه الــذين لا يتصل بهم إلا شــيخ الإسماعيلية الأكبر النائب الخاص عن الإمام الغائب.

فلماذا يرفض الشيخ الآصفي النظرية الإسماعيلية ولا يبحث عن تطبيق الحديث لدى أئمتهم المعصومين في نظرهم والمستمرين على قيد الحياة حسب ادعاءاتهم؟

ان معنى الإمام وفلسفته في الفكر الإمامي هو المطبق للدين والقائد والمنفذ والخليفة والحاكم وهو ما يعنوه بقولهم:"لا بد في الأرض من إمــام" ، وإلا فــان الله عز وجل لديه ملائكة كثــيرون وهو ليس بحاجة الى أحد لكي يحفظ الكــــون كما يقــــول بعض الغلاة، إذن فـــــان الغيبة الطويلة تتنــــــاقض مع مهمة الإمامة وفلسـفتها ، ولا يجـوز ان نحتم على الله ان يعين إماما من عنـده للامة ثم نقــول انا لا نعــرف ما هو وجه الحكمة في اختفـاء هـذا الإمام . إذن لماذا افترضنا وجوب تعيين الإمـام ورفضـنا ان تقـوم الأمة باختيار الإمام العادل؟

ان مثل الشيخ الآصفي كمثل من يقول بضرورة تعيين الدولة شرطيا للمرور في تقاطع طرق ثم يقـول: ان الشـرطي غـائب ، وعنـدما نسـأله عن الحكمة من وراء غيبة الشـرطي الـذي تـرك الشوارع في حالة اضطراب ، يقول: ان علم ذلك عند الدولة ، أو انه ينظم السير من وراء حجاب.

إما ان يكون وجود الشرطي المعين من قبل الدولة ضروريا أو لا يكون ، ولا يعقل ان نقول : انه ضروري وانه معين ولكنه غائب وعلم ذلك عند الله ، أو لا بد ان نــريح أنفســنا بــالقول ان على البلدية ان تنتخب شــــرطيا لتنظيم الســــير وان ذلك من أعمالنا وليس من أعمال الملك أو رئيس الوزراء.

ويمضي الشيخ الآصفي في استدلالاته الفلسفية الاجتهادية الافتراضية على وجود ابن الإمام العسكري، فيستعين بحديث (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ويقول: ان التفسير الوحيد له هو ما تعرفه الامامية وتعتقد به من استمرار الإمامة في أهل البيت منذ وفاة رسول الله ، وان أي فرض آخر لا يستطيع ان يقدم تفسيرا معقولا لهذه الرواية إلا ان نقول بوجوب الطاعة لكل بر وفاجر.

ونقول للعلامة الجليل والمفكر الإسلامي الكبير آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي:

أولا – انه بقوله هذا يعترف ضمنيا بأنه يقوم **بعملية افتراض**.

وثانيا – ان الفرض المعقول الآخر هو لا هذا ولا ذاك ،وانما هو الطاعة للإمام العادل ، كما هو الحال في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، مثلا ، حسبما يعتقد الشيخ ، وهل الإمام هناك معصوم؟ أو جائر؟ أو أمر بين أمرين؟

لماذا تقفز على الفرضيات الأخرى المعقولة وتحصرها بالحاكم الجائر أو الإمام المعصوم ثم تفترض وجوده وولادته؟

ان المتكلمين السابقين الذين استدلوا بهذه الرواية على ضرورة وجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله واستمرار الإمامة في ولد الحسن العسكري ، اعتمدوا على فقرة مهمة في عملية الاستدلال أهملها الشيخ الآصفي وهي ضرورة استمرار الإمامة وراثيا بصورة عمودية وعدم جواز انتقالها الى أخ أو ابن أخ أو عم أو ابن عم ، ولذا فان قسما من شيعة الإمام الحسن العسكري الذين لم يكونوا يؤمنون بحتمية هذا القانون لم يجدوا بأسا بالقول بإمامة جعفر بن علي الهادي ، كما قال قسم من الشيعة سابقا بإمامة موسى بن جعفر بعد وفاة أخيه الإمام عبد الله الأفطح ،ولم يضطروا الى افتراض وجود ولد للعسكري خلافا للظاهر والحقيقة كما لم يضطروا من قبل الى افتراض وجود ولد للإمام عبد الله الأفطح.

إضافة الى انه يمكن تطبيق الحديث على أئمة الشيعة الامامية الإسماعيلية المختبئين اليوم فلماذا ترفض ذلك؟

هناك تفاسير عديدة للرواية وتطبيقات مختلفة فلماذا تختار تفسيرا معينا وترفض التفاسير والتأويلات الأخرى؟

ونصل الى أحاديث (الاثني عشرية) التي حاول الشيخ الآصـفي ان يعتمد عليها من أجل **اســتنتاج** وجــود الإمــام الثــاني عشر و**افتراض** حياته الى اليوم.

وقد ادعى الشـيخ الآصـفي صـفة التـواتر على تلك الأحـاديث بالرغم من أنها ضعيفة عند السنة وغير محددة ولا واضـحة، وهي اضعف عند الشـيعة ومختلقة كلها في القـرن الرابع الهجـري عند تأسيس الفرقة الاثني عشرية ولم يكن لها أي وجود عند الشــيعة في القرون الثلاثة الأولى.

وهي مع ذلك تتعــارض مع أحــاديث كثــيرة تؤكد على اســتمرار الإمامة الى يــوم القيامة دون تحديد بعــدد معين ، كما تتعــارض تماما مع نظرية البداء التي كـان يسـتند اليها بعض الأئمة أو بعض الشيعة الامامية في تغيير شخص الإمام الذي يخلف أباه بعد وفاة أخيه المعين من قبل، كما حدث مع إسـماعيل بن جعفر الصـادق والإمـام محمد بن علي الهـادي اللـذين توفيا في حيـاة والـديهما فانتقل الشيعة الامامية الى أخويهما من بعدهما.

وقد روى الصــفار والكليــني والمفيد والطوسي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قـال: كنت عند أبي الحسن العسـكري وقت وفـاة ابنه أبي جعفر وقد كـان أشـار اليه ودل عليـه، واني لأفكر في نفسي أقول : هذه قصة أبي إبراهيم وقصة إسماعيل ، فأقبل الي أبو الحسن وقــال: نعم يا أبا هاشم بــدا لله في أبي جعفر وصيَر مكانه أبا محمد كما بـدا لله في إسـماعيل بعـدما دل عليه أبو عبد الله ونصــبه ، وهو كما حــدثتك نفسك وأنكــره المبطلون ..أبو محمد ابـني الخلف من بعـدي عنـده ما تحتـاجون اليه ومعه آلة الإمامة والحمد لله .[226]

وروى الصــفار والكليــني والمفيد والطوسي حــديثا عن الإمــام الهـادي يقـول فيه لابنه الحسن : يا بــني أحـدث لله شـكرا فقد أحدث فيك أمرا.[227]

---

[226] - (الكليني: الكافي ج1 ص 328 والطوسي: الغيبة ص 55 و130 والمفيد : الإرشاد ص 317 والمجلسي: بحار الأنوار ج 50 ص 241)

[227] - (الصفار : بصائر الدرجات ص 473 والكليني: الكافي ج1 ص 326و 328 والمفيد: الإرشاد ص 337 والطوسي: الغيبة ص 122)

وإذا صحت فرضا أحاديث (الاثني عشرية) فيمكن ان نحسب الإمام عبد الله الأفطح أو زيد بن علي ونكمل القائمة ولا نحتاج الى افتراض وجود ولد للإمام العسكري دول دليل.

ان ذلك الاستدلال من الشيخ الآصفي يسميه المتكلمون : الدليل العقلي أو الاعتباري أو الفلسفي، وهو كما يلاحظ يقوم على مقدمات نقلية وظنون وتأويلات تعسفية وليس دليلا عقليا محضا بحيث يستطيع أي إنسان عاقل ان يتوصل اليه. وهو دليل افتراضي ظني لا يستطيع ان يثبت وجود إنسان في الخارج.

يضيف الشيخ الآصفي اليه دليلا آخر هو الدليل الروائي الذي يتضمن أحاديث تشير الى ان المهدي هو الثاني عشر أو التاسع من ولد الحسين أو ابن الحسن العسكري ويدعي صفة التواتر على تلك الأحاديث. ورغم انه يعرِّف التواتر بأنه ما يمتنع معه تواطؤ الرواة على انتحال الرواية وما بلغت رواته في جميع الطبقات من الكثرة بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب ، إلا انه يتقبل الروايات دون تمحيص أو بحث ودون مقارنتها مع أحداث التاريخ والأجواء السياسية المحيطة بها والصراعات الطائفية التي أدت الى اختلاقها، ويرفض الإشارة ولو من بعيد الى حدوث الاختلاف والحيرة لدى الشيعة الامامية من أصحاب الإمام العسكري، وتفرقهم الى أربعة عشر فرقة وعدم معرفة كبار القوم بتلك الأحاديث في الزمن الأول وتعزيتهم لجعفر وتهنئتهم له بالإمامة بعد وفاة أخيه، و لا يلتفت الى احتمال الوضع والكذب في فترة متأخرة ، وخاصة من قبل الفرقة الاثني عشرية التي ولدت في القرن الرابع الهجري واختلقت كل تلك الروايات لتدعيم مذهبها.

وهذا غريب جدا من باحث بسيط فضلا عمن يدعي العلم والاجتهاد وهو ما يفسر التهرب من الحوار الجدي وإقامة المؤتمرات العلمية الحرة المحايدة من اجل بحث هكذا أمور.

وعندما يصل الشيخ الآصفي الى بحث وجود الإمام المهدي وولادته عن طريق الأدلة العلمية التاريخية يعتذر عن إتمام البحث بحجة عدم توفر الوقت ، وهذا يصح ان كان طلب منه الحديث فجأة، أما وانه قد أعد لبحثه إعدادا مسبقا فانه يبدو اقرب الى العذر من اجل التهرب من مناقشة الأدلة التاريخية بما يتضمن اعترافا بضعفها وأسطوريتها.

لهذا أستطيع ان أقول واكرر القول: ان الإيمان بوجود الإمام محمد بن الحسن العسكري كان فرضية فلسفية ظنية اجتهادية اكثر مما كان حقيقة تاريخية ثابتة.

ومن هنا لا بد ان نعيد النظر فيها حتى نعيد ترتيب أوراقنا الداخلية وعلاقاتنا الخارجية ولا نجعل من قضية الإمام المهدي قصة نتناحر عليها الى يوم القيامة.

احمد الكاتب

وبعد نشر ردي على الشيخ الآصفي، في موقع شبكة هجر للحوار، قام الشيخ بالتعقيب عليه، قائلا:

تحدثت في مؤتمر الإمام المهدي (عج)عن الطوائف الأربعة من الروايات ودلالتها على ان المهدي الموعود المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام المولود بسامراء سنة 255هـ من خلال ثلاث محاور ، هي :

أولا – التأكد من وثاقة أسناد كل من هذه الأحاديث الأربعة .

ثانياً – دلالتها على وجود إمام وحجة لله تعالى على عباده من أهل البيت في كل عصر وأن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى في أي زمان .

ثالثاً – انطباق هذه الأحاديث على ما يقوله الشيعة الامامية الإثني عشرية عن الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام . وعدم وجود مصداق آخر يتطابق مع هذه الأحاديث بشكل كامل .

واليك تفصيل هذه المحاور :

المحور الأول في التوثيق :

المحور الأول في توثيق الطوائف الأربعة المتقدمة (الأحاديث الأربعة) من حيث السند . وقد تحدثت في البحث السابق بإيجاز عن توثيق هذه الروايات من حيث السند . واعجب من تضعيف الكاتب لحديث الاثني عشر إماما أو أميرا عند أهل السنة وفي حديث الشيعة . فقد رواها البخاري بطرق عديدة في الصحيح

كما رواها مسـلم بطـرق عديـدة في الصـحيح وقد ذكـرت بعض طـرق محـدثي أهل السـنة في الأحـاديث الإثـني عشر إمامـاً (أو أميراً) واخرج أصحابنا الامامية الحديث بطرق كثيرة جدا بالغة حد التـواتر ، وفيها الصـحيح الـذي لا يمكن فيه التشـكيك من حيث السند . فقد روى الحر العـاملي صـاحب الوسـائل رحمه الله في الجـزء الثـاني من كتابه القيم (إثبـات الهـداة) تسـعمائة وسـبعا وعشرين حـديثاً (927) من النصـوص العامة لإثبـات إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، في الكثـير منها تصـريح بعـدد الاثـني عشر بشـكل صـريح وبأسـماء الأئمة عليهم السـلام ، وجملة من طرق هذه الروايات صـحيحة بلا إشـكال ، وهي بالغة حـدّ التـواتر أيضاً بلا إشكال .

منها 95 رواية أخرجها الكليـني في الكـافي . و53 رواية أخرجها الصـدوق في عيـون الأخبـار . و22 رواية أخرجها الصـدوق في معاني الأخبار . و92 رواية أخرجها الصدوق في إكمـال الـدين . و 22 رواية أخرجها الصـــدوق في الأمـــالي . و 18 رواية أخرجها الشـيخ أبو جعفر الطوسي في الغيبة .و11 رواية أخرجها الشـيخ أبو جعفر الطوسي في مصـــباح المتهجد . وغـــير ذلك . ولست اعرف وجها علميا موضوعيا للتشكيك في رواية يرويها المحدثون عن 927 طريقا.

المحور الثاني في الدلالة :

1 - أما حـديث الثقلين الـذي تضـافرت على روايته صـحاح الفريقين فقد دل بشكل واضح على اقتران الكتـاب بحجة وإمـام من أهل البيت من بعد رسول الله (ص) . فـان رسـول الله (ص) ترك فينا الكتاب والعترة من بعده ، وصرّح بانهما لا يفترقان حتى يـردا عليه الحـوض . وأمر المسـلمين بالتمسك بـالحجج من أهل بيته ، كما أمـرهم بالتمسك بالكتـاب. ومعـنى التمسك هو الأتبـاع والطاعة . وهذا هو معنى (الحجة) و (الحجية) . وليس للحجية معـنى غـير الاتبـاع والطاعة والتمسك . وهـؤلاء الحجج من أهل البيت كما في متن الحديث ، ومع القـرآن جنبـاً إلى جنب في كل عصر ، لا يفترقان والحديث مما تسالم عليه المسلمون .

2 - واما حديث (من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مـات ميتة الجاهلية) فيدل على :

أ . ان معرفة أولئك الأئمة والحجج من أهل الــبيت من الــدين ، ورفضـــــهم والجهل بهم من الجاهلية ، بحيث يــــدور الإســـلام والجاهلية معهما إيجابا وســلباً . ومن يمت وهو لا يعــرف إمــام زمانه يموت ميتة جاهلية .

ب . ويـدل على وجــود إمــام منهم في كل زمــان ، تجب طاعته ومعرفته ، وعلى استمرار حلقات الأئمة (ع) في كل زمان ، وانه لا يخلو منهم زمان .

ومن يضع هذه الطائفة من الروايات الى جنب الطائفة الأولى من الروايات يجد تطابقا واضـحا فيما بينهما. فقد ورد في حـديث الثقلين من الطائفة الأولى انهم حجج الله على عبـــــاده ويجب التمسك بهم ، وهم العـدل الآخر للكتـاب ، وما ان تمسك النـاس بهم لن يضــلوا أبــدا . وورد في الطائفة الثانية ان معــرفتهم من دين الله والجهل بهم من الجاهلية والضـــلالة ، والحـــديث مما تسالم عليه الفريقان ، وقد ذكرنا بعض ألفاظه وطرقه من قبل ، وممن أخرجه الشيخان في الصحيحين .

3 - واما حديث (أن الأرض لا تخلو من حجة).

فقد أخرجه أصــحابنا بطــرق وألفــاظ كثــيرة ، بالغة حد التــواتر وبعض طرقها صـحيح ، كما ذكـرت في المقـال . والحـديث يـدل على وجـود حجة لله تعـالى في كل زمـان منذ وفـاة رسـول الله (ص) الى ان تقوم الساعة ، سواء كان ظاهرا مشهورا ، أو خائفاً مغموراً ، كما ورد في (نهج البلاغة) . ومن يألف لغة حـديث أهل الـبيت (ع) يعـرف ان المقصـود من الحجة هو الإمـام المعصـوم (راجع كتاب الحجة من أصول الكافي) .

4 - والطائفة الرابعة روايات (الاثني عشر إماما ، أو أميرا ، أو وصياً) من بعد رسول الله (ص) التي تضافرت روايتها من طرق الفريقين . وهي تدل على ان الأئمة من بعد رسول الله اثنا عشر فقط ، وانهم من قـريش ، وفي طـرق أصـحابنا الامامية أنهم من ذرية علي عليه السلام .

المحور الثالث في التطبيق :

المحور الثـالث في تطـبيق هـذه الروايـات على الواقع في تـاريخ الإسـلام . وهو المحــور الثـالث للبحث الــذي قدمته إلى مــؤتمر

الإمام المهدي (عج) . فأننا إذا تأكدنا من صحة الأحاديث الأربعة من حيث السند أولاً . وتأكدنا من دلالتها على وجود اثني عشر إماما وحجة من أهل البيت من جانب الله . فلا يبقى تطبيق حقيقي ودقيق لهذه الأحاديث غير ما تعرفه الشيعة الامامية (واقصد بهم الاثني عشرية) من القول بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام في اثني عشر حلقة متصلة ، وولادة وغيبة الإمام الثاني عشر منهم ، وهو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام . وإذا ألغينا عقيدة الشيعة الامامية من الحساب لم يبق معنى ولا تطبيق لهذه الأحاديث البتة .

أما المذاهب التي لا تتبنى مسألة (الغيبة والانتظار) فلا يمكن تطبيق هذه الأحاديث عليها لانقطاع حلقات الإمامة عنها في أدوار كثيرة ومراحل طويلة من التاريخ ، حتى لو أخذنا بتمحل السيوطي في ترتيب الاثني عشر إماما. وعليه تتخلف معهم الطائفة الأولى والثانية والثالثة من الأحاديث . واما المذاهب التي تتبنى مسألة (الغيبة والانتظار) في الإمام ، كالإسماعيلية فهي أيضا غير قادرة على إعطاء تفسير صحيح لهذه الطوائف الأربعة من الأحاديث لتخلف الطائفة الرابعة عنها (وهي الروايات التي تصرح بان عدد خلفاء رسول الله (ص) من بعده اثني عشر إماما أو أميرا) . فينحصر الأمر في تطبيق هذه الروايات في تاريخ الإسلام على ما تقول به الشيعة الامامية ، وليس له من تطبيق آخر ، ولا نعرف تطبيقاً آخر لهذه الطوائف الأربعة من الروايات غير ما يقول به الامامية من الإيمان بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام وغيبته ، وهذا هو معنى (المطابقة والانحصار) .
وعندئذ يتم الاستدلال بهذه الطوائف الأربعة من الروايات بشكل كامل ، لانحصار الأمر في تطبيق هذه الروايات على ما تقول به الامامية ، وعدم وجود أي تطبيق آخر معروف في تأريخ الإسلام لها .

وقد ذكرت لذلك مثالا في المقال وقلت إذا عثر شخص على مال في دار لا يدخلها غير أربعة – مثلا – فادعاه أحدهم ، لا يعرف له كذب ، وعُرِضَ المال على الآخرين فلم يدعه غيره ، فان الذي عثر على المال يدفعه إلى من ادعاه دون ان يطالبه بيمين أو بينة ، بموجب سيرة العقلاء . والأمر الذي بين أيدينا يشبه هذا المثال بعض الشيء . ويقول **كاتب النقد** : (إذا لم نعرف توجيها لتلك الأحاديث فكيف نطبقها على إنسان لم تثبت ولادته

ولا وجـــوده بعد) . أقـــول نحن لا نشك في ولادة الإمـــام عليه السلام وغيبته وبهذه العقيدة يؤمن أمة واسعة وكبيرة من النـاس ، وعريقة في التاريخ ... ولكن **للكـاتب** ان يشك في صـحة هـذه العقيدة ، فيكون أمامه افتراضان كأي قضـية علمية أخـرى تخضع للبحث العلمي :

الافتراض الأول : صحة عقيدة الإمامة .

الافتراض الثاني : عدم صحة هذه العقيدة .

وله أن يُخْضِــعْ هــذين الافتراضــين للدراسة في ضــوء الطوائف الأربعة المتقدمة من الحــديث الــتي لا يمكن إنكارها ولا تكــذيبها كما تقدم . عندئذ يجد ان الافتراض الأول يقـدم بسـهولة تفسـيرا واقعيا تاريخيا للطوائف الأربعة المتقدمة من الحــديث ، لانطباقها الكامل عليه . بينما الافتراض الثاني يؤدي به الى إنكـار الأحـاديث الأربعة أو تكـذيبها ، والأول منها يعـارض النهج العلمي المعـروف للفريقين في توثيق الحديث ، والثاني منهما تكـذيب لرسـول الله (ص) وأهل بيته الذين اذهب عنهم الرجس ، وجعلهم رسـول الله (ص) العدل الآخر للكتاب .

ويحــاول الكــاتب ان يقلل من قيمة العمق التــاريخي والمســاحة التي تغطيها هذه العقيدة في العالم بتكثير الفرق الشيعية التي لا تؤمن بهذه العقيدة فيقول (وقد خلط في ذلك بين فرق الشــيعة الامامية المختلفة كالإســـماعيلية والواقفية والفطحية والمحمدية الذين قـالوا بأئمة مهـديين آخـرين). وهي محاولة ضـعيفة بطبيعة الحال ، ولا يمكن ان يصفها القارئ المنصف بالإنصاف ، فلا يجوز مقارنة الشيعة الامامية في التـاريخ والحاضر بفـرق بائـدة ، ليس لها أي حضـــور ثقـــافي وفقهي واجتمـــاعي على وجه الأرض كالواقفية والفطحية والمحمدية . فــان الشــيعة الامامية الاثــني عشــرية أوسع المــذاهب الإســلامية بعد مــذهب أهل الســنة والجماعة (ونقصد بهم أهل الســنة مجتمعين) ولهم اليــوم على وجه الأرض مراكز علمية وحـــوزات ثقافية وجامعـــات وفقهـــاء ومفسرون ومحدثون وموسوعات في الفقه والحـديث والتفسـير ويمتّد تـــاريخهم الى أصـــول عريقة من الفقهـــاء والمحـــدثين والمتكلمين والمفســرين ، ويغطــون مســاحة واســعة جــداً من العالم الإسلامي .

وتكثير الفرق الشيعية بهذه الصورة لا يؤدي الى تقليل قيمة عقيدة الشيعة الامامية في ولادة وغيبة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام . وكنت أتمنى ان اذكر طائفة من الروايات الصحيحة التي رواها أصحابنا الامامية بطرق صحيحة ومتواترة عن ولادة وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه ، كما وعدت من قبل غير أن النقد وصلني وأنا في السفر ولم يكن معي من مصادر الحديث ما أتمكن معه من إنجاز الوعد السابق .على ان فيما كتب علماؤنا رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين كالحر العاملي في إثبات الهداة و السيد صدر الدين الصدر في كتابه (المهدي) والتجليل التبريزي في كتابه عن الإمام المهدي والصافي الكلبايكاني في منتخب الأثر والشيخ علي الكوراني في موسوعة الإمام المهدي وغيرهم كفاية في هذا الباب. على أمل العودة ان شاء الله الى متابعة الموضوع .

وإنني كنت أتمنى **لكاتب المناقشات** شيئا اكثر من الموضوعية في النقد . فليس يعاب على أحد ان يحمل رأيا أو ينقد رأيا ولكن بشرط ان يلتزم بالنهج العلمي للنقد ، وذلك في موضوع خطير وحساس يخص عقيدة أمة من المسلمين واسعة الانتشار على الأرض ومعروفة.

وقد رددت على رد الآصفي ، بما يلي:

العلاقة بين الإيمان بالمهدي ورفض الشورى

سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اطلعت على ردكم العاجل وانتم في السفر على مناقشتي لكلمتكم عن (الإمام المهدي) التي ألقيتموها في أحد المؤتمرات التي عقدت مؤخرا حول هذا الموضوع. وقد لخصتم في ردكم ما سبق ان شرحتموه في كلمتكم ،ولم تأتوا بشيء جديد ولم تردوا على النقاط التي ذكرتها في مناقشتي من تعارض دعوى التواتر والإجماع على مهدوية الإمام الثاني عشر مع التاريخ الشيعي وأحاديث أهل البيت الكثيرة والحركات المهدوية الشيعية العديدة

الـتي ظهـرت في القـرون الأولى . وبـدلا من ان تثبتـوا ولادة ابن الإمام الحسن العسكري المفـترض تاريخيا انشـغلتم مـرة أخـرى بتكـــرار الحـــديث عن النظرية الامامية الإلهية ، واســـتنتجتم منها صحة فرضية وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) ووعــدتم أيضا ببحث الروايــات الــتي تتحــدث عن ولادته في المســتقبل ، وهـذا ما يـدعونا الى انتظـار نتـائج أبحـاثكم حـول الأدلة التاريخية على ولادة الإمام المهدي .

وبالرغم من أنكم وصفتم تلك الأدلة التاريخية - مسبقا وبسرعة - بالصحة والتواتر ، ربما اعتمـادا على المركـوز في ذهنكم ، فـاني أؤكد لكم مــرة أخــرى ان تلك الروايــات التاريخية ليست ســوى إشاعات سرية ضعيفة ومتناقضة لا ترقى الى مستوى خبر الآحـاد الصحيح فضلا عن كونها صحيحة أو متـواترة ، خاصة وانها تخـالف الظاهر وإجماع المؤرخين الشيعة الذين تحدثوا عن وقوع الحـيرة بعد وفـاة الإمـام الحسن العسـكري وقيـام كـبراء الشـيعة بتعزية جعفر وتهنئته بالإمامة في البداية ، ثم تفـــرق الشـــيعة الى أربع عشرة فرقة ، وعدم معرفة علماء قم في تلك الأيـام بوجـود ولد للإمـــام العســكري وإرســالهم وفــدا الى ســامراء ليحقق في الموضوع ، وان عامة الشيعة الامامية بحثوا عن الولد فلم يعـثروا عليه ولم يتأكدوا من وجوده ، فكيف تكون الروايـات حـول ولادته متواترة؟ وماذا يعني التـواتر لـديكم؟ وهل لـديكم مصـطلح جديد في معنى التواتر؟ علما بـأنكم تقولـون بانعـدام صـفة التـواتر مع احتمال الكذب والوضع .

ويبدو أنكم تحاولون إضفاء صفة الصحة والتواتر على إشاعات الغلاة الغريبة والعجيبة ، في محاولة منكم للخـــروج من الحـــيرة الـتي لا زلتم تـترددون فيها نتيجة إيمـانكم بنظرية الإمامة الإلهية وضــرورة وجــود الإمــام المعصــوم المعين من قبل الله ، الــتي اسـتنتجتموها من بعض الأحـاديث الـتي وصـفتموها أيضا بالصـحة والتواتر ، وأوّلتموها تأويلا خاصا ، ولا تريدون ان تفسروها بشــكل آخر كما فسرها بعض الشيعة الامامية (الفطحيــة) الـذين خرجـوا من الحيرة بنقل الإمامة الى جعفر بن علي الهادي.

المشـكلة هي في طريقة اسـتنتاجكم لنظـريتكم الخاصة من تلك الأحاديث وفي تركيب فرضية ولادة ابن للإمـام العسـكري عليها ، مع انه لا تلازم بين النظرية الأولى والفرضـية الثانية ، وان القـول بذلك نوع من التخمين والظن والقول بلا دليل.

ان حـيرتكم تتجسد في محـاولتكم العثـور على مصـاديق خارجة لبعض الأحاديث الغامضة كحديث الاثني عشرية ، وقد قــدمنا لكم عدة حلول أخـرى ممكنة لم تناقشـوها ولم تأخـذوا بها وأصـررتم على افتراض وجـود ولد للإمـام العسـكري مع ان هـذه الفرضـية أسوء من تمحلات السيوطي.

ثم إنكم لم تجيبونا على الســـــؤال عن معـــــنى الإمامة وكيفية الارتبـــاط بالإمـــام وطاعته وتوليه وهو في الغيبـــة، مع إنكم في كتـابكم (علاقة الحركة الإسـلامية بولاية الأمـر) ترفضـون مجـرد الولاء الاسمي أو الصوري للولي الفقيه وتطالبون حـزب الـدعوة الإسلامية بالطاعة الحركية والولاء الحضاري والانقيـاد السياسي ، فكيف يمكن تحقيق هذا النوع من الطاعة للإمام الغـائب الـذي لا يفــتي ولا يفسر ولا يــأمر ولا ينهي ولا يمــارس دوره القيــادي؟ وكيف يمكن ان نسميه إماما؟ وقد قال الإمام الرضا في أحـاديث كثيرة : ان الإمام يجب ان يكون حيا ظاهرا معروفا.

ولو كان الإمام العسـكري قد ادعى ولادة ولد له وأظهـره للنـاس لم نكن نشترط ان يأتينا بـدليل على بنـوة ذلك الولد له ، كما لم نسأل أحـدا من الأئمة السـابقين أو غـيرهم عن إثبـات نسب أي شـخص إليهم ، بـالرغم من شك بعض أهل الـبيت ببنـوة الإمـام الجواد (الذي كان أسمرا) للإمام الرضا في حياته ، وعرضه على القافة ، واكتفينا بـإعلان الإمــام الرضا لبنــوة ابنه الجــواد اليــه. فكيف تريد منا ان ننسب ولــدا الى الإمــام العســكري وهو يعلن أمام الملأ أن لا وجود لولد لديـه؟ ونقبل بالرواية السـرية المتهمة والمشكوك فيها؟

نعم توجد روايـات كثـيرة يرويها الغلاة والضـعفاء والوضـاعون، ولكنها غـــــير محققة ولا مدروسة ولا توجد فيها رواية واحـــــدة صــحيحة ، ومشــكلتها الرئيســية هي انها تنسب ولــدا لرجل لم يعترف بوجود هكذا ولد ، وهو أمر لو حدث مع أي شخص لرفضه بشـــدة ، فهل تقبل ان ينسب إليك أحد وجـــود ولد لك في السر في حياتك أو بعد مماتك بـالرغم من إنكـارك لـذلك؟ وهل يجـوز شرعا إلحاق هـذا الولد المـدعى بك ؟ وهل يجـوز إعطـاؤه الإرث مثلا؟

ان الشـيعة الامامية لم يجمعـوا على وجـود الإمـام الثـاني عشر ماعدا الفرقة الاثني عشـرية، وقد وصل القـول بـذلك الى طريق مســـدود فتخلى الشــيعة ومنذ قـــرون عن نظرية الإمامة وعن

انتظار الإمام المفترض الغائب ، وأقـاموا لهم دولا بأنفسـهم على أساس الفقه والعدالة وليس العصمة أو النص .

ومع ان الكـثرة والانتشـار ليست مقياسا للحق والصـواب[228]، وإلا فان المسيحيين وأهل السـنة أكـثر من الشـيعة ، فنحن لا نحـاول التهجم على أية مجموعة بشرية مهما كانت صغيرة ، وانما نحاول مناقشة فرضية ظنية اجتهادية قـال بها بعض المتكلمين قبل ألف عام وسببت للشيعة والمسـلمين أضـرارا كثـيرة ، ولا تـزال تعقد حياتهم الاجتماعية وتحول دون تطور نظامهم السياسي.

ومن هنا أطـالبكم ببـذل المزيد من الـوقت والجهد لمراجعة تلك الفرضــــية بدقة والتأكد من حقيقتها ، واعتقد انها تســــتحق ان توقفــوا من أجلها كل أعمــالكم الثقافية ونشــاطاتكم التنظيمية والسياســية لكي تخرجــوا بنتيجة واضــحة وأكيــدة ، وذلك لآثارها الكبيرة على مسيرتكم الشخصـية ومسـيرة الحـزب الرائد حـزب الدعوة الإسلامية ومسيرة الشعب العراقي والأمة الإسلامية...

فضيلة الشيخ الآصفي

لقد بـذلتم جهـودا كبـيرة في مختلف المجـالات الفقهية والفكرية والسياسية والاجتماعية .. وتقفون اليوم أمام قضية جذرية ترتبط بموضـــوع الشـــورى وحق الأمة في اختيـــار أئمتها وممثليها في مجـــالس الشـــورى ، وتهم العلاقـــات الدولية والداخلية بين المســلمين ، وانتم مــدعوون من موقع المســؤولية الى دراسة موضوع وجود الإمام الثاني عشر الغـائب ، والقيـام بثـورة ثقافية تصـفي الـتراث من الخرافـات والأسـاطير والفرضـيات الوهمية والنظريات البشرية الدخيلة ، إذ لا يمكن من دون ذلك، الانطلاق بقوة وثبات لبناء الحضارة الإسلامية من جديد.

وإذا كنا مطـالبين بـالعودة الى القــرآن الكــريم والســنة النبوية المطهرة و أحاديث أهل الـبيت الصـحيحة ، فانه ليس من الجـائز التشـبث بكل ما هو مـوروث من عصـور الانحطـاط، أو التعصب لعقائد الآباء والأجداد ، فـان هـدفنا هو البحث عن الحق والحقيقة والتمسك بما هو ثـابت وأكيد ، ومراجعة النظريـات الـتي أضـرت

---

[228] - وقد قال الشيخ المفيـد:"ما روي من خـبر الواحـد... ولو رواه ألف إنســان وألف ألف لما جــاز أنّ يجعل ظــاهره حجة في دفع الضــرورات وارتكاب الجهـالات بـدفع المشـاهدات". المفيـد، الفصـول المختـارة، ص 249.

بوحدة المسلمين ودمرت فكرهم السياسي ودفعتهم الى الجمود والتخلف والانتظار وألقت بهم بين براثن الاستبداد.

احمد الكاتب

لندن 5 شوال 1420 المصادف 12/1/2000

18- مع الشيخ المنتظري في كتابه "موعود الأديان":

المنتظري يعاني من الاستبداد ويشيد قواعده!

للثورة الإيرانية بعدان، بعد سياسي تحقق بإسقاط الشاه، وبعد ثقافي تمثل بالثورة على الفكر الإمامي الإثني عشري القديم الذي كان يكبل شيعة إيران ويمنعهم من إقامة حكومة إسلامية في عصر غيبة الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر)، والذي كان يدعو الشيعة الى الصبر وانتظار "الإمام الغائب، المعصوم والمنصوص عليه من الله" . ولكن فكر (ولاية الفقيه) تحرر من عقيدة الانتظار وشرط العصمة والنص، وأجاز للشيعة إقامة الدولة تحت قيادة الفقيه العادل (غير المعصوم وغير المنصوص عليه من الله). وكانت هذه الخطوة ثورة فكرية بكل معنى الكلمة، وكان من المتوقع أن تمتد بآثارها الى أبعد من إيران لترمم العلاقات الشيعية السنية المتدهورة تاريخيا، وتقيم نظاما ديموقراطيا مثاليا في إيران، ولكنها مع الأسف الشديد توقفت في منتصف الطريق فانتكست على صعيدين:

الأول: الصعيد الداخلي، حيث انتكست العملية الديموقراطية بهيمنة المرشد الأعلى على مجلس الشورى ورئاسة الجمهورية والمجتمع بصورة عامة ، دون أن يسمح لأحد بانتقاده أو محاسبته أو تغييره.

الثاني: الصعيد الخارجي، حيث تقمصت الثورة الإيرانية ثوب الطائفية ولم تستطع تحقيق الوحدة الإسلامية، بالرغم من سعيها وطموحها نحو ذلك. وقد سددت الثورة الإيرانية ضربة قاصمة للجماهير الإسلامية (السنية) التي التفت حولها في البداية، بسنها قانونا دستوريا يميز بين السنة والشيعة ويضع السنة في إيران في الدرجة الثانية، ويشترط على رئيس الجمهورية أن يكون ملتزما بالمذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري، ومدافعا عنه.

وبالرغم من أن إيران في ظل الثورة كانت قد تحـولت جـذريا نحو الفكر السياسي الإســـلامي العــــام (أو الســـــني) القائل بالشورى، وتخلت عن الفكر الإمامي الاثني عشـري، وكـان يمكن أن تحظى بتعاطف والتفاف الجماهير الإسـلامية (السـنية) إلا انها بسنها لـذلك القـانون الممـيز دفعت السـنة داخل إيـران وخارجها عنها.

وهناك بالطبع رابط بين الموضوعين يتمثل بالاقتصـار على نقد آثار فكر الانتظار، وعدم نقد الفكر الإمامي من الجذور. فقد كان ثمة في إيـــران عشــية الثـــورة، شــعور بوجـــود أزمة في الفكر الإمامي تحول دون التقدم في عملية الثـورة السياسـية. وهـذا ما دفع الشـــيخ حســـين علي المنتظـــري الى محاولة تجـــاوز الفكر الإمامي والتقرب من الفكر السني والخروج بنظرية ثالثة جديدة.

وحســبما يقــول الشــيخ المنتظــري في مذكراته فانه طــرح على الإمام الخميني في بداية الستينات فكرة الخط الثالث بين نظرية الشيعة في النص ونظرية السنة في الشورى ، وذلك بـالجمع بين النظريـتين والالـتزام بـالنص في زمـان وجـود الأئمة المعصـومين المنصــــوص عليهم من الله والعمل بالشــــورى في حالة عــــدم وجــودهم .[229] ولكن الإمــام الخميــني أصر على ضـرورة الانتظـار وحرمة إقامة الدولة في (عصر الغيبــــة) أو إقامتها على أســــاس الشورى، وأكد على ان المذهب الشيعي يرى ضرورة كون الإمام معصـوما ومنصـوبا (من اللــه) وقـال لـه:ان المسـؤولية تقع على عـــاتق النـــاس في زمـــان الغيبـــة، ويجب علينا إعـــداد الظـــروف المناسبة لظهور الإمام الغائب.

وعندما قال له المنتظري: هل يعني ذلك ان يعيش النـاس في (عصر الغيبة) في هـرج ومـرج؟ قـال الإمـام الخميـني: " لقد أتم الله النعمة ، وهــذه مســؤولية النــاس الــذين يجب عليهم توفـير الشروط المناسبة لظهور الإمـام (صـاحب الزمـان) إذ ان الإمـام حسب رأي الشيعة يجب ان يكون معصوما ومنصوبا فقط ".[230]

كـان هـذا الحـوار في بداية السـتينات، أي قبل حـوالي عشر سنوات من تبـني الخميـني لنظرية ولاية الفقيـه، الـتي أعلنها في النجف سنة 1969 قبل عشر سنوات من تفجر الثورة في إيران.

وكان معظم فقهـاء الشـيعة في ذلك الـوقت يحرمـون إقامة الدولة في (عصر الغيبة) وظل مرجع كبـير كالسـيد الخوانسـاري

[229] - (ص 10 ملف رقم 48)

[230] - (ص 29/35)

(تـوفي عـام 1405 هجرية / 1985م) يصر على ضـرورة انتظـار الإمام الغائب (محمد بن الحسن العسكري) وعـدم جـواز تطـبيق الحدود الشـرعية ، أو التـدخل في الشـؤون السياسـية، حـتى بعد انتصار الثورة بسنوات.

وقد بـدأت ملامح الثـورة الفكرية تتبلـور في إيـران على يـدي الشيخ المنتظري الذي بادر في وقت متقدم بإحياء صـلاة الجمعة التي كانت معطلة عند غالبية الشيعة الامامية الاثـني عشـرية في (عصر غيبة الإمام المهـدي) لعـدم تـوفر شـرط الأذن الخـاص بها من الإمام) حيث بدأ الشـيخ بإقامتها في مدينة (نجف آبـاد) قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

ونظـراً لجـرأة الشـيخ المنتظـري في نقد كثـير من الظـواهر السـلبية في الثقافة الشـيعية، فقد اتهمه المحـافظون بالوهابية والعمل على هــدم التشــيع وقبض الأمــوال من المملكة العربية السعودية، و ذهب أحد الخطباء في قم الى تحديد رقم بئر النفط التي زعم ان المنتظري يأخذ عوائدها من السعودية! [231]

وقد فرض الفكر الثوري الإيـراني نفسه في نهاية المطـاف، واستطاع إقامة نظام سياسي يقـوم على انتخـاب الإمـام ورئيس الجمهورية ونواب مجلس الشورى . وكان يمكن لهذا النظـام أن يشكل ملتقى لجميع المسلمين بغض النظر عن هوياتهم الطائفية ، ولم تكن ثمة حاجة ماسة لتحديد هوية الدولة ورئيس الجمهورية ، الطائفية : "الشيعية الامامية الاثني عشرية" إذ لا أثر لتلك الهوية في السياسة الداخلية أو الخارجية أو الاقتصــادية أو الاجتماعية . بل انها متناقضة في الحقيقة مع واقع النظــام الجديد، الذي يقوم على الشورى ويكتفي بشرط الفقه والعدالـة، بدلا من العصـمة والنص. ولـذلك فقد رفض المجلس التأسيسي (الخــبراء) الــذي سن الدســتور، إضــافة الهوية الطائفية الى الجمهورية الإســلامية الإيرانيــة، أو اشــتراط الــتزام رئيس الجمهورية بالتشـيع الإثـني عشـري، كما رفض الاعـتراف بولاية الفقيه، أو إعطاء الإمام صلاحيات واسعة تسـمح له بالهيمنة على النظـام الـديموقراطي، في عمليـات التصـويت الأولى على بنـود الدسـتور المقـترح، ولكن الشـيخ المنتظـري الـذي كـان يـرأس (مجلس الخـبراء) التأسيسي لعب دورا كبـيرا في إقـرار بنـدين مهمين كــان لهما الأثر السـلبي على مســيرة الثــورة، ودفعها للتوقف في منتصف الطريق. فقد كشف الشيخ المنتظري نفسه في مذكراته التي نشرها قبل خمس سنوات عن دوره في تثبيت الأصل الثـــاني عشر ، والأصل الخـــامس عشر بعد المائة في

---

[231] - (ص 17 من ملف رقم 31 من مذكرات الشيخ المنتظري).

الدســـتور ، اللـــذين ينصـــان على هوية الدولة الإيرانية ورئيس الجمهورية: (الشـيعية الاثـني عشـرية) وذلك بعد فشل المؤيـدين في الحصول على أغلبية أعضاء مجلس الخبراء ، وإصرار الشـيخ المنتظري على تمرير ذينك الأصلين في عملية تصويت أخـرى.[232] وذلك انطلاقا من كـون المـذهب الشـيعي مـذهب غالبية الشـعب الإيراني ، وكون الدستور الإيراني السابق الموضوع منذ مائة عام ، يتضمن بندا صـريحا بـذلك ، وتحت ضـغط مراجع الـدين في قم كالسـيد الكلبايكـاني والشـريعتمداري والشـيخ مرتضى الحـائري. وفي الحقيقة لم يقـدم ذلك الشـرط من واقع إيـران شـيئا ولم يـؤخر شـيئا، سـوى أنه ألب عليها السـنة في الـداخل والخـارج، وفصلهم نفسيا عنها.

وقد أحس الشيخ المنتظري بعد حين بخطئه هذا فوعد زعمـاء أهل السـنة المحتجين على شـرط الهوية الشـيعية في الـرئيس ، بمراجعة هذا الأمر في أي تعـديل دسـتوري قـادم، حسـبما يقـول في مذكراته.[233] ولكن هذا الوعد لم يتحقق حتى الآن، رغم تعديل الدستور سنة 1989

وإذا كان شرط الهوية الشيعية في الرئيس الإيراني، قد عكر علاقـات إيـران الخارجية مع أهل السـنة، كما أثر على علاقاتها معهم في داخل إيران (يبلغ تعدادهم حـوالي سـتة ملايين نسـمة) فان القرار الآخر الذي اتخذه رئيس مجلس الخبراء الشيخ حسين علي المنتظـري، وهو منح مسـئولية قيـادة القـوات المسـلحة الإيرانية الى الإمـام (الـولي الفقيـه) في الدسـتور الإيـراني، بعد فشل التصويت عليه في مرة سابقة داخل مجلس الخـبراء، لعب دورا كبـيرا في نقض النظـام الـديموقراطي الـذي أقامته الثـورة الإيرانيـــة، وذلك بالســـماح للفقيه الـــولي بالهيمنة على مجلس الشـورى ورئاسة الجمهورية والمجتمع الإيـراني بصـورة عامـة، وبنـاء ديكتاتورية دينية باسم (النيابة العامة للفقهـاء عن الإمـام المهدي الغائب).

وكما قلنا في البدايـة، كـانت هـذه خطـوة سـلبية وانتكاسة خطيرة في مسـيرة الثـورة، وقد عـانى الشـيخ المنتظـري نفسه منها ، وذهب ضـحيتها، فبعد أن كـان منتخبا من مجلس الخـبراء ليكون خليفة الإمام الخميني، إذا به يجبر على الاسـتقالة لمجـرد قيامه بنقد بعض تصـرفات الإمـام ، ويمنع حـتى من التعبـير عن وجهة نظـره في وسـائل الإعلام الإيرانيـة، وتفـرض عليه الإقامة الجبرية والعزلة عن الناس لسنوات طويلة.

---

232 - (ص 26 من ملف رقم 35)

233 - (ص 55 ملف رقم 60)

ومع ان نظرية الشيخ المنتظري حول (ولاية الفقيه) كانت تختلف قليلا عن نظرية الإمام الخميني، إلا أن إيمان المنتظري بها ودفاعه عنها صبّا في مصلحة الأخير.
الاختلاف الرئيسي بين النظريتين كان يدور حول مصدر شرعية نظام ولاية الفقيه، هل هو الله؟ أم الشعب؟ ففي حين كان الإمام الخميني يعتقد بأن مصدر الشرعية ينبع من توكيل الإمام المهدي للفقهاء ليكونوا حكاما على الناس، حسبما ورد في "التوقيع" المروي عنه والذي يقول فيه: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله" . وكذلك من "مقبولة" عمر بن حتظلة ، والتي يقول فيها الإمام الصادق:" إني قد جعلته عليكم حاكما". مما سمح للإمام الخميني باعتبار ولاية الفقهاء على الناس مجعولة من قبل الله كولاية الرسول والأئمة من أهل البيت ، وانها ولاية دينية إلهية .

وقد ترتب على ذلك اعتقاد الخميني بعدم حاجة الفقيه إلى اخذ رضا الأمة في أية مسألة ، وأن له الحق ان يعمل بما يتوصل إليه في اجتهاده ، وعلى الأمة ان تطيعه بلا مناقشة أو تردد ، وهو ما يمنحه صلاحيات مطلقة أخرى ، ويجيز له و لأي فقيه ان يستولي على السلطة بالقوة أو الانقلاب العسكري أو يحتكرها بعد ذلك ويصادر الحريات والحقوق العامة ويلغي الأحزاب ويعطل مجلس الشورى ، أو يصدر قوانين جديدة تتعارض مع الدستور أو الشرع ، كما اصدر الإمام الخميني قانون (المحاكم الخاصة لرجال الدين) والمنافية للمساواة الإسلامية والقوانين الوضعية ، والتي تحكم بما تشاء على من تشاء كيفما تشاء .

ولكن الشيخ المنتظري ناقش الإمام الخميني في دلالة مقبولة عمر بن حنظلة والأحاديث الأخرى على النصب والجعل والتعيين ، وقال انها تدل على الانتخاب ولا يصح الاستدلال بها لإثبات الولاية المطلقة بالنصب .

ورغم صوابية منطق الشيخ المنتظري ، المدعوم من قبل كبار المحققين الشيعة، في رفض نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي، إلا انه هزم في معركة (ولاية الفقيه) لأنه توقف في نقدها في منتصف الطريق، ولم يقم بنقد نظرية الإمامة والاثني عشرية من الجذور، ولم يبحث مسألة وجود الإمام المهدي الغائب بدقة. وكما قلت سابقا، فقد كانت نظرية ولاية الفقيه بنفسها ثورة على الفكر الإمامي الاثني عشري، لأنها كانت تتخلى عن شرط العصمة والنص والسلالة العلوية

الحسينية في الإمام، وترفض نظرية انتظار الإمـام الغـائب، ولكن الشيخ المنتظري لم يبحث في أصل نظرية الإمامة ووجود الإمـام المهدي.

ولكي لا نظلم الشـيخ المنتظـري، يجب أن نعـترف بشـجاعته الفكريـــة، وقيامه بخطـــوات جريئة في نقد كثـــير من المظـــاهر الســـلبية في الـــتراث الشـــيعي. فهو ينقل عن أســـتاذه المرجع الديني السيد حسين البروجردي (توفي ســنة 1960) دعوته الى التحقيق في الكتب الروائية ، والتركـــــــيز على علم الرجـــــــال والحـديث وتصـفية الأخبـار الدخيلة ، والانفتـاح على مجـاميع أهل السنة الروائية ، ورفض الكتب الشيعية الضعيفة غير المسندة.[234] وينقل عنه أيضـــا، قوله بعـــدم جـــواز الخضـــوع لهيبة العلمـــاء السابقين الى درجة الامتناع عن ممارسة التفكير .[235]

وقد دخل الشيخ المنتظري في حـوار مع أسـتاذ آخر له في الحـوزة العلمية (هو السـيد مهـدي الحجـازي) حـول صـحة رواية معينة ، قـــــال الأســـــتاذ : ان العلامة المجلسي يعتبرها (رواية معتـبرة) قـال الشـيخ المنتظـري: ان اعتبـار أحد العلمـاء لرواية معينة بأنها صـــحيحة ، لا يشـــكل حجة شـــرعية لنا ، إذ يجب ان نتحقق من الصحة بأنفسنا ونرى فيما إذا كانت معاييره للتصــحيح متطابقة مع معاييرنا ، ولذا فان تصـحيح المجلسي لتلك الرواية لا يكفي ، وان علينا ان نتحقق بأنفســنا.[236] هـــذه العقلية الاجتهادية المنفتحة دفعت الشـيخ المنتظـري الى مراجعة كثـير من الأمـور التاريخية ، والنظر في الـــتراث الـــروائي الضـــخم المشـــحون بالأحـاديث الضـعيفة الموضـوعة ، والتركـيز على القـرآن الكـريم ونهج البلاغة . مما كـان يؤهله لإحــداث ثــورة ثقافية كــبرى في التراث الشيعي تتجاوز الخلاف الطائفي الموروث والمزمن .

وكان المنتظري قد انتقد خلال السنوات الماضية بعض الجوانب التطبيقية الســـيئة لنظرية ولاية الفقيه ، ولكنه لم يتطـــرق الى بحث جـــــــذورها العقائدية ، وخاصة لجهة ارتكازها على نظرية الإمامة ووجــود الإمــام الثــاني عشر الغــائب (محمد بن الحسن العسكري) الـذي يعطي الفقهـاء (النـواب العـامين) هالة قدسـية

---

234 - (ص 8 و9 و10 و11 من ملف رقم 30 من مذكراته)

235 - (ص 13ملف17)

236 - (ص 13/17)

وصلاحيات واسـعة تخل بـالتوازن الضـروري المطلـوب بين الأمة والإمام.

ان الحرص على تطور النظام الإسلامي وصون التجربة الرائدة يقتضـيان فتح الحـوار بحرية مطلقة حـول جميع القضـايا الفكرية والعقائدية السـنية والشـيعية ، وتـذويب الرواسب التاريخية ، من أجل تحقيق درجة أعلى من الوحـــــدة والمزيد من الحرية لجميع أبناء الأمة الإسلامية. لا سيما وان التطورات السياسية المتلاحقة في إيران بعد فشل الحركة الإصـلاحية وسـعيها للتحـرر من حكم رجــال الــدين، تقتضي مواصــلة الثــورة الثقافية وترسـيخ عملية الاجتهاد والفرز بين الروايات الصحيحة والموضوعة. وهذا ما دفع عددا من الإيرانيين للمطالبة من الشيخ المنتظـري بإعـادة النظر في نظرية الإمامة وبحث فرضـــية وجـــود الإمـــام الثـــاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" المهدي المنتظر الغائب. ولكنه لم يجد الظروف المناسـبة ، أو الـوقت الكـافي، أو القـدرة الصـحية والذهنية الكافية لبحث ذلك الموضــوع، فكتب ردا ســريعا ، تحت عنوان (موعود الأديان) كرر فيه النظرية الشيعية الاثني عشـــرية التقليدية، وقال :"ان موضوع المهدي الموعود من أهم المواضـيع والأبحاث التي طرحت لـدى المسـلمين في القـرون الأولى، منذ عهد الرسـول الأعظم والأئمة المعصـومين.وأكـدت عليه الأديـان المختلفــة. وتوجد عليه أدلة نقلية وعقليــة. وقد جـاءتني رسـالة عبر الإيميل تنكر وجود الإمام المهدي (إمام العصـر) وغيبته الـتي تعتــبر من أصــول المــذهب الشــيعي". وأشــار المنتظــري في المقدمة الى أن كتابه " لا يعـبر عن دراسة متكاملة حـول الإمـام المهدي، وذلك لأن هذا الموضوع يحتاج الى تأليف كتب مؤلفة".

كتاب "موعود الأديان"

وفي الوقت الـذي كنا ننتظر من الشـيخ حسـين علي المنتظـري، أن يقوم ببحث موضوع (المهدي) باعتباره واحدا من أكـبر فقهـاء إيــران، وأحد قــادة الثــورة الإيرانية والمهتمين بتــذليل العقبــات الفكرية أمام تقـدم الثـورة ومسـيرتها الديموقراطيـة. خاصة وأنه يعتبر موضوع (المهدي) أصلا من أصول المـذهب الشـيعي، ولكن كتابه الــذي جــاء في أكــثر من أربعمائة صــفحة خلا من أي بحث جدي حول الموضوع.

وقد اعــترف فيه بســرية الحمل والــولادة للإمــام المهــدي المفترض، وقـال:" ان الظـروف السياسـية كـانت تقتضي إخفـاء

حمل وولادة الإمام المهدي، حتى عن العلويين والهاشميين، خوفا من تسرب الخبر الى العباسيين".[237] و "ان الإمـام العسـكري لم يكن يطمئن الى أحد سـوى الخاصـة، حـتى يطلعهم على ولادة ابنه".[238] وأضاف: "ان سبب عدم ذكر المهـدي في وصـية الإمـام الحسن العسكري، هو الشـعور بـالخوف والخطر على حيـاة ذلك الإمـام. لأن العسـكري كـان يخضع لمراقبة شـديدة عند وفاتـه. ولذلك لم يذكر اسم ابنه في الوصية".[239]

وبعد كل هذه السرية والغموض في حيـاة الإمـام العسـكري ، وعدم اعترافه بوجود أي ولد له في حياته، أو عدم ظهـور أي ولد له عند وفاته، حسبما يقـول جميع مـؤرخي الشـيعة، فـان الشـيخ المنتظري يدعي ثبوت وجود ولد للإمام العسـكري يـزعم أنه ولد في السر، وانه المهدي المنتظر، وانه حي الى اليـوم.[240] ثم يعـود فينـاقض نفسه ليقـول ان ذلك الولد المسـتور ظهر ليصـلي على جنازة أبيه أمام الناس.[241]

ومن المعروف ان هذه هي عقيدة الشيعة الاثني عشرية، وهي تقوم على افـتراض وجـود الولد للإمـام العسـكري ، لكي تسـتمر الإمامة فيــــه، دون أن تقــــدم أدلة تاريخية علمية على ولادته ووجـوده، ولكنها تتشـبث بنظريـات واهية و افتراضـات فلسـفية، وأحاديث ضعيفة لا تصمد أمام البحث العلمي. وبدلا من أن يقـوم الشـيخ المنتظـري ببحث تلك "الأدلة والـبراهين" الـتي يقـدمها أصحاب النظرية الاثني عشـرية، والـتي أوقعت الشـيعة في أزمة سياسـية أكـثر من ألف عـام، حـتى جـاءت نظرية (ولاية الفقيـه) فأنقـذتهم منهـا. والـتي لا تـزال تعرقل المسـيرة الديموقراطية للشعب الإيـراني.. بـدلا من ذلك فـان الشـيخ المنتظـري لا يملك سـوى أن يكـرر دعـاوى الفرقة الاثـني عشـرية دون تمحيص أو مناقشة لسند أية رواية.

انه يقـول في البدايـة:" لا يوجد شك حـول أصل وجـود إمـام العصر (عج) حـتى نحتـاج الى إثباته عن طريق النـواب الأربعـة. فبالإضـافة الى أن الموضـوع يثبت عن طريق الأدلة الـتي تؤكد

---

[237] - (المنتظري، موعود الأديان، ص 294)
[238] - (المصدر، ص 302)
[239] - (ص 152)
[240] - (ص 302)
[241] - (ص 152)

ضـرورة الإمامة في جميع العصـور والأزمـان، فانه يثبت أيضا عن طريق الأخبار المتـواترة الـواردة عن النـبي الأكـرم (ص) والأئمة المعصـومين، والمروية عن طريق الفـريقين (السـنة والشـيعة). وهناك أكثر من ثلاثة آلاف حديث حول الإمام المهدي، بحيث تفيد التــواتر الإجمــالي، وتــوجب القطع واليقين. وهي تتحــدث عن المهدي وانه ابن الإمام الحسين، وله غيبة ويعمر طويلا، ثم يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن تملأ ظلما وجورا.

ونستطيع إثبات وجود المهدي بالأدلة العقلية والنقلية، والأحاديث المتواترة منذ زمان النبي الأكرم، التي تورث العلم واليقين. وبناء على ذلك فـان وجـود الإمـام المهـدي ليست فرضـية قائمة على القمع والإرهاب، بل قائمة على العقل السليم والنقل الثابت".[242]

ويشرح ذلك بمزيد من التفصيل فيقول:"هناك روايات متعـددة تشكل محل اتفـاق بين الشـيعة والسـنة، وبتعـابير مختلفـة، تـدل على أن خلفاء الرسول أو أئمة المسلمين، أو نقبـاء الرسـول هم اثنا عشــر. وحسب هــذه الروايــات فــان المهــدي هو أحــدهم، وآخـرهم. وان جملة "لا يـزال هـذا الـدين" أو "ما دام هـذا الـدين قائما" الواردة في بعض الأحاديث تدل بصراحة على وجـود خليفة للرسول ما دامت الأمة الإسلامية أو الدين الإسـلامي قائمـا. وبما أن الأئمة الأحد عشر قد استشــهدوا بصــورة مؤكــدة فلا بد أن يكون خليفة الرسول الثاني عشر حيا، وغائبا. وهو الإمام المهـدي الموعود.

وإذا قال الكاتب بأن المهدي الموعود لم يولد بعد، وبعدما يولد سيكون خليفة رسول الله، فان ذلك يتناقض مع حديث "من مات و لم يعرف إمـام زمانه مـات ميتة الجاهليـة" المـروي عن طريق السـنة والشـيعة. وان هـذا المعـنى يسـتفاد من جملة "لن يفترقا حـتى يـردا علي الحـوض" الـواردة في حـديث الثقلين المتـواتر، والذي يقبل به أهل السنة، وذلك لأن مفهوم عدم افـتراق العـترة عن القــرآن يقتضي وجــود العــترة ما دام القــرآن موجــودا، وان المهدي الموعود هو مصداق العترة اليوم".

ويتابع الشيخ المنتظري قائلا:"ان من جملة الشـواهد التاريخية على صــحة الأخبــار حــول كــون المهــدي ابن الإمــام الحسن العسكري، هو انتظار خروجه في أيام الأئمة المعاصرين للأمويين والعباسـيين، وتشـدد المعتمد العباسي في البحث عن ولد الإمـام

[242] - (ص 425)

العسكري، حيث قام بسؤال القوابل وفتش دار الإمام العسكري و دور الهاشميين بحثا عنه. يقول الصدوق: ان جارية للإمام العسكري ظلت تحت المراقبة لمدة سنتين حتى اطمأن المعتمد من عدم حملها.[243] وإذا كان المعتمد يعتقد بأن تلك الأخبار (التي تتحدث عن ظهور المهدي) كاذبة ومختلقة فلماذا يخاف من وجود ولد للإمام العسكري بهذه الصورة؟

وبناء على ذلك فان الإمام المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري. ومن صلب الإمام الحسين ، وان اسمه حتما "محمد بن الحسن العسكري" وليس "محمد بن عبد الله".

وإذا رفض الكاتب وأشباهه في الفكر، تصديق ذلك، فإما أن يرفض تلك الروايات الصحيحة، وهذا يؤدي الى رفض أحاديث النبي. ومن البديهي أنه لا يقول بذلك. وإما انه يشكك بتلك الروايات وبصحتها، وهذا ما لا يمكن لأن تلك الروايات كثيرة ومتواترة، وقد اعترف بها كبار علم الحديث. ورفضها نوع من العناد. وإما أن يقول بأن الإمام العسكري حي لم يمت، وهو غائب حتى يلد الإمام المهدي. وهذا ما لا يقول به أحد لأنه يتناقض مع وفاة الإمام العسكري سنة 260 وإما أن يقول بوفاة الإمام العسكري، وان الله سوف يحيه ويرزقه ولدا هو المهدي، أو يعتقد بأن المهدي ابن الإمام العسكري، وانه قد ولد، ثم مات. وهذا يتناقض مع حديث "من مات و لم يعرف إمام زمانه ..." الذي يرويه السنة أيضا. ويخالف إجماع الشيعة والسنة. إذن فلا طريق سوى الاعتراف بحياة وغيبة الإمام المهدي".[244]

ان هذا هو كل ما يقدمه الشيخ المنتظري في معرض إثبات وجود الإمام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" في منتصف القرن الثالث الهجري وبقائه حيا الى اليوم، والى أن يظهر في المستقبل. ولو أمعنا النظر في "الأدلة النقلية والعقلية" التي قدمها لوجدناها مجرد افتراضات واستنتاجات تقوم على رؤى ومفاهيم وتأويلات مستنبطة من بعض الأحاديث الضعيفة، التي يدعي تواترها، مثل حديث "الاثني عشر خليفة" أو " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" وذلك طبعا بعد تفسيرها بالإمام المعصوم، وإلا فانها لا تنتج بالضرورة دليلا على ولادة ولد للإمام العسكري، ولا تقول بأنه سوف يغيب

---

243 - (كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج1، ص 43)

244 - (المنتظري، موعود الأديان، ص 126)

ويكون المهدي المنتظر. وقد حاول في البداية الاستشهاد بفكـرة (المهدي الموعود) الـواردة في الأديـان السـابقة، أو الـواردة في بعض الأحـاديث المنسـوبة الى النـبي الأكـرم محمد (ص) والـتي تتحـدث عن المهـدي بصـورة عامة ، ولا تحـدد هويته بالضـبط، ثم طبق تلك الأحـاديث والمفـاهيم العامة على الشـخص المزعـوم محل الجدال.

وعندما يعجز الشيخ المنتظري عن إثبات وجـود "ابن الحسن العسكري" عـبر الطـرق العلمية التاريخيـة، الـتي لا يتطـرق اليها أبـدا، يحـاول أن يعضد كلامه بالاستشـهاد بـأقوال بعض الصـوفية والحشـوية من أبنـاء أهل السـنة، الـذين وافقـوا الشـيعة الاثـني عشرية في عقيدتهم حـول المهـدي، دون أن يبحث في أقـوالهم، أو يحقق في معتمدهم، أو يلاحظ الفارق الزمني بينهم وبين زمن الإمام العسكري، لا سيما وانهم ينسبون ولـداً لرجل لم يدعه في حياته ولا عند مماتـه، ويقـال أنه أخفـاه وكتمه حـتى عن أقـرب المقربين اليه من الهاشـميين والعلـويين وأهل الـبيت، كما يقـول الشيخ المنتظري نفسه. فيقول: "يتحدث كثـير من علمـاء السـنة عن ولادة الإمـام المهـدي وكونه ولد الإمـام العسـكري، وانه حي وينتظر الإذن الإلهي بالظهور، كما يعتقد الشيعة. وتجدون أسـماء كثير من أولئك العلماء في كتاب "منتخب الأثـر" وكـذلك "من هو المهـدي" ويمكنكم مراجعتهـا". ولا يكتفي المنتظـري بـذلك بل يقـول:" ان التـوراة تتحـدث عن الأئمة الاثـني عشر "اثنا عشر رئيسا من ولد إسـماعيل" وهو ما لا ينطبق إلا على الأئمة الاثـني عشر".[245]

وبغض النظر عن صحة هذا النص ، ونسبته الى الله تعالى، أو انطباقه على الأئمة الاثني عشر المعـروفين لـدى الشـيعة الاثـني عشـرية، وعـدم شـموله للنـبي الأكـرم محمد (ص) فـان الشـيخ المنتظري يفسره كما يشاء بدون دليل، ليفـترض من خلاله ولادة الإمـام الثـاني عشـر، في حين كـان يجب عليه أن يثبت ولادة ووجـود ابن الحسن العسـكري قبل أن يضع اسـمه في قائمة الاثني عشر. علما بأن هذه القائمة وحتى الفكـرة الاثـني عشـرية لم تظهر عند الشيعة الامامية في القـرنين الثـاني والثـالث، وانما تبلورت في القرن الرابع الهجري، ثم أخذ أقطاب المذهب بتأليف الأحاديث حولهـا، وبمحاولة الاستشـهاد على صـحتها بكل ما تيسر لديهم، ومقارنتها بكل ورد في التاريخ من رقم اثـني عشـر، حـتى

---

245 - (ص 257)

وان كـان عـدد أسـباط اليهـود الـذين آمنـوا بموسـى، والـذين لم يكونوا سوى اثنتي عشرة قبيلة.

ومن الغريب ان الشيخ المنتظري المعروف بتحقيقه ومستواه العلمي العالي، وخاصة في "دراساته عن ولاية الفقيه" يتناول هنا قضـية وجـود الإمـام الثـاني عشـر، بسـطحية وسـرعة واختصـار، وبصورة مخلة جدا لا يصح اتباعها لدى بحث مســألة جزئية فكيف لدى بحث أصل من أصول المـذهب مثل موضـوع وجـود المهـدي المنتظر.

وعلى أي حال فان عملية إثبات وجود الإمام الثاني عشر، التي يقوم بها الشيخ المنتظري كبقية مشايخ الفرقة الاثني عشـرية، لا تنتج وجود إنسان في الخارج فضلا عن أن يكــون إماما أو مهــديا، ولكنها تشــكل فقط قناعة في أذهــان النــاس (الشــيعة الامامية الاثني عشرية) وتؤدي الى عرقلة تفاعلهم مع الحيـاة، وذلك برفع المســئولية الشــرعية عنهم في الثــورة وإقامة الدولــة، الــتي يعتقـدون ان المسـئول الوحيد عن إقامتها هو "الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله محمد بن الحسن العســكري" أو (المهـــدي المنتظر الغـائب) وقد عـانى الشـيخ المنتظـري نفسه من هـذه المعضـلة حـتى مع الإمـام الخميـني في بداية السـتينات، عنـدما طرح عليه مسألة الخط الثالث، حسبما قال الشيخ في مذكراتـه، التي نقلناها في بداية هذا المقال ، حيث قال له الإمـام الخميـني :" ان المــذهب الشــيعي يــرى ضــرورة كــون الإمــام معصــوما ومنصـوبا (من اللـه) وان المسـؤولية تقع على عـاتق النـاس في زمان الغيبة، ويجب علينا إعداد الظروف المناسبة لظهـور الإمـام الغـائب." وعنـدما قـال له المنتظـري: هل يعـني ذلك ان يعيش الناس في (عصر الغيبة) في هرج ومرج؟ قال الإمام الخميـني: " لقد أتم الله النعمة ، وهـذه مسـؤولية النـاس الـذين يجب عليهم توفير الشروط المناسـبة لظهـور الإمـام (صـاحب الزمـان) إذ ان الإمام حسب رأي الشيعة يجب ان يكون معصوما ومنصــوبا فقط ".[246]

ولكن الشــيخ المنتظــري يتغافل عن هــذه الأزمة الفكرية الملازمة للاعتقاد بوجود الإمام المعصوم الغائب، ويقول:"لا يعتقد أي عـالم شـيعي بتعطيل الأحكـام في عصر الغيبـة، وكل ما يوجد هو ان بعض علمــاء الشــيعة يربطــون تنفيذ بعض الأحكــام مثل

---

246 - (مذكرات المنتظري ، ص 29 ملف35)

الحدود بالحكومة والقـدرة على تنفيـذها، وما لم توجد القـدرة فلا يجب تنفيـذها". وذلك خوفا من اتخـاذ هـذا الأمر دليلا على عـدم ولادة المهدي. ثم يتراجع فيقـول:" لا انفي وجـود الفهم الخـاطئ للغيبة عند البعض، من الــذين يربطــون تنفيذ كثــير من الأمــور السياسـية كـالثورة والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر بالإمـام المهدي".[247]

وإذا لم يكن الموقف السلبي من الثـورة وإقامة الدولة في عصر الغيبة، بحد ذاته دليلا على عدم الولادة، فانه يشكل مظهـرا من مظاهر الأزمة الناتجة عن القـول بفرضـية وهمية هي "وجـود الإمــــام الثـــاني عشر محمد بن الحسن العســـكري". وان أحد مظاهرها اليوم، حـتى بعد إقامة الدولـة، ادعـاء حكـام الجمهورية الإســلامية الإيرانية بكــونهم نوابا عــامين عن الإمــام الغــائب، واســتمداد شــرعيتهم الدســتورية منه ، ثم من اللــه، وليس من الشعب، مما يـدفعهم للتعـالي عليه والاسـتهانة بإرادتـه، والهيمنة على ممثليه، وعرقلة المسيرة الديموقراطية برمتها.

ولو أمعن الشيخ المنتظري قليلا بالخطوات الثورية التي أنجزتها نظرية ولاية الفقيه، بعد الانفكاك عن شروط الإمامة المثالية من العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية، وعـدم انتظـار الإمـام المعصـــوم المعين من قبل الله ليقـــود الثـــورة ويقيم الدولـــة، والاكتفـاء بشـرط الفقاهة والعدالـة، لأدرك أن الثـورة لا تكتمـل، وان الشعب الإيراني لن يأخذ حقوقه الديموقراطية كاملة، إلا بعد التحرر من الإيمان بأسطورة (الإمام الغـائب) الـتي لا يوجد عليها أي دليل شرعي، ولا أي دليل تاريخي قاطع.

19- مع الدكتور محمد التيجاني السماوي:

ما هو مذهب أهل البيت؟

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الكريم الدكتور محمد التيجاني السماوي المحترم

[247] - (المنتظري، موعود الأديان، ص333)

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم في خدمة الاسـلام والمسلمين

اما بعد فانه مما يسر المرء ان يهتدي انسان الى خط أهل البيت (ع) ويقتدي بسيرتهم.

واعتقد ان تجربتك في البحث عن الحقيقة والتفـتيش عن مـذهب أهل الـبيت تحمل في طياتها علائم الشـجاعة والايمـان والإخلاص والصبر والتضحية ، إذ ليس من اليسير ان يقول المـرء كلمة الحق (او ما يعتقده الحق) في وجه المجتمعـات المتعصـبة المقلدة التي اعتادت على ما ورثته من الآباء والأجداد.

وان حبك للحقيقة وصفاتك الكريمة تلك تـدفعني بكل صـدق واخلاص لكي اعرض عليك ما توصـلت اليه خلال بحـثي المشـابه عن الحقيقة وعن خط أهل البيت الصـحيح من بين الركـام الهائل الـذي اختلط به طـوال قـرون ، ومن بين التيـارات العديـدة الـتي اكتنفت خط أهل البيت في حياتهم وبعد وفاتهم.

لقد كنتُ من أشد المتحمسـين لنظرية الامامة الالهية (الاثـني عشـرية) وقد كتبتُ عـدة كتب في هـذا المجـال وكرست حيـاتي للـدفاع عنها والـدعوة اليها ، وكنت أؤمن بها إيمانا عميقا حـتى استطعت ان احول عددا من الوهابيين في السودان سـنة 1986 في جلسة واحدة الى شيعة. ولكن بعد تعمقي في دراسة التاريخ الشيعي ونظرية الامامة الالهية لأهل البيت بصورة شـاملة لجميع أركـان النظرية وتفاصـيلها الدقيقة أدركت انها مـرت في عـدة مراحل من التطـور ، وقد انطلقت في البداية في أواسط القـرن الثاني الهجري على أيـدي المتكلمين الشـيعة في الكوفة كنظرية سياسـية وراثية ردا على النظريـات الوراثية الأموية والعباسـية ، وكـانت تختلف عنها في انها تشـترط الوراثة في الـبيت العلـوي الحسـيني ، ونتيجة الصـراع بين الخط الزيـدي والخط الجعفـري أضاف المتكلمون شـرط الوراثة العمودية لكي يحرمـوا زيـدا من حق الامامة والقيادة للشـيعة وقـالوا بضـرورة انتقـال الامامة في الأعقاب واعقـاب الأعقـاب الى يـوم القيامة وعـدم جـواز انتقالها الى أخ او ابن أخ او عم او ابن عم.

وقد أدى هذا التشدد في قانون وراثة الامامة الى عدة أزمات في تاريخ الشيعة الامامية ، وكانت الأزمة الأولى عند وفاة الامام عبد الله الأفطح الذي كاد الشيعة يجمعـون على إمامته بعد وفـاة أبيه

الامام الصادق ، ولكنه توفي بعد فترة وجيزة دون ان يعقب ولـدا تســتمر الامامة في عقبه ، وهــذا ما أدى الى تفــرق الشــيعة الامامية الذين قالوا بإمامته الى ثلاث فرق قالت إحداها: بانتقـال الامامة الى أخيه موسى بن جعفر ، جامعة بينه وبين أخيه ومؤولة للقانون الذي لا يـؤمن بجـواز اجتمـاع الامامة في أخـوين بعد الحسن والحسـين ، وشـطبت فـرقت ثانية اسم الأفطح من قائمة الأئمة ، ورفضت الفرقة الثالثة الانتقـــــال الى موسى بن جعفر زاعمة وجود ولد للأفطح خفية ، وقالت بإمامته ومهدويته.

وكانت الأزمة الثانية بعد وفاة الامام الرضا وتركه لابنه الجـواد صغيرا لم يبلغ سن التكليف الشرعي بعد.

اما الأزمة الثالثة فقد كـانت عند وفـاة الامـام الحسن العسـكري دون ان يعقب ودون ان يوصي الى أحد بالإمامة او يــذكر وجــود أي ولد له. وهـذا ما أوقع الشـيعة الامامية في حـيرة شـديدة في شــأن الامامة وأدى الى تفــرقهم الى أربعة عشر فرقة ، وقــول فرقة منهم بوجـود ولد مولـود خفية وسـرا وانه الامـام من بعـده وانه المهدي المنتظر.

وقد دفعت الأزمة الشيعة الى تساؤل: اذا كان واجبا على الله ان ينصب الامام المعصوم ويحرم على الأمة اختيار الامـام بالشـورى ، وكــان الامــام فعلا موجــودا ، فملاذا يغيب تلك الغيبة الطويلة ويترك شـيعته والمسـلمين حيـارى بلا راع؟ ولمـاذا ينجح المهـدي الفاطمي (الإسماعيلي) في تأسـيس الدولة الفاطمية في شـمال أفريقيا وينجح الزيدية في اليمن ولا يخــرج المهــدي ابن الحسن العسكري؟

ولذلك فقد تراجع معظم الذين آمنوا بوجـود المهـدي في البداية وانتقل بعضهم الى المذهب الإسـماعيلي او الزيـدي او تراجع عن نظرية الامامة الالهية بالمرة.

وبالرغم من مرور عقود من الزمن على الايمـان بوجـود ابن الحسن فــان الامامية (القطعيــة) لم يكونــوا يعرفــون النظرية (الاثني عشرية) حيث كـانوا لا يزالـون يؤمنـون باسـتمرار الامامة في أعقابه الى يــوم القيامة ، ويمكن ملاحظة ذلك لــدى الشــيخ الصدوق الذي توفي في أواخر القرن الرابع الهجري.

وعندما طالت المدة ولم يظهر (المهدي) المفترض نشأت فرقة واقفية جديدة في صفوف الامامية وقالت بحصر الأئمة في (اثني عشر اماما) وان الدنيا ستنتهي مع نهاية الثاني عشر. واستعارت حديثا ضعيفا من أحاديث الآحاد المغمورة عند العامة ثم الفت مجموعة من الأحاديث المزورة ونسبتها الى الرسول الأعظم او الأئمة السابقين من أهل البيت وادعت وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر منذ عهد رسول الله. كما قال بعضهم بأن الأئمة ثلاثة عشر ، وروى بذلك أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله. (راجع الكافي وكتاب سليم بن قيس الهلالي)

لقد كانت نظرية الامامة الالهية في البداية موازية لنظرية الشورى ، وكلتاهما ممتدتان الى يوم القيامة ولم تكن إحداهما تقبل التحديد والتقييد في عدد من الخلفاء او فترة من الزمن ، ولكن غياب الامام الثاني عشر الذي لم يولد قط هو الذي دفع الامامية الى اختصار نظريتهم وتطويرها وإنهائها عند الرقم (12) وقام مجموعة من الرواة الضعاف والكذابين والوضاعين ، حسب علم الرجال الشيعي ، بوضع عشرات الروايات المزورة على لسان رسول الله تتحدث عن القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر واحدا واحدا.

ولو راجع أي أحد التاريخ الشيعي وتاريخ أهل البيت (ع) وأحاديثهم الصحيحة وقام بتمحيص الروايات على ضوء علم الرجال الشيعي (الطشي والنجاشي وابن الغضائري والطوسي والحلي) لوجد ان تلك الروايات عارية عن الصحة وضعيفة جدا ولا يوجد بينها رواية واحدة صحيحة.

ولو مر على قصة البداء في تعريف الأئمة السابقين لخلفائهم اللاحقين وما يلحق ذلك من تبدل وتغيير بعد موت بعضهم في حياة آبائهم لأدرك عدم صحة وجود هكذا قائمة مسبقة. ولو اطلع عل أدلة القائلين بوجود الامام الثاني عشر لأدرك تهافتها وعجزها عن إثبات وجود او ولادة (محمد بن الحسن العسكري) وهذا ما ينسف النظرية (الاثني عشرية) من الأساس ، فضلا عن انه يلقي بظلال من الشك على نظرية الامامة الالهية ايضا ، وذلك لانقطاعها عمليا وعدم استمرارها تاريخيا ، وإفساح ذلك للمجال أمام نظرية الشورى التي كان يؤمن بها أل البيت ويؤيدها القرآن الكريم ويقول بها العقل السليم.

وقد كانت حصيلة ذلك البحث التاريخي والعقائدي في نظرية الامامة الالهية هو (كتـــاب تطـــور الفكر السياسي الشـــيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) الذي يتألف من الكتب التالية:

1- نظرية الامامة الالهية لأهل الـــبيت عند الشـــيعة الامامية الاثني عشرية

وقد استعرضت فيه جميع أدلة النظرية وناقشـــــتها ورددت عليها على ضوء أحاديث أهل البيت الموجودة في تراث الاثني عشرية.

2- النظرية المهدوية عند الشـــيعة الامامية الاثـــني عشرية

وقد استعرضت فيه ايضا جميع أدلة القـــائلين بوجـــود المهـــدي (محمد بن الحسن العســـكري) الفلســـفية والتاريخية والروائية وغيرها ، وناقشـــتها ورددتها ، وأثبت انها ليست ســـوى فرضـــية وهمية اجتهادية ابتـــدعها فريق من المتكلمين الـــذين وصـــلوا الى طريق مســـدود بعد وفـــاة الامـــام العســـكري دون ان يخلف ولـــدا ودون ان يوصي الى أحد بالإمامة.

3- تطور الفكر السياسي الشيعي في عصر الغيبة

وبالطبع فان النتيجة التي توصلت اليها هي معاكسة للنتيجة التي توصلت اليها أنت ، وان كـــانت تلتقي حـــول أهل الـــبيت ، إذ اعتقد انا ان نظرية أهل الـــبيت هي الشـــورى ، وتعتقد أنت ان نظـــريتهم هي الامامة الالهية الـــــتي اعتقد انا انها من صـــــنع المتكلمين ولا علاقة لها بأهل الـــبيت ، وبما انك قطعت رحلة طويلة من البحث والتنقيب وفعلت انا كذلك فاعتقد اننا كفوئين لمناقشة الموضـــوع بجدارة وتقييم أدلة الطرف الآخر ، ومن هنا فـــأرجو منك ان تلقي بنظرة على كتـــبي بعد ان ألقيت نظـــرة على كتبك ، وتقـــول رأيك بصدق وصراحة وانا على اســـتعداد ان أغـــير رأيي فيما اذا اقتنعت بخطأ رأيي الســـــابق ، وأرجو بـــــذلك ان يوفقنا الله لخدمة دينه الحنيف وإظهار مذهب أهل البيت الحقيقي.

هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم المخلص احمد الكاتب

لندن 4/5/1994

20 - مع الشـيخ الـدكتور فاضل المـالكي في كتابه (الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة):

عدم جواز سرية القيادة، والامام العسكري أعلن ميلاد ابنه!

تعرفت على الشيخ فاضل المالكي، في بداية السبعينات في كربلاء، ورأيت فيه الأخلاق الفاضلة والعلم والذكاء، وتوسـمت أن يوفق الشيخ في الجمع بين العلوم الدينية الـتي كـان قد بـدأ في دراستها، وبين العلوم الحديثة التي كان يواصلها، وقد نجح الشـيخ في الحصـول على درجة الـدكتوراه والاجتهـاد فأصـبح الشـيخ الدكتور المالكي. ومن هنا فان مشاركته في الندوات التي أقامها مركز الابحاث العقائدية التابع لمكتب السـيد السيسـتاني، في قم ايـران، كـان يفـترض أن تكـون مشـاركة متمـيزة، وكـان يمكن – وربما لا يـزال- أن يوفق لتقـديم المزيد في المجـال الاسـلامي. ومع ان اختصاصه الرئيسي الخطابة المنبريـة، وهـذه تقتضي مجاراة العامة في الحديث، وعدم التعمق في الأبحـاث الأكاديمية أو العلمية الاختصاصـية مثل الأصـول والدراية والرجـال، الا ان تصـديه لإلقـاء بحث في نـدوة علمية في الحـوزة الدينيـة، كـان يفترض أن يحمل طابعا خاصا أكاديميا يرتفع فوق مسـتوى العامة والخطابة المنبريـة. ويبـدو أن الشـيخ المـالكي حـاول ذلك قليلا، ولكن الأجـواء الإرهابية المخيمة على الحـوزة، والمهمة التبليغية الـتي انـبرى لهـا، وطبيعة الموضـوع المبحـوث، كـانت عوامل مشتركة أبعدته عن تناول موضوع (الغيبة) بصورة علمية، ولـذلك جـاءت محاضـرته عن (الغيبـة) بعيـدة عن أعمـال الـدكاترة والمجتهـدين.حيث لم يتوقف ليـدرس أو ينـاقش أية رواية من ناحية السـند، أو يلاحظ التناقضـات الصـارخة الـتي تزخر بها الروايـات الـتي تتحـدث عن (ولادة الامـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسكري وغيبتـه). ورغم أنه حـاول الجمع بين الروايـات المتناقضـة، بصـورة تعسـفية، الا انه كـان ذكيا في طـرح أسـئلة مهمة في الموضوع.

ابتدأ الشيخ الدكتور المالكي، حديثه عن الغيبة، برواية عن كتاب الغيبة للطوسي ، عن الامـام جعفر بن محمد الصـادق (عليه السـلام) يقـول فيهـا: "للقـائم غيبتـان إحـداهما قصـيرة والاخـرى

طويلـة: فـالأولى يرجع فيها إلى أهله يعلم بمكانه فيها خاصّـة من شيعته، والأخرى يظهر فيها ولا يُدرى أين هو؟ يشهد الموسم يرى النـاس ولا يرونه ولا يعلم بمكانه إلاّ مواليه في دينه ويقـال فيهـا: هلك في أي واد سلك".[248]

ودون أن يناقش في سند هذه الرواية، وفيما اذا كانت صحيحة وصـادرة فعلا عن الامـام الصـادق، أو مختلقة من قبل الشـيعة الواقفية، الذين كانوا يقولون بغيبة الامام موسى الكاظم، ويعنون بالغيبة الأولى دخوله في السـجن، وبالثانية :هربه من السـجن، وعـدم موتـه، واسـتمرار حياته الى وقت الظهـور. فـان الشـيخ المالكي سارع لتطبيق هذه الرواية على (ابن العسكري) بـالرغم من أنها لا تشـير الى اسم معين، وذلك تبعا لمؤسسي المـذهب الاثـني عشـري (مشـايخ الطائفـة: الكليـني والصـدوق والمفيد والطوسي) الذين استفادوا من الرواية (الواقفيـة) السـابقة لتأييد دعواهم في وجود الامام الثاني عشر وغيبتـه. وبـالرغم من عـدم ثبوت (الغيبتين) لا للامام الكـاظم ولا لولد العسـكري، المشـكوك في وجوده أساسا، فـان الشـيخ الـدكتور المـالكي أغفل كل هـذه الملاحظات، ودخل مباشـرة في الحـديث، فـاعتبر حـديث الامـام الصـادق حـول (الغيبـتين): "نوعا من الإخبـار الغيـبي قبل مولد صـاحب الأمـر، وانه جـزء من مخطّط متكامل في الشـريعة الاسـلامية، بـدأ بـالنبي الاعظم (صـلى الله عليه وآله وسـلم) في قضـيّة التبشـير والانبـاء والاخبـار عن أصل قضـية ظهـور صـاحب الامر (عليه السلام) وغيبته ، وان العمليّة عمليّة إعـداد للامّة لكي تستقبل هذا الامام الثاني عشر ، صلوات الله وسـلامه عليـه، بما يحف إمامته من خصوصيات، ومن أهم وأبـرز هـذه الخصوصـيات قضية غيبته (عليه السلام)".[249]

ويبدو ان الشيخ الدكتور المـالكي، كـان يحاضر اعتمـادا على حافظتـه، ولـذلك اختلطت عليه الأمـور جـدا، بحيث اعتـبر (أبو الأديان البصري) أحد نواب الامام المهـدي الشخصـيين في فـترة الغيبة الصغرى، وهذا ما لم يقله أحد لا من قبل ولا من بعد، وإنما ورد في كتاب (إكمال الدين) للصدوق، أن أبا الأديان البصري كان وكيلا للامام العسكري، الذي أرسله في مهمة خاصة قبيل وفاته ، الى المدائن، وأعطاه مواصفات الامام القـادم، وأخـبره بتصـادف عودته الى سامراء مع وفاته (أي العسكري) في نفس اليوم، بعد أسبوعين.

---

[248] - ص 8

[249] - ص10

وهــذا الرجل (أبو الأديــان البصــري) رجل مختلق موهــوم ومجهـول (لا يعـرف اسـمه ولا اسم ابيه ولا عشـيرته) لم يعرفه أحد ولم يشر الى وجـوده أي مـؤرخ . ولم يـذكره غـير الصـدوق، الذي قال انه أحد خدم الامام العسـكري وحامل كتبه ، ورسـوله الى الأمصار وجـامع أموالـه. وتتضـمن روايته دعـوى بعلم الامـام العسـكري غيبيا بموعد وفاته بعد اسـبوعين، وبما سـوف يحـدث عند تشـييع جنازتـه، رغم أن الله تعـالى يقـول:" وما تـدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تـدري نفس بـأي أرض تمـوت". لقمـان 34 وهو ما يضعف الرواية جدا جدا.

ولكن ماذا يفعل آية الله الدكتور المالكي، وهو مضطر للدفاع عن فكرة الغيبة ووجود الامام الثاني عشـر؟ وهل يملك غـير تلك الروايات الأسطورية للإعتماد عليها وعرضها على الجمهور؟

وبدلا من البحث في حقيقة هذه الروايات وفضحها، وقد كتبت عنها مفصلا في الجـزء الثـاني من كتـابي تطـور الفكر السياسي الشيعي (الإمام محمد بن الحسن العسكري.. حقيقة تاريخية؟ أم فرضـية فلسـفية؟)، فـان المـالكي يقفز عن هـذه الأمـور، ويلهي نفسه والمستمعين والقراء ببحث تفاصيل أخرى غير مهمة. مثل: ما معنى الغيبة؟ ومن أهل الامام الغائب الذين يعود اليهم ؟ وهل يعلم مواليه بمكانه؟ وهل يمكن أن يراه أحد في ظل الغيبة؟

ويؤكد:" في الجملة، هنالك لقـاءات، ولكن هـذه اللقـاءات إنّما هي حجة على أصـــحابها، لأنه في زمن الغيبة الكـــبرى نعلم أنّ الامام سلام الله عليه لم يعيّن سفيراً خاصّاً، فلا يسعنا كلما جاءنا شخص وقال: أنا سفير الامـام، أنا رأيت الامـام، أن نـرتّب الاثـر، نعم لا يسـعنا أن نكذّبـه، خاصّـة إذا كـان مؤمنـاً ظـاهر الايمـان والعدالة، لا نواجهه بالكذب، ولكن في نفس الـوقت لا يـترتب أثر شرعي على دعواه أنّه رأى الامـام سـلام الله عليـه". ويعـترف:" أحيانــاً ربما تقــوم قــرائن على كــذب بعض المــدّعين، وما أكــثر المدّعين للرؤية، سواء في الغيبة الصـغرى أو في الغيبة الكـبرى، كما أن هنالك من ادّعى المهدويّــة، وهنالك من ادّعى الســفارة، وهنالك من ادّعى الرؤية".[250]

وخلال تقديم الشيخ المالكي لمداخلته، ينتبه بأن بحث تفاصيل الغيبــة، متــأخر عن بحث إثبــات وجــود الغــائب وولادتــه، فيقول:"هنالك أبحـاث سـابقة على هـذا البحث: من قبيل مسـألة ولادتـه(عليه السـلام)، والمفـروض أن الحـديث عن غيبته بعد أن تحرز ولادته، وأن يُحرز وجوده، وأنّه غائب وليس بميّت ، والنقطة الثالثة هو إحــراز أنّ له سـفراء في هـذه الغيبـة. وهنالك أسـئلة

[250] - ص 12

أخـرى ترتبط في موضـوع أصل الغيبة وفي أصل إمامته أنّه كيف يتـولّي الامامة في سن مبكـر". ولكنه يقفز عليها ويفترضـها من المسلّمات، ويقـول:"كل هـذه الابحـاث كما لا يخفى تفـترض في حـديثنا الآن، بعنـوان أصـول موضـوعيّة مسـلّمة، لا نتكلم عنها ونفترضـها أمـور مسـلّمة، فمحط ركابنا في واقع الأمر هو عبـارة عن نفس الغيبة الصغرى في مفهومها، وكذلك في سفراء الامـام سلام الله عليه في هذه الغيبة، وطريقة تماس الامـام سـلام الله عليه بقواعده الشعبية". [251]

وتلمع في ذهن الدكتور المـالكي، وهو يقـدم مداخلتـه، نقطة مهمة أخرى، هي عدم جواز السرية في القيادة الاسـلامية، وهـذه نقطة طالما أثارها المالكي ضد بعض الأحزاب الاسلامية العراقية التي كانت تخفي قيادته في ظروف من الكتمان في أيام النضـال ضد الدكتاتورية (الصـدامية) وكـان المرجع الـديني الراحل السـيد محسن الحكيم قد أفـتى بعـدم جـواز اتبـاع القيـادات السـرية المجهولة، في الستينات من القرن العشرين. وهكذا يقول الشيخ الـدكتور فاضل المـالكي: "السـريّة ربما تكـون في العمـل، أما السرية في القيادة لا وجود لها في الاسـلام، ولهـذا نجد أنّ الائمة صـلوات الله عليهم يصـرّون في مختلف مـراحلهم ورغم ظـروف التقية التي كـانوا يمـرّون بهـا، على قضـية أن ينص السـابق على اللاحق. نعم ربما كان هذا النص في ضـمن إطـار تقية في ضـمن الخواص، أما أن تكون سـريّة بتمـام المعـنى فهـذا في واقع الامر ليس من شـؤون الامامـة، أو الحجة بوجه عـام نبـوةً أو إمامـةً، فاصرار الائمة سـلام الله عليهم على قضـية أن يشـخص السـابق منهم اللاحق ولو في أحلك الفـترات وأدقّ الظـروف، هـذا الواقع متفـرع على قضـية علنية القيـادة قـدر الامكـان، لما في سـرية القيادة من مشكلات مبسوطة في محلّها له بحث علمي آخر في باب النظام السياسي الاسلامي".

وهنا وجد المـالكي نفسه في مواجهة روايـات كثـيرة تـدعي سرية الولادة والوجود للامام الثاني عشر، فقـال :" إن الظـروف الخانقة الارهابية الـتي كـان يمـرّ بها الامـام العسـكري، دفعته لكتمان أمر الامام المهدي من حمله إلى ولادته إلى نشأته ، فقد تم كتم حمله بقضـــــية كرامة كما كتم حمل أم موسى بموسى (عليه السـلام) بالقصّـة المعروفـة، وهكـذا ولادته أيضـاً ما كـانت بشـــكل علـــني، إنّما كـــانت بتمـــام الواقع والحيطة والحـــذر". وأضاف:"انّ الامام سلام الله عليه في الغيبة الصـغرى كـان ينهى عن التسـمية". ولكنه اسـتدرك قـائلاً: ان ذلك في مجـالات التقية

---

[251] - ص21

فقط، لا في مطلق المجالات، يعني لا دليل عندنا أنّ الامام (عليه السلام) نهى عن مطلق التسمية، وإنّما نهى عن التسمية لغـرض الحفاظ عليه، بدليل أنه إذا وقع الاسم مثلا دلّ على المكان، هـذا قرينة، يعني هو أشبه بالواقع، بيان العلّة للنهي، فإذا لم يلـزم من ذكر الاسم الدلالة على المكان فلا إشكال، باعتبار أنّ القضية في أوجها والسلطة العباسية كانت تبحث عن الامـام سـلام الله عليه وتحاول رصـده والقضـاء عليـه، وجـرت محـاولات عديـدة لاغتياله (عليه السلام) وفشلت، فلهذا الامام كـإجراء في تلك الحالة وفي تلك الظـروف كـان ينهى عن التسـمية فيما يرتبط بالحفـاظ عليه وعـدم الدلالة على مكانـه، أما إذا لم يلـزم منه هـذا المحـذور فلا بـأس بالتسـمية، فقد سـمّاه رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) ونص عليه الأئمة السابقون".[252]

وبما أن الشيخ الدكتور المالكي كـان يميل مسـبقا الى رفض الرواية السـرية، فقد مـال الى الرواية العلنيـة، وقـال"رغم هـذا الكتمان فان الامام العسكري سـلام الله عليه كـان حريصـاً على قضية إثبات ولادته ووجوده..لأننا لمّا نتكلم عن موضوع الغيبة لابد أن نعرف أنّ هذا الغائب مولود موجود. (ولذلك فـإن) أوّل إجـراء اتخذه الامـام العسـكري سـلام الله عليه فيما تفيد الروايـات: أنّه أكثر من العقـائق عن الامـام المهـدي (عليه السـلام)، وهـذه من خواصه أنه لم يُعقَّ عن مولـود على الاطلاق كما عـقّ عن الامـام صاحب الامر (عليه السـلام)، حتّى ورد في رواياتنـا: أنه عُـقّ عنه ثلاثمائة عقيقة. بل ان الامام العسكري (عليه السلام) أمر عثمان بن سـعيد أن يشـتري كـذا الف رطل ــ الرطل قرابة ثلث كيلو غـرام ــ من اللحم وممّا شـاكل ويوزّعه على الفقـراء، والشـيء الملفت للنظر أنّ الامـــام نــوَّعَ وعـــدَّد الامـــاكن، مثلاً كتب إلى خواصّــه في قم أن يعقّــوا وأن يقولــوا للنــاس أن هــذه العقيقة بمناسـبة ولادة المولـود الجديد للامـام العسـكري (عليه السـلام) وأنّه محمد، وهكذا مثلاً كتب إلى خواصه في بغداد وفي سامراء. هذه عناية من الامام سلام الله عليه، كثرة العقائق وإخبار الناس بمناسبة هذه العقائق ومن ذبحت عنه هـذه العقيقة مثلاً، هـذا كلّه إجراء أوّل أراد منه الامام سلام الله عليه عملية إعلامية بأنّ هــذا الامام الثاني عشر المنتظر صلوات الله وسلامه عليه قد ولد وقد تشرفت البشرية والعالم باشراق نور وجهه المقدس".

وهذه الرواية بالطبع تناقض الرواية السرية تمامـا، بل تنسـفها نسفا، ولا يمكن الجمع بينهما أبدا، خصوصا اذا أضـفنا الى ذلك ما

---

[252] - ص 66

ذكره الشيخ المـالكي من " أن الامـام العسـكري (عليه السـلام) كان يحضر مجاميع من خواصّه وشيعته ويعرفهم على ولده الامام المهدي سلام الله عليه".

يعتمد الشيخ المـالكي في رأيه هـذا ، على مجموعة روايـات نقلها الشيخ الصدوق في (إكمـال الـدين) والطوسي في (الغيبـة) ويقـول:"إذن فـان غيبة الامـام سـلام الله عليه في واقع الامـر، كانت غيبة بعد ثبوت مولد، وثبوت وجود".[253]

ولكن الـدكتور المـالكي، لا يسـتطيع أن يغفل تماما الرواية الأخرى السرية، فيقول:"ان الغيبة الصـغرى بـدأت بمولـده (عليه السلام)، حيث كان مولده مبنيّاً على الكتمان، فكان الامام سـلام الله عليه غائباً منذ ذلك الحين وإلى أن يظهر للعيان بشكل علني عـام". ثم يعـود الى روايته الأولى فيقـول:"إنّ الامـام سـلام الله عليه لم يكن غائبـاً بـالمعنى المتعـارف منذ ولادتـه، نعم كـان محفوظاً إلاّ عن الخاصّـة، وكـان هنـاك تكتم على اللقـاء به على الاجمال بالنحو الذي بيّناه سابقاً، كانت هناك محدوديّة في قضـية رؤيتـه، أما غيبة بتمـام المعـنى وبـالمعنى الـذي نفهمه بحسب الظاهر من مولده لم تشرع، وان الامام سلام الله عليه كان يأتي إليه مجاميع من أصـحابه فيطلعهم عليـه، فالغيبة إذن لم تبـدأ من حين مولده ".[254] ويحاول الشيخ المالكي أن يقدم نظرية جديـدة ثالثة متوسطة في بدء الغيبة، فيقول:" انّ غيبته بدأت بعد مولـده بفـترة، وأعلن عن غيبته نفس والـده الامـام العسـكري (عليه السلام)".[255]

ولكن هـذه النظرية في الحقيقة تتنـاقض مع الروايـات الـتي استند اليها المالكي في إثبات ولادة ابن الحسن العسكري، والتي كانت تتحدث عن غيبته مباشرة في أول يـوم من ولادتـه، وعودته صـبيا بالغا أو رجلا كبـيرا، كرواية حكيمة وغيرها من الروايـات، والتي كانت إحداها تتضمن نمو الوليد السريع في الشهر بمثل ما ينمو غيره في السنة.[256]

ان الرواية العلنيـة، هي إحـدى الروايـتين المتناقضـتين حـول الموضوع، والتي انتشرت في محاولة لإثبـات وجـود الولد للامـام العسكري، في بعض الأوساط البعيدة عن سامراء، وتحدثت أيضا عن صـلاة (الامـام المهـدي) على جثمـان أبيه أمـام الحشـود،

---

[253] - ص 38
[254] - ص 41
[255] - ص 43
[256] - ص 43

وجلوسه في داره واستقباله للوفود وأخذه للأخماس والزكوات، وما الى ذلك. وهي ليست سوى اشاعة متأخرة تخالف الثابت المجمع عليه بين مؤرخي الشيعة مثل النوبختي وسعد بن الله الأشعري القمي والمفيد والطوسي والمرتضى والنعماني والطبري، من عدم إعلان الامام العسكري عن وجود ولد له، ووصيته بأمواله الى أمه، وتفسير المؤرخين الشيعة لهذا الموقف بالخوف الشديد من السلطة العباسية. فكيف يمكن أن نجمع بين دعوى الخوف والتكتم الشديد، الى درجة إنكار الولد، وبين الإعلان وإقامة الحفلات (العقيقة) هنا وهناك ابتهاجا بمولده؟ وكيف نجمع بين سرية الولادة وإعجازها، بحيث لم تعلم بالحمل حتى أم المهدي المفترضة، حتى ساعة الولادة، كما تقول رواية حكيمة، وبين ظهور الامام وصلاته على أبيه أمام الشرطة والوزراء والنواب في عقر دار الخلافة؟

ولو كان الدكتور الشيخ فاضل المالكي، يبذل جزءا صغيرا من عقله العلمي الأكاديمي لينظر في هذه الروايات المتناقضة ، وأسنادها المجهولة والمرسلة والمقطوعة، لأدرك أنه يسبح في عالم من الخيال والأساطير، ولوفر على نفسه عناء الجمع بين هذه الإشاعات.

ولو عاد الشيخ الدكتور المالكي الى القوانين الشرعية، لوجدها ترفض بشدة نسبة ولد الى إنسان، من دون معرفته، هذا اذا كان الولد حيا ظاهرا ملموسا، فكيف بنسبة شبح موهوم؟

وكما قال المالكي، إن القائد الاسلامي يجب ان يكون ظاهرا علنيا معروفا، ولا يجوز أن يكون سرا مجهولا، فهل يستطيع أن يدلنا على ذلك الامام المدعى؟

ولو درس الشيخ المالكي تاريخ الشيعة السابق خلال القرن الثاني الهجري، لوجد قصة مشابهة، هي قصة ادعاء ولد مستور للامام عبد الله الأفطح، من قبل بعض الشيعة، والتي رفضت من عامتهم لأنها قصة باطنية مخالفة للظاهر من وفاة الأفطح دون خلف.

ولو ألقى الدكتور المالكي نظرة عامة على قصة ادعاء فريق من أصحاب الامام العسكري لوجود ولد له في السر، وعدم امتلاكهم لأي دليل سوى الافتراض الفلسفي، وبعض الاشاعات عن رؤيته واللقاء به، وعدم ظهوره منذ ذلك الحين والى اليوم، في حين أن الامام المعين من قبل الله لا يجوز عليه الاختباء، كما يقول الامام علي بن موسى الرضا الذي واجه الواقفية الذين ادعوا غيبة والده الامام الكاظم. لأدرك أنه أمام قصة أسطورية محبكة لا أساس لها من الصحة. ولعرف ان "السفراء الأربعة"

ليسوا سوى جزءا من أدعياء النيابة الكذابين الدجالين الذين انتشروا في تلك الأيام، وأخذوا يستغلون البسطاء من الشيعة ويأخذون أموالهم باسم الامام المهدي.

ولكي يصل الى هذه النتيجة، على الشيخ المالكي أن يضع جانبا، ولو بصورة مؤقتة، الصورة المقدسة لأدعياء النيابة ومشايخ الطائفة الذين روجوا لتلك الأسطورة، ويفترض كذبهم، لأنه لن يستطيع أن يحقق في صدقهم ويتأكد من كلامهم وهو يقدسهم ويثق بكلامهم مائة بالمائة.

ويبدو ان الشيخ المالكي قد خطا خطوة على هذا الطريق ، عندما قال:"إن مسألة السفراء من المسائل المهمّة في واقع الامر، يعني كيف نعرف أنّ هذا الشخص سفير عن الامام سلام الله عليه، لا سيما وأنّنا نعلم أن هنالك من ادعى السفارة كذباً وزوراً، وهذا باب واسع فتحه جملة من العلماء، وقد عقد مثلاً الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه أو الشيخ الصدوق أو العلامة المجلسي أعلى الله مقامهم ، فصولاً في أسماء الذين ادعوا السفارة كذباً وزوراً، والحال يقتضي أنّ الوضع والكذب وارد، باعتبار أنّ مقام السفارة عن الامام مقام مقدس وعظيم أعظم من مقام المرجعية في زماننا، فلا يبعد أن يتنافس عليه الكثير وأن يدّعيه الكثير، **فلابد من مثبتات في قضية السفارة حتى نستطيع أن نعرف الصادق من الكاذب"**.[257]

" وكان من السفراء الذين ادعوا السفارة كذباً وزوراً:

1 ـ الهلالي أحمد بن هلال العبرتائي، (منطقة من بغداد والكوت).

2 ـ البلالي محمد بن علي بن بلال.

3 ـ النميري محمد بن نصير النميري.

4 ـ الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف، الذي قتله الملك العباسي.

5 ـ أبو محمد الحسن السريعي أو الشريعي.

6 ـ محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني المعروف، الذي كان من أعلام الشيعة وألّف كتباً في التشيع، ولكنه لمنافسة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للامام المهدي سلام الله عليه، خرج عن طوره وأخذ يدّعي دعاوى غير صحيحة، وحكم الامام سلام الله عليه في توقيع من توقيعاته المقدسة بضلاله وانحرافه، وأعلن عن ذلك أيضاً سفيره الحسين بن روح النوبختي.

---

[257] - ص 46

ويـروي بعض العلمـاء رواية تقـول: سـأل رجل الحسـين بن روح أعلى الله مقامه الشريف فقـال لـه: ما تقـول في كتب محمد بن علي الشلمغاني؟

ومحمد بن علي الشـــلمغاني لم يكن رجلاً من الســـوقة أو رجلاً من العاديين، إنما كان عالماً من علماء الطائفة، ووجهاً من وجوه المـذهب، وكـان قد صـدرت عنه تصـريحات ضـالّة وانحرافات، فوقف منه الامـام سـلام الله عليه ونوابه موقفـاً صارماً، وكان كثـير التـأليف، بحيث كـانت كتبه تملا المكتبـات الاسـلامية، فكـانت مشـكلة للشـيعة في ذلك الـزمن، رجل يملك هكذا قدسية وهكذا علمية وهكـذا فضـيلة ينحـرف بهـذا الشكل، يصعب على كثير من الاذهان أن يتقبل هذه الفكـرة، فلهذا سألوا الحسين بن روح النوبختي عن هذا الموضـوع أنّه يسأل الامام سـلام الله عليـه. فخـرج التوقيع بتحـريم قـراءة كتبه وأنّها كتب ضـلال، حينئذ سـألوه: ما نصـنع وبيوتنا مليئة من كتبه؟

يعني ما من بيت إلاّ وفيه كتاب من كتب ابن أبي عزاقر.

قال: أقول لكم كما قال الامام العسكري سلام الله عليه في بني فضال.

وبنو فضـال بيت من الـبيوت العلميّة الشـيعيّة، ولكن هـؤلاء ابتلوا بأنّهم صاروا **واقفية** من الشيعة المنحرفين."خذوا بما رووا وذروا ما رأوا". رواياتنا الموجـودة في كتبهم خـذوها، لا سيما وأنّها كانت أيّام استقامتهم، وأما آراؤهم فلا تأخذوا بها، خـذوا بما رووا وذروا ما رأوا، فكـان في الواقع أزمة واجهتها الطائفة، أزمة من ادعى السفارة كذباً، ومنهم محمد بن علي بن أبي عزاقر الشلمغاني". [258]

إذن، فما هي المثبتات التي تؤكد وجود الامـام وراء هـؤلاء النواب، أو أدعياء النيابـة؟ وما هو المـانع من كـذبهم جميعـا؟ وما الذي يؤكد صدق النـواب الأربعـة؟ ليس في ادعـاء النيابة فقط، وانما في وجود الامام الغائب الثاني عشر؟

يجيب الشيخ الدكتور فاضل المالكي:" كان ثبوت نيابتهم (النواب الأربعة) بشـهادة الثقـات، وهم بالمئـات في مجـاميع كثـيرة فيما تـروي الروايـات، أنّ هنالك اتفاقـاً من الـرواة والعلماء على شهادة الامام العسـكري (عليه السـلام) بوثاقة عثمـان بن سـعيد العمـري رحمه اللـه، وأنّ الامـام المهـدي سـلام الله عليه أقـرّه في منصـبه وفي زمن غيبته الصـغرى، وكـان يقـول:"اسـمعوا له واطيعـوا" وهـذا المعـنى في واقع

[258] - ص 47 - 48

الامر أخذ يتـداول باعتبـار النصّ عليه "اسـمعوا له واطيعـوا"، ثم لا يخفى أن مما يطــاع فيه نصه على من بعــده، فقد نص على ولده محمد بن عثمان من بعده".[259]

ولست أدري من أين جاء الشيخ المالكي بهـذه الروايـة؟ وكيف عرف ان الامام المهـدي قد عين العمـري سـفيرا لـه؟ في حين لم يشاهده أحد، ولم ينقل عنه بـالطبع قولـه، الا ان يكــون العمــري نفسه قد قد نقل النص على نفســه، بعد أن ادعى رؤية الامام، كما في قصة الحميري وأحمد بن اســحاق اللذين سألاه: هل رأيت الامام؟ فبكى وقــال نعم ورقبته مثل هذا.

وكان يفترض الشيخ المالكي أن يتوقف هنا قليلا ليتأكد من دعوى العمـري الـذي نقل النيابة بعد وفاته الى ابنه محمد بن عثمــان العمــري، والــذي نقلها بــدوره الى النوبخــتي ثم السيمري. وهذا أول الكلام، فكيف نصدق العمري في دعـواه انه سفير الامام، ونحن لم نتأكد من وجود الامام؟ ولم نعرف له أثرا؟ وهل نبني ديننا على خبر آحاد مشبوه كهذا؟

ان الشـيخ المـالكي يعـود فيؤكـد:"الطريق الاول لاثبـات نيابتهم اتفاق ثقات الرواة والعلماء على نص الامام المعصوم (عليه الســلام) على أولهم، ثم شــهادتهم على نصّ الســابق على اللاحق باعتبـــــار أن مما تجب طاعة النـــــائب واجب الطاعة فيه هو تعيينه لمن يــأتي من بعــده". وهو يعــرف ان منح الثقة المتبادلة بين أعضاء أية جماعـة، هي ثقة مشـكوك بهــا، ولا يجــوز الاعتمــاد عليهــا، وانما يجب النظر اليها من الخــارج وبصــورة محايــدة، ثم انها ثقة منقولة عــبر مئــات السـنين، ومن قـال انها كـانت موجـودة في تلك الأيـام؟ ولم يكن أحد من الشــيعة يشــك بهم؟ هــذا وقد اختلف شــيعة الامام العسكري الى أربعة عشر فرقة، وكما تقول الروايــات التي ينقلها الكليـني والنعمـاني والصـدوق : " ان الشـيعة في ذلك العصر كـان يتهم بعضـهم بعضا بالكـذب والكفـر، ويتفل بعضهم في وجوه بعض، ويلعن بعضـهم بعضـا، وانهم انكفـأوا كما تكفأ السفينة في أمواج البحر، وتكسـروا كتكسر الزجـاج

[259] - ص 51

أو الفخار".[260] وقد اشتهر عند الشيعة تلك الأيام حديث عن أهل البيت يقول:"خدامنا وقوامنا شرار خلق الله".[261]

لقد اعتمد الشيخ الطوسي في توثيق عثمان بن سعيد العمري على عدة روايات ، وكان بعضها ، كرواية احمد بن اسحاق القمي ، ينص على توثيقه من قبل الامام الهادي والامام العسكري في المحيا والممات ، وانه الوكيل والثقة المأمون على مال الله ، وليس فيها ما ينص على نيابة العمري عن الامام (المهدي) ولكن بعض الروايات كان ينص بصراحة على اعلان الامام العسكري خلافة العمري للامام المهدي ، الا ان سند هذه الرواية ضعيف جدا وذلك لاشتماله على (جعفر بن محمد بن مالك الفزاري) الذي يقول عنه النجاشي وابن الغضائري : ٠ انه كذاب متروك الحديث وكان في مذهبه ارتفاع (غلو) ويروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه ، وقد روى في مولد القائم اعاجيب ، وكان يضع الحديث وضعا ، وانه كان فاسد المذهب والرواية .

أما الرواية السابقة التي تتحدث عن وثاقة العمري وأمانته ووكالته فانها مجهولة ، ويوجد في سندها الغالي (الخصيبي) وهي تنطوي على دعوى علم الامام العسكري بالغيب ومعرفته بوفد اليمن قبل ان يراهم (9) وهذه الدعوى من مفاهيم الغلاة ، وان الرواية الأولى تقول: ان العسكري أخبر باستقامة العمري في المستقبل بعد وفاته ، وهذا ما لا يعلمه الا الله ، وهو من علم الغيب ايضا.

ومن هنا ، وبعد سقوط هذه الروايات لضعفها متنا وسندا ، فانا نكاد نحصل على نتيجة واحدة ، هي: ان العمري الذي كان وكيلا للامامين الهادي والعسكري في قبض الاموال ، قد استصحب الوكالة وادعى وجود (ولد) للامام العسكري ، ليدعي الوكالة له ، دون ان يقدم دليلا واضحا وأكيدا على ما يقول . ولذلك لا يؤكد المؤرخون بصراحة على توكيل (المهدي) له ، وهذا الطبرسي الذي كان حريصا على تدوين كل ما وصل اليه لا يقول في كتابه

---

[260] - الكليني، الكافي، ج1 ص 366 و338 و340 والنعماني، الغيبة، ص 89 و206 و208، والصدوق، أخبار الرضا، ص 168، واكمال الدين، ص 408

[261] - أكده الشيخ الطوسي في الغيبة، ص 244، ولكنه قال:" انه ليس على عمومه، وانما قالوا، لأن فيهم من غير وبدل وخان"

(الاحتجاج) اكـثر من : (ان العمـري قـام بـأمر صـاحب الزمـان ، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه) . 10

ولم يـذكر المؤرخـون الشـيعة اية (معجـزة) له تثبت دعـواه في النيابة ، بالرغم من قول السيد عبد الله شبر في :(حق اليقين):" ان الشيعة لم تقبل قـول النـواب الا بعد ظهـور آية معجـزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صـاحب الأمر ، تـدل على صـدق مقالتهم وصحة نيابتهم" . 11

فكيف يقرأ المالكي التاريخ من جانب واحد ويهمل وجهات النظر الأخرى؟

ألم يعرف أن الشيعة أو بعضهم كـان يشك بصـدق دعـوى "السفراء الأربعة"

وقد ندم بعض الشيعة على اعطاء الاموال الى العمري كما شكوا بوجود المهدي والتواقيع التي كان يخرجها العمري وينسـبها اليه ، وكـان منهم قسم من أهل الـبيت ، وهـذا ما دفع العمـري الى ان يصدر كتابا على لسان المهدي يندد بالشـاكين والمنكـرين لوجـود المهدي . كما شك قسم آخر بصحة وكالة النوبخـتي وتسـاءل عن مصرف الاموال التي كان يقبضها باسم الامـام المهـدي ، وقـال : ان هذه الاموال تخرج في غير حقوقها .

وقد نقل المـالكي نفسه بعضا من تلك القصص حيث يقـول:" روى الشـيخ الصـدوق أعلى الله مقامه في إكمـال الـدين أنه : جـاءت أمـرأة .. فـدخلت على أبي القاسم بن روح النوبخـتي، وكـانت معها حقيبة أو محفظة فيها جملة من المجـوهرات ، فسألته : أخبرني بما تحت عبـاءتي؟ قـال لهـا: القيه في دجلة ثم اقبلي إلينا لوجهك، يقول أبو علي البغدادى: والله أنّي شاهد هـذه القضـية ما زدت فيها ولا نقصت حرفـاً، فـذهبت وألقتها في دجلة ثم رجعت بسـرعة إلى الحسـين بن روح، وإذا بها تجد محفظتها بين يـدي الحسـين بن روح وبعـدها على قفلها لم تفتح، قـال: أو أخـبرك بما فيهـا؟ قـالت: ومـا؟ قـال: فيها كـذا مجـوهرات، كـذا حلقات ذهب، كذا سوار، كذا خصوصيات إلى آخره، يقول: فوالله لقد دهشت أنا والمـرأة وعجبنا وسـألناه ممّ علمت ذلـك؟ قـال: دلّـني على ذلك سـيدي صـاحب الامر صـلوات الله عليـه". ويضيف:"هناك كرامات كثيرة من هـذا القبيل ذكـرت، وهي تعـزّز صدق نيابة هؤلاء النواب وسفارتهم عن الامام سلام الله عليه".

ولكن الشيخ الدكتور المالكي لا يقول لنا كيف صدق هذه "المعجزة" التي رواها البغدادي، ربما على سبيل الدعاية والإعلان؟ وكيف صدق بحدوث المعاجز على يدي السفراء؟ وكيف صدق النوبختي في دعواه علم الغيب بما في المحفظة؟ والغيب لا يعلمه الا الله؟ ولماذا لا يصدق دعاوى بعض الصوفية المشابهة، مثل ما ينقل عن عبد القادر الكيلاني؟ وهل يعتبره سفيرا للامام المهدي؟

ان الشيخ المالكي يعتبر دعوى الإتيان بالمعاجز وعلم النواب بالغيب، دليلا على صحة دعاويهم بالنيابة، وعلى وجود الامام الغائب، فيقول:" كان الامام سلام الله عليه تجري المعجزة والكرامة على يديه تارة عن طريق السفراء وتارة عن طريق بعض الخواص الابدال من الناس، من قبيل محمد بن شاذان بن نعيم رضوان الله عليه، الذي يقول: اجتمع عندي من الحقوق الشرعيّة خمسمائة درهم إلاّ عشرين درهماً، فاستحييت أن أبعث بها للامام (عليه السلام) دون أن أتمّها، فأتممتها بخمسمائة وأوصلتها إلى الامام سلام الله عليه ـ الظاهر عن طريق نائبه، لانّ القضية في زمن الغيبة، والمفروض اللقاء المباشر في مثل هذه القضايا عن طريق النواب، وإن كان يمكن أن يكون التقى به سلام الله عليه مباشرة ـ فجاء الجواب عن الامام: وصلت خمسمائة درهم لك منها عشرون درهماً". ويعلق:"مثل هذه الكرامات كانت تظهر للامام سلام الله عليه، فكانت تعزز وجوده الحسي".[262]

ويقول:" وهنالك توقيع من توقيعات الناحية المقدسة لآخر نائب وهو النائب الرابع وهو السمري، يوصيه فيه بأن لا يوصي من بعده لشخص آخر فقد انتهت الغيبة الصغرى، وهذه الرسالة تشهد عباراتها على صدورها من تلك الناحية المقدسة، يقول:"بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فانّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام". فالامام سلام الله عليه نعى إليه نفسه في حياته، وهذه القضية رواها كل من مرّ بها من علماء الطائفة، كالصدوق والطوسي وأمثال هؤلاء قدس الله أسرارهم". [263]

---

262 - ص 58
263 - ص 60

ويعترف الشيخ المالكي بأن هـذا يرتبط بموضـوع علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله عز وجل، ولكنه يضـيف:"ان الله يطلع على بعض المعلومات الغيبيّة مَن ارتضى من خلقه".[264]

وفي الحقيقة ان المؤرخين الشيعة يذكرون قصصا كثيرة عن اجـتراح النـواب الأربعة للمعـاجز وإخبـارهم بـالغيب، في محاولة منهم للتمييز بين مدعي النيابة الكاذبين وبين أولئك الأربعة الـذين يصـــفونهم بالصـــدق . وذكر الطوسي خـــبرا عن علي بن احمد الدلال : ان العمري اخبره بساعة وفاته من يـوم كـذا وشـهر كـذا وسنة كذا ، فمات في اليوم الـذي ذكـره من الشـهر الـذي ذكـره من السـنة الـتي ذكرها ، وكـان ذلك في آخر جمـادى الأولى من سنة 305 هـ

ولكن هـذا القـول يخـالف القـرآن الكـريم ومبـاديء التشـيع وأحـاديث أهل الـبيت (ع)، الـذين كـانوا ينفـون علمهم بـالغيب او استخدام الطريقة الاعجازية الغيبية لاثبات امامتهم. يقول الشـيخ الصدوق في (إكمال الـدين):" الامـام لا يعلم الغيب وانما هو عبد صـالح يعلم الكتـاب والسـنة ، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهـذا كفر بالله وخروج عن الاسلام عنـدنا ، وان الغيب لا يعلمه الا الله وما ادعاه لبشر الا مشرك كافر" .[265]

وقد قال الامام الصادق (ع) :" يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب!.. والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهـربت مـني فما علمت في اي بيوت الدار هي" . وسـأل يحـيى بن عبدالله الامـام موسى الكاظم (ع) فقال:" جعلت فـداك انهم يزعمـون انك تعلم الغيب؟ فقـال: سـبحان اللــه! ضع يــدك على رأسي ، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي الا قـامت . لا والله ما هي الا وراثة من رسول الله ". وفي رواية اخـرى ينقلها الحر العـاملي ، يقـول فيها الامـام:" قد آذانا جهلاء الشـيعة وحمقـاؤهم ومن دينه جنـاح البعوضة ارجح منه... اني بريء الى الله والى رسوله ممن يقـول انا نعلم الغيب ". [266]

وكان يفـترض بالشـيخ الـدكتور المـالكي أن يطلع بدقة على آراء الشـــيعة وأقـــوال أهل الـــبيت (عليهم الســـلام) قبل أن يصـــدق

---

[264] - ص 60

[265] - الصدوق، اكمال الدين، ص 106 و116

[266] - المفيد، الأمالي، ص 23 والحر العاملي،إثبات الهداة، ج3 ، ص 784 و772و767 و764

الإشاعات والأساطير التي كان ينسجها أدعيـاء النيابة الخاصة عن أنفسهم، فاذا كان أئمة أهل الـبيت لا يعلمـون الغيب وينفونه عن أنفسهم فكيف يعلمه أدعياء النيابة؟

وقد استوقفني الشـيخ المـالكي وهو يحـاول تصـديق تلك الدعاوى، وتسويقها، بقوله:" ان الله يطلع على بعض المعلومـات الغيبيّة مَن ارتضى من خلقـــه" وكــــان الأجـــدر به أن يتلو الآية الكريمة كما هي ، لا أن يشــــوهها بهـــذه الصـــورة، وإذا لم يكن يحفظها كان الأولى به العودة الى القـرآن الكـريم الـذي يقـول:" عـــــالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـــــداً ، الا من ارتضى من رســـول..." (الجن 26 -27) وليس "من أرتضى من خلقـــه". والفرق شاسع بين الرسـل، وبين "من ارتضى من خلقـه" الـذين يحاول المالكي إدخال النواب الأربعة فيهم.

إذن فلا يمكننا ان نصـدق بـدعوى أولئك النـواب بالنيابة عن الامام المهدي ، ونعتـبر قـولهم دليلا على وجـود الامـام ، اسـتنادا الى دعاوى المعاجز او العلم بالغيب .

وإذا كنا نتهم أدعيـاء النيابة الكـاذبين بجر النـار الى قرصـهم ، وبـالحرص على الامـوال والارتبـاط بالسـلطة العباسـية القائمة يومــذاك ، فــان التهمة تتوجه ايضا الى اولئك (النــواب الاربعــة) الذين لم يكونوا بعيدين عنها . إذ يقول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلا عن الحسين بن روح النوبختي في بني بســطام ، ثم انشق عنه وادعى النيابة لنفسه :"ما دخلنا مع أبى القاسم الحســـين بن روح في هـــذا الأمر الا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهـــــارش على هـــــذا الأمر كما تتهـــــارش الكلاب على الجيف" .[267]

وبعد انهيار كل هذه "الأدلة" لا يجد الشـيخ الـدكتور فاضل المــالكي، دليلا على وجــود (الامــام المهــدي) الا التشـبث بقشة (الخـط) الـذي يقـول ان الامـام كـان يكتب به تواقيعه للنـواب " فهنالك للامام خط خاص، هذا الخط الخاص مألوف ومــأنوس في زمن أبيه الامــام العســكري (عليه الســلام)، وقد نص الصــدوق رحمه الله بأنّه من جملة الطـرق الـتي كـان يعـرف النـاس بها وجـود الامـام سـلام الله عليه وصـدق دعـوى سـفارة مَن ادّعى السـفارة، كــان ذلك من خلال معرفة خطه (عليه الســلام)، لانّ الرسـائل كـانت تصـدر بخطّه وتوقيعه مؤرّخة بتأريخها أيضـاً، ممّا

[267] - الطوسي، الغيبة، ص 241

كـانت تؤكّد لكـلّ مَن كـان له تمـاس بالامـام سـلام الله عليه وبواسـطتهم لبقية الطبقـات كـانت تؤكّد وجـوده (عليه السـلام). وهذه الكتب الصـادرة كـانت بخطّه (عليه السـلام)، لم تكن بخط غيره، ولم تكن مطبوعة مثلاً حسب الفرض، وفي ذلك الزمن لم تكن هنالك أدوات طبع بـالنحو الموجـود اليـوم، المهم أنه لم تكن بخط غـيره، إنّما كـانت بخط نفسه (عليه السـلام) وموقعة بتوقيعه. فإذن قضية خط الامام وتوقيع الامام الذي كان ينفـرد به هـذا السـفير الصـادق الامين، كـانت أيضـاً طريقة من طـرق الاثبات". [268]

ولا أعرف كيف اعتبر الشيخ الدكتور المـالكي ، موضـوع الخط دليلا على وجـود الامـام، مع أن خط التواقيع كـان سـريا وغامضا ومجهـولا، ولم يعرفه أحـد، ولم يطلع عليه أحـد. وكـان أدعيـاء النيابة يحرصـون على إخفائه عن عيـون النـاس ، لأنه لم يكن سوى خطهم بأيديهم . وهـذا ما يقوله (التوقيع) الـذي يرويه الطبرسي في (الاحتجـاج) عن اسـحق بن يعقـوب عن العمـري ، يقول :" ولا تظهر على خطنا الذي سـطرناه أحـدا" . ولـذلك فقد أشـار الشـيخ الطوسي الى (خط المهـدي) بصـورة مريبة ، حيث قال: "قال ابو نصر هبة الله: وجدت بخط ابي غـالب الـرازي: ان العمري كان يتولى هـذا الأمر (النيابـة) نحـوا من خمسـين سـنة ، يحمل الناس اليه أمـوالهم ويخـرج اليهم التوقيعـات بالخط الـذي كان يخرج في حياة الحسن (ع) بالمهمات في أمر الدين والدنيا ، وفيما يسـألونه من المسـائل بالأجوبة العجيبة". ولم يقل أن العمـري كـان يخـرج التواقيع بخط المهـدي الـذي لم يعرفه أحـد، ولم يـره أحد فكيف يعرفـون خطـه؟ وانما قـال انه كـان يخـرج التوايقع بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن. ومن المعـروف ان التعرف على خط الامام الحسن بذاته كان مشكلة في حياته ، اذ كـان يلجأ بعض ادعيـاء النيابة عنه ، الى تزوير خطه ، وقد وقع الشـيعة بسـبب ذلك في مشـكلة التعـرف على خط الامـام العسـكري والتأكد من خطه ، في حياته ، فكيف يمكن التعـرف على خط (الامـام المهـدي) الـذي لم يـره أحد ولم يُـرَ خطه ولم يُتأكد من وجوده؟ ولا يملك عامة الناس وسيلة للتحقق منه ؟

ومع وجود هذه الاشكالية الكبيرة ، فان العمري لم يكن يسلم الخطـوط والتواقيع الى أحد ، بل كـان يبرزها لهم فقط او يستنسخها بخطه.

---

[268] - ص 61

و لذلك يمكننا اتخاذ (سرية الخط او الحرص على إخفائه) دليلا إضافيا على عدم وجود (محمد بن الحسن العسكري)، الذي ان كان موجودا فعلاً وكان مختفيا وغائبا لأسباب أمنية ، لكان لجأ بصورة قاطعة الى اثبات شخصيته عند الشيعة ، وقيادتهم عبر الرسائل الموقعة التي لا تقبل الشك والنقاش ، ويمكن معرفتها وتمييزها بواسطة التعرف على الخط ، والمقارنة بينها ، كواحدة من الوسائل العديدة التي يثبت بها نفسه.

وفي الختام أطلب من الشيخ الدكتور فاضل المالكي، الذي ربما يطمح لتبؤ منصب المرجعية الدينية، أن يعيد دراسة قضية (وجود الامام الثاني عشر) بروح علمية أكاديمية محايدة، حتى يصل الى جوهر مذهب أهل البيت، ويزيح عنه ما تراكم عليه من خرافات وأساطير.

21 - مع السيد علي الحسيني الميلاني في كتابه عن (الامام المهدي)[269]
ما معنى "الامام" ؟ وهل الامام الثاني عشر غائب؟ أم حاضر؟

قرأت كتاب أو محاضرة السيد علي الميلاني، التي نشرها مركز الابحاث العقائدية التابع لمكتب السيد السيستاني ، في قم، وذلك ضمن سلسلة من الكتب والمحاضرات التي أعدها ونشرها المركز، للرد على كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) والذي قلت فيه: ان الفكر السياسي الامامي وصل الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري، وغاب مع القول بغيبة الامام الثاني عشر، وان الفكر الشيعي عاد فنهض وتخلى عن نظرية التقية والانتظار، فقال بنظرية ولاية الفقيه، وأخيرا بالشورى أو الفكر الديموقراطي الحديث، وانه بذلك وضع نظرية الامامة الالهية لأهل البيت وراءه تماما، حيث لم يعد يشترط العصمة ولا النص ولا السلالة

[269] - نشر مركز الأبحاث العقائدية ـ سلسلة الندوات العقائدية (19)، سلسلة الكتب العقائدية (81) إعداد مركز الأبحاث العقائدية: /http://www.aqaed.com/shialib/books/all/nadwe19

العلوية الحسينية في الامام، بل يقبل بالشروط الاعتيادية من الكفاءة والأمانة، أو الفقه والعدالة، ولــذلك فانه أعطى للأمة الــدور الطــبيعي في اختيــار الامــام، على العكس تماما من الفكر الامامي البائد الــذي كـان يلقي بهـذه المهمة على الله تعــالى، ويــرفض قيــام الأمة بــأي دور في عملية الانتخــاب والشورى.

وقلت أيضا: بأن الشيعة المعاصرين لم يعودوا إماميين، بل مسلمين ديموقراطيين.

ومما يؤيد كلامي هذا ، هو تصـدي المرجع الأعلى السـيد علي السيسـتاني لقيـادة مسـيرة الديموقراطية في العـراق، بشكل بعيد تماما عن الفكر الامامي القديم. وذلك إدراكا منه للواقع العــراقي (الشـيعي) الـذي يسـير باتجـاه المسـتقبل، ومحاولة منه لقيادته وترشيده. ولكن بعض المحيطين بالسيد السيســتاني لا يــدركون ذلك التحــول العميق الحــادث في المجتمع الشـيعي، ويحـاولون جـره الى الـوراء أو إبقـاءه في الثلاجة (المجمدة). وبدلا من أن يتفهموا كتابي بعمـق، راحـوا يهـاجموه بسـرعة، وينضـمون المحاضـرات وينشـرون الكتب ضـدي، وقد اضـطر بعضـهم الى تحـوير عـدد من المفـاهيم السياســية الاســلامية حــتى يوقف عملية التفكــير الســليم بالماضي والحاضر والمستقبل، وكـان من هـؤلاء السـيد علي الميلاني الــذي حــاول التلاعب بمعــنى كلمة "الامــام" حــتى يحافظ على سلامة النظريات البائدة من الزوال.

لقد عرضت في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) الى مسيرة هذا الفكر منذ انطلاقته في أيــام الامــام علي بن أبي طـــالب والامـــام الحسن والحســـين (عليهم الســـلام) واشتراطه العدالة والعمل بالقرآن في الامام، مطلق الامـام، وقلت: ان الحركة الشــيعية في تلك الأيــام لم تكن تعــرف شــرط العصـمة والنص، وانها كـانت تلـتزم بمبـدأ الشـورى، ولكنها في القرن الثاني أخذت تقول تدريجيا بنظرية العصـمة والنص، وانها كـانت تعـني بـذلك ضـرورة اشـتراط الخليفة أو الحاكم الاسلامي بالعصمة، ولما كان هذه الشرط المثــالي لا يعرفه الا اللـــه، فقد انتهى الفكر الشـــيعي (الإمـــامي) الى ضرورة النص والتعيين للامام من قبل الله تعالى ، عبر النبي أو الإمام السابق. وان الإمامية قالوا نتيجة لـذلك بـأن الامامة (أي الخلافة) تنحصر في أهل الـبيت من ذرية علي والحسـين الى يــوم القيامــة. ولكن هــذه النظرية (الاماميــة) اصــطدت بعقبات كثيرة منها رفض أئمة أهل الـبيت لهـا، ومنها وصـولها

الى طريق مســدود بوفــاة الامــام الحسن العســكري دون خلف. مما أدى بها الى الوقوع بالحيرة، التي كـانت تضـطرها إما الى الـتراجع والتخلي عن الفكر الامـامي، غـير الـواقعي وغير الصـحيح، وإما الى اختلاق ولد وهمي للامـام العسـكري لتســتمر فيه الامامة الى يــوم القيامــة. وان عامة الشــيعة الامامية قد تراجعوا وتخلـوا عن الفكر المثـالي الـذي لا يمت الى أهل البيت بصلة، ما عـدا فريق منهم أصر على افـتراض وجود ولد للامـام العسـكري، بـالرغم من أنفـه، وبـالرغم من عدم وجود أية أدلة شرعية وعلمية تثبت ذلك. وقال أنه غائب وسوف يظهر في المستقبل.

وهكذا ولدت الفرقة الاثنا عشرية.

ولكن هذه الفرقة كانت أول المتضررين من تلك الفرضية الوهمية، حيث اضطروا الى الانسحاب من الحيـاة السياسـية لإيمانهم بعدم جواز اتباع أية قيـادة لا تتصف العصـمة والنص، وإيمانهم بوجود تلك القيادة الالهية (الغائبة)، في الوقت الذي كان اخوانهم الشـيعة الاسـماعيلية والزيدية يواصـلون عملهم الثوري وينجحـون في إقامة دول لهم هنا وهنـاك، في القـرن الثالث والرابع الهجريين.

ومضت قرون وقرون وقرون...

الى أن أدرك عامة الشيعة الامامية بأن مشـكلتهم تكمن في فكرهم السـلبي الأسـطوري، وان عليهم أن يتخلـوا عنـه، فقاموا بثـورة اجتهادية أدت بهم الى التحــرر من فكر الامامة والانتظار، وآمنوا بنظرية ولاية الفقيـه، الـتي التفـوا فيها على ذلك الفكر القــديم بادعــائهم أن الفقهــاء هم نــواب الامــام المهدي العامون، ويحق لهم إقامة الدولة باسـمه، ولكن هـذا الفكر كــــان يحمل بعض الســـلبيات الـــتي أدت الى إقامة ديكتاتورية رجال الدين في ايران.

ومع التزام الشيعة أخيرا في العراق وغير العراق، بـالفكر الديموقراطي الحديث، تخلـوا عمليا عن الفكر الامـامي البائد والمخدر، وانطلقوا في الحياة.

ومن هنا فان تحديد مفهوم كلمة "الامام" المستخدمة في الفكر السياسي الاســلامي العــام، وفي الــتراث الامــامي بالخصوص، يلعب دورا مهما في فهم الفكر الامـامي ومعرفة التناقض الكبير الذي وقع فيه بين القول بضرورة وجود الامام في الأرض، وبين القول بغيبة الامام. وهـذا يتضح من مراجعة أي كتــاب إمــامي قــديم مثل الشــافي للســيد المرتضى أو تلخيص الشــــافي للطوســـــي، او الألفين للعلامة الحلي، أو

غيرها من عشـرات بل مئـات الكتب المؤلفة حـول الامامة وشروطها ومحلها.

وكنت أحسب ان هذه مسألة بديهية، ولا تحتاج الى نقاش. ولـذلك اسـتغربت من محاولة البعض الجـدال فيهـا. كما فعل السيد علي الميلاني في كتابه أو محاضرته التي تركزت حول الموضوع.

قال الميلاني:"إنّه لابدّ في كلّ زمان من إمـام يعتقد به النـاس أي المسـلمون، **ويقتـدون به**، ويجعلونه حجة بينهم وبين ربهم...يقول أمير المؤمنين (عليه السـلام) كما في نهج البلاغــة:"اللهمّ بلى لا تخلو الارض من قــائم لله بحجّة إمّا ظـاهراً مشـهوراً وإمّا خائفـاً مغمـوراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته". والروايات الـواردة في هـذا البـاب أيضـاً كثـيرة، ولا أظنّ أنّ أحداً يجرؤ على المناقشة في أسانيد هذه الروايـات ومداليلها، إنّها روايات واردة في الصـحيحين، وفي المسـانيد، وفي السـنن، وفي المعــاجم، وفي جميع كتب الحــديث، والروايات هـذه مقبولة عند الفـريقين. فقد اتفق المسـلمون على روايــة:"من مــات ولم يعــرف إمــام زمانه مــات ميتة جاهليّة".

وأضاف الميلاني:" وذكر المؤرخون: أنّ عبد الله بن عمر، الـذي امتنع من بيعة أمـير المؤمـنين سـلام الله عليـه، طـرق على الحجّـاج بابه ليلاً ليبايعه لعبد الملــك، كي لا يــبيت تلك الليلة بلا إمام، وكان قصده من ذلك هو العمل بهـذا الحـديث كما قال، فقد طـرق بـاب الحجّـاج ودخل عليه في تلك الليلة وطلب منه أن يبايعه قـائلاً: سـمعت رسـول الله يقـول:"من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليـة"، لكن الحجّـاج احتقر عبد الله بن عمر، ومدّ رجله وقال: بـايع رجلي، فبـايع عبد الله بن عمر الحجّاج بهذه الطريقة. فقضية وجوب معرفة الامـام في كلّ زمـان والاعتقـاد بإمامته والالـتزام ببيعته أمر مفـروغ منه ومسـلّم، وتـدلّ عليه الاحـاديث، وسـيرة الصـحابة، وسـائر الناس، ومنها ما ذكرت لكم من أحوال عبد الله بن عمر.

وإنّما أردت أن أذكر لكم نماذج من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة على أنّ هـذه المسـألة ـ مسـألة أنّ في كـلّ زمـان ولكلّ زمان إمام لابدّ وأنْ يعتقد المسـلمون بإمامته ويجعلونه حجةً بينهم وبين ربهم ـ من ضروريات عقائد الاسلام". [270]

[270] - ص 15

وبغض النظر عن المناقشة في اعتبار مسألة الامامة من ضـروريات الاسـلام؟ أم لا؟، وفيما اذا كـان أحد يجـرؤ على مناقشـتها أو رفضـها؟ أو لا؟، وفيما اذا كـان حـديث ابن عمر صحيحا؟ أو لا؟، فـان من الواضح ان المقصـود به هو الحـاكم والخليفة والسلطان، أي مطلق الامـام، كما فهم عبد الله بن عمر الذي بايع الحجاج لعبد الملـك، واعـترض على ثـورة عبد الله بن مطيع في المدينة ضد يزيد.

كما ان من الواضح من تلك الأحـاديث – إن صـحت – ان المقصود من (المعرفـة) الإتبـاع العملي والانقيـاد السياسـي، وليس المعرفة النظرية المجـــردة، وهو ما كـــان يشـــكل المقدمة الأولى لنظرية الامامة الالهية، التي كانت تنطلق من هذه لتضيف مقدمة أخـرى في عملية بنـاء فكرها السياسـي، فتشـترط (العصـمة) في الامـام، أي الخليفة أو الحـاكم أو السلطان، ثم تقـول في مقـدمتها الثالثـة: ان العصـمة أمر لا يعرفه الا اللـه، ولـذلك تسـتحيل الشـورى كطريق لمعرفة الامـام وانتخابـه، ويجب النص عليه من اللـه. ثم تقـول بعد ذلـك: ان الله عز وجل قد نص على إمامة أهل الـبيت، وان الامامة متسلسلة في ذرية علي والحسين الى يوم القيامة.

إذن فقد كـان الحـديث عن الامامة السياسـية بالدرجة الأولى. ولكن السـيد علي الميلاني يـرفض هـذا الفهم، ويقـول:"نشـير إلى بعض الخصوصـيات الموجـودة في لفظ الحديث:"**من مات ولم يعـرف"**، لابـدّ وأنْ تكـون المعرفة هـذه بمعـنى الاعتقـاد أو مقدمة للاعتقـاد، **"من مـات ولم يعرف"** أي: من مات ولم يعتقد بإمام زمانـه، لا مطلق إمـام الزمان، بإمام زمانه الحق، بإمام زمانه الشرعي، بإمام زمانه المنصـوب من قبل الله سـبحانه وتعـالى. **"من مـات ولم يعرف إمام زمانه"** بهـذه القيـود **"مات ميتة جاهليـة"**، وإلاّ لو كان المـراد من إمـام الزمـان أيّ حـاكم سـيطر على شـؤون المسـلمين وتغلّب على أمـور المؤمـنين، لا تكـون معرفة هكـذا شـخص واجبـة، ولا يكـون عـدم معرفته موجبـاً للدخول في النار، ولا يكون موته مـوت جاهليـة، هـذا واضـح. إذن، لابدّ من أن يكون الامام الـذي تجب معرفته إمـام حـق، وإمامـاً شـرعياً، فحينئـذ، على الانسـان أن يعتقد بإمامة هـذا الشخص، ويجعله حجةً بينه وبين ربّـه، وهـذا واجب، بحيث لو أنّه لم يعتقد بإمامته ومات، يكون موته موت جاهلية، وبعبارة أخرى: "فليمت إنْ شاء يهودياً وإنْ شاء نصرانياً".

وهنا قام السيد الميلاني بتحوير مفهومين في الحـديث، هما : (المعرفة والامـام) اسـتنادا لعجز الحـديث :"مـات ميتة جاهلية" حيث استعبد أن يكون المقصـود مطلق الامـام. وقد فسر المعرفة بالمعرفة النظرية والاعتقاد، لا الاتباع والانقيـاد السياســي، تهربا من اســتحقاق مهم يفــرض نفسه وينسف نظرية الغيبــة، وهو : كيف يجب أو يمكن اتبــاع إمــام غــير معروف وغائب؟ وهل يمكن تسميته بإمام أصـلاً، وهو لا يـؤم المسـلمين ولا يحكمهم ولا يقـودهم؟ كما أفـرغ مفهـوم كلمة (الامام) من المعنى السياسي، وفسرها بالامام الحق المعين من قبل اللـه، حـتى يحافظ على نظرية الامامة من الانهيـار، في حين أن النظرية في أساسـها كـانت تـدور حـول الخلافة والحكم والســلطان، ولم تكن تتحـــدث عن أئمة يشـــبهون الملائكة أو الجن الذي يجب الإيمان بهم غيبا في الاسلام.[271]

واذا كان السيد الميلاني يستبعد أن يكـون المقصـود من (معرفة الامام) الواردة في الحـديث مطلق الإمـام، لصـعوبة قبول النتيجة لمن لا يعرف الامام، وهي الموت ميتة جاهليــة، فنحن في الحقيقة نشــكك لهــذا الســبب في أصل الحــديث الذي ينسب الموت الجاهلي (أو اليهودي أو النصــراني) لمن يمــوت بلا إمــام، مع ان القــرآن الكــريم لم يشر الى هــذا الموضـوع "المهم جـدا في الاسـلام" ولم يعتـبره جـزءا من العقيدة الاسلامية، ولا من ضـروريات الـدين. ولـذلك يصـعب علينا قبول اعتبار أمر ضروريا من ضروريات الدين رغم عدم ذكره في القرآن الكريم. هـذا اضـافة الى عـدم الوضـوح في الحــديث من كلمة "الامــام" وامكــان تطبيقه – كما فعل عبد الله بن عمر – على يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

واذا أصر السيد الميلاني على اعتبار الحديث صحيحا، فنحن نصر على فهمه بصورة مطلقة وعامة، كما فهمه عبد الله بن عمر وعامة المســلمين، الــذين يستشــهد الميلاني بهم في تصـحيح الحـديث، وهم بـالطبع لا يفهمـون المعـنى الخـاص " الامام المعصوم" الذي يحاول الميلاني تركيبه عليه.

وعلى أي حال، يريد السيد الميلاني، من خلال تفسيره التعسفي هذا، أن يسـتدل بهـذا الحـديث على وجـود (الامـام

---

[271] - وقد عاد السيد الميلاني بعد ذلك فقـال:" إنّ لكـلّ زمـان إمامـاً يجب على كلّ مسـلم معرفته والايمـان به والالـتزام بطاعته والانقيـاد له". ص 16

الثاني عشر محمد بن الحسن العسـكري) فيقـول:" إنّ لكـلّ زمــان إمامــاً يجب على كــلّ مســلم معرفته والايمــان به **والالتزام بطاعته والانقياد له.**[272].. وان الشيعة الامامية الاثني عشرية قالت: إنّ الذي عرفناه مصـداقاً لـذلك هو ابن الحسن العسكري". [273]

وبعد أن يصل الميلاني الى هذه النتيجة التقليدية، يطـرح عـددا من الأسـئلة من قبيـل: لمـاذا الغيبـة؟ وما الفائـدة من إمام غـائب ؟ وما هو تكليف المؤمـنين تجاهه وتجـاه الاحكـام الشرعية في زمن الغيبة؟

وهنا يقع الميلاني في أزمة حقيقية، فلا يدري ما يقول، هل يقول ان الامام المهدي فعلا غائب ومنقطع عن شـيعته؟ وهنا يكون قد رد بنفسه على نفسـه، فكيف يمكن الالـتزام بطاعة إمام غـائب والانقيـاد لـه؟ ثم ما ذا يكـون موقف الشـيعة في حالة الغيبــة؟ هل هو انتظــاره وعــدم القيــام بــأي ثــورة أو حكومـة، كما كـان يقـول الشـيعة الاثنا عشـرية من قبـل؟ أم يجب عليهم الانخراط في الحياة السياسـية وتفجـير الثـورات وتشـكيل الحكومـات، على أسـاس ولاية الفقيه أو الشـورى؟ ولكن في هذا محذور كبير مناقض لنظرية الامامة، هو: إقامة إمام غير معين من قبل الله.

أم يقــول ان الامــام الثــاني عشر حاضر ويتفاعل مع شــيعته؟ وفي هــذا مخالفة صــريحة لنظرية الغيبــة، ولرواية تكذيب من يدعي رؤية الامام الغائب قبل الظهور.

ولم أكن أتصـور ان السـيد علي الميلاني سـوف يختـار الجواب الأخير! ولا يكتفي بذلك بل يتهم من يعارضه بالنفــاق والعداء للاسلام!

أجل انه يقـول بكل جـرأة:" هـؤلاء لا يعلمـون، لانّ هـذه الأُمور لا يتوصّلون إليها ولا يمكنهم الاطّلاع عليهـا: إنّ الثقـات من أبنـاء هـذه الطائفة من علمـاء وغـير علمـاء، لهم قضـايا وحـوادث وقصص وحكايـات، تلك القضـايا الثابتة المروية عن طرق الثقات مدوّنة في الكتب المعنيّـة، وكم من قضـية رجع الشيعة، عمـوم الشـيعة، أو في قضـايا شخصـية، رجعـوا إلى الامام (عليه السلام) وأخذوا منه حــلّ تلك القضــية ورفع تلك المشكلة، إلاّ أنّ أعداء الائمّة سلام الله عليهم والمنــافقين لا

---

[272] - ص 16
[273] - ص17

يوافقون على مثل هذه الاخبار، وطبيعي أن لا يوافقوا، ومن حقّهم أن لا يعتقدوا".[274]

وعندما نوجه السؤال التقليدي التاريخي الى السيد الميلاني عن سبب غيبة الامام؟ ولماذا لا يظهر إذن ليقيم بنفسه دولة الحق، اذا كان عامة الشيعة وخاصتهم يلتقون به ويعرضون عليه مشاكلهم؟ هل هو الخوف؟ وقد زال والحمد لله، بعد أن أقام الشيعة دولا عديدا لهم، وأصبح العالم ديموقراطيا يسمح بظهور أي إمام حتى لو قال انه (المهدي المنتظر) وها هي أوربا وأمريكا يوجد فيها العديد ممن يدعي أنه المهدي المنتظر، وله محطات إذاعية وتلفزيونية ووسائل إعلام، ولا يحول يخاف من أحد، فلماذا لا يظهر (محمد بن الحسن العسكري) اذا كان حقيقة موجودا؟

يجيبنا السيد الميلاني بشيء من الحيرة والفلسفة والتناقض، ويقول:" لاحظوا إذا كانت غيبة الامام (عليه السلام) لمصلحة أو لسبب، ذلك السبب إمّا وجود المانع وإمّا عدم المقتضي، غيبة الامام (عليه السلام) إمّا هي لعدم المقتضي لظهوره أي لعدم وجود الارضية المناسبة لظهوره، أو لوجود الموانع عن ظهوره. وجود الموانع وعدم المقتضي كان السبب في غيبة الامام (عليه السلام)، هذا واضح. إنّا لا نعلم أنّ المانع متى يرتفع، ولا نعلم أنّ المقتضي متى يتحقق ويحصل، ولذا ورد في الروايات: "إنّما أمرنا بغتة". فظهور الامام (عليه السلام) متى يكون ؟ حيث لا يكون مانع وتتمّ المقدمات والارضية المناسبة لظهوره. وهذا متى يكون ؟ العلم عند الله سبحانه وتعالى، فيمكن أن يكون غداً، ويمكن أن يكون بعد غد، وهكذا". [275]

ونقول له: ألم تقل قبل قليل: ان الامام يلتقي بعامة الشيعة وخاصتهم؟ أم ان هذه روايات أسطورية مثل الروايات التي تحدثت عن ولادته ووجوده؟

22 - مع الشيخ جعفر كاظم المصباح في كتابه (الامام المهدي حقيقة لا خيال)[276]

---

[274] - ص 32

[275] - ص 33

[276] - الطبعة الأولى 1998 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت

رفض الشك المنهجي، والتشبث باليقين الموروث

قال الله تعـالى في كتابه المجيـد:"والـذين اجتنبـوا الطـاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادِ الذين يســتمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الـذين هـداهم الله وأولئك هم أولـوا الألباب". الزمر 17 – 18

هذه الآية الكريمة تنطبق على كل من يستمع الى حكاية وجود (الامام الثـاني عشـر) سـواء آمن بها أو لم يـؤمن، ولكن عليه أن يتجنب عبـادة الطـاغوت، أي عبـادة الهـوى والتعصب والخرافـات والأساطير، وتنطـوي كلمة "يسـتمع" على شـيء من التفكـير ثم اختيار الصالح من السيء من القول، وهذا هو عين العقل وصــفة العقلاء "أولوا الألبـاب" ولن يتوصل الى هـذه العملية (الاسـتماع، التفكير، اختيار الأحسن) الا من هداه الله تعالى.

وأزعم أنني استمعت الى حكاية وجود الامام الثـاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) جيـدا، وبكل تفاصـيلها، ونبـذتها لأنها كـانت سيئة جدا بكل المعايير، أملا بهداية الله تعالى.

وكنت أفـترض بمن يقـرأ كتـابي عن الموضـوع (تطـور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه) أن يسـتمع قليلا اليّ، ثم يفكر فيما أقــول، ويتجنب التعصب وعبــادة الطــاغوت، فيقبل كلامي أو يرفضــــه، وإذا رفضه يقـــــدم لي الأدلة المقنعة بهـدوء واحـترام، لكي يهـديني الى ما اعتقد هو انه طريق الهداية والصواب.

هكذا فعل بعض من حاول أن يرد علي، ولكن بعضا آخر تجنب طريق الحــوار العلمي الهـادىء، وأطلق لعواطفه العنـان، وحمل القلم ليرد، قبل أن يفكر، ودون أن يفكر في أي نقطة من نقــاط الحكايـة. ولو تمهل قليلا ودرس الأمر من جوانبه المتعـددة لأدرك أن الأمر ليس كما ورثه من آبائه وأجداده، وأن في القضية كثــيرا من الخرافة والخيال.

ان ما يحول دون أي انسان ودون التفكير السليم، هو تقديس الآباء والأجداد، أي عبادة الطاغوت، ولو تحرر الانسان قليلا منها ، ولو لفــترة قصــيرة هي فــترة البحث والتنقيب، لتنعم بفضل الله وهدايته ونوره.

وفي الحقيقة شاهدت بعض الردود على كتـابي، يتصف بصـفة التقليد الأعمى بصـــورة رهيبـــة، بحيث يقـــدس كل شـــيء من الروايات الى الـرواة الى العلمـاء السـابقين واللاحقين، ولا يعتقد بإمكانية خطأ أو انحــراف أو كــذب أي أحــد، كــأنهم كلهم ملائكة

معصــومون لا يــأتيهم الباطل من بين أيــديهم ولا من خلفهم، ولا يحتمل أن يكــون مذهبه خاطئا من الأســاس، وهــذا ما يجب أن يفترضه أي بـاحث محايد من البدايـة، ثم يعيد دراسة مذهبه على أساس الشك، وربما يصل الى اليقين أو لا يصـل، أما أن يتشـبث الباحث باليقين المـوروث، ويـرفض الشك في أي موضـوع، فهـذا عين التقليد ولا يمت الى البحث المحايد بصلة.

ومن الكتب التي صـدرت للـرد علي، ولا يعطي مؤلفها لنفسه مساحة للشك، ولا لطـرح أي سـؤال، هو كتـاب المرحـوم الشـيخ كاظم جعفر المصباح (الامام المهدي حقيقة لا خيال) الصادر سنة 1998 من مؤسسة الأعلمي في بيروت. وكنت أفضل عـدم الـرد عليـه، لأنه لم يــرد على شــيء من الكتــاب، وانما أعــاد اجــترار الحكايـات القديمـة، دون أي نقد أو تمحيص، وأفضل رد عليه هي إعـادة قـراءة كتـابي من أوله الى آخـره. ولكن نظـراً لاسـتغلال بعض المنــاوئين لمثل ذلك الكتــاب في الإدعــاء بأنه قد تم الــرد على كتـابي، ارتـأيت أن أقـوم بعـرض بعض ما ورد فيـه، للتـدليل على نوعية الردود المتهافتة التي ترفض التفكير والاجتهاد.

وقد لاحظت أنه كلما شعر الكـاتب بعجـزه عن تقـديم الـدليل المقنـع، كلما لجأ الى سـلاح العـاجزين: (السب والشـتم والاتهـام الباطل والتهــريج والتهديد والــترهيب). وقد كــان كتــاب الشــيخ المصباح (غفر الله له) نموذجا متقدما في هذا المجال.

يقول رحمه الله:"زعم بعض **الضالين المضلين** أنه حصل له شك بولادة الامام الثاني عشر لعدم توفر الأدلة الكافية، أو لعــدم قناعته بها.. وهـذا **الشك لا يساوي شـيئا** بالقيــاس الى الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، لاسيما مسألة الايمان بولادة المهدي اذ أنها تعد جزءا من العقيدة الشيعية وقد تم اثباتها **بأدلة قطعيــة، وبإجماع علمائنا فلا تأثير للشك والقناعة الشخصية** في نفيها قبـال تلك الأدلة خصوصا اذا لم يكن الشـخص من اصـحاب الاختصــاص في علم الحــديث والرجــال". [277] ويضــيف:" أجمع علماؤنا على ان السفراء الأربعة للامام المهدي بلغـوا من الجلالة ورفعة الشأن ما فـوق الوثاقـة، فليس بمقـدور هـذا المتطفل أن يطعن بوثاقتهم، فاذا ثبتت وثاقتهم بإجماع العلماء ثبت ارتبــاطهم وصـلتهم بالمهـدي". [278] ويقـول:"على فـرض ان بعض النصـوص التي ذكرت تاريخ ولادة المهدي ضعيفة أيستلزم هذا إنكــار ولادته وتكذيب الروايـات **الصحيحة المتـواترة** الـتي تنص عليه بكونه

---

[277] - ص 266

[278] - ص 267

(محمد بن الحسن العسكري) وتكذيب سفرائه الثقات بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام؟ غريب جدا هذا الاسلوب الاستدلالي الذي يمارسه هذا **النفر الضال** حيث **ينفي اليقين بالشك**، ويدع الاحاديث **الصحيحة المتواترة** ويعتمد على الأقاويل النابعة من الحقد والتعصب الطائفي، وينقض **إجماع علمائنا العظام** بأقوال من شذ وانحرف عن جادة الحق والصواب".[279]
ويؤكد:"الاستدلال غريب شاذ مناف لأسس الاستدلال الأصولي العلمي، والاستقراء المنطقي، اللذين يعتمدان على **نفي الشك باليقين وليس بالعكس**". [280]

ويقول:"اما قولهم بضعف كل الروايات التي تتحدث عن هوية المهدي وتاريخ ولادته، فهذا افتراء آخر بلا دليل، لأن معظم روايات تعريف المهدي الواردة عن سائر المعصومين، والتي ذكرت اسمه واسم ابيه وكنيته **صحيحة متواترة بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام**. وكذا الروايات التي تذكر كيفية الولادة وتاريخها فمعظمها أيضا **صحيحة ومسندة**، ذكرها علماؤنا في كتبهم المتعلقة بالمهدي، فنفي صحتها بالجملة **مجازفة حمقاء منشأها الجهل بعلم الرواية والرجال معا**".[281] ثم يستدرك:"ولنفرض انها ضعيفة **فلا ضير في ضعفها** بعدما عرفنا من الروايات الصحيحة المئات التي نصت على اسم المهدي واسم ابيه واسماء آبائه مع ذكر كنيته وشمائله وأوصافه. فقد **أجمع** المعصومون على انه محمد بن الحسن العسكري".[282]

يقول رحمه الله:"زعم بعض **الضالين المضلين** أنه حصل له شك بولادة الامام الثاني عشر لعدم توفر الأدلة الكافية، أو لعدم قناعته بها.. وهذا **الشك لا يساوي شيئا** بالقياس الى الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، لاسيما مسألة الايمان بولادة المهدي اذ أنها تعد جزءا من العقيدة الشيعية وقد تم إثباتها **بأدلة قطعية، وبإجماع علمائنا فلا تأثير للشك والقناعة الشخصية** في نفيها قبال تلك الأدلة خصوصا اذا لم يكن الشخص من اصحاب الاختصاص في علم الحديث والرجال". [283] ويضيف:" أجمع علماؤنا على ان السفراء الأربعة للامام المهدي بلغوا من الجلالة

---

[279] - ص 263
[280] - ص 264
[281] - ص 265
[282] - ص 266
[283] - ص 266

ورفعة الشأن ما فوق الوثاقة، فليس بمقدور هذا المتطفل أن يطعن بوثاقتهم، فاذا ثبتت وثاقتهم بإجماع العلماء ثبت ارتباطهم وصلتهم بالمهدي".[284] ويقول:"على فرض ان بعض النصوص التي ذكرت تاريخ ولادة المهدي ضعيفة أيستلزم هذا انكار ولادته وتكذيب الروايات **الصحيحة المتواترة** التي تنص عليه بكونه (محمد بن الحسن العسكري) وتكذيب سفرائه الثقات بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام؟ غريب جدا هذا الاسلوب الاستدلالي الذي يمارسه هذا **النفر الضال** حيث **ينفي اليقين بالشك**، ويدع الاحاديث **الصحيحة المتواترة** ويعتمد على الأقاويل النابعة من الحقد والتعصب الطائفي، وينقض **إجماع علمائنا العظام** بأقوال من شذ وانحرف عن جادة الحق والصواب".[285] ويؤكد:"الاستدلال غريب شاذ مناف لأسس الاستدلال الأصولي العلمي، والاستقراء المنطقي، اللذين يعتمدان على **نفي الشك باليقين وليس بالعكس**".[286]

ويقول:"اما قولهم بضعف كل الروايات التي تتحدث عن هوية المهدي وتاريخ ولادته، فهذا افتراء آخر بلا دليل، لأن معظم روايات تعريف المهدي الواردة عن سائر المعصومين، والتي ذكرت اسمه واسم ابيه وكنيته **صحيحة متواترة بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام**. وكذا الروايات التي تذكر كيفية الولادة وتاريخها فمعظمها أيضا **صحيحة ومسندة**، ذكرها علماؤنا في كتبهم المتعلقة بالمهدي، فنفي صحتها بالجملة **مجازفة حمقاء منشأها الجهل بعلم الرواية والرجال معا**".[287] ثم يستدرك:"ولنفرض انها ضعيفة **فلا ضير في ضعفها** بعدما عرفنا من الروايات الصحيحة المئات التي نصت على اسم المهدي واسم ابيه واسماء آبائه مع ذكر كنيته وشمائله وأوصافه. فقد **أجمع** المعصومون على انه محمد بن الحسن العسكري".[288]

إذن فمسألة وجود المهدي المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) تشكل لدى الشيخ المصباح، جزءا من العقيدة الثابتة بإجماع علمائنا، وأي شك فيها ضلال وإضلال، لا يساوي شيئا في قبال الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، وان الروايات التي تنص

---

[284] - ص 267

[285] - ص 263

[286] - ص 264

[287] - ص 265

[288] - ص 266

على محمد بن الحسن العسكري هي صحيحة ومسندة ومتواترة ومجمع عليهـا. كما ان وثاقة "السـفراء الأربعـة" ثابتة بإجمـاع العلماء. ومن هنا "فإن الأفكار والعقائد الفاسدة التي يحملها هـذا الشـخص لا تمت الى الاسـلام والتشـيع بصـلة، بل هي افـرازات بعض الطائفيين المتعصبين من علمـاء الوهابية وخـريجي مدرسة المستشرقين من عملاء الدوائر الاستكبارية".[289]

هل يمكن في هذا الجو من التعصب والانفعال والإنغلاق التفكير في أي شـيء؟ أو النظر في أقـوال أحمد الكـاتب والـرد عليها بعلمية وموضوعية وحياد؟

ان الشك اذا جاء، ينتفي اليقين، ولن يعود اليقين مرة أخـرى الى القلب، الا بأدلة يقينيـة، فكيف اذا كـان اليقين المـدعى قائما أساسا على شك تـاريخي؟ صـحيح ان "علماءنـا" يجمعـون على وجود الامام المهدي، ولكن السـؤال هـو: مـتى أجمعـوا؟ وهل ان إجماعهم حجة؟ ألم يحدث الغمـوض والحـيرة والشك لـدى عامة الشيعة بعد وفاة الامام العسكري دون خلف ظاهر؟ فكيف حدث اليقين بعد ذلك؟ وعلى أي أساس؟ وهل ينفع أحدا ادعاء اليقين؟ وهل حقا يمتلك علماؤنا السـابقون أو اللاحقـون يقينا حـول الموضـوع؟ أم أنهم يشـكون في قلـوبهم ولا يعـبرون عن شـكهم أمام الناس خوفا وطمعا؟ ألم يشك حـتى بعض من ادعى الوكالة عن الامام المهدي، مثل (محمد بن ابراهيم بن مهزيار الأهـوازي) الـذي يقـول انه ورث أمـوالا من أبيه وقـرر الـذهاب الى بغـداد واسـتئجار دار على شـاطيء دجلة والاسـتمتاع بـالاموال، قبل أن يدعي حصول اليقين بعد لقائه بالعمري؟

لنسـتمع الى الشـيخ المصـباح وهو يحـدثنا عن الحـيرة والشك الـذي اعـترى عامة الشـيعة في أواسط القـرن الثـالث الهجـري، فيقول:"لم يختلف المسـلمون في شـيء كـاختلافهم في مسـألة ولادة الامام المهـدي ونسـبه وحسـبه، وهل انه مولـود أم سـيولد فيما بعد. واشتد التنـازع بعد وفـاة الامـام الحسن العسـكري بين عشـرين فرقة كما يقـول ابن حجر العسـقلاني في صـواعقه، فبعضـهم ينفي أن يكـون للحسن العسـكري ولـد، لأن أخذ ميراثه من قبل أخيه جعفر لـدليل قـاطع على ما يـذهب اليه المنكـرون حسب اعتقـادهم، اذ لو كـان له ولد لورثه بـدلا من جعفـر. وزعم البعض الآخر أن المهـدي مولـود من أب آخر ليس هو الحسن

[289] - ص 264

العســكري...وانه حي يــرزق يعيش في مكــان ما .. ومنهم من يقول بعدم ولادته، وانه سـيولد فيما بعـد..".[290] ويعـترف بحـدوث "ملابسات مبهمة، وظـروف غامضة رافقت ولادة الامـام المهـدي التي حصلت في أجواء متشنجة، شديدة الحـرج، مفعمة بالسـرية والكتمان، لان الخليفة العباسي الذي كـان يـترقب الحـدث بوجل قد شدد حينها الخناق حـول بيت الامـام العسـكري، وفـرض عليه الرقابة المحكمـة، وبث من حوله العيـون كي يحـاط علما بالوليد في ساعة ولادته ، ليتسنى له القضاء عليه في المهد".[291]

ويقول:"ان وقوع الشيعة في حيرة واضطراب بعد وفاة الامام العسكري، مسألة طبيعية، لعدم رؤيتهم للامام المهـدي، ولجهلهم سبيل الاتصـال بـه، ولظهـور من يـدعي الامامة زورا وبهتانا كعمه جعفر الكذاب".[292] ويفسر الحيرة والغمـوض بقولـه:"كـان الامـام العســكري قد طبق سياسة الاحتجــاب على نفســه، وجعل بينه وبين القواعد الموالية له وكلاء كـأبي الأديـان والعمـري وغيرهما ليقوموا باحكام الصلة بينه وبين مواليـه، وقد تحـول بعضـهم فيما بعد الى وكلاء لابنه المهـدي. ان هـذا العمل الـذي قـام به الامـام لمــدة طويلة قبل رحيله قد مهد الســبيل لمســألة الغيبة وجعلها أمرا مستساغا"[293].

ويعبر الشيخ المصباح نفسه عن وجود قدر من الحـيرة في داخله، إذ يقول متسائلا:"إذا تـوفي العسـكري ولم يـترك ولـدا ... فمن عسى يكون المهدي ومـتى سـيولد على صـعيد المسـتقبل؟ ثم اليس لازم هذا القول تكـذيب الرسـول والأئمة الاطهـار؟".[294] ويعيد نفس السؤال مرة أخرى:"اذا كـان الامـام الحسن بن علي العسـكري آخر الأئمة من أهل الـبيت فمن خلفه في تـولي مهمة الامامة من بعده؟ فان قلنا ان الأمر تُرك سـدى فلم يخلفه أحـد، انتقض قوله (ص): "لن يفترقــــا" حيث حصل الافــــتراق فعلا باستشهاد الامام العسـكري، وعـدم وجـود من يخلفـه، وسـيعقب هـذا الافـتراق ضـلال لا محـال. وهـذا ما لا يرتضـيه الله سـبحانه وتعالى لعباده، اذ كيف يتركهم ليضلوا بعد أن هداهم للإيمان. فاذا كان هذا غير معقـول ، ومنافيا لحكمة الله ولطفـه، فلا بد إذن ان يكون امام معصوم من أهل البيت يحل محله وينجز مهامـه. فمن

---

290 - ص 113

291 - ص7

292 - ص 264

293 - ص181

294 - ص 266

عسى أن يكون غير الامام المهـدي . وان بطلان ثبـوت الاحتمـال الثاني يثبت الاحتمال الأول وهو المطلوب". [295]

إذن فإن يقين الشيخ المصباح، والقائلين بوجود الولد، منذ أول يوم، لم يقم على أسـاس الأدلة الشـرعية العلمية المنتجة لليقين الشرعي، وانما على أساس الاحتمال والظن والافتراض، وهذا ما لا يولد يقينا لـدى أحـد، واذا كـان الشـيخ المصـباح يـدعي وجـود اليقين لديه ، فهذا أمر شخصي يخصه، ولكنه لا يستطيع بذلك أن يبني عقيدة دينية ويصفها بالثبات واليقين والاجماع.

ونظرا لأن الشـيخ المصـباح يـدرك وجـود الشك المعقـول في قضية دعوى وجود الولد للحسن العسكري، اذا لم نقل أسـطورة المهـدي، فانه يحـاول أن يغطي عليه (على الشـك) بالتحـذير من الشك بالأمور الغيبية كلها، والتهديد بالضـلال والانحـراف والكفـر، فيقــول:"ليست هــذه القضــية الوحيــدة الــتي تعرضت لإثــارة الاشـكالات والشـبهات، بل شـأنها شـأن القضـايا الغيبية الأخـرى التي كانت معرضا لحملات التشويش والتشكيك، كقضـية الـبرزخ والبعث والنشور والحسـاب والمـيزان والصـراط والجنة والنـار... فهي ليست أمــورا مادية حســية يمكن إحضــارها في المختــبر، وإخضاعها للتجـارب وللتأكد من صـحتها. ان هـذه القضـايا الغيبية ونظائرها لا يمكن فهمها من خلال السـياق المـادي التجريـبي، بل لا بد من وضعها ضمن اطـار الدراسة الغيبية الـتي تعتمد بالدرجة الأولى على إثبات الأمور العقائدية بالنصـوص القرآنية والأحـاديث النبوية والدلائل العقلية، والمؤيدات التي تفرزها التجـارب العلمية بمرور الزمن. فبهذا الفهم الواعي للعامل الغيبي، والقدرة الالهية غير المتناهية يستطيع ان يفهم المـرء قضـية المهـدي وغيرها من القضــايا الغيبية ، **وبدونه ســيكون فهمها أمــرا عســيرا، وســـــيقود البـــــاحث حتما الى الكفر بها في نهاية المطاف، ويخرج من دائرة المؤمنين بالغيب**.

فـالمنهج المـادي الـذي يمارسه المستشـرقون في دراسة عقائد المسلمين والقضايا الغيبية لا يصلح تطبيقه على مثل هذه الأمــور لأنها ليست مادية تخضع للتجارب.

لذا يجب على الباحث المسـلم ان لا يقلد المستشـرقين في دراسة قضــية المهــدي وما ماثلها من الأمــور الغيبية بعيــدا عن الفهم الواعي للعامل الغيبي المشار اليـه، لأن ذلك سـيقوده الى متاهات الضلال والضياع ويبعده عن صلب عقيدته الاسلامية رغما

---

[295] - ص 67 - 75

عنه، وتلك هي النتيجة الحتمية للانسـياق وراء المنهج المـادي في دراسة القضايا الغيبية والعقائدية". ".[296]

وقد ناقشنا هذه الدعوى (غيبية موضوع المهدي) في أكـثر من محاورة في هذا الكتاب، ونعيد تلخيص القول هنا:

ان الإيمان بالمسائل الغيبية التي يذكرها القـرآن الكـريم، هو من أول ضروريات الإيمان بالاسلام، ولكن النقاش في ثبوت كون وجـــود (محمد بن الحسن العســـكري) وولادته ضـــروريا من ضروريات الاسلام أو التشـيع، أو كونه أمـرا غيبيا يجب الإيمـان به بصـورة عميـاء، فهـذا أول النقـاش، ولا يمكن أن نـؤمن بوجـود انسـان بصـورة غيبيـة، أي بلا دليل علمي شـرعي، وقد اعـترف الشـيخ المصـباح في حـدوث الغمـوض والشك والحـيرة حـول موضوع الخلف للامام العسكري، فكيف يـدعي بعد ذلك أنه جـزء من الغيب، ويحـــــذر من الشك به خوفا من الشك بالله والكفر والضلال؟

ولم أفهم ماذا يعني الشيخ المصـباح "بـالمنهج المـادي الـذي يمارسه المستشـرقون في دراسة عقائد المسـلمين" مع ان هـذا الموضوع مطروح للنقـاش في أوسـاط المسـلمين والشـيعة منذ حوالي ألف ومائتي عام. ولكنني أعرف وجود منهج حشوي باطني مغال أسطوري، كان يحاول دس نفسه في صـفوف الشـيعة منذ الفجر الأول للإسلام.

نعـود الى مسـألة الشك واليقين، فنقـول: ان كل المـذاهب والأديان الباطلة في العالم تعتقد وتنطـوي على يقين، فهل يجـوز لأبنائها التسليم بما ورثـوه من آبـائهم وأجـدادهم؟ أم يجب عليهم طـــرح الشك الابتـــدائي، والتفكـــير بموضـــوعية وحيادية في كل عقيدة، حتى يعرفوا الحق ويعذروا أمام الله؟

وهل نزل علينا أو على علمائنا جبرئيل (عليه السلام) ليخبرنا أو يخـبرهم أنهم على صـواب مائة في المائة ، في كل شـيء؟ واذا كنا نـؤمن بالاسـلام بيقين، فهل يعـني أن علينا تقبل كل الأفكـار الموروثة باسم الاسلام والتشيع حزمة واحدة؟ ولا يجوز التشكيك أو رفض أية مســألة ، حــتى لو كــانت مثل مســألة وجــود ابن الحســن، الـذي حـام حولها الشك في القـرون الأولى ، وأصـيب الشيعة بسببها بالحيرة والاضطراب؟.

والغريب ان الشيخ المصباح الذي لم يتوقف ليـدرس أية رواية أو راوٍ، وقبل جميع الحكايات الأسطورية الواردة حـول الموضـوع

---

[296] - ص 232 - 233

بكل يسر وسهولة (ما عدا حكاية الاختباء في السرداب) ادعى ان الكاتب الذي يشكك في تلك الروايات " ليس من اصحاب الاختصاص في علم الحديث والرجال. وان بحثه مناف لأسس الاستدلال الأصولي العلمي، والاستقراء المنطقي، اللذين يعتمدان على **نفي الشك باليقين وليس بالعكس**.[297]

ويا ليته عرّف لنا "الاجماع" و "التواتر" في ظل الشك والحيرة والاضطراب؟ ودلنا على "أصول الاستدلال الأصولي العلمي، والاستقراء المنطقي". وشرح لنا "مباديء علم الحديث والرجال".

ومع الأسف الشديد، لم نسمع منه الا هجوما على من يشكك بالروايات الضعيفة ، وقولاً "بانجبار ضعف السند بقوة المتن، اذا كان مطابقا لمباني الشيعة".[298]

وإضافة الى ذلك، فقد قدم لنا رؤية أصولية جديدة حول جواز القياس والتشبيه التعسفي في مسائل العقيدة والتاريخ، مثل قياس خفاء مولد (الامام المهدي) وغيبته، على خفاء مولد النبي موسى (عليه السلام) وغيبته، أو طول عمر (الامام المهدي) على طول عمر النبي نوح (عليه السلام)، أو صغر عمر ابن الحسن عند وفاة أبيه وتوليه الامامة، بصغر عمر النبي يحيى (عليه السلام) الذي آتاه الله الحكم صبيا، فقال:"مما يؤكد جهله (الكاتب) أيضا منعه للقياس في الأمور العقائدية والعقلية والتاريخية، ظنا منه بحرمته في مثل هذه الموارد خلافا لما عليه علماؤنا في حليته فيها وحرمته في الفروع فقط".[299] وتابع قائلا:"ألم يذكر القرآن الكريم قصة مماثلة لقصة المهدي والخليفة العباسي، تلك هي قصة موسى وفرعون.. أليس هذا دليلا قاطعا يثبت ما نقول؟ فمثلما أنجى الله موسى (ع) من كيد فرعون رغم شدة بطشه وإصراره على استباحة النساء وذبح الأبناء، أنجى الله المهدي المنتظر من كيد الخليفة العباسي..وعاش المهدي تحت ظل الحكومة العباسية الغاشمة بالرغم من شدة بطشها واستبدادها، كما عاش موسى في قصر فرعون بالرغم منه، لكن الفرق بينهما أن موسى عاش ظاهرا

---

[297] - ص 264

[298] - حيث يقول :" ان في قوة المتن اذا كان مطابقا لمباني الشيعة يجبر ضعف السند، فالذي لا علم له في الرواية والرجال يشكل مثل هذه الاشكالات الدالة على جهله وعدم معرفته بقواعد العلم ومبانيه". ص 267

[299] - ص 267

مرئيا، بينما أدركت عناية الله ورحمته المهـدي فأخفته عن أنظـار خصومه المتربصين به، فكانت الغيبة الصغرى والكبرى.
ان الظـروف السياسـية المشـبعة بـالخوف والارهـاب جعلت الامام العسـكري يحيط الـولادة بجو في غاية السـرية والكتمـان، **ويخفي ولادة وليده عن أقرب المقربين اليه عــدا أخته وخادمه العمـــــري**، لئلا يعلم الحـــــاكم الجـــــائر بالوليد وهو بالمهد".[300]
وكنت قد رفضت في كتابي قياس تلك الأمور المدعاة في ثنايا أسـطورة المهـدي، وفـرقت بين الإيمـان بالقصص الـتي يـذكرها القـرآن الكـريم من بـاب الإعجـاز الالهي، وبين الـدعاوى الباطلة التي لا تستند الى دليـل، وبعـدم جـواز القيـاس والتشـبيه لمجـرد الامكـان العقلي أو حــدوث بعض الأمــور في التـاريخ، ولــذلك لا يمكن أحدا أن يدعي مثلا ان المهـدي ولد أو سـيولد من دون أب، لأن النبي عيسى (عليه السلام) قد ولد كذلك.

حجية الإجماع

لقد اعتمد الشيخ المصباح في بنـاء "يقينـه" بوجـود (محمد بن الحسن العسـكري) على "إجمـاع علمائنا العظـام الـذين أجمعـوا على وثاقة السـفراء الأربعــة". ولكنه لم يشـــرح لنا حجية هــذا الإجمـــاع المـــدعى والمتـــأخر (بعد حصـــول الشك والحـــيرة والاضطراب) في حين ان الإجماع أساسا ليس بحجة عند الشيعة الامامية الاثـني عشـرية، الا اذا كشف يقينا عن قـول المعصـوم، والمفروض حدوث الشك، حسبما يعترف المصـباح، فكيف يكـون الإجماع المتأخر حجة؟ واذا كان الشيعة بعد الامـام العسـكري قد تفرقواواختلفوا وتفل بعضهم في وجوه بعض ولعن بعضهم بعضا، وكـان الـذين ادعـوا النيابة والوكالة عن (الامـام المهـدي) يكـذب بعضهم بعضا، فكيف حصل الوثوق والاطمئنان بـأقوال "السـفراء الأربعــة" والاطمئنــان اليهم من بين السـفراء الكــذابين مــدعي النيابة؟ وعلى أي أساس؟
ان الشيخ المصباح لا يريد أن يفكر في هذه الامور.
وربما لا نعدو الحقيقة ، اذا قلنا ان المرحوم الشيخ المصـباح كـان حاصلا على درجة تلميذ مقلـد، بامتيـاز . فقد كـان شـاطراً بنقل أقوال مؤسسي المذهب الاثني عشري القدماء، دون تفكـير أو تمحيص أو نقد او تساؤل، ومما ينقله لنا في هـذا المجـال هـذا القــول الافتراضــي:" اذا ثبت بطلان كل أقــوال اصــحاب الفــرق المخالفة بأدلة الشـــيخ الطوسي علمنا بصـــحة ما قاله الشـــيعة

---

[300] - ص 8

الامامية من ان المهــدي مولــود، وهو ابن الحسن العســكري لا غير، وانه حي يرزق من يوم ولدته أمه الى الوقت الحاضـر، غـير انه غائب عن الأبصار".[301]

ومع انه ادعى قبل قليل ، وفي اكثر من مكان من كتابه "وجود الخوف والارهاب الذي دفع الامام العسكري الى إخفاء ولادة ابنه عن أقـرب المقـربين اليه ما عـدا أثـنين".[302] فانه عـاد ليناـقض نفسه بنفسه ويقول:"تحقق الأمل المنشود بولادته الـتي حصـلت في عاصمة الدولة العباسية، وشاعت أخبارها لا أقل بين الموالين لأبيه الامام الحسن، وشهد الكثير منهم شخصه، وعـرف شـمائله، وبعد استشهاد ابيه واستلامه للامامة شهد سفراؤه الأربعة ونقلـوا لهم الأمــوال وتبــادلوا الرســائل المرســلة الى الناحية المقدسة والصادرة منها لمدة سبعين سنة".[303]

وبالرغم من أنه ذكر حدوث الاختلاف بين الشيعة أنفسهم، قبل سائر المسلمين، حول مسـألة وجـود ابن الحسن وولادتـه، الا انه عــاد فــادعى حصــول الاجمــاع بــني المســلمين على ولادتــه، فقال:"ذكرت كتب العامة والخاصة تاريخ ولادة المهــدي وأجمعت على أن ولادته في النصف من شــعبان ســنة 255 وبينت نســبه وحسبه وسبب اخفائه من قبل أبيه".[304]

ولكي يبرر حكاية شيوع أخبـار ولادة ابن الحســن، عـاد فنفى استمرار الخوف والإرهاب والتفتيش أو الاهتمام العباسي بالوليد، فقال:"ان الاخطار المحدقة بالدولة العباسية حينـذاك، قد أرغمتها على أن تغض النظر بصــورة مؤقتة عن مســألة المهــدي لتقــوم بمواجهة الأخطار الجدية التي تهدد وجودها بالفنـاء حاليـا، فكـانت تلك الظروف عاملا مهما من العوامل التي مهـدت الســبيل لغيبة المهــدي وتثــبيت ســفرائه، وتوثيق الصــلة بشــيعته ومواليه من خلالهم".[305]

وقد استشهد الشيخ المصباح بقول للسيد محمد باقر الصدر، في كتابه (بحث حول المهـدي):" لقد قيل قـديما ان حبل الكـذب قصير ومنطق الحياة يثبت أيضا ان من المستحيل عمليا بحســاب الاحتمــالات أن تعيش اكذوبة بهــذا الشــكل، وكل هــذه المــدة، وضــمن كل تلك العلاقــات والأخذ والعطــاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولهــا. وهكــذا نعــرف ان ظــاهرة الغيبة الصــغرى يمكن ان

---

301 - ص 119
302 - ص 8
303 - ص 213
304 - ص 120
305 - ص 182

تعتـــبر بمثابة تجربة علمية لاثبـــات ما لها من واقع موضـــوعي، والتسـليم بالامـام القائد بولادته وحياته وغيبته وإعلانه العـام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد".[306]

ولا يمكننا الا تصـديق مقدمته الأولى:"ان حبل الكـذب قصـير" والتوقف عند استنتاجه دوام تلك الحكايـة، لأنها انقرضت وبـادت، ولم تكن أكثر من أسطورة دخيلة في التشيع والاسـلام. لم تجلب سوى الغيبة والعزلة للشيعة على مدى التاريخ، ولذلك تخلى عنها الشيعة اليوم وانخرطوا في الحياة الديموقراطية.

وقفة أخيرة مع اتهامات المصباح وافتراءاته

وفي الختـام، لا يسـعنا الا التوقف قليلا عند الاتهامـات الباطلة الــتي ملأ بها كتابه من بدايته الى نهايته ضد المشــككين بوجــود (الامام الثـاني عشـر) بعد أن عجز عن تقـديم الأدلة العلمية على ذلك، والتي سـاقها بنـاء على منهجه القـائم على الظن والتخمين والتحليل والافـتراض، والتهـرب من ذكر الأدلة والــبراهين. وكيل السباب والشتائم والدعوة للقتل والإرهاب.

فقد قـال:"ظهر في الآونة الأخـيرة كتـاب مـأجورون وظفـوا أقلامهم لخدمة أغـراض أسـيادهم المسـتكبرين الـذين ما فـتروا برهة من الـزمن عن محاربة الاسـلام وعقائـده السـامية. فـزعم هؤلاء الكتاب أن مسألة المهدي قصة خرافية منسوجة من خيوط الوهم والخيال، لا أصل لها ولا جذور تاريخيـة، متغـافلين عما جـاء به الرســول الأعظم من الروايــات المتــواترة الــتي روتها كتب الفــريقين من المسـلمين على حد سـواء".[307] "والـذي يهمنا هنا معرفة الــدوافع الكامنة وراء هــذا التحــرك المشـبوه والنشــاط المريب الذي تقف وراءه دوائر الاسـتكبار العـالمي المسـيرة من قبل الصــهيونية العالميــة".[308] "ولأجل ان تكــون هــذه الحملة التحريفية ذات أثر فعال سـخرت أجهـزة المخـابرات الاسـتكبارية عددا من عملائها المتسـترين بالتشـيع ليكـون كلامهم أكـثر تـأثيرا في نفـوس السـذج من الشـيعة المتـأثرين بأفكـار المستشـرقين التحريفية الضالة".[309]

---

306 - ص 277
307 - ص 9
308 - ص 10
309 - ص 10

ثم قال متأسـفاً ومحرضا على الإرهـاب:" ان الامـام الخميـني أصدر فتوى بإهدار دم سلمان رشدي ونظائره، وأوجب قتلـه. فلو نفذت الجمـاهير المؤمنة تلك الفتـوى في حينها لما تجـرأت هـذه العناصر الضالة أن تحذو حذوه وتمـارس نفس الـدرب التحـريفي الذي مارسه سلمان وأشباهه".[310]

23 - مع السيد إدريس الحسيني في كتابـه: (من الشك الى الشك)[311]

الخلط بين النبوة والإمامة، والفصل بين الإمامة والخلافة

ربما كان كتاب السيد إدريس الحسـيني، وهو صـحفي مغـربي متشيع، كتابا متميزا من بين الكتب التي تصدت للـرد على كتـابي (تطور الفكر السياسي الشـيعي) فهو يصـدر من شـخص متشـيع حـديثا، ولكنه يتهمـني ليس بعـدم معرفة المـذهب الإمـامي الآن، وانما بعــدم معرفته ســابقا، رغم أني نشــأت في أحضــان هــذا المذهب ، وكتبت منذ السبعينات عـدة كتب للـدعوة اليـه، وقمت بتشييع عدد من الاخوة السودانيين، وتأسيس حركة شيعية إمامية في السودان في أواسط الثمانينات.

ومع أني أعتقد أني وصـلت الى جـوهر مـذهب أهل الـبيت (عليهم السـلام) بعد إزاحة غبـار الأسـاطير المتراكمة عليـه، فانه يقول وبكل ثقة بأني انطلق في نقـدي للفكر الإمـامي من الجهل وعــدم المعرفــة. وبــالطبع فانه يعــني بــذلك عــدم التطــابق مع الصورة التي يحملها عن نظرية الإمامة.

يقـول في مقدمة كتابـه:"لئن كـان الكـاتب لم يفهم المغـزى الفلسـفي العميق وراء فكـرة المهـدي المنتظـر، فتلك مشـكلته، لأنه ظل طيلة هذه الفترة جـاهلا بعقائـده، حـتى إذا شـبَّ ضـرب أخماسا بأسـداس، فلو أنه بقي جـاهلا مقلـدا لكـان ذلك خـيرا له وأفضل من أن ينقلب باحثا ضالا. ان أولى تلك الأوهـام الـتي وقع فيها الكـاتب، أنه وضع الامـام المهـدي والوصـية والامامـة، نقيضا للشــورى والديموقراطيــة. ولهــذا انزلق عقله الضــيق الى أن يضحي بإحدى المعتقدات لصالح الأخرى.. والكاتب كثيرا ما يسء

---

[310] - ص 12

[311] - إدريس الحسيني، من الشك الى الشك حينما يكون السير القهقرى سؤال الامامة مجددا، دار الخليج العربي، بيروت، 2001

فهم "الغيب" لذلك فإن جل انتقاداته في هذا الاتجـاه، تكشف أن العقيدة الاسـلامية بمنطلقها الأصـيل لم تجد لها في ذهن الكـاتب مستقراً". [312]

ويضيف:"حتى وان ادعى الكاتب بأنه إمـامي في الأصـل، فقد كـان من عامة النـاس الـذين ورثـوا اعتقـادا دون أن يفهمـوا فلسـفته.. انه مجـرد رد فعل عن معتقد غـامض، وسـاذج عن الامامة، وليس رد فعل علمي عن عقيدة مدركة بفكر ونظر".[313]

ونقول للسـيد إدريس الحسـيني، بـأن مفهومنا للإمامـة، يعـني الحكم والخلافة والزعامة والرئاسة والإمـــارة، وما الى ذلك من معاني السلطة، التي احتاج اليها المسلمون بعد وفاة رسـول الله (ص) واختتام النبوة وانقطاع الوحي، لتطبيق الشريعة الاسـلامية، وهو ما دار حوله علم الكلام الشيعي والسني في القرون الأولى، واختلف الشيعة الإمامية عن غيرهم باشتراط العصمة والنص في الإمام، وعدم الاكتفاء بالعلم والعدالة والكفاءة. ولا معـنى للإمامة غير هذا، الا ما ادعاه الغلاة والمتطرفون من الإمامية بأن الامامة كالنبوة أو امتداد لها، أو نيابة عن الله في إدارة الكون. (كما رأينا الوحيد الخراساني وتلميذيه العاملي وكمـال الحيـدري يعتقـدون). أما عامة الشـيعة الإمامية عـبر التـاريخ فلم يكن لهم مفهـوم للإمامة سـوى الخلافة والحكم والرئاسـة. ولـذلك قلنا بـأن الغيبة تنـاقض الإمامـة، وأن هـذه النظرية وصـلت الى طريق مسـدود وانقرضت، وتخلى عنها الشيعة اليوم ليلتزموا بنظـام الشـورى أو ولاية الفقيه.

وبدلا من أن يستوعب السيد إدريس الحسيني هذه التطورات، ويتجاوز النظريات التاريخية البائـدة، فإنه يحـاول أن يعلمنا نظرية الإمامة من جديـــد، وخاصة بعـــدما تحـــول الى "التشـــيع" (...) وبالخصوص بعد ما تخلينا نحن عن تلك النظرية المثالية الوهميـة. فيقدم لنا تصورا جديدا مقتبسا من تراث الغلاة يخلط بين الامامة والنبـوة، ويفصل بينها وبين معـنى الخلافـة. وإذ يقـوم بـذلك فانه يتهمنا بالفصل بين النبوة والإمامة، والخلط بين الامامة والخلافة! وبمحاولة تأسيس مذهب خاص في التشـيع، على أنقـاض الإمامة يسميه "بالديموقراطية الكاتبية".[314]

ويقـول:"إن أكـبر الأوهـام الـتي أقـام الكـاتب عليها كافة مهاتراتـه، هو الخلط بين الإمامة ككفـاءة والخلافة كحكومة زمنية

---

[312] - ص 6
[313] - ص 107
[314] - ص 15 و ص 23

خالصة. وهذا الوهم قديم في تـاريخ الجـدل الفكـري والكلامي ما بين أنصـــار الإمامة وخصـــومها. بل هو صـــراع زاد من شـــحنته الإســـراف والتجهيل والأجـــواء الطائفية والمذهبية الـــتي جعلت خصـــــوم الإمامية لا يبـــــذلون أدنى جهد لتفهم جـــــوهر الإمامة وفلسفتها، تلك الفلسفة الـتي تلخص لنا الإمامة كامتـداد طـبيعي للنبـوة. أي ان الحاجة الى الامامة هي حاجة تشـريعية أولاً وقبل كل شيء. فاذا كان الناس أحـرارا في اختيـار حكـامهم حـتى ولو أدى اختيارهم الى اطـراح حكومة الامـام، فـان الكفـاءة لا تـدرك بالاختيـار، فهي تماما كـالنبوة، جملة من الصـفات والشـروط، ولا تثبت ولا تلغى بالاختيار. لقد وجهنا الخـالق على نحو الارشـاد الى أنه حيثما وجدت الكفاءة فعلى العاقل المكلف أن يختارها.

ومن هنا نلاحظ أن كل الأفكار التي صاغها الكاتب أو بالأحرى اجترها من خصـوم الإماميـة، إنما كـانت قائمة على أسـاس ذلك الخلط بين الامامة ككفاءة جوهرية راسـخة في حقيقة الشـخص، ســـــــواء حكم أو لم يحكم، وبين الحكومة الزمنية بما هي ثابتة بالاختيار.

واذا كان المكلفون غير مكرهين على اختيار معين في دنياهم، فلا ينبغي أن ننسى بأن الجانب التكليفي من الاسلام يشـغل ذمة أولئك الرافضين للإمامة "الكفاءة" لمجرد أنها لا تلـبي مصـالحهم الشخصية، فهم آثمون بإقصائهم الإمامة الـتي أنـاط المشـرع بها بيان التشريع وتأويله، بعد أن اكتمل تنزيله، ويتطلب الأمر بهنا أن لا نكـون متشـرعين ولا مؤمـنين حـتى نستسـيغ كـون الشـريعة متروكة لغير المعصومين في إدراك أحكامها الواقعية.

إذن **الإمامة هي جوهر النبوة ذاتها**، انها حقيقة لها سندها في روح التصور الاسلامي لقضية التشريع واستمرارية بيانه، هـذا اذا كان المطلوب أن تختار الأمة الشريعة الاسلامية حكما لها.

ان مسألة الإمامة لم تنتظم كإشكالية كلامية، لعب التاريخ دورا كبيرا في تكاملها وتناسقها، بل هي مطلب ظهـرت أهميته للوهلة الأولى بعد أن التحق صاحب الدعوة بالرفيق الأعلى".[315]

ويستدل على كلامه بالقول:"ان حقيقة الإمامة تكمن في نقطة واحـــدة. ان الله تعـــالى يقـــول في كتابه الكـــريم: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) النحل 89، ولا أحد يملك أن يكشف عن كل ما في الكتاب، بل ولا أحد يستطيع أن يتحـدث عن كل شـيء من خلال القـــرآن.. ولا يملك ذلك الا الامـــام.. فهو النـــاطق عن

---

[315] - ص 11 – 12

القـرآن، العـالم بتأويله الراسخ في العلم، عـدل القـرآن، والثقل الأصغر".[316]

ونظرا لفصل السيد الحسـيني بين الامامة والخلافـة، فانه لم يجد مانعا من قبــول الأحــاديث الــواردة عن أهل البــيت والــتي تتحـدث عن الشـورى:"نقـول للكـاتب: نعم، ان فكر أهل الـبيت السياسي لا يناقض الشورى وحق الاختيار، ولكن لا يعـني ذلك أن دعمهم للشورى مناقض لحقيقة الإمامة والنص والشرعية. بل ان الامامة خارجة تخصصا عن اختصــــاص أو حق الشـــورى، ليس شرعا، بل تكوينا".[317]

ويقول:" نعم، هنـاك نصـوص تتحـدث عن الامامة وأخـرى عن الشـــورى. والأئمة لم يـــروا أي تنـــاقض بين ذلـــك. ان الأئمة لم يتحدثوا عن أن الامامة تتحقق بالشـورى، ولو كـان الكـاتب يقصد ذلك فهو متقول، فليأت بدليل. ان القول بالامامة لا يناقض القول بالشورى في مـذهب أهل الـبيت. ولهـذا نلاحظ أن سـقوط خيـار الإمامة في التاريخ الاسلامي، رافقه سقوط لخيار الشورى أيضـا. ان الامامة والشـــورى معا كانا ضـــحية الخلافة والخلفـــاء منذ الســقيفة. وانه لا وجــود لأي نص لــدى الامامية ينــاقض القــول بالامامة". [318]

وعندما يمر على موضـوع تنـازل الامـام الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، والذي يدل على كـون الخلافة أمـرا دنيويا وليس أمرا دينيا منصوصا عليه من الله، يحاول الحســيني أن يفصل بين الإمامة والخلافـة، فيقـول:"الامـام الحسن لم يتنـازل عن الإمامة وانما عن الخلافة الزمنيــة".[319] ثم يقــول:"من قــال ان الحسن تنازل عنهـا؟ ومـتى كـان المـرء قـادرا على التنـازل عن كفاءتـه؟ فهذا كمن يرى **أن المشمش قابل للتنازل عن مشمشيته**. فعل نفهم أن عليا تنـازل عنها هو أيضـا؟ ان عـدم قبـول النـاس بحكم الامـام أو النـبي لا يعـني سـلب الامامة أو النبـوة عنهمـا". ويضيف:"ان الكاتب يخلط هنا بين الامامة والخلافة الزمنيــة. وهو ما يؤكد لي أنه جاهل تماما بجـــوهر الامامـــة. ان تنـــازل الامـــام الحسن كان إكراها مثلما أكره الامام علي ، بل ومثلما أكره أنبياء كثيرون على الانسحاب والـتراجع، وقتلـوا وذبحـوا.. ولم يكن ذلك

---

316 - ص 115

317 - ص 24

318 - ص 53

319 - ص 33

ليلغي نبوتهم، **فالنبوة كفاءة وملكة وكذلك الامامة**. والأئمة لم يتنــازلوا عنهــا، بل أكرهــوا على الانســحاب". [320] "ان الامامة بغض النظر عن أهل الـبيت (عليهم السـلام) هي لطف وضـرورة ثابتة وراجحة بحكم العقــــل، والــــدين بلا إمامة لا حصن له عن الانمحاق". [321]

ان السيد إدريس الحسيني ، كما قلنا، يلتزم بتصور معين عن الإمامة يقـارب أو يشـابه النبـوة، ويحـول أن يقـرأ التـاريخ على ضـوئه، ولكنه عنـدما يمعن النظر في سـيرة الامـام علي بن أبي طالب، يجد أنه يخالف تصـوراته،ولا يجد أثـرا لها في ثقافة الجيل الاســـلامي الأول، فيقـــول:"لقد أدرك علي أن الشـــورى في المهاجرين والأنصار من باب القوة والشوكة، فمن لم يعينه هؤلاء لا مجـال أمامه كي يمضي بعيـدا. كـذلك كـان موقفه بعد مقتل عثمان، بل ان تلك شهادة كـبرى على أن الامـام زهد في الخلافة حينما أدرك أن الظــروف لا تســمح له بــأكثر من **ممارســته الخلافة السياسية**، ولذا كان في قراره ما يذكر بـأن زهد علي بن أبي طالب في الخلافة الزمنية، لا يعني أبدا زهده في الإمامة. وحيث أن البيعة التي تمت لعلي يومها، **لم تأخذ بعين الاعتبار الحق الشرعي لإمامته**، فقد كان بخيار أن يقبلها أو يتركها.

ان الامام عليا فـرض عليه بعـدها أن **يحكم بمنطق الخلافة وليس بمنطق الإمامة**، والفـرق بين المفهـومين كبـير جـدا. **انها خلافة إمام مرفوض الإمامة**.

ان الخلافة فعلا لم تعد تمثل شيئا بالنسبة لعلي بن أبي طالب، وكفى بذلك شاهدا على أن الأمر شهد انحرافا حقيقيا عن قدسية الخلافة وشـــرعيتها. والامـــام كـــان قد وقف موقفه ذاك يـــوم الســقيفة، حرصا على كفاءته كإمــام. أما وقد اغتصــبت الامامة وغيبت، فـان عليا لم يعد مصـرا على خلافة سياسـية، الا أن يقيم بها حقا أو يزيل بها باطلا.

ثم لا زلت أتساءل بعد ذلك، كيف يـذهب علي بن أبي طـالب، الـذي رفض الخلافة للأولين، فيعرضـها على طلحة والزبـير؟ وهو يدرك أن لا حق له في أن يسلمها لهما...

على أن كلام علي حـتى في المثـالين المـذكورين (الاحتجـاج مع طلحة والزبير ومعاوية بتحقق بيعته) كـان هادفا الى الــزام أولئك الخصـوم بالبيعـة، أي الـزامهم بما ألزمـوا به أنفسـهم. لقد ادرك

---

[320] - ص 33

[321] - ص 37

علي أن أمثــال طلحة والزبــير ومعاوية لم يؤمنــوا بإمامتــه، فلم الاحتجـاج عليهم بـأمر لا يعتقدونه ولا يقـرون له بـه؟ ولا يعقل أن يحتج علي على القـوم بالإمامـة، وهو يـدرك أنه لم يبـايع كإمـام وانما كخليفة".[322]

ولكن السيد إدريس الحسيني يرتبك عندما يواجه أحاديث أهل الـبيت الصـحيحة الـتي تمـزج بين مفهـومي الامامة والخلافة أو الولاية، وتعتمد مبدأ الشورى ولا تشترط العصمة في الإمام، مثل حـديث الامـام علي:"انه لا ينبغي أن يكـون الـوالي على الفـروج والدماء والمغانم **وإمامة المسلمين**، البخيل.. ولا الجـافي.. ولا المرتشـي.." حيث يحـاول الحسـيني أن يتلاعب بالألفـاظ ويفسر معنى (العصـمة) تفسـيرا جديـدا، فيقـول:"ان حـديث الامـام عن الشورى لا يناقض العصـمة".[323] وان "هـذه الأخبـار تـدل على أن الامــــام ينبغي أن يتحلى بصـــفات لو اجتمعت في واحد لكــــان معصوما، إذ ما العصمة الا ذلك.ولمـاذا لا يحتمل أن يكـون معـنى **الـوالي هنا عماله** وأمـراؤه في البلـدان؟ لمـاذا يصر الكـاتب على أنها تعني شخص الامـام، أي الإمـام الأكـبر". [324] مع ان نص الامام هنا صريح بالحديث عن "إمامة المسلمين".

وبـدلا من اسـتنطاق التـاريخ والتعـرف على فكر أهل الـبيت، والنظر الى سيرتهم، فان الاستاذ الحسـيني يقتبس تصـوراته عن الإمامة من الغلاة، ويعتقد بأنها درجة تقـــارب النبـــوة وفـــوق السياسـة، وأن طريقها النص وليس الشـورى، ولـذلك يهـاجمني قـائلا:"الكـاتب ينظر الى الامامة باعتبارها مجـرد خلافة زمنية أو رئاسة دولـة. ونحن نقـول لـه: نعم، لو كـان الأمر كـذلك، لكـانت الشورى هي الطريق المسلكي لاختيـار الخليفـة. لكن هيهـات أن تكـون الامامة مجـرد رئاسة دولة أو خلافة زمنيـة. وقد رأينا كيف أن أمــير المؤمــنين حينما استأصل المغتصــبون حقه في الامامة الكاملة، زهد فيها واعتبر مجرد الخلافة الزمنية لا تكفي.

إذن تلك شهادة أخرى على أن صاحبنا لا يفقه في أمر الامامة شيئا، وقد سبق وذكر أمير المؤمنين بأنه لا بد للناس من امـام بر أو فاجر، فـالأرض لا تخلو من ذلك على الاطلاق. لكن الامامة أمر مختلف تماما، انها تملأ ثغرة كـبرى في دنيا النـاس، الثغـرة الـتي تحدث بوفاة الرسول (ص)... ان الرسول قـال: ان مـوت العـالم

---

322 - ص 74 - 75

323 - ص 100

324 - ص 102

ثغرة في الاسلام لا يسدها الا عالم مثله، فـاذا كـان هـذا ثابتا في حق عامة العلماء، فان ذهاب الرسول لهو أكبر ثغرة في الاسـلام لا يسدها الا امام".[325]

ولا يسعنا هنا أن نناقش السيد إدريس الحسيني في أدلته حول نظريته المغالية في الأمامة ، فوق السياسية، القريبة من النبـوة، فهو يعترف في كتابه بأنه كتب ما كتب على وجه السرعة ، حيث يقـول: "كـانت تلك باختصـار ملاحظـات سـريعة كتبت على عجل في خضم اطلاعنا على ما حفل به كتـــــاب أحمد الكـــــاتب من شبهات أكل الدهر عليها وشرب، نحن أعرف بها منـه، وما كـانت لتمنعنا من الوصـول الى حقيقة الامامة الكـبرى، أو بـالاحرى الى جزء من سرها المكنون ليس الا". [326]

ومع ذلك فهو يعتقد أن نظريته هذه تمثل الحق المطلق، وان أية قراءة أخرى مخالفة لها تمثل شـبهات باطلـة، وعنـدما نسـأله أين مصـاديق هــذه النظرية ، بغض النظر عن صـحتها؟ ولمــاذا توقفت منذ وفاة الامام الحادي عشر (الحسن العسكري) إذا كان يجب أن تسـتمر الى يـوم القيامـة؟ وسـواء كـان (الامـام الثـاني عشـر) موجـودا أم لا، ألا تشـكل الغيبة تناقضا صـارخا وعمليا مع هذه النظريـة؟ بمعـنى هل لـدينا منذ ألف عـام من يقـوم بمهـام الإمامة الالهيــة؟ يجيبنا السـيد الحسـيني بالأجوبة التقليدية الـتي اعتـاد الامامية مواجهة تلك الأسـئلة بهـا، وهي أنه لا تنـاقض بين ضرورة الامامة، والغيبة، وان الغيبة مسؤولية الأمة وليس الامام.

وبدلا من أن يبحث حقيقة وجود الامام الثاني عشر، ليتأكد من خطأ نظريته المثالية الوهميــة، فــان الحســيني يقفز على هــذه المسألة، ويحاول انقاذ النظرية العقيمة.

يقول:" الغيبة تأجيل لدور الامام فرضته ظروف انعدام الأمن، وان الكـاتب يتـوهم حينما يخلط بين غيـاب الامـام وعـدم وجـوده مطلقا، نعم ، الامامة مستمرة الى يوم القامة، **وغيــاب الامــام هو مصداق كبـير على تلك الاسـتمرارية**". [327] و"ان ادعـاء الكاتب بأن الغيبة تنـاقض فلسـفة الامامة صـحيح لو كـان الامـام انما غاب لغرض الاسـتمتاع بغيبتـه، أما والظـروف الأمنية لم تكن تسمح له وهو الذي يوكل بالقيـام في الأرض، فـان وجـوده يومئذ وفي كل زمان لا يتوفر فيه أنصار له، يبقى خطرا على العالم. لم لا بد أن نوجه هـذا السـؤال الى الكـاتب: هل غيبة النـبي أو موته

---

[325] - ص 164
[326] - ص 184
[327] - ص 120

يناقض فلسفة النبوة".[328]"ومع ان كلاما كهذا يعيـدنا الى اشـكالية الخلط بين الامامة وقيادة الدولة، فاننا نلاحظ أن شيئا مهما يغيب عن ذهن الكـاتب، فـاذا كـان غيـاب الامـام يتنـاقض مع فلسـفة الامامة ، فنحن نرى أن غيابه لا يناقضها بل يعطلها".[329]

وينسى الحسيني هنا ان الامامة تختلف عن النبوة، على الأقل في مســألة واحــدة، وهي التعامل المباشر مع النــاس بصــورة مستمرة، وان النبوة مكرسة في القرآن الكـريم، وقد ختمها الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) وان الامامة، حسب الفرض ، حاجة مستمرة بعد النبوة الى يوم القيامة، ولا تحتمل الغيبة أو التأجيل أو البعد عن الناس، سواء بسبب من الناس أو من الأئمة، ولـذلك فقد انتقد الامام الرضا الواقفية الـذين ادعـوا غيبة والـده موسى بن جعفر وقال لهم:"من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية.. إمـام حي يعرفه، وقد قال رسول الله (ص): من مـات وليس له إمـام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية" وهو ما يتناقض مع غيبة الأئمة بأي شكل من الأشكال، على العكس من غيبة الأنبياء أو وفـاتهم، بعد أداء رســالتهم.. ان الحســيني ينسى كل ذلك فيقــول:" ان الكاتب هنا لا يأتي بما يناقض دليل الغيبة، بل بما يناقض ادعـاءه، فهو يرى أن مهمة الامام هي هداية الناس وتنفيذ الأحكام..أقـول: ما دام دور النبي (ص) هو هداية النـاس، وتنفيذ الاحكـام وإخـراج الناس من الظلمات الى النور، فلمـاذا ينتهي دور الأنبيـاء إذن في دنيا الخلق؟ وهل فعلا خرج الناس من الظلمات، وهل خرجوا من الحـيرة؟ اذن مثل ذلك تماما سـؤال الكـاتب: لمـاذا غـاب الامـام إذن؟ ..أقــول: ان وجــود الامــام هو ايضا حجة تكليفية على من أقصوه".[330] و"يقول الكاتب: وقد رد الامام علي بن موسى الرضا على الواقفية (... من مـات وليس له امـام حي يعرفه يسـمع له ويطيع..) وهذا كلام امامي وليس هنـاك من ينكـره، ونحن نقـول: نعم **لا بد أن يكون الامام حيا متعينا حـتى يعرفه النـاس بالطرق المتسالم عليها في معرفة الأنبياء والأوصـياء، نعم المهـدي حي يعـرف، وهو غـائب، وليس مجهـولا أصلا**. القضـية أنه غـائب، وفـرق بين أن أقـول لـك: لا أدري من سـيطرق علينا البـاب غـدا، وبين أن أقـول : سـوف يطـرق علينا

---

[328] - ص 164

[329] - ص 166

[330] - ص 153

البـاب غـدا زيد من النـاس، فـالأول مجهـول، والثـاني معلـوم، وكلاهما في محك الغيبة".[331]
وهكذا يحل الحسيني مشكلة الغيبة، بالادعاء ان الامـام الثـاني عشر حي معروف! ويكـاد يقـول أيضا انه ليس بغـائب "فـان أمر الامـــام لم يخف عن كل النـــاس، بل هنـــاك خاصة الخاصة وفي طليعتهم النواب الأربعة" .[332]
ولم يقل لنا لماذا عاب الامام الرضا على شيعة أبيه (الواقفية) الـــذين كـــانوا يعتقـــدون أن الامـــام الكـــاظم حي ويعرفونه حق المعرفة؟ ولماذا استنكر عليهم القول بالغيبـة؟ ورفض ادعـاءاتهم الباطنية باستمرار حياة الكاظم خلافا للظاهر من وفاته؟
ولو توقف السـيد إدريس الحسـيني هنا قليلا ، وتأمل حـديث الامـام الرضـا، لأدرك بعمق خطـورة المنهج البـاطني الـذي كـان يسوق ما يشـاء من النظريـات ضد أئمة أهل الـبيت في حيـاتهم، واصطنع ما يشاء من نظريات وفرضيات أخرى بعد وفاتهم، تحت غطـاء (التقيـة). ولعـرف الفاصـلة الكبـيرة بين فكر أهل الـبيت، وأســاطير الغلاة العجيبة والغريبــة. ولأيقن بــأن نظرية الإمامة لا علاقة لها بأهل البيت ولا علاقة لهم بها.
ولكن السيد الحسيني يجمد عقله، ويؤجره للغلاة البـاطنيين، ويأخذ على" الكاتب أنه يستنكر مقولة التقية في فهم الكثـــير من المعاني".[333]
أجل ان مقولة التقية تعطل فهم كثـير من الأمـور، و ذلك بما تقوم به من قلب للأحداث والأقوال والأفعـال. حيث يصـبح الميت حيا والحي ميتا، والحق باطلا والباطل حقا، وأبرز مثـال على ذلك هو موضوع وفاة الامام العسـكري دون خلـف، فلو قـرأ الانسـان التاريخ بصورة طبيعية، لأدرك مضي الامـام الى ربه وقسـمة إرثه بين أمه وأخيه، واستحالة نسبة ولد اليه لم يذكره في حياتـه، ولم يشر اليه في وصيته. ولكن عندما يرفض المرء التاريخ الظاهري، ويحـاول أن يقلبه رأسا على عقب، فانه يسـمح لخياله بالنشـاط، ويجيز لنفسه افتراض ما يشاء، وهكـذا قـام البـاطنيون بـافتراض ولد للامام العسكري، وفسروا عـدم التصـريح به بوجـود ظـروف سرية أحاطت بولادتـه، ومع ان هـذه الظـروف غـير صـحيحة ولم تكن موجـودة، فعلى فـرض صـحتها، لا يمكن أن تـوفر أدلة على ولادته. الا ان الذين أرادوا ان ينسـجوا حكاية وجـود الولد لينقـذوا

---

331 - ص 154
332 - ص 171
333 - ص 84

نظرية الإمامة من الانهيار، لم يترددوا بادعاء ما يشــاءون دون أن يقدموا على مزاعمهم أي دليل.

والغريب أن يأتي رجل بعد أكثر من ألف عام ليصدقهم في كل ما يقولــون! ويتحــدث عن أســاطيرهم وكأنها حقــائق غــير قابلة للجدال، ويصب لعناته على من يكفر بها.

يقول الســيد الحســيني بكل ثقة واطمئنــان :"ان كتمــان ولادة الامــام (عج) وإحاطته بحــزام من الســرية، في لحظة جنّ فيها جنــون الســلطة في أن تضع يــدها على المولــود الخطــير".[334] ويدعي وجود "مضايقات وحصار ضـربته السـلطة حـول أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وقد كان خلفاء بـني العبـاس يقيمـون ألف حساب لهؤلاء الأئمة رغم موقفهم الصامت قبل أن يقيموا حسابا واحــدا لكل الثــورات المناهضة لهم في مختلف البلاد. وهــذا انما يعني أن الخلفاء أدركـوا أن خطر هـؤلاء هو خطر اسـتراتيجي، ما دامــوا يملكــون برنامجا حقيقيا وجــذريا". [335] وينتقد الكــاتب لأنه "أقــام كل أفكــاره على التــاريخ العــام. ولو شــئنا لقلنا التــاريخ الرسمي. ونحن نقول له: ان المســألة كـان يـراد منها أن تحـدث بعيدا عن عيون البلاط ومؤرخيه، فالذي يبحث عن الدقة في مثل هـذه الأمـور في التـاريخ العـام، هو لا شك مغالـط. ومـتى كـان التاريخ الرسمي، الذي يقصده الكاتب يثبت كل شيء. واذا كـانت الغيبة قابلة لأن يثبتها التاريخ الرســمي إذا لما كـانت الحاجة اليها أصلا، ولما سـميت غيبـة. وكيف لحـدث خـاص مثل الغيبة محـاط بهذا السياج الكبير من التقية أن ترصـده عدسة المـؤرخ العـامي. فالقضايا الواضحة التي يـدونها المـؤرخ العـامي هي تلك القضـايا الــتي تكــون واضــحة في دنيا النــاس. والغيبة كـانت أمــرا خاصا وسريا". [336]

وبعد التزامه بالمنهج الباطني، ورفضه للتاريخ الرسمي العـام، لم يجد الحســـيني حاجة أو امكانية لبحث موضـــوع الروايـــات التاريخية السرية التي تحدثت عن ولادة (الامام الثـاني عشـر) إذ أنه يفـــترض أنها ســـرية غـــير قابلة للبحث، ولا يجد حرجا من التصديق بها بعيون مغمضة في ظلام السرية والكتمان.

واذا كان ثمة أي مجال للتفكير فلا بد أن يفكر بالـدليل العقلي (الافتراضي) و"ان الدليل العقلي لا يقوم على الفراغ، كما يحاول الكـــــــاتب هنا أن يثبت، بل هو دليل يقـــــــوم على أدلة نقلية

---

334 - ص 131

335 - ص 137

336 - ص 150

ونصـــــوص".[337] **"ان أمر الغيبة هو أمر غيــــبي تم بكيفية غيبية**. ولأنه غيــبي، فــان الموقف العقلي منه هو التســليم، ولا يعتــبر ذلك عجــزا في تفســير أسـباب الغيبــة. ان المســألة في حقيقتها غيبية فلا مجال للتعليل، وان كل ما فسـروا به الغيبة انما يصــلح من بــاب المقتضي وليس العلة التامــة. فــان حكمة الله وتدبيره مما لا تحيط به العقول الناقصة". [338]

وعلى رغم شـرعية الشك في هكـذا ظـروف سـرية ملفوفة بالكتمـان، وعـدم جـواز الـتيقن بشـيء قبل الحصـول على الأدلة والـــبراهين القطعيـــة، وضـــرورة التمسك بالتـــاريخ الظـــاهري الرسمي، فان الحسيني يقول:"ان قصارى ما يمكن أن يؤدي اليه هــذا التحليل هو موقف الشك ليس الا، وفي أكــثر الحــالات فهو يـــدعونا الى الاحتمـــال وليس الى الحكم اليقيـــني، وقد ذكرنا أن موقف الشك الذي لا ينبني على منهج قويم ورؤية نافـذة للأمـور، هو شك دهمـائي لا يليق بمقـام البـاحثين، بل هو تطـوح وتذبـذب وقصـور ذهـني، على صـاحبه التمـرس أكـثر في دروس المنطق وباقي ضروب الصنعات العقلية".[339]

ان وجــود الشك في الحقيقة حــول الموضــوع، ينسف الحكم اليقيني الذي يدعيه البـاطنيون الاثنا عشـريون، ويحـول دون بنـاء عقيدة دينية على أساس أمر افتراضي غامض مشكوك فيه. وما دام الشك معقولا ومبررا وموجودا، فانه يمنع شرعا من تبــني أية مقولة بلا دليـــل. ولكن مشـــكلة المؤمـــنين بنظرية الإمامة انهم يبنونها على أوهـام، ويرفضـون الاعـتراف بحقـائق التـاريخ، وهم مستعدون لقلب كل الأمـور، ونسـبة أولاد لمن مـات ولم يخلـف. ويسمون ذلك عقلا ومنطقا وحكمة.

24 - رســالة الى المرجع الــديني الســيد محمد رضا الكلبايكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[337] - ص 134
[338] - ص 167
[339] - ص 156

سماحة المرجع الديني الامـام السـيد محمد رضا الكلبايكـاني دام ظله

الســـــلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم في صــــحة وعافية لخدمة الاسلام والمسلمين.

وبعد.. فقد اطلعت على كتاب للمـيرزا أحمد الصـابري الهمـداني باسم : (الهداية الى من له الولايـــة) وهو تقرير بحثكم في درس الخارج مطبوع في سنة 1383 هجرية في قم ايران

وكانت لدي بعض الأسئلة أرجو من سماحتكم توضيحها ، وكذلك بعض الملاحظات أرجو الرد عليها ولكم جزيل الشكر سـلفا ، لقد تحــــدثتم في ذلك الكتـــــاب عن نظرية ولاية الفقيه ، وكنتم في طليعة العلماء المعاصرين الذين أيـدوا تلك النظريـة. وقلتم: لا بد للأمة من زعيم ورئيس وقيم وحــاكم، وان لم يكن نبيا أو وصــيا، وان القـــــدر المـــــتيقن من الأمة والرعية للرئاسة والزعامة في الجملة هو العــالم الفقيه العــادل (ص 40) واستشــهدتم بقــول الفضل بن شاذان في روايته المنسوبة الى الامام الرضـا، والـتي تقول:" انا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل عاشوا وبقوا الا بقيم ورئيس لما لا بد منه في أمر الـدين والـدنيا" وقلتم :" ان الظــاهر منها ان عــدة من الأمــور مما لابد منها في قــوام الملة ونظم الرعية، بحيث لولاها لاختل النظام وفســدت معيشة الأنـام وكـثرت الفتنة وازدادت الحـيرة وانجــذم حبل الـدين والـدنيا، إذ ليست تلك الأمور مما يمكن صدورها من أي شخص وفـرد، بل لا بد في إجرائها من وجود الزعيم وحكم القيم الذي له الولاية على الرعية والزعامة للأمة ، ولهــذا نـرى في كل مجتمع ان طبقــات الناس في منازعاتهم يرجعون في بـادئ الأمر الى زعيمهم". (ص 12)

وذهبتم الى القول : ان من المناصب المجعولة للفقهاء : إجراء الحدود وتنبيه الغافل وإرشاد الجاهل، واستدللتم على ذلك بوجوه ثلاثة. (ص 43) واشترطتم تسـليم الخمس للفقيه باعتبـاره مبرئا للذمة.

ولكنكم تــوقفتم في مسـألة الحــدود وقلتم:" ان الحــدود من الأمــور الــتي يشك في اعتبــار الإذن من الامــام (ع) ويحتمل ان يكــون الإذن دخيلا في أصل الوجــوب وتعلق الإرادة به ، وتــرتيب المصلحة عليه". (ص30)

فما هو رأيكم بالتحديد؟ هل هو اشتراط إذن الامام المعصوم في إجراء الحدود؟ أم لا ؟

وقد كان رأيكم واضحا بالنسبة إلى الجهاد وصلاة الجمعة ، حيث اشترطتم حصول الإذن من الامام المعصوم او نائبه، فلم تجــيزوا الجهاد الابتـدائي للفقيه رغم قـولكم بأنه القـدر المـتيقن للرئاسة والزعامة .. وأجــزتم صــلاة الجمعة بإذنــه، ولكنكم احتطتم وجوبا بأداء الظهر يوم الجمعة.

وقد شككتم في أصل وجوب الجمعة في عصر الغيبة وقلتم : (لو شك في اعتبــــار الإذن في شــــيء ، واحتمل كونه دخيلا في أصل وجوبــه، وتعلق الإرادة به وتــرتب المصـلحة عليه ، كـإجراء الحـــدود واقامة الجمعة وغيرها ، مما يحتمل كونه من الوظــائف الــتي يقــوم بها شــخص الامــام ، أو من هو مــأذون منه ، فحينئذ يكــون الشك في أصل التكليف فيجــري فيه الــبراءة ، وبالجملـة: الإذن المشــكوك اعتبــاره قد يحتمل كونه من مقــدمات وجـــود المكلف به ، وشرطا فيه ، كما لو علم ان الشارع أراد وجود شيئا في الخارج ولم يرض بتركه ، ولكن يشك في انه يعتــبر الإذن فيه من نائبه العام او الخــاص ؟ أم لا؟ فــيرجع الشك الى القيد الزائد فيحكم بالأصل على عـــدم اعتبـــاره. وقد يحتمل الإذن دخيلا في أصل الوجوب وشرطا له ، كما في صلاة الجمعة لقوله تعالى (اذا نودي للصلاة من يـوم الجمعة فاسـعوا الى ذكر الله ...) لاحتمـال كون المنادي هو الامام ، او المأمور من قبله ، فيكــون الشك في أصل التكليف والجواز ، ومقتضى الأصل عدمه).

وقد ألغيتم وجــوب صــلاة الجمعة في (عصر الغيبــة) من الأساس ، باحتمال ان يكون المراد من المنادي في الآية: الامام ، وان المقصـود بـذلك الامـام المحتمل هو الامـام المعصـوم ، وان الامام المعصـوم هو الامـام المفـترض الغـائب (محمد بن الحسن العسكري) ولما لم يثبت منه الإذن في نظركم فقد ألغيتم وجوب صلاة الجمعة في هذا العصر ، وذلك بـالرغم من بنـاء فعل النـداء في الآية على صيغة المجهول " اذا نودي" وليس المعلوم ، بحيث لا يقبل التخصيص بواحد معين ، إمام او غــير إمــام ، وانما يكتفى بحصــول النـــداء وتحققه في الخـــارج ، كما لا يوجد في الآية أي إشارة الى كون المنادي اماما.

وهنا أود ان أسأل سماحتكم عن أسباب هذا الاحتمـال؟.. وهل يجــوز رفع اليد عن إطلاق الآية الشــريفة لمجــرد احتمـال؟.. وألا

يعتبر هذا اجتهادا مقابل النص؟.. واحتمالا تعسفيا؟.. مع ان الظاهر من الآية هو النداء المجرد غير المنسوب الى أحد فضلا عن كونه اماما ، أو اماما عادلا ، أو اماما معصوما ..

فما هي أدلة او دوافع تفسير المنادي المجهول بالإمام او الامام المعصوم؟ وحصر النداء به؟

واذا جاز لنا اعتبار الفقيه العادل – حسب رأيكم – رئيسا وزعيما فلماذا لا نفسر الآية به ، ونعتبره الامام الذي يعطي الإذن بصلاة الجمعة؟ وما المانع من ذلك؟

وهكذا القول في الجهاد الذي يخاطب القرآن الكريم المسلمين للقيام به ، ولا يلقي مسئوليته على (الامام)، فضلا عن (الامام العادل أو المعصوم).

وان شرط العصمة في الامام الذي يعلن الجهاد قد حدث مؤخرا ، ومن خلال دليل الإجماع على إذن الامام ..

فاذا اعتبرنا الفقيه العادل رئيسا وزعيما (أي اماما شرعيا) فلماذا لا نربط الجهاد به ونعلق جوازه على إذنه؟

ألا تعتقدون أننا بحاجة الى إعادة النظر في مسالة الجهاد وصلاة الجمعة والحدود وسائر الأمور التي علقها بعض العلماء السابقين الذين كانوا يقولون بنظرية (التقية والانتظار) في عصر الغيبة ، حتى ظهور المهدي.. كما أعدتم النظر في مسألة الدولة والولاية وأجزتم للفقيه العادل ان يقوم بمهمة الرئاسة والزعامة للأمة.. وأوجبتم إعطاء الخمس له.

فان إجراء الحدود وإعلان الجهاد والأمر بصلاة الجمعة جزء من أعمال الامام ، أي إمام ، فلماذا تشترطون فيها إذن الامام المعصوم ، وقد سمحتم للفقيه ان يقوم بدور الامامة؟

وقد لاحظت أنكم استندتم على رواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا (ع) لتبيان أهمية الامامة ، واستنتجتم منها ضرورة الامامة والرئاسة في عصر الغيبة ، رغم ان الرواية تنفي بصراحة وبقوة جواز القيام بمهمة الامامة لغير الامام المعصوم المعين من قبل الله تعالى.

ولكن لحسن الحظ ان هــذه الرواية ليست رواية بــالمعنى الصـحيح ، وانما هي – كما يقـول الفضل بن شـاذان في العلل – من تأليفه ، وهو لم يلتق الامـام الرضا ، ولا أبـوه (شـاذان) الـذي كـان من أصـحاب الامـام الجـواد ، وكـان الفضل معاصـرا للامـام العسكري وتوفي سنة 260هجرية.

وأخـيرا أود ان أسـألكم عن فقـرة وردت في الكتـاب المنسـوب إليكم (الهداية الى من له الولاية) في معـــرض الاســتدلال على وجــوب طاعة النــبي (ص) والأئمة (ع) : (ان وجــود الأنــام وما يعيشون به كله من منهم وبهم) (ص 27)

ما المقصـود بهـذه العبـارة الـتي يشـتم منها رائحة الغلـو؟ وكيف يكون وجود الأنام ورزقهم من النبي والأئمة وبهم؟ وما هو الدليل على ذلك من القــرآن الكــريم والأحــاديث الصــحيحة ؟ وما هو مصدر هذه الفكرة من كتب علمائنا السابقين؟ وهل تتبنـون هـذه الفكـرة الآن؟ أرجو من سـماحتكم توضـيح هـذه النقـاط والإجابة على هـــذه الاســئلة ، ولكم من الله الأجر الجزيل ومنا الشـــكر والثناء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأطال الله عمركم وأبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين

احمد الكاتب

لندن 1 / 1/ 1414 المصادف 21 /6/ 1993

25 – رسالة الى فضيلة الشيخ حسن الصـفار حفظه الله

القطيف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قــرأت لكم في مــوقعكم على شــبكة الانــترنت كلمة عن الامــام المهدي تحدثتم فيها في البداية عن ضــرورة الاجتهــاد والنظر في المعتقدات التي قلتم انه لا يصح فيها التقليد والاتبــاع ، وذلك لأن الاســلام دين العقل وعقائــده قائمة على النظر والتفكــير ، وانه يرفض الخرافــات والأســاطير وينهى عن الأخذ بشــيء قبل التأكد منه (ولا تقف ما ليس لك به علم).

وانا اتفق معكم في ذلك.

واتفق معكم ايضا في ضــرورة التســليم بالظــاهر الإعجازية الــتي ذكرها القرآن الكريم كتحول النار الــتي أشــعلها نمــرود بــإذن الله بردا وسلاما على إبراهيم (ع) أو ولادة النــبي عيسى (ع) من دون أب ، أو الإسراء والمعراج او طول عمر النبي نوح عليه السلام.

وتفضلتم بأن الاعتقاد بالإمام المهدي يأتي ضمن هذا السياق وانه ثبت بالنقل الــذي يقــره العقل . وان الأحــاديث الــواردة عن النبي محمد (ص) وأهل بيته فاقت حد التواتر ، واستشــهدتم على ذلك بأقوال الشيخ ابن تيميه والمحدث المعاصر الشــيخ محمد بن ناصر الألباني والشيخ يوسف البرقــاوي ، كما أشــرتم الى كتــاب الشيخ لطف الله الصافي (منتخب الأثر في الامام الثــاني عشــر) الــذي قلتم انه جمع فيه 6277 حــديثا حــول الامــام المهــدي من كتب الفريقين السنة والشيعة.

وقلتم: ان خــروج المهــدي المنتظر في آخر الزمــان مســألة ثابتة عند المســـلمين على اختلاف مـــذاهبهم وان علمـــاء المســـلمين يتفقــون على ان المهــدي من عــترة الرســول ومن ولد فاطمة ، لكن هناك اختلافا في تفاصيل هذه العقيدة بين المذاهب الكلامية المختلفة يأخذ كل فريق بما يصح ويثبت لديه.

وقلتم: بأن الشيعة الامامية يعتقدون بــأن الامــام المهــدي قد ولد في 15 شعبان سنة 255 من أبيه الامــام الحسن العســكري وانه لا يـــــزال ينتظر أمر الله لممارسة دوره العـــــالمي ليملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

وأضفتم : ان النص ثبت لدى الشــيعة الامامية من جهة معصــومة بذلك فهم ملزمون بقبوله والايمان به.

ودعمتم قولكم هذا بما قلتم من وجود أحــاديث صــحيحة ثابتة عن رسول الله يتحــدث فيها اثــني عشر اماما أو أمــيرا أو خليفة لهــذا

الدين ، وان هـذا العـدد لا ينطبق الا على الأئمة الاثـني عشر من أهل البيت.

ولم تجـدوا في طـول عمر الامـام المهـدي الممتد منذ منتصف القرن الثالث الهجري حتى اليوم اية استحالة عقلية وقلتم: اذا ما ثبت النص الشرعي على وجود الامام المهدي فاننا نقبله كظاهرة إعجازية ليست ممتنعة عقلا وانما هي خارقة للعـــــادة ومخالفة للمألوف فقط.

وقد عقبتم على ذلك الحـديث عن الامـام المهـدي بكلمة قيمة عن عصـور التخلف الـتي عاشـتها الامة الاسـلامية وسـادت فيها حالة التعصب المذهبي والنزاعات الطائفية ، ودعوتم الى ضرورة تجاوز المسلمين لتلك الحالة المزرية وتحمل كل فرقة مسـؤولية معتقداتها أمـام الله تعـالى ، كما دعـوتم الى ضـرورة البحث عن الحقيقة عبر الدراسة الموضوعية لمـوارد الخلاف والحـوار البنـاء البعيد عن التهريج والتشنج والشتم والاستهزاء.

فضيلة الشيخ الموقر

لا يسعني الا ان أشكركم واكبر فيكم روح الأخوة والمحبة وصوت العقل والاجتهـاد والنظر والتفكـير ، واقـدر فيكم روح التسـليم للآيـات القرآنية الكريمة والنصـوص الاسـلامية الثابتة والايمـان بالغيب والظـواهر الإعجازية الخارقة للعـادة الـتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، واذا كنت اختلف معكم حول هوية الامام المهدي وولادته في الماضي السـحيق ، بـالرغم من اتفـاقي معكم حـول ظهـوره في المسـتقبل ،فـاني اعتقد بـأن الاختلاف حـول هـذا الموضـوع بين الشـيعة الاثـني عشـرية وبقية الفـرق الشـيعية والإسـلامية لا يتخذ طـابع الاختلاف العقائـدي ، إذ أنه لا يتعلق بالتوحيد او النبـوة او المعـاد او أي اصل من أصـول الـدين وانما حول قضية جزئية تاريخية بسيطة وهي ولادة الامـام المهـدي في القـرن الثـالث الهجـري أو قبيل ان يـأذن الله له بـالظهور في المسـتقبل. ومن هنا فـاني ارفض بـالطبع أي تـوتر او تشـنج او تضخيم لهذه المسالة من هـذا الطـرف او ذاك ، او اعتبـار قضـية وجـود الامـام المهـدي وكونه الثـاني عشر من أئمة أهل الـبيت قضـية عقائدية كـبرى أو ضـرورة من ضـروريات الـدين تـدخل صاحبها الجنة او تخرجه من النار.

ولـولا تفاعل هـذه القضـية مع سلسـلة من النظريـات السياسـية والأحكـــام الفقهية وتأثيرها على العلاقـــات الشـــيعية الداخلية والخارجية ، وارتباطها خاصة بنظرية ولاية الفقيه الحاكمة في ايران ، لما كانت هنالك أية ضرورة لبحثها او إثارتها الآن.

صديقي الفاضل الشيخ الصفار

لقد لمست فيكم منذ السـبعينات حيث تعرفنا على بعضـنا البعض في مدرسة الرسـول الأعظم في الكـويت ، حب العمل للإسـلام والبحث عن مصـادر الثقافة الاسـلامية النقية ورفض الخرافـات والأسـاطير والتفـتيش عن الحق والصـواب ، وكـانت محاضـراتك القيمة وخاصة أيـام عاشـوراء نموذجا مثاليا للأحـاديث الرسـالية الموثقة والمنطقية والمعقولة الهادفة الى بناء جيل إسلامي جديد مؤمن بالله والحق والحرية.

وانطلاقا من ثقتي العظيمة بكم وبنواياكم المخلصة لتوحيد الأمة الاســلامية وتجديد الـــتراث الاســلامي وتنقيته مما علق به من خرافات وأساطير عـبر القـرون الطويلة ، واعـادة بنـاء الحضـارة الاسلامية على أسس علمية ثابتة.. انطلاقا من ذلك أدعــوكم الى مواصلة التفكير واعادة النظر في قضية وجود الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) وولادته في منتصف القـرن الثـالث الهجــري وبقائه على قيد الحيــاة الى يــوم والى ان يــأذن الله بالخروج. وذلك ليس من منطلق استحالة العمر الطويل او إنكار الظـاهر الإعجازية الخارقة للعـادة ولا من منطلق رفض الايمـان بخــروج المهـدي في آخر الزمــان ، وانما من منطلق التثبت من ولادة ابن للامــــام الحسن العســـكري فعلا رغم نفي الامــــام العسكري لـذلك ووصـيته الى أمه وعـدم إشـارته علنا الى وجـود ولد له ، والتحقق من دعــاوى بعض أصـحاب الامــام العســكري بوجـود ولد له في السر والخفـاء ، والنظر في روايـاتهم التاريخية التي يكتنفها التناقض والغلو والخيال الأسطوري.

عزيزي الشيخ حسن

ان الشـيعة والشـيعة الامامية قـالوا خلال القـرون الثلاثة الهجرية الاولى بنظريات عديـدة حـول المهـدي فاعتقد بعضـهم ان الامـام المهــدي هو علي بن ابي طــالب واعتقد بعض آخر انه محمد بن الحنفية او ابنه أبو هاشم او محمد بن عبد الله بن الحسن ذو النفس الزكية او الامام الباقر او الامام الصادق او ابنه إســماعيل

او محمد بن عبد الله الأفطح او الامــام الكــاظم او عبد الله بن معاوية الطيــار او محمد الــديباج او محمد بن القاسم او يحيلا بن عمر او محمد بن علي الهــادي او الامــام الحسن العســكري او القـائم المجهـول الـذي يظهر في المسـتقبل ، ولم يجمعـوا على مهدوية شـخص معين ماعـدا الفرقة الاثـني عشـرية الـتي قـالت بوجود ولد مخفي للامام العسكري وانه المهدي المنتظر.

ومن هنا يمكننا القــول بعــدم وجــود نص ثـابت وصــريح من جهة معصـــومة على ولادة (محمد بن الحسن العســكري) ولا توجد ضرورة للالتزام بالإيمان بذلك ، خصوصا وان القول بوجوده كــان ملفوفا بالســرية والكتمــان ومخالفة الظـاهر. وان الله تعـالى لا يحتج على عباده بأمر خفي كهذا ، وله الحجة البالغة.

أما ما تفضلتم به من الاسـتدلال بأحـاديث الاثـني عشـرية وعـدم انطباق هذا العـدد الا على أئمة اهل الـبيت فتوجد فيه مناقشـات كثيرة من حيث صـحة السـند والمضـمون وامكانية تطـبيق العـدد على عدد آخر من الأئمة كزيد بن علي او الامــام عبد الله الأفطح الذي كان يقول بإمامته قسم كبـير من الشـيعة الامامية الفطحية بما يغنينا عن افتراض وجود ولد للامــام العسـكري خلافا للظـاهر ولمجرد استكمال العدد.

شيخنا الكريم

قبل ان نحدد هوية الامام المهـدي او نقـول انه محمد بن الحسن العســكري لا بد ان نثبت أولا ولادته ووجــوده في التــاريخ ، إذ لا يجوز ان نفترض وجوده بناء على أحاديث عامة او نظريات كلامية فلسفية كما يفعل بعض المتكلمين.

واذا كان معظم الشيعة الامامية ومعظم شيعة الامــام العسـكري قد رفضوا التصديق بـدعوى فريق صـغير منهم بوجـود ولد له في السر هو الامام من بعده وانه المهدي المنتظر ، ورفضـوا القبـول بحكايــاتهم الغريبة والغالية والمتناقضة الــتي تتحــدث مــرة عن ولادته بصـــورة إعجازية بحيث لم تعـــرف أمه بالحمل به حـــتى ســـاعة الـــولادة ولم يكن عليها أي أثر للحمل ، وان الملائكة او الطيور قد خطفته فورا ولم يعـثر على أثر له بعد ذلك ، وتتحـدث مرة اخـرى عن رؤيته في حيـاة أبيه وقيامه بالصـلاة على جثمانه واســـــتقباله للوفــــود في سر من رأى على مقربة من الخليفة العباسي المعتمد الذي يقال انه كان يبحث عنه ويحاول قتله.. اذا

كان معظم الشيعة الامامية فضلا عن عامة المسلمين قد رفضـوا التصديق بتلك القصة المشكوك فيها لعـدم تـوفر الأدلة الشـرعية الكافية والحجج العلمية القاطعة في ذلك الزمــان ، فمــاذا يمنع شـيعة أهل الـبيت والمحـبين لهم من البحث والتحقيق ومواصـلة التفكير والنظر والاجتهاد في هذه القضية التي فـرقت بين الاثـني عشــرية وعامة الشــيعة والمســلمين ,أدت الى خــروج الاثــني عشـرية من مســرح التـاريخ قرونا طويلة بعد الـتزامهم بانتظـار الامــــام الغــــائب وتحــــريمهم العمل السياسي واقامة الدولة الاسـلامية في عصر الغيبة الا مع حضـور الامـام المعصـوم .وذلك قبل ان يتوصل العلمــــاء المجــــددون الى نظرية ولاية الفقيه او الشـورى ويقومـوا بثـورة عظمى سـمحت لهم بالاجتهـاد وتـولي الفقيه العادل.

ألا تتفقون معي بأن الشيعة الجعفرية اليـوم قد تحـرروا من كثـير من نظريــات المتكلمين الســابقين الوهمية وفرضــياتهم العقيمة ،وانهم باتوا اليـوم يقفـون في طليعة القـائلين بنظرية الشـورى؟ ومن هنا فـانهم ليسـوا بحاجة الى افـتراض إمـام معصـوم يعيش خلف ستار الغيب ، وان من الضروري إعادة بحث موضوع وجــود الامــام الثــاني عشر وولادته في التــاريخ ، والتأكد مما اذا كــان حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية ، وذلك من أجل تعزيز الاتجاه الــديموقراطي الشـعبي في الفكر السياسي الشـيعي وإزالة أية عقبات أمام الوحدة الاسلامية؟

شــيخنا الكــريم أملنا فيكم كبــير وثقتنا فيكم عالية ومعرفتنا بكم قديمة ونحن متأكــدون دائما أنكم تســيرون أمــام الجمــاهير في الطليعة وأنكم من علمــاء هــذه الأمة وروادها الــذين يحملــون مشعل الإصلاح والتجديد.

وتقبلوا فائق احترامي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد الكاتب

لندن 22 رمضان 1420 المصادف 30/12/1999

26 – مع السـيد أمـير محمد الكـاظمي القزويـني في كتابه (الإمام المنتظر)

سماحة العلامة أمير محمد الكـاظمي القزويـني حفظه الله، الكويت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

سيدي الكـريم ، لقد سـررت بـردكم العاجل على رسـالتي حـول الدعوة لبحث ومراجعة دراستي عن الامـام المهـدي ، وأشـكركم على الكتب القيمة التي أرسلتموها معها..

وقد ذكرني كتاب (شبهات حول الشيعة) الذي قرأته يافعا قبل أكثر من خمسة وعشرين عاما ، في أيام الحماس الهائل للــدفاع عن الاســلام والتشــيع في العــراق في مواجهة المد الإلحــادي والمعــادي ، وقد اطلعت على كتــاب (الامــام المنتظــر) الــذي ألفتمـوه قبل حـوالي أربعين عاما ، للـرد على الشـبهات الـواردة حول وجود المهدي ، وقد واصلتم مسـيرة العلم والجهـاد ، وكـان لي شرف اللقاء بكم عام 1968 في البصرة ، وكنت اعتبركم ولا أزال أستاذا كبيرا للحركة الاسلامية والشـيعية الـتي وفقـني الله ان أكون جنديا صغيرا فيها منذ نعومة أظافري ، حيث كتبت عدة كتب عن الامام الحسين (ع) والإمام الصادق (ع) والإمام السـجاد (ع) والولاية والتشـيع والسـيدة فاطمة الزهـراء وفكر أهل الـبيت عموما، منذ أكثر من عشرين عاما ...

ولم تكن الدراسة التي قمت بها في السنوات الماضية والتي شـملت الامامة والمهـدي والمرجعية الا عملا متواضـعا في خدمة الاسلام ومدرسة أهل البيت (ع) وبالاعتماد على المصادر الشيعية القديمة فقط ، واكتشـفت خلالها وجـود عـدة تيـارات فكرية في الحركة الشيعية المعاصرة لأهل البيت ، وعدة تيـارات ولـدت بعد رحيل الامــام الحسن العســكري ، وحاولتا التعــرف بدقة وعلمية

وأمانة على خط أهل البيت بصورة ثابتة ومؤكدة بعيدا عن تخرصات الغلاة وأباطيل المنحرفين ، وقد دعوت العلماء والمفكرين الشيعة وأساتذة الحركة الاسلامية الشيعية المعاصرة أمثالكم لإلقاء نظرة عليها قبل الطبع ومناقشة ما جاء فيه أولا قبل ان تصبح بين أيدي العوام ، وأعلنت استعدادي لتعديل اية نقطة فيها أو إلغاء الدراسة وإحراقها اذا ثبت لي خطأ المعلومات الواردة فيها ، أو طبع الردود في المقدمة اذا لم أقتنع بها ، وذلك إنصافا للحقيقة وتحاشيا لخداع أحد ، ولكني مع الأسف الشديد لم أحظ منكم بكلمة رد شافية أو إبداء استعدادكم لإلقاء نظرة على دراستنا او المشاركة في مؤتمر لإبداء وجهة نظركم. وقد كانت رسالتكم الجوابية تلخيصا لكتابكم حول (الامام المنتظر) الذي يبدو انه تلخيص لكتاب (الشافي) او (تلخيص الشافي) وغيره من كتب الأقدمين .

ولقد تحدثتم في رسالتكم الجوابية المختصرة عن عدد من الاجماعات بين صفوف الشيعة والمسلمين حول (المهدي) و (ولاية الفقيه). واسمحوا لي سيدي الكريم ان أقول لكم بتواضع: انها دعاوى غير علمية وغير صحيحة. فاذا كان المسلمون يتفقون على خروج مهدي في آخر الزمان ، فان ذلك لا يعني إجماعهم على ولادة (محمد بن الحسن العسكري). واذا كان الشيعة يجمعون على انه من أهل البيت ومن أولاد الحسين ، فانه لم يحدث ان أجمعوا على ولادته بعد وفاة أبيه ، حيث انقسموا الى أربعة عشر فرقة ، ووقعوا في حيرة شديدة ، ويمكنكم مراجعة كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي ، و (المقالات والفرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي و(الفصول المختارة ، والإرشاد) للمفيد و (إكمال الدين) للصدوق ، و(الغيبة) للنعماني و (الغيبة) للطوسي ، وغيرها من الكتب التي تحاول تفنيد آراء الفرق الشيعية الأخرى حول المهدي ووجوده.

واذا كان الشيعة الامامية الاثنا عشرية يجمعون على ولادته ووجوده ، فان إجماعهم – حسب علم الأصول – غير حجة ، لأن الإجماع المتقدم المقارب لعصر المعصوم هو الحجة لديهم فقط ، وهذا لا يوجد ، وقد ناقشنا ذلك مفصلا في الكتاب.

وكذلك موضوع ولاية الفقيه ، الذي يشكل انقلابا على فكر الامامة الالهية واشتراط العصمة والنص في الامام ، لم يكن يوما موضوعا مجمعا عليه بين الشيعة.

ان كثـــيرا مما يطرحه بعض الفقهـــاء والمتكلمين من آراء ويقدمونه للنـاس على انه : " حكم الله ، أو دين اللـه" ما هو في الحقيقة الا من بنـات أفكـارهم ، وربما كـان بعيـدا عن جـدا عن القــــرآن الكـــــريم والعقل ودين الله الحقيقي. ولــــذا أرجو من سـماحتكم ان تقبلـوا بوصف (النظريـات) حـتى لا نقـول (البـدع والأباطيل والأساطير) لكثير من (العقائد والأحكام).

وأرجو ان أجد لـديكم الصـدر الـرحب لمناقشة أية فكـرة بموضـوعية واحـترام وعـدم تسـرع لمن يـرد بعض "المسـلمات" بوصمه بسرعة بالردة والعمالة وخدمة الاستعمار وخدمة الوهابية ، وأنتم أجل من ذلـــك. خاصة انه لا يحق لأي أحد ان يعلن نفسه وصيا على الـدين ، والا لسـمحنا للطـرف الآخر ان يمـارس نفس الــدور ويقــوم بشن حــرب إعلامية شرسة ضد كل من لا يوافق آراءه.. إذن فـان المصـلحة الاسـلامية ، وروح الموضـوعية الـتي يعلمنا إياها القرآن الكريم بقوله (وانا أو إيـاكم لعلى هـدى او في ضـلال مــبين) تــدفعنا لاحــترام الــرأي الآخر ، والتشـكيك قليلا بموروثاتنا الثقافية التي لم ندرسها دراسة علمية ولم نجتهد فيها. وان من المهم والضـروري الـدفاع عن الحق وعن الاسـلام وعن خط أهل البيت (ع) ولكن من الأهم الرد العلمي الموضوعي غـير المتعصب القائم على أسس منطقية وعلم الرجال وعلم الأصول ، والاستعداد النفسي لتقبل الحق .

ومن هنا فاني – وأنا تلميذكم الصغير – أدعـوكم مـرة اخـرى لإعادة النظر في الفكر الإمامي برمته ، وخصوصا موضوع الامـام المهدي (محمد بن الحسن العســكري) وتوابعه من ولاية الفقيه ، ودراسة ذلك كما نـــدرس مســائل الطهــارة والنجاسة والصــلاة والصوم.

واعتقد أنكم بما تتمتعـون به من إخلاص وإيمـان وعلم وسـعة اطلاع ، من أقـدر النـاس على القيـام بـذلك ،واذا لم يكن لـديكم الـوقت الكـافي فأنا أدعـوكم لإلقـاء نظـرة على دراسـتنا (تطـور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيـه) والـتي لا أبـالغ اذا قلت انها قد قـامت على أصـول ثقافتنا وفكرنا الشـيعي ومؤلفات مشايخ الطائفة من أمثـال الأشـعري القمي والنوبخـتي والكليـــني والصـــفار والـــبرقي والصـــدوقين والمفيد والطوسي والكـراجكي والنعمـاني وغـيرهم ، ثم إبـداء وجهة نظـركم القيمة حول الموضوع.

واعتقد أنكم مسؤولون أمام الله تعالى اذا طبعت تلك الدراسة التي تنقض كثيرا من الأفكـار السـائدة اليـوم في صـفوف الاثـني عشـرية ، وكـانت في علم الله غـير صـحيحة ، لأنكم لم تقومـوا بواجب التصحيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واذا كنتم قد اهتممتم بـــالرد على أوراق دعائية كتبها موسى الموسوي ، أو اهتممتم بالرد على ما كتبه الـدكتور علي شـريعتي ، وألف ولدكم كتابا في الـرد على الموسـوي ، فأنا أدعـوكم أدعو جميع العلماء والمفكرين الذين يهمهم الدفاع عن خط أهل البيت ان يشاركوا في الحـوار حـول الموضـوع ويناقشـوا دراسـتي قبل الطبع.

وأجد نفسي معذورا أمـام الله بعد بـذل أقصى جهـودي لدراسة فكر أهل البيت عليهم السلام ودعوتي للعلماء والمفكرين جماعة ومنفــردين ، ســرا وجهــارا ليلا ونهــارا ، للحــوار والمناقشة ، مع استعدادي للتصحيح والتعديل الآن وفي المستقبل.

وأجد من واجبي الشرعي ومسـئوليتي في خدمة الاسـلام وخط أهل البيت ان أقوم بنشر ما توصـلت اليه من أفكـار ونتـائج. وقد أعذر من أنذر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد الكاتب

لندن 16 رمضان 1413

27 - مع الشـيخ علي آل محسن في كتابـه: (من هو خليفة المسلمين في هذا العصر؟)[340][1]

التردد بين الحقيقة والوهم، والغيبة واللاغيبة

[340][1] - http://www.almohsin.org/?page=books&action=show&id=12

يطرح الشيخ علي آل محسن السؤال أعلاه: (من هو خليفة المسلمين في هذا العصر؟) ليجيب بالطبع:" انه الامام المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري".

وقبل أن نتابع معه رحلة الإجابة، التي استغرقت منه حوالي مائة صفحة، يجدر بنا التوقف عند المنهجية التي اتبعها في عملية الاستنتاج. فقد اتبع منهجية الاستدلال "العقلي" التي استخدمها الأولون، وحاول أن يقترب من الاستدلال التاريخي، لكنه شعر بضعفه الفاضح فابتعد عنه سريعا وهو يستنكر الحاجة اليه ما دام قد أنهى مسألة وجود الامام الثاني عشر عن طريق العقل. وبالرغم من عدم صلاحية الاستدلال الفلسفي أو العقلي لإثبات أمر خارجي هو وجود إنسان معين في التاريخ، فان ما يسمى بالدليل العقلي لم يقم بالطبع على العقل المجرد، وانما على مجموعة روايات تشكل نظرية الامامة الالهية، وبالتالي فانها لا تمت إلى العقل بصلة. ومع ذلك فقد وقع الشيخ علي آل محسن في مأزق واضح وهو يحاول إثبات وجود الخليفة المعين من قبل الله في هذا العصر، حيث لا يوجد له أثر منذ مئات السنين على الأقل، وهو ما يناقض دعواه بضرورة تعيين الله للامام، فراح يتخبط في تفسير "الغيبة" ويدعي قيام هذا الامام بإسعاف أتباعه وإنقاذهم من المآزق في شتى بقاع الأرض وبمجرد مناداته.

وفي الحقيقة لم يأت الشيخ علي آل محسن بجديد، فقد سبقه الى هذا الادعاء كثير من السابقين واللاحقين، بحيث نستطيع القول ان كتابه نسخة مصغرة ومشوهة مما كتبه المتكلمون الإمامية السابقون. وهو لذلك يخلو من أية عملية فكرية أو اجتهاد حديث، أو حتى تأمل وإدراك لما ينقل من روايات و"أدلة وبراهين". ولو سمح لنفسه بساعة تفكير واحدة لما غالط نفسه، ولأدرك بوضوح عدم وجود خليفة معين من قبل الله في هذا العصر، ولذلك بادر الشيعة الى تشكيل الحكومات الاسلامية والديموقراطية لإدارة شئونهم بأنفسهم، بصورة تتناقض مع الاعتقاد بوجود الخليفة المعين من قبل الله.

ومع ان الشيخ علي اقترب كثيرا من الحقيقة عندما عنون كتابه بالسؤال عن الخليفة في هذا العصر، مما يعني أنه فسر كلمة "الامام" بالخليفة، أي الحاكم والسلطان والرئيس، على العكس مما فعل آخرون حاولوا التهرب من هذا المفهوم السياسي، وتفسير كلمة "الامام" بمعان أخرى بعيدة جدا عن معنى الخليفة، ولكن الشيخ علي لم يوضح الموقف الشرعي من

الخليفة المعين من قبل الله ، والــذي يــدعي وجــوده في هــذا العصـــر، هل هو انتظـــاره وتعليق إقامة الدولة الاســلامية على ظهوره، كما كان يقـول الشـيعة الامامية الاثنا عشـرية طيلة ألف عـام، أو هو المبـادرة الى إقامة الدولة على أسـاس نظرية ولاية الفقيه، أو الشـورى والانتخـاب الـديموقراطي. وذلك لأن إدعـاءه بوجود الخليفة الشرعي في هذا العصر يقتضي بالضرورة انتظار تعليماته والتوقف عن ممارسة أي نشاط سياسي الا بـأمره، وان المبادرة الى الثـورة وإقامة الدولة تعـني عـدم الاعـتراف بوجـود مثل ذلك الخليفة أو الامام.

إنه فعلا مأزق كبير، وبدلا من أن يحاول الشيخ علي آل محسن الخـروج منـه، وذلك بإعـادة النظر الجـدي والاجتهـاد العميق فيما ورثنــاه من آبائنا من تــأويلات وحكايــات واجتهــادات وأحــاديث مشكوك فيها وأساطير، فانه راح يردد كل ذلك بسذاجة أخباريــة، ويدعو الشيعة والمسلمين للوقوع معه في المأزق الكبير.

ولأن كتاب الشيخ علي كان تكـرارا لما كتبه آخـرون، فتعـالوا نقـرأ نتـائج بحثه في خاتمة الكتـاب، لـنرَ كيف يـركب المقـدمات وكيف يأخذ النتائج:

يقـــــــــــــول:

1- أن علمــاء أهل الســنة قد أوجبــوا على كافة المســلمين في جميع الأعصـــار والأمصـــار أن ينصـــبوا لهم خليفة واحـــداً لكل المسـلمين، وأوجبـوا المبـادرة إلى ذلك من دون تـأخير أو تهـاون فيه.

2- أنهم أوجبوا أيضـاً مبايعة خليفة المسـلمين في كل عصـر، ولا يحل لمسلم أن يبيت ليلة وليست في عنقه بيعـة، ومن مـات من غير بيعة فميتته ميتة جاهلية.

3- أنهم اشـترطوا في إمـام المسـلمين أن يكـون قرشـيًّا فقيهـاً مجتهداً عادلاً غير فاسق، واختلفـوا في خلع الفاسـق، فمنهم من أوجبه، وأكثرهم على منعه.

4- أن المسلمين اتفقوا على أنه لا يجوز نصب خليفتين في عصر واحـد، بل يجب أن يكـون للمسـلمين إمـام واحد لجميع الممالك الإسلامية وإن تباعدت، وجاءت أحاديث أهل السنة ناصَّة على أنه يجب على الناس أن يبايعوا الخليفة الأول، ويقتلوا الخليفة الآخر.

5- أن أهل السـنة في هـذا العصر تحيَّروا حـيرة شـديدة، ولم يمتثلـوا ما دلَّت عليه أحـاديثهم الصـحيحة، ولم يعملـوا بـأقوال علمائهم في هذا الشأن، فصاروا تـائهين، لم ينصـبوا لهم خليفـة، مع وجوبه عليهم، وصـارت بلادهم متقسِّـمة، يحكمها سـلاطين مختلفـون لم تتـوفر فيهم الصـفات الـتي اشـترطوها في خليفة المسـلمين.

وبعد أن يقـدم هـذه المقـدمات الخمس يـأتي الى المقدمة السادسـة، وهي إثبـات وجـود إمـام للمسـلمين في هـذا العصـر، فيقول:"ان الأدلة الصحيحة قد دلَّت على أن إمام المسـلمين في هذا العصر هو الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العسـكري عجل الله فرجه ، لأن نفي إمامته (ع) يستلزم محاذير كثـيرة لا يمكن التخلص منها".[2]341

وقبل ان يتطـرق الى تفاصـيل الأدلة الـتي أشـار اليها سـابقا يقول في المقدمة:"إن الإشكال الذي كثر الطَّرْق عليه والتشـنيع به قد انصبَّ على اعتقاد الشيعة بإمامة الإمام المهـدي محمد بن الحسن العسـكري (ع) المولـود في سـنة 255هـ، وقـولهم باستمرار حياته وإمامته إلى هذا العصر، فإن أهل السـنة رأوا في هذا المعتقد دلالة على ضعف الأفهام وسخافة العقـول، فلا يمكن التصديق بإمامٍ قد وُلِد قبل حوالي ألف ومائة وتسع وستين سنة، وهو لا يـزال حيًّا إلى يومنا هـذا، فـإن العمر الطـبيعي لا يبلغ إلى هـذا الحد بـأي حـال من الأحـوال". ويـرد على أهل السـنة بالقول:"مع أن أهل السنة قد شنَّعوا بهذا على الشـيعة الإماميـة، إلا أنهم لم يجيبوا على كثير من الأسئلة التي كانت ولا تزال تـدور حول مسألة إمام المسلمين في هذا العصـر، فـإن هـذه المسـألة مع أهميتها قد سكت عنها علماء أهل السـنة، ولم يخوضـوا فيهـا، بل عتَّمـوا عليهـا، حـتى صـار السُّـنِّي لا يهتـدي فيها إلى شـيء صحيح".

وسواء سكت السنة عن الإجابة عن مسألة الامامة، أم أجابوا، ومهما أجابوا، فان سؤال الشيخ آل محسـن: (من هو الخليفة في هذا العصر؟) يحتاج الى جواب مستقل اعتمـادا على أدلة خاصـة، فما هي تلك الأدلة ؟

ان استدلال الشيخ علي آل محسن يقوم ،كما قلنا آنفا، على مجموعة مقـالات تتلخص في ضـرورة وجـوب نصب الامـام في

---

[2]341 - ص 97

الفكر السني والشيعي. واذا سلمنا بهذه الضرورة، فانها يمكن أن تتم بأية صورة، أو يشترط فيها أي شرط مثل العلم والعدالة والكفاءة، كما كانت تقول النظرية السياسية الاسلامية في العصور الأولى، قبل ولادة الفرق الاسلامية الشيعية والسنية، ويمكن أن تتم عملية نصب الامام من الله ، كما تقول النظرية الامامية. واذا كانت النظرية الأولى تواجه مشاكل تطبيقية أو تفصيلية، فانها نظرية لا تزال عملية حيث يمكن للمسلمين الاجتماع على إمام واحد، أو انتخابه بصورة أو بأخرى، ولكن النظرية الامامية واجهت منذ أكثر من ألف عام مشكلة فقدان الامام المعصوم المعين من قبل الله، وأصبحت منذ أواسط القرن الثالث نظرية خيالية غير واقعية ، حتى مع القول بولادة الامام الثاني عشر وغيبته، ولذلك تخلى عنها الشيعة الامامية أنفسهم وبادروا مؤخرا لاختيار أئمتهم وإقامة دولهم. وهو ما يؤكد عقم نظرية الامامة وصحة نظرية الشورى، النظرية الوحيدة القابلة للتطبيق اليوم.

ولكن الشيخ علي آل محسن وأتباع النظرية الامامية الاثني عشرية لا يزالون يرفضون الاعتراف بالواقع، ويصرون على الشروط المثالية (العصمة والنص) التي يشترطونها في الامام، والتي أدت بهم الى افتراض وجود الامام الثاني عشر، بعد وفاة الامام الحسن العسكري دون خلف ظاهر.

ومن هنا تصدى الشيخ آل محسن للرد على كتابي: "تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه" والذي أثبت فيه انقراض نظرية الامامة ووصولها الى طريق مسدود واضطرارها الى افتراض وجود الامام الثاني عشر الغائب، الذي لم يولد أبدا. وحاول الشيخ أن يثبت ذلك بما يلي فقال:"ادَّعى شخص أسمى نفسه (أحمد الكاتب) في بعض القنوات الفضائية أنه لم يجد دليلاً تاريخياً واحداً يدل على ولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجة، ومراده بالدليل التاريخي هو الروايات الصحيحة التي تُثبت الولادة وإن كانت مروية في كتب الشيعة المعتبرة، متغافلاً عن سائر الأدلة العقلية وغيرها، التي تحتم ولادته ووجوده (ع)، وزعم أنه تحدَّى علماء الشيعة في ذلك، ولم يحصل منهم على جواب.

ومع أنه مُدَّعٍ كاذب، فهو عامي صِرْف لا معرفة له بتمحيص الروايات والأدلة النقلية، ونحن سنثبت فساد زعمه لئلا ينخدع بكلامه بعض العوام الذين قد يغترون بتمويهاته، فنقول:

أولاً: أنه يجب الأخذ في إثبات ولادة الإمام المهدي (ع) بكل دليل تام صحيح، ولا معنى للاقتصار على الدليل التاريخي فقط، لأن كل دليل صحيح يجب التسليم به، ولا أولوية للدليل التاريخي على غيره من الأدلة، وصاحب الزمان قد ثبتت ولادته بأدلة متنوِّعة كثيرة صحيحة، وهذا كافٍ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثانياً: أن الأدلة الأخرى إما أدلة عقلية قطعية، أو أدلة مركبة من الدليل العقلي والدليل النقلي، وهذه الأدلة أهم من الدليل التاريخي الذي قد ينَاقَش فيه، لأنه مع ثبوت الدليل العقلي القطعي لا يُحتاج إلى الدليل التاريخي الظني.

ثالثاً: أن ثبوت ولادة أي شخص لا يُحتاج فيه إلى دليل تاريخي قطعي، وإلا لما استطعنا أن نثبت ولادة كثير من الشخصيات المعروفة في التاريخ، فإن ولاداتهم لم تثبت بدليل تاريخي قطعي متواتر.

رابعاً: أن ثبوت الولادات في عموم الأشخاص يُرجَع فيه إلى والد الشخص نفسه، فإذا ثبت عنه برواية واحدة صحيحة أنه قد اعترف بأنه قد وُلد له مولود، فحينئذ لا بد من تصديقه والإقرار له به، وسيأتي أن الإمام العسكري قد أقرَّ بأنه وُلد له الخلَف من بعده.

خامساً: أنه يكفي في حصول الجزم بولادته (ع) إخبار جملة كبيرة من العلماء والصلحاء والمؤمنين أنهم رأوه في وقائع كثيرة وحوادث عديدة مختلفة، حتى جمع الشيخ الميرزا النوري الطبرسي في كتابه (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة) تسع وخمسين حادثة عمَّن رأوا الإمام المهدي (ع)، وهذا الكتاب مطبوع في ذيل المجلد الثالث والخمسين من كتاب بحار الأنوار.

وقد اعترف برؤيته أيضاً بعض علماء أهل السنة كما مرَّ نقله عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر). فهل يجوز لمنصف أن يكذِّب كل هؤلاء جملة واحدة، ولا سيما أن من جملتهم بعض علماء أهل السنة الذين لا يُتَّهمون بالتواطؤ مع الشيعة في هذه المسألة". [342][3]

ونلاحظ هنا أن الشيخ علي آل محسن، قد تهرب في البداية من الاعتماد على الدليل التاريخي، وقال:" يجب الأخذ في إثبات

---

[342][3] - ص 45 - 46

ولادة الإمام المهدي (ع) بكل دليل تام صحيح، ولا معنى للاقتصار على الدليل التاريخي فقط" واعترف بأن الـدليل التـاريخي دليل ظني قد يُناقَش فيـه، ولـذلك التجأ الى ما أسـماه الـدليل العقلي القطعي أو المـــــركب من العقلي والنقلي. وفي الحقيقة انه لم يتطـرق أبـدا الى الـدليل التـاريخي الـذي يحتـوي على قصص أو إشاعات عن مولد ابن الحسن العسكري، لأنه ربما يـدرك ضـعف تلك الحكايات الأسطورية غـير المسـندة والـتي لا يعـرف قائلهـا، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها. ومن هنا قال:"إن ثبوت ولادة أي شخص لا يُحتاج فيه إلى دليل تـاريخي قطعي، وإلا لما اسـتطعنا أن نثبت ولادة كثـير من الشخصـيات المعروفة في التـاريخ، فـإن ولاداتهم لم تثبت بدليل تاريخي قطعي متواتر".

ولقد أخطأ هنا بصـورة مضـاعفة ، عنـدما غالط نفسه بنفي الحاجة لإثبات ولاة إنسان الى الدليل التـاريخي القطعي، وعنـدما استشهد بعدم الاستطاعة في إثبـات ولادة كثـير من الشخصـيات المعروفة في التاريخ، وأخطأ مـرة ثالثة عنـدما قـال: ان ولاداتهم لم تثبت بدليل قطعي متواتر. إذ ان الشيخ تلاعب بمعنى التــواتر، والتـواتر يعـني ورود الخـبر من جهـات مختلفة تـؤدي الى اليقين بوجود شـيء أو شـخص مـا، كزيد أو عمـرو من النـاس، ولا يوجد شخصـية معروفة في التـاريخ لم يثبت وجودها بغـير التـواتر، والا أصـبحت شخصـية مجهولة مشـكوك في وجودهـا. ثم ان وجــود الشخصـيات المعروفة أو غـير المعروفة في التـاريخ دليل كـاف على حقيقتها ولا نحتـــاج الى الحـــديث عن تفاصـــيل ولادتها وظروفها، فـان الشـخص يثبت نفسـه، وهو أمر يختلف تماما عن الحديث عن شـخص أسـطوري مجهـول وغـامض لم يظهر له أي أثر عبر أكثر من ألف عام، وهذا ما يدفعنا للتحقيق في الروايــات التي تتحدث عن وجوده، وطلب الـدليل التـاريخي، والسـؤال عن اسم أمه ويوم ولادته وتفاصيل حياتـه، وهي المعلومـات الـتي لم نحصل عليها بطريقة علمية في شــأن ولادة ووجــود ابن الحسن العسكري، أما الأدلة القطعية العقلية والنقلية ، التي يتحدث عنها الشيخ آل محسن ،وتحدث عنها قبله كثـيرون، فهي أدلة فلسـفية نظرية ظنية لا يمكن أن تثبت وجــود انســان في الخــارج بصــورة قطعيــة، وانما عن طريق الظن والتخمين والافــتراض. وذلك لأن نظرية الامامة أو الاثـني عشـرية يمكن ان تنطبق على أشـخاص آخرين غير (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) مثل جعفر بن علي الهــادي ، أو الامــام زيد بن علي، أو أي إمــام من أئمة الشـــيعة الاســـماعيلية، ولا يمكن لنظرية الامامة الالهية أن

تنتج بالضرورة انسـانا معينـا، لم يعـترف به أبـوه في حياتـه، ولم يظهر له أي أثر عبر التاريخ. وما قيل ويقال عن رؤيته واللقــاء به قديما وحديثا ما هو الا إشاعات واهية لم يسندها أي دليل.

واذا كـان الشـيخ علي آل محسن نفسه يعـترف بـأن الـدليل التـاريخي ظـني ويمكن أن يُنـاقش فيـه، فكيف حصل له الجـزم الذي ادعاه بعد ذلك من تلك القصص التي رواها بعض الحشـوية المتأخرين بلا دليل؟ خاصة وانه لم يقم بدراسة تلك الروايـات ولا التحقيق فيها ومعرفة سـندها، أو ملاحظة التنـاقض الكبـير الـذي يوجد بينها، مما يدل على اختلاقها في وقت متـأخر، وقد بحثنا كل تلك الروايات بصورة مفصلة في كتابنـا، فلمـاذا أغمض عينيه عن ذلك؟

وبعد أن ألغى الشيخ علي آل محسن أهمية الدليل التـاريخي وعجز عن الاستشهاد به بصـورة علميـة، لجأ الى الـدليل الثـالث، وهو ما يسـمى بالـدليل الـروائي (النقلي) الـذي يحتـوي على مجموعة روايـات تنسب الى رسـول الله (ص) أو الى الأئمة السابقين، وتتحدث عن (الامـام الثـاني عشـر). وقد خلط الشـيخ علي هنا مرة أخرى بين هذا الدليل والدليل التـاريخي، فقـال:"إن الأدلة الروائية التي أسـماها أحمد الكـاتب أدلة تاريخية تـدل على ولادته (ع)" في حين أني لم أسـمها بـذلك، وانما فـرقت بينها وبين الدليل التاريخي الذي عـنيت به الرؤية والمشـاهدة القطعية للوليـد، وعلي أي حـال فقد ذكر الشـيخ علي مجموعة روايـات تتحدث عن أن المهـدي هو التاسع من ولد الإمـام الحسـين (ع) ثم قال :"إن هذه الرواية صحيحة السـند، وهي دالة بوضـوح على أن المهـدي هو التاسع من ولد الحسـين (ع)، ولا تاسع من ولد الحسين (ع) صالح للإمامة إلا الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العسكري (ع)".

ونقول له: أولاً: ما هو دليلك على صحة السند؟ ثم إنك تقـوم بعملية افتراض، لا دليل عليها، ثانيا، ولا تحصل على أية نتيجة من هـذا الكلام، ثالثـاً، إذ لم يثبت وجـود ولد للامـام العسـكري، ولم يظهر أي إمام معصوم منذ وفاة العسكري.

وما فائدة الروايات، حتى اذا كانت مليـون رواية و"صـحيحة" على زعمك، اذا كانت كلها تتحدث في الهواء، لا تقدم للأمة إماما من الله يقودها ويبني دولتها؟ وتترك الشيعة والمسـلمين حيـارى بلا إمام، أو تدفعهم لانتخاب إمامهم بأنفسهم؟.

ان مشكلة الشيخ آل محسن والاثني عشرية عموما، أنهم يصدقون الروايات التي ذكرها ما يسمى بالنواب الأربعة الخاصين وحواشيهم الذين ادعوا وجود الولد والنيابة الخاصة عنه، ويعتمدون عليها دون تفكير أو مناقشة أو تحقيق، واعتبار الفئة التي قالت بوجود الولد، في عصر الحيرة، في قمة التقوى والورع والصدق والاخلاص، في حين يفترض بأي إنسان أن يقف على الحياد وينظر الى قصة وفاة الامام العسكري دون خلف في تلك الظروف الغامضة، وانشقاق الشيعة الى أربعة عشر فرقة، ويحاول التأكد من دعوى أي فريق، خاصة مع عدم وجود أي أثر لذلك الولد المدعى أو المفترض. فكيف اذا تبين أن أعظم وأقوى دليل على وجوده ليس الا افتراضا فلسفيا قائما على نظرية الامامة، التي كانت ستنهار بصورة كاملة وتنقرض لو لم يتم افتراض وجود إمام غائب؟

وفي الحقيقة ان نظرية الامامة انقرضت وانتهت، ولم تبق حية الا في خيال من آمن بوجود الولد وظل ينتظره منذ ذلك الحين الى الآن.

ورغم كل ما جاء به الشيخ علي من روايات فانه لم يستطع أن يشير باصبعه الى وجود الامام في الخارج، وانما الافتراض و"الحكم" بولادته ووجوده، حيث قال:"من كل ما تقدم نرى أنه لا مناص من الحكم بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري (ع) بحسب دلالة الروايات الصحيحة التي ذكرنا بعضاً منها، وأن إنكاره مكابرة واضحة ممن يعتقد بروايات أهل البيت (ع) المروية في كتب الحديث المعروفة عند الشيعة كالكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه وغيره، ويسلك الطريقة المعروفة في تصحيح الأحاديث كما زعم أحمد الكاتب في كلامه".[343][4]

وهذا ما يؤكد تجاهل الشيخ علي آل محسن حالة الشك الطبيعية والمعقولة والشرعية التي أعقبت وفاة الامام العسكري دون خلف ظاهر، والتقليد الأعمى لمؤسسي المذهب الاثني عشري وتقديسهم أكثر من اللازم، مع أنهم اعترفوا بعدم وجود أدلة تاريخية علمية قطعية على ولادة بان للامام العسكري،

---

[343][4] - ص 49

وانهم لم يقولوا ما قالوا الا افتراضا وظنا وتخمينا، وقد أيد الشيخ علي ذلك أيضا عندما اعترف بأن الدليل التاريخي ظني ويمكن أن يناقش فيه، مما يدل على ان القول بوجود الامام الثاني عشر ليس الا فرضية فلسفية لا حقيقة خارجية لها.

وان هذا القول لم ينبع الا من ظروف الحيرة والأزمة الفكرية التي وقع فيها الشيعة الامامية بعد وفاة الامام العسكري دون أن يشير الى من يخلفه في الامامة، ودون أن يتحدث عن وجود ولد له لا في السر ولا في العلن.

وتظهر ملامح تلك الحيرة والأزمة الفكرية، في مقال آخر للشيخ علي آل محسن يقول فيه:"إنا إذا لم نقل بولادة الإمام المهدي عليه السلام فإنه تلزم محاذير كثيرة لا يمكن التفصِّي منها، مثل خلو هذا العصر وما قبله من الأعصار من إمام صالح للإمامة، وخلو هذا العصر من إمام من العترة الطاهرة، ووقوع كل المسلمين في الإثم لعدم بيعتهم لإمام في هذا العصر... وغير ذلك من المحاذير الكثيرة التي لا يمكن التسليم بها. وإنا إذا لم نقل بولادة المهدي عليه السلام وبقائه، فلا يكون أي مصداق في هذا العصر لحديث الثقلين، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). وإذا لم يكن الإمام المهدي عليه السلام موجوداً فلا إمام من العترة الطاهرة يصلح للتمسك به، فلا يكون لهذا الحديث أي معنى في عصرنا، فيكون باطلاً، وهذا لا يمكن القول به، فإن جمعاً من علماء أهل السنة استفادوا من الحديث ـ كما هو الصحيح ـ وجود متأهِّل من أهل البيت يصلح للإمامة إلى أن تقوم الساعة، وإلا لافترق الكتاب عن العترة، وهذا ما نفاه الحديث. وإنَّا إذا لم نقل بولادة الإمام المهدي ووجوده فلا بد من القول بأن كل المسلمين في عصرنا وفي العصور السابقة لعصرنا ميتتهم ميتة جاهلية، لقوله صلى الله عليه وآله: (مَنْ مات وليس في عنقه بيعة فميتته ميتة جاهلية).[344][5]

وبدلا من أن يعترف الشيخ علي آل محسن بالواقع الذي يؤكد عدم وجود إمام معصوم منذ أكثر من ألف عام، على الأقل،

---

[344][5] - http://www.almohsin.org/?page=articles&action=show&id=6
رمضان 1424 3

والذي دفع الشيعة بعد انتظار طويل الى البحث عن امـام جديـد، فانه يغالط نفسه ويصر على افتراض وجود ذلك الامام في عـالم الخيال والأساطير، ويحاول أن يرسم له أعمالا أخرى غير الامامة مثل مهمة الاسعاف الفوري على مستوى العالم لمن تلم به نائبة أو تحل به مصيبة. أو حفظ الدنيا من الزوال.

وطبعا فـان دعـواه هـذه أيضا قائمة على الظن والتخمين، ولا أســـاس لها من الواقـــع، ولكنه ما ذا يفعل وقد وقع في ورطة افتراض ذلك الامام، واعتقد أنه موجود. وعنـدما واجه سـؤالا عن الحكمة وراء غيبة الامام إذا كـان الله قد عينه لقيـادة المسـلمين وإقامة الدولة الاسلامية، لم يجد الشـيخ علي آل محسن جوابا الا بإحالة الأمر على الله والادعاء بـأن وراء الغيبة حكمة لا يعرفها الا الله تعالى:"إنَّا إذا عوَّلنا على حكمة الله سـبحانه، فلا بد من وجـهٍ حسن في جميع ذلك وإن جهلنـاه بعينـه، وبـذلك نسد البـاب على مخالفينا في سؤالاتهم، إلا أنّا نتبرّع بـإيراد جوابـات تلك المسـائل على سـبيل الاسـتظهار وبيـان الاقتـدار:أن الإمـام (ع) ينتفع به الناس وإن كان غائباً، فغيبته لا تمنع من أن تكون له منـافع مهمة وفوائد جليلة غـير ما يتعلق بتبليغ الأحكـام الشـرعية، مثل رفع العـذاب عن النـاس، لأن الإمـام من أهل الـبيت (ع) أمـان لأهل الأرض من العـذاب كما ورد في حـديث جـابر الأنصـاري (رض) عن النبي (ص) أنه قال: النجوم أمان لأهل السماء، فـإذا ذهبتْ أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنتُ، فإذا ذهبتُ أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمـان لأمـتي، فـإذا ذهب أهل بيـتي أتـاهم ما يوعـدون.ومع أن كل وظـائف الإمـام (ع) في زمـان الغيبة لا نعلمها ولا نحيط بهـا، إلا أن كثـيراً من الشـيعة الـذين وقعـوا في مآزق وخطـوب وبلايـا، لقيهم الإمـام (ع) فخلّصـهم من محنهم، وأعانهم في شدَّتهم".

وأخيرا يقول:"إن الإمام (ع) ليس بغائب عنّا، بل نحن لا نعرفه بشخصه، ولا نميِّزه عن غيره".

غير إن قوله هذا لا يقدم ولا يؤخر، ولا يغير من الحقيقة شـيئا، وهي ان الشيعة وعامة المسلمين ليس لهم اليوم إمام معين من اللــه، يمكنهم الالتفــاف حوله ومبايعته خليفة لهم، ولــذلك وجب عليهم المبادرة لانتخاب من يشاءون من الرجال العـدول الأكفـاء الصالحين أو العلماء الورعين ليكونوا أئمة معاصرين لهم.

هل يستطيع الشيخ علي أن يقول غير ذلـك؟ الا أن يلـتزم بنظرية الانتظار لذلك الامام الغائب أو اللاغائب ، الى يوم القيامة.

---

28 - مع الشـــيخ نعمة هـــادي الســـاعدي، في كتابـــه: (الامام المهدي من الشك الى اليقين)[345]

بين الشك العلمي المنهجي، واليقين الساذج الموروث

الشيخ نعمة الساعدي هو أحد أساتذة الحـوزة العلمية في النجف الأشـرف، وهو كما يعـرف نفسه أحد تلامـذة الشـيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم، وقد انبرى للرد على السؤال الذي طرحه كتاب (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) حـول وجـود الإمــام الثــاني عشر (محمد بن الحسن العســكري) من منطلق الإيمان الموروث التقليدي الثابت بـه، واتهـام الـرفض له بالشك العبثي المناقض لروح التسليم، فقال:"الشاك في قضية المهــدي (ع) اما مصاب في نفسه أو عقله أو جاهل أو متجاهل أو متعصب أو هو رهين التقليد الأعمى لا يتحــرر منــه، ولو انطلق في الآفـاق العلميـة، وما أكـثر هـؤلاء الـذين يعيشـون في الرواسب والظلام الفكــري وان ادعى الفضل والفضـيلة والــوعي، ولكنه أعمى في هــذه الــدنيا يحتــاج الى بصــيرة في أمــره وتبصــير في أمــور الـــدين".[346] وتســـاءل:"لمـــاذا الـــتردد والاســـتغراب؟ ولمـــاذا التشكيك؟ وكأن قضية المهـدي قضـية ليس لها سـابق ولا جـذور وأصـول؟" وأضـاف:" كـثر الشـاكون والمشـككون والمـترددون وتكـاثروا في هـذا العصـر، فـالعجب من رجل مسـلم قد عـرف الاســـلام وتثقف بثقافة اســـلامية كيف لا يهضم قضـــية الامـــام المهـــدي، ولم يعها حق وعيهـــا. أنا أعجب منه كيف يشك بامامة المهدي، مهدي هـذه الأمـة، وكيف يـتردد بخروجه وقيامه بـالأمر، كيف وقد أجمع عليه المسـلمون في كل العصـور الاسـلامية. وقد سـجل البـاحثون من علمـاء الحـديث قـوائم في احصـائيات من أسـماء علمـاء العامة الـذين اعـترفوا به وبظهـوره وانه من ذرية الحسين ورووا فيه الروايـات الكثـيرة عن الرسـول (ص) ان صح

---

[345] - الطبعة الأولى، مطبعة محمد، ايران، 1382 هـ ش (2003)
[346] - ص 38

هــذا القــول، فلا شك ولا ريب فيها وقد ملئت الكتب الاســلامية بالأحـاديث والروايـات. وبـدأت حملة جديـدة يقودها رجل أو أكـثر من رجل وهو يعلن الاســلام ويقــول: أنا رجل مســلم عـــرفت الاســلام واعــترف بالخلفــاء بعد محمد (ص) ويؤيد العلمــاء من العامة ولا يتردد برواياتهم.. ويطرح الروايـات... وأعجب منه رجل آمن بالامامة بعد النبــوة واعــترف بــآل النــبي أئمة وقــادة بعد الرسول، واعتقد بضرورة الامامة وضرورة وجود الامام واعــترف بعلي قائدا شرعيا ومن بعده آله الأحد عشر امامــا... ثم اذا وصل الى الامام الثاني عشر الامام المهدي تـردد وشك فيـه. كيف وقد نص عليه أبوه وأجداده وبشر به الرسول؟".[347][3]

واعتبر الشك داءا خطيرا فقال:"ماذا نقول لهذا الشاك؟ وكيف تولد عندك هذا الشك؟ وهل تعلم بأنك قد أصبت بهـذا الـداء؟ انه داء خطير ويصعب علاجـه، وهو ضـرب من الوسـواس والخـواطر الشيطانية؟ أو هو من ضعف القـوى ؟ أو هو من سـيطرة القـوى الشيطانية الشريرة؟". [348][4]

وتســاءل:"كيف يشك الانســان؟ ولمــاذا يشك في أمر قــام الاجمـاع عليـه؟ وهل يتحـول هـذا الشك الى يقين؟ ولمـاذا يشك الانسـان المسـلم في قضـية هـذا الامـام الثـاني عشر اذا كـانت قضـية واقعية عاشت عصـورا في نفـوس الآبـاء والأجـداد**؟** لمـاذا يكـثر القـال والقيل في الامـام المهـدي دون غـيره من القضـايا الدينية والاجتماعية؟ ولماذا هذا التشـكيك؟ أهو ثقافة جديـدة في عقلية تدعي الوعي؟ وقال:"أما أنا فقد آمنت واعتقدت وصــدقت لأنني عرفت محمـدا نبيا صـادقا... وهو الـذي قـال صـادقا ودعانا الى هـــذا الامـــام، ولا بد لنا من معرفته خشـــية من أن نقع في أحضـان الجاهلية والتخلف والضـلال "من مـات ولم يعـرف امـام زمانه مـــات ميتة جاهليـــة" واقتضت ارادة الله ان لا تخلو الأرض من حجة، فهو أمام العصر ولكل عصر امام. وقد آمنا وهي قضية لا ريب فيها ولا شك فيهـا، وللشك جـذور وعوامل وأسـباب، واذا ســألنا هـــذا المشـــكك كيف صـــرت مشـــككا؟ وما هي عوامل التشكيك؟ لا يجد الجواب، ولا جوابا منطقيا**"**.[349][5]

لقد ولد الشــيخ الســاعدي ونشأ في بيئة شـيعية إمامية اثـني عشرية، وورث إيمانا تقليديا بوجود الامام الثاني عشر وغيبته منذ منتصف القرن الثالث الهجـري، وترعـرع على مبـدأ الانتظـار لـه،

---

[3][347] - ص 106
[4][348] - ص 203
[5][349] - ص 195

ولـذلك اعتـبر الايمـان به أصلا عقائـديا ثابتا ويشـكل جـزءا من الاسـلام، والتشـكيك به موقفا طارئا وغريبا ومنافيا للعقيـدة الاسلامية. ولو أن الشيخ الساعدي نظر الى الأمر من خارج إطار الفرقة الاثـني عشـرية، أو عـاد الى الـوراء ليقـرأ تـاريخ الشـيعة الامامية عند وفاة الامام الحسن العسكري، ورأى الغموض الـذي يلف مسألة وجود الخلف، والحـيرة الـتي عصـفت بشـيعة الامـام العسكري، واستمع الى أهل البيت وهم ينفون وجـود أي ولد لـه، لأدرك أن الأصل في القضية هو الشك، وأن الإيمان به يحتاج الى دليل، وان الدليل العلمي القاطع مفقود، وأن القول بوجـود الولد لم يكن سوى افتراض فلسفي وهمي مخالف للظـاهر والقـوانين الشـرعية الاسـلامية. وفي الحقيقة لو أن الشـيخ السـاعدي بـذل مزيدا من الوقت لتأمل مبررات الشك بوجـود الامـام الغـائب، أو درس ظروف نشأة النظرية الاثني عشـرية، لربما كـان له موقف آخر.

يقول:"بادرني أحد الشباب قائلا:

- ان قضـية الامامة بهـذه السلسـلة – اثنا عشـر- لا زيـادة ولا نقيصة، وان المهدي إمام، وانه سوف يخرج ويمـارس أعماله في إمامة الأمة والايمـان بـذلك، والاعتقـاد بهـذه المسـألة على أنها مسـألة تثبتها النصـوص وقوامها الروايـات والأحـاديث المروية المسـطرة في كتب، لم يقـدر لها أن تـدرس دراسة موضـوعية ليحذف منها الضـعيف الموضـوع، وفي هـذه الأحـاديث ما لا يقبله العقل الحديث، وإذا كانت قضية المهدي مسألة أساسها الروايات فانها لا تصـلح دليلا ولا تثبت شـيئا، فـاذا توقفنا عند الاحـاديث لأن فيها ما لا تطمئن له النفوس ولا تصدقه العقـول، فـاذا ترددنا في هذه الاحاديث واذا طرحنا هذه الاحاديث كـان هـدرا وطرحا لهـذه القضية من جذورها، لأن الأحـاديث ورواتها وأسـانيدها ومصـادرها بحاجة الى دراسة وتمحيص ونقـد، فهي بنفسـها أحـاديث سـقيمة وضـعيفة وقابلة للتأويل والتحليـل، وحـتى رواتها تـدور حـولهم الشـبهات، وقد وجـدنا حـولهم نقـاط تعجب واسـتفهام وعلامـات ترقيم جديدة، قد غفل عنها القدماء ، فهي روايات مضطربة احتج بها كل فريق على إثبات أن المهدي هو ما يراه هو وآمن بـه، وما ورد فيها ما هو الا مجملات وعبـارات مغلقة غـير واضـحة الدلالة والمدلول، وهي روايـات لا تثبت الامـام المهـدي عينا وذاتا ونسـبا وزمانا، وما ورد فيها (المهدي). وكلمة (المهـدي) تنطبق على كل رجل هداية داع للهـدى، فهي وان دلت فلا خصـوص فيها على أن المهـدي هو (محمد بن الحسن من ذرية علي وفاطمـة)، فهي تحمل البرهان المنطقي للنـاس كافـة، أو يؤخذ بها حجة مقبولـة،

ولا تزال قضية المهدي من القضايا المتأرجحة بين طائفة وأخـرى عند المســلمين، وكل يـــدعي الحق وينسب البطلان والكـــذب والوهم لغيره". [6]350

"وقال هذا الشاك: الامـام امـامٌ على الأمة وللأمـة، وانما خلق ونصب ليقـــود الأمة وينفع الامة ويسوســـها وليس هو اماما على نفســه، ومن أجل نفسه وذاتــه..اذن ما الفائــدة به اليــوم لهــذه الأمة؟ والأمة ما أحوجها اليـه؟ وما هي ثمـرة هـذا الامـام الغـائب وهو لم يقدم نفعا لأي فرد من أفراد الأمة، ولم تصـدر منه فتـوى ولا إرشاد ولا قضاء ولا عطـاء فكـري؟ امـام مسـتور مختفي ولم يــــره أحد اليــــوم، خصوصا في عصــــرنا، ولا ينتفع به أحد من المسلمين، وحتى البشر جميعا؟". [7]351

وكما لاحظنا فان الشيخ الساعدي نقل مبررات الشك بوجود الامام الثاني عشر، من التشكيك بانطباق النظرية الاثني عشـرية عليــه، الى التشـــكيك بصـــحة الروايـــات الـــتي تعتمد عليها تلك النظرية، الى التساؤل عن معنى الامامة وفائـدة الامـام الغـائب؟ فضلا عن ضعف دلالة أحاديث المهدوية على وجود شخص (محمد بن الحسن العسكري). وهذه نقاط مهمة جدا تبرر الشك بوجوده وولادته، خاصة اذا أخذناها في ظل عدم تصريح الامام العســكري بوجود ولد له في حياته، والوصـية بأمواله الى أمـه، وعـدم وجـود نص صريح وصحيح على إمامة الثـاني عشـر. وهـذا ما يعـترف به الشيخ نعمة هادي السـاعدي نفسه حيث يقـول:" ان غيبة الامـام المهـــدي أوقعت أبنـــاء هـــذه الامة بمشـــاكل اجتماعية وفـــرقت صـــفوفها، وخلقت الأفكـــار المضـــادة وســـببت التخلف والابتعـــاد والتباعد عن الكتاب، فلو قـرؤوا كتابا مقبـولا عن الامـام المهـدي لما حصل الذي حصل...وما أحوج هذه الامة الى الامـام في هـذه الأيام السوداء وما يقوله أبناء هذه الأمة فهو افصـاح عن الجـروح والآلام والكبت، فقد سـمعنا من يقـول: اذا كـان هـذا الامـام قد خاف من حكام عصره أو كـان في حـذر وخـوف وريبة منهم فهل ذلك باق في هذا العصر وهذه الأيام؟ واذا خاف الامـام من الآبـاء والأجداد فما ذنب الأبناء؟". [8]352 "وأظنني صـادقا اذا قلت ان غيبة الامـام المشـكلة الكـبرى والـداء الخطـير الفتـاك، وان غيبته ان طـالت واذا طـالت وامتـدت في الزمـان فلا تـدري أين الهـدى والهداية والساحل والوقاية والنجـاة والتحـرر من كل ذلـك، أتبقى

---

[6]350 - ص 48

[7]351 - ص 68

[8]352 - ص 173

في دوامة وفي دائــرة لا تعــرف النهاية كثــيرة الاعــداء؟ وكيف تواجه الزمن والأزمات والأحداث؟".[353][9]

ومع ذلك فان الساعدي يقول:"المهم هو الايمان به وبوجـوده، والتخلص من عقدة الشك التي سيطرت على أكبر عـدد من هـذا الجيل؟ وكيف القضاء وإزالة هذا الداء الذي سمم الأفكـار وعطل المشـاعر. ان الشك مـرض خطـير يهـدد العقلية ويفتك بـالنفس فيسلب راحتها وهو ضرب من ضروب العذاب ". [354][10]

ويقول:"تعال معي أيها الانسان لتتخذ من الشك أسلوبا ومنهجا ومســارا وحركة في مسـيرتنا نحو الوصـول الى اليقين، ويكـون الشك خطـوة ومرحلة أولى نسـلكها للوصـول الى رحـاب اليقين الى ساحة الحقيقة، وهو الهـدف المقصـود وهو اليقين وهو الحق اليقين... ولو ســألنا هــذا الشــاك: كيف ولد الشك في نفســك؟ ..أتــدري أنك لا تــؤمن بالحقيقـــة؟ اذن أنا على يقين وأنا معتقد وأنت من المشككين؟..فلماذا أنت مشكك ولمــاذا أنا على يقين؟ هل تســـأل نفسك لمـــاذا لا تأخذ بالحقيقـــة؟ وهل في الحقيقة شك؟".[355][11]

ويضـيف:" الحمد لله الذي أخرجنا وبصـرنا وعرفنا الحقيقـة، وعرفنا وليــه، ووصــلنا الى رحــاب الهداية والنــور، واقتربنا الى التمسك بالعروة الوثقى... والحقيقة هي الحقيقة ولا يضرنا قــول النـاس وان قـالوا وتقولـوا، فلو كـانت بأيـدينا درة وعرفناها ثمينة عن بصيرة ووعي ودراية واختبار فلا يضرنا من قـال انها فحمة أو كثرت الأصوات بأنها لا ثمن لها في الأسواق". [356][12]

ويدعي الشيخ الساعدي أن إيمانه بوجـود الامـام الثـاني عشر مبني على أخبار متواترة مروية جيلا بعد جيل ، فيقول:"قد تسـأل عن هذا اليقين المغروس في النفوس انما هو نتيجة علم وانفتـاح وتنمية قضايا منطقية وتأملات ومعادلات صحيحة؟ لا قضايا وهمية أو ظنية أو أخبار آحـاد أو تقليد الآبـاء؟ فـان أخبـار الآحـاد لا تبـني عليه قضية ولا تغرس إيمان، وانما هي أخبـار متـواترة رواها جيل بعد جيل، وتسالم عليها الخلف عن السلف والأبنـاء والأحفـاد عن الآباء والأجداد".[357][13]

---

[353][9] - ص 167
[354][10] - ص 233
[355][11] - ص 199
[356][12] - ص197
[357][13] - ص 236

ان المسألة، في الحقيقة، ليست بهذه البساطة التي يحاول الشيخ الساعدي تصويرها بها، وانما يحتاج التخلص من الشك الى معرفة ويقين، وهذا غير موجود في مسألة وجود الولد للامام العسكري، التي قامت أساسا على الظن والتخمين والافتراض، وحفت بعد ذلك بمجموعة من الروايات الضعيفة والمختلقة والمأولة وحكايات العجائز والأساطير. ولا يوجد حولها أي تواتر ولا إجماع، كيف وان شيعة الامام الحسن العسكري أنفسهم قد انقسموا الى أربعة عشر فرقة؟ فضلا عن إنكار بقية الشيعة وسائر المسلمين لها. إذن فانها بحاجة الى مراجعة جادة وشاملة وجذرية، بدلا من الرد السريع العاطفي والمستند الى التقليد الموروثة.

ان الشك بوجود (الإمام الثاني عشر الغائب) شك علمي ومنطقي ومعقول جدا، على العكس من الإيمان به الذي يتسم بقدر كبير من السذاجة والتقليد. وربما كان الشيخ الساعدي يميل الى هذا الشك لولا ركام الأحاديث الضعيفة المنسوبة الى أئمة أهل البيت والنبي الأكرم، والتي تشكل النظرية الامامية الاثني عشرية، والتي يصدقها الشيخ الساعدي بسهولة، ولا يجرؤ على نقدها خوفا من تكذيب الرسول الأعظم (ص) مع أنه ليس مطالبا بتصديق كل ما يروى عن النبي قبل فحصه ونقده وتمييزه، وبالتالي فان رفضه لأية رواية أو مجموعة روايات – اذا كانت ضعيفة – لا يتضمن تشكيكا بصدق الرسول الأعظم أو أئمة أهل البيت، بقدر ما يشكل تكذيبا لتلك الروايات ورفض نسبتها اليهم.

يقول:"أخبرنا النبي محمد (ص) بإخبارات كثيرة، وهي صادقة، وكل ما أخبر به فهو صدق، وإخبار الصادق يؤخذ به... والأخبار الواردة عنه في الكتب الاسلامية، وقد ملئت الكتب بهذه الاخبارات، وهي مروية ومنقولة عن الصحابة الكرام والتابعين الثقات، فكيف نكذب هذا ونشكك في هذا؟

أيها المشكك المبتلى المصاب، لماذا أنت في هذه الحالة؟ هل قرأت هذه الكتب الاسلامية، وأصحابها أعلم منك ومني، وأصدق منك ومني، هل نشك في هذه الكتب الصادقة ؟ أم نشك في التابعي الصديق الناقل عن الصحابي الكريم، والراوي عن أصدق من خلقه الله، الصادق الأمين، وظهرت الدعوة للمهدي أيام النبوة، ثم في عصر الصحابة، وفي عصر التابعين، وفي عصر

المحدثين من المسلمين، وفي عصر أحفاده الأئمة الهداة الكـرام البررة". 358[14]

ها هنا يكمن سر الشك بوجـود الامـام الثـاني عشـر، أو رفض الإيمان به وبنظرية الامامة الالهية لأهل البيت.
ولكن الغـريب من الشـيخ السـاعدي، الـذي يفـترض أنه قضى عمــره في الحــوزة العلميــة، هو الخلط بين تصــديق الرســول وتصديق الروايات الضعيفة المنسوبة اليـه، والخـوف من تكـذيبها خوفا من تكـذيب الرســول. مع أن هــذا أمر يدركه طــالب العلم الابتـــدائي ، خاصة في المـــدارس الأصـــولية، وربما حـــتى في المدارس الأخبارية الحشوية التي تعـترف إجمـالا بوجـود أحـاديث مكذوبة على الرسول الأكرم.
يقول الشيخ نعمة الساعدي:"اذا صدقنا الرسول (ص) وآمنا به وقـام الاجمـاع على صـدقه، وقد ثبت ذلك فعلا، فما هـذا الـتردد والانشــطار في قضــية الامــام المهــدي؟ فــاذا شــككنا فيه وفي ظهوره وفي ولادته وفي حياته وطول عمره فقد شككنا في غيره **لأن الدين وحـدة لا تتجـزأ لا ينفصل بعضـها عن البعض الآخر،** فقد ورد:"من كذب آية من كتـاب الله فقد نبذ كتـاب الله وراء ظهــره". و" من كــذب بآية من كتــاب الله فقد نبذ الاســلام وراء ظهـره، وهو المكـذب بجميع القـرآن والأنبيـاء والمرسـلين". واذا شككنا في الامام الثاني عشر شـككنا بإمامة من سـبقه، لأن السـابق نص على اللاحـق، وأخـبر عنـه، فـاذا شـككنا في علي شـــككنا بما ورد فيه وعنه عن رســـول اللـــه.. واذا شـــككنا في الحسين وتصرفاته فقد شككنا في قول الرسـول فيـه. ان الشك والــتردد في القضــايا الدينية دليل على ضــعف الايمــان أو على التخلف والجهل وعدم الانفتاح والقـدرة على الهضـم... فمن آمن بالرسول وصدق كيف يصاب بالشك والتشكيك، وهو القائل هناك إمام له عصره وله دوره وأهل زمانه؟". 359[15]

ونسي الشـيخ السـاعدي أن الشك بالأحـاديث وفي نسـبة أية نظرية الى الرسول، لا يعـني بالضـرورة الشك بالرسـول نفسـه. فقال أيضا:"الشك في المهدي يدعوك الى الشك في حديث آبائه وأجــداده ومن ثم الشك في أحــاديث الرســول (ص)، ويتسلسل عنــدك هــذا الشك وتتولد منه شــكوك ويتعــدد ويتحــول الشك

358[14] - ص 234
359[15] - ص 192 – 193

البسيط الى شك مركب، وحتى المركب يتمركز ويتولد منه عناد وأمراض نفسية...
واستشهد الساعدي بقول معروف لأئمة أهل البيت وهو :"**لا تنقضوا اليقين بالشك". فقال:** ما دمنا آمنا بالامامة التي يتفرع بعد كل امام امام ولا تخلو الأرض من قائم وهادي وداعي وحجة فلا نشك بعد هذا اليقين، والامام الثاني عشر الذي جاء بعد آبائه، هو الامام الذي ختم الله به الامامة ولا امام بعده، وهو منتهى من ثبتت له الامامة ولا يأتي بعده امام".[360][16]
ولكن الشيخ الساعدي في الحقيقة قلب الموضوع، فان اليقين الثابت المروي بإجماع المؤرخين والرواة الشيعة هو عدم إعلان الامام العسكري لوجود ولد له في الظاهر، وهو ما يحتم الالتزام قانونيا بعدم وجود ولد له، في حين ان الادعاء بوجود ولد له في السر هو قول ظني مشكوك فيه، ولا يجوز التمسك به **لأنه نقض لليقين بالشك**.
وهناك قاعدة أصولية أخرى يعرفها علماء الدين، وهي: (اصالة العدم) ويحتاج نقضها الى دليل قاطع، فهل يمتلك أصحاب فرضية وجود الولد دليلا كهذا؟
ان الشيخ الساعدي يعترف بعدم وجود نص صريح من الرسول الأكرم على الامام الثاني عشر، ولكنه يدعي وجود نص عليه من الامام العسكري، فيقول:"اذا كان النص دليلا في اثبات وثبوت الامامة فان أباه الحسن العسكري (ع) هو الذي نص عليه بالامامة، وهو دليل مقبول يؤخذ به، وهنا ننطلق في آفاق فكرية واسعة، وندخل في قضايا منطقية، فالايمان باللازم تصديق بالملزوم والاعتقاد بالشيء وانه حقيقة ثابتة يقتضي الأخذ بكل لوازم ذلك الشيء ، وبيان ذلك: نحن اذا آمنا بضرورة الامامة بعد النبوة، ونحن اذا صدقنا الرسول في نبوته وأخذنا أقواله في حق علي ... وانه المرشح للامامة بعده بلا منازع.. فهو أمر متعين.. ونحن اذا صدقنا عليا ..علينا أن نأخذ بقوله ..فاذا نص على ولديه الحسنين أخذنا به دليلا، واذا نص الحسين على ولده السجاد بأنه امام بعد ابيه، واذا نص السجاد على ولده الباقر صدقناه، واذا نص الباقر على ولده الصادق، واذا نص الصادق على ولده الكاظم، وهكذا .. واذا نص الحسن العسكري على ولده المهدي انه امام هذه الأمة من بعده، صدقنا قول الحسن العسكري، وأخذناه دليلا، والتزمناه حجة مقبولة، والنتيجة من ذلك النص أن المهدي هو الامام والحجة بعد ابيه.

---

[360][16] - ص 212

واذا نحن ترددنا في ذلك هـدمنا الامامة وجزأنا الامامـة... وتجزئة الامامة مســألة خارجة عن الــدين.. وهو خلاف الحــق، فالامامة مسألة متكاملة الأطراف تبدأ بعلي وتنتهي بالمهـدي مسـألة كلية لا تتجزأ عددا معـدودا اثنا عشر اماما لا يمكن تجزئة ذلك لا عـددا ولا فكرة... فالايمان بعلي امام أولاً يلزم الايمـان بالمهـدي إمـام هذه الأمة، وهو الثاني عشر".361[17]

ان في كلام الشيخ الساعدي هذا عـدة نقـاط، فهو يـدعي نص الامام العسكري على إمامة ابنه، وهذا خلاف الظاهر والمعــروف والثـابت من أنه لم يعـترف بوجـود ولد في الظـاهر فكيف ينص على إمامته؟ واذا كانت هنالك نصوص حول الوجود والامامة فهي سرية وضـعيفة وافتراضـية، وتقـوم أساسا على نظرية الامامة أو النظرية الاثني عشرية، الـتي ولـدت فيما بعد خلال القـرن الرابع الهجري. وربما كانت مخاوف الشـيخ السـاعدي من انهيـار نظرية الامامة في حالة عدم ثبوت وجـود الامـام الثـاني عشـر، صـحيحة وفي محلهــا، ولكن مجــرد وجــود المخــاوف من الانهيــار لا يــبرر افتراض وجود الامام الثاني عشر، بلا دليل علمي قاطع.

واذا ثبت عــدم وجــود دليل شــرعي على ولادة ولد للامــام العسكري، فلا بد من مراجعة نظرية الامامة نفســها، والتأكد من حقيقة فكر أهل الــبيت السياســي، وفيما اذا كــانت تلك النظرية تحظى بتأييدهم أو انها هي الأخرى نظرية مختلقة ومنسوبة اليهم بغير علم منهم.

هذا هو التفكير المنطقي السليم، ولكن الشيخ الساعدي الذي يشعر بضعف النصوص ، يصر على اللجــوء الى منطق الافـتراض الفلسفي ليثبت وجود الامـام الثـاني عشـر، فيقـول:"التوقف في الامام المهدي أو الشك، يلزم التردد في النصوص، والأخذ بطرف من الامامة وطــرح الآخر هــدم لمفهــوم الامامــة، **ومن بــاب الملازمة نقول بإمامة المهدي** (ع). فان القــول بإمامة علي (ع) يلزمه القـول بإمامة ولـده الحسـن، لأنه نص عليـه، والقـول بإمامة الحسن يلزمه القــول بإمامة أخيه الحســين لأنه خليفتــه، وهكــذا ينص على من بعــده، لأنه إمــام، ورفض إمامة المهــدي يلزمه رفض وطــرح ما ورد عن الحسن العســكري (ع) واذا لم تأخذ بما ورد عن الحسن العسكري معناه قلنا بعـدم امامتـه، ولم تلــتزم بما قاله وصــدر عنه وصــرح بــه، ونســتدل على امامته باللابدية العقليــة، وهي كما صــورها العلامة الحلي في (البــاب

361[17] - ص 53 – 55

الحـــــادي عشـــــر) لأن كل زمـــــان لا بد فيه من إمـــــام معصوم.فراجع".[18]362

ويقول:"هذا أحد العلماء من علماء النجف الراحلين وهو محمد حسين المظفر باحث وكاتب ومفكر في قضايا العقيدة وأصــولها، ومــدافع عنهــا، ورد الشــبهات الكــافرة، يقــول:" وبهــذا الــدليل المنطقي ، وهو يــركب شــكلا منطقيا مؤلفا من صــغرى وكــبرى ونتيجة وقضــية مؤلفة من نقــاط أربعة مقبولة منطقيا ولكن فيها صعوبة تحتاج لعقل يدرك هذا التسلسل من المقدمات:

المقدمة الأولى: ان العالم بحاجة لإمام مصـلح يغـرس الأمـان والثقة في النفوس، لأن الله لا يترك العالم مضطربا.

المقدمة الثانية: الكتاب والسنة غير وافيين في العلم والتطبيق

المقدمة الثالثــة: كـان على الله اللطيف أن ينصب للأمة إماما يدعوهم ويرشدهم.

المقدمة الرابعة: الامـام الصـالح واجب عقلي في هـذا اليـوم، فالامام الهادي المرشد موجود في هذا اليوم لا محالة". [19]363

ويضـيف:" ان قضـية المهـدي من القضـايا الضـرورية اللابدية العقلية المنطقية...لأن لكل زمان إمام ولا بد فيه من إمام، ولا بد من معرفة هذا الامام".
ص 200

ورغم ان هذا الاستدلال الافتراضي لا يقوم على علم ولا يقين، ويجانب المنطق، فانه يفـترض مـرة أخـرى ان الامـام هو (محمد بن الحسن العسكري) وانه غائب ولا يزال حيا لم يمت. وكل ذلك افـتراض في افـتراض وظن في ظن، وهـذا ما يعـترف به الشـيخ الساعدي حيث يقـول:" ان قضـية المهـدي أتعبت المفكـرين من المسلمين والباحثين، وخاصة علماء هذه الطائفة". ص 50

ويحاول الشيخ الساعدي ان يوجد نوعا من التلازم بين الإيمان بالامام الثاني عشر وبين النبوة والتوحيد، فيقول:"أفـتى كثـير من العلماء بكفر من أنكر المهدي، أما عنـدنا فـان من أنكـره أو شك فيه فانه قد هدم الامامة، وهـدم الامامة معنـاه فصل الامامة عن النبوة، أو تكذيب للرسول الذي بشر به، أو تشكيك في حديث آل محمد (ص) لأنهم بشـــروا به ..والحاجة الى النبـــوة هي الحاجة للامامة بعدها، والايمان بـالنبوة يلزمه ايمـان بالامامة بعـدها، واذا بطلت النبـوة بطلت الامامة بعـدها، وبـالعكس. ولو بطلت النبـوة

---

[18]362 - ص 50

[19]363 - ص 52 (راجع مبحث في الامام والامامة – طبعة النجف)

فصـلنا النبـوة عن التوحيـد. ولوجـود هـذا **التلازم بين التوحيد والنبوة والامامة كانت النتيجة: الايمان بامامة المهـدي المنتظر (ع)** وهي تشـــكل سلســـلة مرتبطة بعضـــها بـــالآخر، ويتوقف هذا على هذا، وحاجة الانسان الى النبــوة هي حاجته الى الرئاسة والزعامة السياسية، فالامامة ضرورية ولا استغناء عنهــا، فهي والنبوة في خط واحد".364[20]

ويؤكـد:"حاجة الأمة للامامة هي حاجتها للنبـوة، والامامة خلف عنها، وتؤدي ما أدت وتقوم بأعمال تكفل مسيرة الأمة ومسيرتها في الحياة، وما دام القرآن باق فالامـام بـاق، وهما متلازمـان في الوجود والبقاء تشريعا وتنفيذا".365[21]

ومن الواضح لكل قاريء مدى التطرف الذي يذهب اليه الشيخ الساعدي، مما لم يذهب اليه أحد من قبل ممن كتب عن موضوع الامـام الثـاني عشـر، وكيف انه يحـاول ربط قضـية ظنية وهمية افتراضية اسطورية بصلب الـدين الاسـلامي من التوحيد والنبـوة، بالرغم من عدم وجود دليل على ذلك.

وقد ادعى تكفير كثير من العلماء لمن ينكر المهدي، ولم يذكر اسم أحد منهم، ولا أسـاس التكفـير، مع ان موضـوع المهـدي لا يشكل أصلا من أصول الدين ولا ضروريا من ضرورياته.

أما ما ذكره من أن إنكار وجود المهدي يؤدي عند الشيعة الى هدم الامامة، وفصلها عن النبوة، فهذا صحيح، ولكن ذلك لا يـؤدي الى تكذيب الرسول أو التشكيك في حـديث آل محمد (ص)، لأنهم لم يــذكروا اسم المهــدي وانما تحــدثوا – فيما تقــول الروايــات الصـحيحة الــواردة عنهم – عن إمــام مهــدي عــام يعمل بــالحق والعــدل. وقد أخطأ الشــيخ الســاعدي كثــيرا عنــدما ســاوى بين الحاجة الى النبوة مع الحاجة للامامة، وقـال:"إن الايمـان بـالنبوة يلزمه الايمـان بالامامـة، واذا بطلت النبـوة بطلت الامامة بعـدها، وبالعكس. ولو بطلت النبـوة فصـلنا النبـوة عن التوحيـد. ولوجـود هذا **التلازم بين التوحيد والنبوة والامامة كانت النتيجـة: الايمان بامامة المهـدي المنتظر (ع)** وهي تشـكل سلسـلة مرتبطة بعضها بالآخر، ويتوقف هذا على هذا، وحاجة الانسان الى النبـــوة هي حاجته الى الرئاسة والزعامة السياســـية، فالامامة ضرورية ولا استغناء عنها، فهي والنبوة في خط واحد".

وذلك لأن بطلان نظرية الامامة الالهية لا يســـتدعي بطلان النبوة، إذ لا يوجد تلازم بين الأثـنين، ولا يوجد دليل صـريح وواضح على الإمامة في القرآن الكريم، ولـذلك فـان كل المسـلمين من

364[20] - ص 249

365[21] - ص 39

غير الشيعة وبعض الشيعة (كالزيدية) لا يؤمنـون بنظرية الامامـة. مما يعــني عــدم توقف اي منهما على الآخــر. وعــدم تشــكيل الامامة مع النبوة خطا واحدا، والعياذ بالله.

وحتى لو افترضنا صحة نظرية الامامة أو الاثني عشرية، فانها لا تدل حتما على وجود ولد للامام العسـكري، وانه المهـدي الغـائب المنتظر، إذ يمكن حساب أي إمـام آخر من أئمة أهل الـبيت مثل الامــــام زيد بن علي أو عبد الله الأفطح أو موسى المـــــبرقع أو غيرهم وتكملة القائمة الاثني عشرية.

ويبدو ان الشيخ الساعدي يلقي بالكلام على عواهنه، فهو تارة يتهم المنكر للمهـــــدي بـــــالكفر، ولكنه ســـــرعان ما يــــتراجع ليقــول:"الامــام المهــدي اتفقــوا عليه واختلفــوا فيــه... **وهــذا الاختلاف لا يضر في أصل الفكرة المنحـدرة** من الفكــرة الأصلية، نحن نسـميه المهـدي المنتظر وقـائم آل محمد من ذرية الحسين كما بشر به الرسول، فقد قال الرسول (ص) وهو يشـير الى الحسـين:"هـذا امـام وابن امـام وأخ لإمـام وأبو أئمة تسـع، تاسعهم المهدي". أما غيرنا يسميه بأسماء أخـرى، والاشـتباه في المصـداق الخـارجي ، والكل اتفق على المبـدأ والمنشأ والجـذور والبداية والمفهـوم، وانه وقع الاحتلاف في الخــارجي في الــذات وما أكــثر الاشــتباهات في المصــاديق الخارجيــة، وهم يســمونه البطل المحـرر والمصـلح للعـالم والمـرتقب، كيف ما كـان فهـذه الفكرة دينية قديمة".366[22]

وبعد أن اعتــبر غيبة الامـام المهـدي مشـكلة كـبرى واجهت الشـيعة، وداء خطـيرا فتاكـا، وسـببا في وقــوع الفرقة والتخلف والضــلال.367[23] عــاد فهــوَّن من أمر الغيبة وقــال:" إن الامــام المنتظر موجود وان غاب عن أبصـارنا المحـدودة وعن العين وان غــاب عــني وعنك فهو ليس بغــائب هو حاضر وهو شــاهد وهو مشــاهد هو معنا في مجالســنا وموقفنا يرانا ويلحظنا ويســددنا ونحن في لطفه وشهوده ورؤياه، وقد ورد في أحــاديث آل محمد (ص):" **ان ميتنا اذا مات لم يمت وان غائبنا اذا غــاب لم يغب**".368[24] "ان الأئمة شهداء على الخلق يرون ما لايراه النـاس ويسمعون ما لا يسـمعه النـاس وهم حاضـرون في أذكـار النـاس وان أعمــال النــاس تعــرض عليهم فغيبتهم جســديا لا تمنع من حضــورهم فكريا وروحيا وأخلاقيــا، فهم الســادة ولهم الســيادة

366[22] - ص 186
367[23] - ص 173
368[24] - ص 175

واليهم يرجع النــاس، وعنهم ينطلقــون ، فغيبة الامــام (ع) عنا او ابتعاده عنا لا يفقده الحضـور والمعية والوجـود على المواقف وما يصدر وما يقع على هذه الأمة، فهو معها لم يبتعد عنها، فهو الـذي يـــدير شـــؤونها، فهو قـــريب اليها حاضر معها يرعاها ويســـدد أخطاءها".[369][25]

وبعد أن اعتبر الامامة جزءا لا ينفك من الاسـلام، عـاد فـتراجع عن ضرورة استمرار الامامة الى يوم القيامــة، واعـترف بإمكانية الشـــورى، فقـــال:"علل اســتاذنا محمد تقي الحكيم في إحـــدى محاظراتـــه: ان الأمة تعيش بعد النبـــوة في مرحلة الانتقـــال لا تستطيع أن تنتخب أو تكـون مجلس الشـورى النزيه المجـرد عن المطامع والأغراض والمصالح، وهي لا تـزال في مرحلة الانتقـال، وبعد تجـــاوز هـــذه المرحلة وبعد رقيها واســـتقرارها وتكاملها تستطيع عند ذلك أن تدير أمورها وتختار ما تختار وهو الحجة ، ولا تخلو الأرض من حجة لله، وقد مرت هـذه الأمة بمراحل مختلفة ، فـاذا تكـاملت وارتقت شـأنها شـأن الأمم الأخـرى فعنـدها تـدير نفســها بنفســها ويكــون الانســان في عصر يختلف عن عصــرنا، وتكون الحياة القادمة تختلف عن حياتنا المعاصرة، وعنـدها يظهر الامـــام".[370][26] وقـــال:" ان مصـــالح الامة وتطورها وعقليتها قد يرتقي في عصر الامام المهدي وتنضج لتدبر نفسها بنفسها وتعي وتدرك شؤونها وتأخذ بالاسلام منهجا".[371][27]

ولو كان الشيخ نعمة الساعدي يريح نفسه وأنفسنا لأعاد النظر في أساس موضوع الإمامة، ولما اضطر الى افتراض وجـود الولد للامــام العســكري، ثم القــول انه المهــدي المنتظر وأنه غــائب وسوف يظهر في المسـتقبل، ولأعـترف بالحقيقـة.. حقيقة عـدم وجود ولد للامام العسكري، وعـدم تبـني أئمة أهل الـبيت لنظرية الامامة، وبخاتمية النبوة المحمدية، وعدم وجود امتداد مشـابه لها في الزمــان باسم الامامــة، وهو ما نفــاه الواقع والتــاريخ، على الأقل منذ وفـاة الامـام العسـكري الـذي لم يشر في وصـيته الى وجود ولد له ، ولا الى موضوع الامامة من بعده.

---

[25]369 - ص 176
[26]370 - ص 223
[27]371 - ص 214

29 - مع المهندس عالم سبيط النيلي في كتابه:
(الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على الناصب أحمد الكاتب)
التنظير للمنهج الحشوي، والتحريف بدعوى الإصلاح

ترددت كثيرا في الرد على النيلي، الذي درس الهندسة في موسكو، ولم يسبق له أن درس في الحوزة العلمية، ولكنه يختزن ثقافة شيعية شعبية تقليدية، وقد هاله إقبال الناس في العراق على كتابي عند صدوره، فانبرى للرد على الكتاب، ولم يجد ما يرد به سوى مفردات الجدل الشعبي الذي لا يستند على أي منهج علمي، ولا أقول أكثر من ذلك لأني أربا بنفسي النزول الى مستوى المفردات السوقية والغوغائية التي استخدمها في كتابه. واذا كان المكتوب يقرأ من عنوانه، فان اتهام أحمد الكاتب بالنصب والعداء لأهل البيت، بهذه السهولة والجرأة، يؤكد طبيعة الردود التي قدمها المؤلف.

ولولا وجود أشخاص، أو لجنة ، أو تيار يروج الى الكاتب النيلي، وكتبه المشابهة وادعاؤهم برد النيلي على الكاتب، لما تشجعت في الرد عليه، لأن كتابه يرد على نفسه بنفسه لكثرة ما فيه من تناقض وحشوية وسطحية ورفض مباديء البحث العلمي التي لم يدرسها بالطبع في موسكو الشيوعية.

ولأنه كان يعتقد بأن الامامة من الله وتثبت عن طريق النص، فقد اعتقد بأنها جزء أساس من الدين، ولذا فقد وجد في قراءتي المخالفة لنظريته والتي تقول بأن الشورى هي نظرية أهل البيت السياسية تناقضا كبيرا مع الصورة التقليدية التي يحملها عن التشيع، وانطلق من هنا ليرد على كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) حتى قبل أن يقرأ الكتاب. حيث يقول:" من أَوَّلَ سطورٍ قرأتها وأنا أدركُ كلَّ الكشوفاتِ اللاحقةِ للكاتبِ، وبدأتُ الردَّ ولمْ أقرأ سوى سبع صفحاتٍ.. لِماذَا؟ لأنني أعلمُ إلَى أيِّ موضعٍ يريدُ

الوصــولَ . وأقسِــمُ باللــهِ وملائكته وكتبه ورســلِهِ أنّي علمتُ من أوَّلِ خمسةِ أسطرٍ أنَّه في الطريقِ لإنْكَـارِ الوصـيّةِ والإمامـةِ، وأنَّ هذه كلَّها مقدِّماتٌ نفسيَّةٌ لهذا الهدف!!".

ولكنه لم يتوقف عند تطــور الفكر الشـيعي عــبر التــاريخ، ولم يتأمل في التحديات التي واجهته، ولم يبحث بالطبع موضوع وجود الامام الثاني عشر أو عدم وجــوده ، واعتــبر ذلك أمــرا مســلما لا يحتــاج الى نقــاش، ولم يتوقف الا عند النظريــات المختلفة في تفسـير سـبب الغيبـة، وهو أمر متـأخر على مسـألة بحث وجــود الامام الغائب وولادته.

ولما كان بحث هكذا أمــور تاريخية وعقائدية يحتـاج الى عـدة علمية يفتقدها النيلي، فقد اختصر الطريق بــرفض البحث العلمي من الأساس، والإعلان عن كفره بعلم الرجال، والتمسك بــدلا من ذلك بالمنهج الاخباري الفج الذي ينظر الى الروايات نظــرة ذوقية ومزاجية. ولم يبحث ولم يجب عن كثير من الأسئلة التي طرحتها في الكتـاب حــول مصـير نظرية الامامة ومصـداقها الخـارجي، أو هوية الامام الثاني عشر، واعتبر ذلك محاولة اسـتخباراتية لكشف ستر الامام الغائب!!!

ان مشكلة النيلي الكبرى تكمن في أنه يعتقد أن ما ورثه من آبائه وأجداده هو عين الحق والصواب، رغم أن الكثــير منه قــائم على أحــاديث ضــعيفة أو مختلقــة، أو تــأويلات تعسـفية للقــرآن الكريم، وبدلا من أن يفترض في البداية احتمال الخطأ أو يمارس الشك المنهجي الــذي يقــود الى البحث العلمي، ثم التوصل الى اليقين، فانه يتشبث بما ورثه حرفيا دون نظر أو تفكير، ولا يسمح حتى للعلماء باحترام الآراء الأخرى، أو توفـير أي قــدرٍ من الحرية في البحث والتفكير، فهو يقول مثلا:"وَمَا نريدُ أنْ نقولَـهُ في هَـذا الكتـابِ هُـوَ أنَّ النـاسَ دأبـوا عَلَى الجـدالِ حَـوْلَ الحَـقِّ والباطِـلِ والصحيح والخاطئ، وتَمَادُوا في ذَلِكَ إلى درجـةِ أنَّ عُلَمَـاءَ الـدِّينِ أصْـبَحوا يأخــذونَ بفكــرةِ احــترامِ الآراءِ جميعــاً ولو فيما بينهم، ويـبرِّرون الاجتهـادَ ويزعمـون أنَّ الاختلافَ في الـدِّينِ رحمَـةٌ وأنَّهُ ضــــــــــــرورةٌ لإغنــــــــــــاءِ الفكــــــــــــرِ والبحثِ. لكنَّ هُنَاكَ فَرَقاً بَيْنَ البَحْثِ عَن الحَقِّ والباطِلِ وبَيْنَ الاختلافِ في الحَقِّ والباطِلِ هُوَ عيْنُهُ الفَرَق بَيْنَ الكُفْرِ والإيمـانِ. إنَّ كُـلَّ الَّذينَ يبرِّرونَ الاختلافَ ويَسْمَحونَ بتعدُّدِ الوجوهِ في تأويلِ النصّ الإلهيِّ هُمْ ظَلَمَةٌ وكفَرَةٌ، بَلْ هُمْ أظْلَمُ الخَلْـقِ طُـرّاً وإنْ لَبَسـوا العمـائِمَ وتجلببوا بجُلبـابِ الـدِّينِ، لأنَّهُمْ يؤمنـون بِعَـدَمِ وضـوحِ الفَـرَقِ بَيْنَ الحَـقّ والباطِـلِ ابتـداءً، ويجعلـون النصَّ الإلهيَّ الَّذي جَـاءَ لإزالـةِ الاختلاف ـ يجعلونهُ مَصْدَراً للاختلافِ".

وهذا ما يثير التعجب والشفقة حول مـدى انغلاق الـنيلي وجمـوده الفكري وتطرفه، حينما يعتبر العلماء المجتهدين الـذين يسـمحون بتعـدد وجهـات النظر في تأويل القـرآن: "ظلمة وكفـرة بل أظلم الخلق طـــراً".

ورغم وجود تفاسير عديـدة للـدين ومـذاهب ومـدارس مختلفة في داخل الدين، مما يعني وجـود الاحتمـال بخطأ بعض التفاسـير أو التأويلات، فان النيلي يعتـبر نقد التفسـير السـائد للـدين، طبعا حسب وجهة نظره، محاولة لإبطـال أسس الـدين، ويقـول:"نَـرَى بوضوحٍ كـافٍ أنَّ الهجمـاتِ الموجَّهَـةِ إلى الـدِّينِ السـماويِّ وَعَلَى كافَّةِ المستوياتِ هِيَ هَجَمَاتٌ عَلَى التفسيرِ السائِدِ للدِّينِ وَلَيْسَتْ عَلَى الدِّينِ نَفْسِـهِ، وَلكِنَّهَا تُحـاوِلُ إبطـالَ أسُـسِ الـدِّينِ من خلالِ التناقُضَاتِ في أقوالِ علماءِ الدِّينِ والمفسِّـرين، فيحسِـبُ البعضُ بَلْ أكثرُ الناسِ أنَّ الدِّينَ أصبَحَ في خَطَرٍ من هَذِهِ الهَجَمَاتِ".

والغريب انه يعترف بـ:"إنَّ مَا حَصَلَ في عقائِدِ المسلمينَ مُنْذُ قرونٍ طويلةٍ هُوَ انقلابٌ شاملٌ لمبادئ الدِّينِ وانعكاسٌ للمفـاهيمِ بِحَيثُ أنَّ الدراسَةَ الجّادَّةَ للنصِّ القرآنيِّ ومحاولـةَ فهْمِـهِ مُسـتَقِلاً عَن آراءِ الرِّجَالِ تبيِّنُ بوضوحٍ كافٍ أنَّ الدِّينَ الَّذي بَيْنَ يدينا اليـوم هُوَ نقيضُ الـدِّينِ الَّذي جَـاءَ بِـهِ مُحَمَّدٌ (ص)، وَلِـذَلِكَ يتمكَّنُ دعـاةُ الإلحادِ والكُفْرِ من توجيهِ الضرباتِ القويَّةِ إلى هَذا الـدِّينِ المزيَّفِ فيحسبُ الناسُ أنَّ الـدِّين في خَطَـرٍ. وَلكنَّ الحقيقـةَ كَمَا قُلْنَا مِنْ قبل أنَّ الخَطَـــرَ هُـــوَ عَلَى الباطِـــلِ مِنَ الباطِـــلِ لا غَيْـــرَ.!

وَلكنْ يَبْقَى علينا أنْ نوضِّـحَ للقـارئِ الفَـرَقَ بَيْنَ دِينِ اللـهِ ودينِ النـــــــاسِ!، إِذْ هُنَا تكْمُنُ المشـــــــكلَةُ بِكُـــــــلِّ أَبْعَادِهَا!

فإنَّ هَذا التوضيحَ يستلزِمُ إجـراءَ سلسـلةٍ مِنَ الأعمـالِ سَـتَكونُ المفاجأةُ فِيْهَا عَلَى رجالِ الدِّينِ من كافَّةِ المذاهبِ أشدُّ وقعاً مِمَّا هِيَ عَلَى القـارئ العـادي. ومن المتوقَّع أنْ يَقِـفَ أكـثرُهُم ضِـدَّ عمليةِ التصحيحِ وفي صفِّ العدوِّ إذا أحسُّوا بـالخَطَرِ الـدَّاهمِ عَلَى مسلَّماتِهِم ومبادِئِهم ـ وسوف يَحْسـبونَ أنَّ الخَطَـرَ في التصـحيحِ أعظَمُ عليهم مِن الخَطَـرِ الآتي من هجمـاتِ الملاحِـدَةِ والكفّـار. ذَلِكَ لأنَّنا لَو قُلْنَا أنَّ مَا تَنْتَقِدُونَهُ هُوَ آراءُ الرِّجَالِ وأعمـالُ الرِّجَـالَ، وبيَّنا فِيهِ حقيقـةَ الـدِّينِ ظَهَـرَ مِنْ خلالِ ذَلِـكَ كُفْـرُ هَـؤُلاءِ الرِّجَـالِ وانحـــرافُهُم عَن الـدِّينِ، وهُم أسـماءٌ لامعَـةٌ مشـهورَةٌ في الأمَّةِ ومعروفَةٌ بالـ (التقوى والصلاح)، بَلْ أسماءٌ مقدَّسَةٌ جِدّاً. ذَلِـكَ لأنَّ الدِّينَ الَّذي يؤمِنُ بِهِ الناسُ اليوم هُوَ في الواقِعِ أسماءُ رجـالٍ، فَلا يَفْصِلونَ ولا يُفَرِّقونَ بَيْنَ الدِّينِ وَمَا يسمّى بـرجالِ الدِّين".

إذن فـان الـنيلي يعـترف بوجـود تحريف وتـأويلات باطلة في الدين، بل وانقلاب شامل لمفاهيم الدين الصحيحة، ويدعي العمل

من أجل اصــلاح ذلك التحريــف، أو يعطي لنفسه الحق بالقيــام بـذلك، ولكنه يـرفض أن يقـوم الآخـرون بهـذا الـدور، كما يـرفض انتهاج الطرق العلمية الصـحيحة للتصـحيح. وأولها الشك بما ورثه من آبائه وأجداده، وعدم اعتبـار كل ذلك من الحق المطلق الـذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولو كـان الـنيلي قد اتبع المنهج العلمي في البحث والتحقيق والتفكير، لربما كـان قد وصل الى نتـائج طيبــة، ولكنه مع الأسف أضاع الطريق، وأغلق على نفسه الباب رافضا أدنى اختلاف.

ولست أدري كيف سارع النيلي الى اعتبار نقد نظرية الامامـة، أو وجود الامام الثاني عشر، بمثابة إنكار النبـوة والرسـالة، مع ان نظرية الامامة هي واحـــدة من النظريـــات المختلف عليها داخل المذهب الشيعي الذي ضم أكثر من سبعين فرقة.

ولست أدري كيف توصل الى أن " كتاب (تَطَوُّر الفكرِ الشيعيِّ من الشُّــورَى إلى ولايــةِ الفقيــه) يمثِّلُ أبــرزَ عمَــلٍ من أعمــالِ التحريفِ والزَّيفِ". مع أن الكـاتب يـدعو الى العـودة الى القـرآن الكـريم، وسـنة النـبي (ص) ومـذهب أهل الـبيت، ورفض أقـوال الرجال الذين دسوا أقوالهم في تراث أهل البيت.

والفـرق الـرئيس بين الـنيلي والكـاتب، هو ان الأول يـرفض البحث والتحقيـــق، والكـــاتب يـــدعو الى ذلك قبل التمسك بأية عقيدة. وكنا ننتظر من الاستاذ النيلي ان يقوم بمناقشة الروايـات المتناقضة والضعيفة التي ذكرها الكاتب، وبنى على ضوئها القول بأسطورية وجود الامام الثاني عشر، وبطلان نظرية الامامـة. وأن يقـــدم بـــدلا منها ما يعتقد انها روايـــات صــحيحة تثبت أولاً ولادة (محمد بن الحسن العسـكري) حـتى يسـوغ القـول بوجـود اثـني عشر شخصا هم أئمة معينــون من قبل اللــه، ضــمن ما يعــرف بنظرية الامامة الاثـــني عشـــرية. إذ لا يجـــوز أن يقفز عن بحث موضوع ولادة ووجود الامام الثـاني عشـر، ليبحث فقط في بعض الروايات التي تتحدث عن نظرية الامامة الالهيـة، من دون تقـديم مصداق خارجي لها، وكذلك من دون بحث سند أية رواية.

وهذا هو جوهر الخلاف بين النيلي والكاتب، والمفرق الرئيس بين الحقـائق والأسـاطير، والحق والباطـل. وبـدلا من أن يختـار الـنيلي المنهج العلمي والطـبيعي في الاجتهـاد والبحث والتحقيق ليصل الى الحقيقـــة، اختـــار أن يغمض عينيه ويصم أذنيه ويغلق عقلـــه، ويطلق للســانه العنــان في كيل الســباب والشــتائم والاتهامات والافتراءات على الآخرين.

انه يـدعي بأنه يبـني عقيـدة الامامة على القـرآن والسـنة، فيقول:" كَذَبَ كُـلُّ قَائِلٍ لأيِّ فِكْـرَةٍ فِيْهَا حُكْمٌ عَقَائِدِيٌّ أو تـاريخِيٌّ

أو مُسْتَقْبَليٌّ أو شَرْعيٌّ أو فِقْهيٌّ أو بَلاغِيٌّ أو كَلاميٌّ أو فَلْسَـفيٌّ لا يَدِلُّ عَلَيْهِ القُرْآنُ بوضوحِ تامٍّ كوضوحِ المُعَادَلاتِ الرِّيَاضـيَّةِ الَّتي لا تَقْبَـلُ خَطَئَاً مَا". ولكنه لا يـأتي بآية واحـدة صـريحة تثبت الامامة لأهل الـبيت، وانما يعتمد التأويل التعسـفي واللف والـدوران. كما يفعل مع هــذه الآية الــتي تتحــدث عن خلافة النــبي داود (عليه الســلام): (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَــاكَ خَلِيفَــةً فِي الْأَرْضِ فَــاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِـالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِـعِ الْهَـوَى فَيُضِـلَّكَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . سورة ص 26 ليستنتج منها إمامة الأئمة من أهل البيت، مما يدل على أن الـنيلي يخلط بين خلافة الأنبيـاء وبين الامامة السياسـية المطلوبة في المجتمعـات الاسـلامية الى يـوم القيامـة، رغم ختم الله للنبوة بنبينا محمد (صـلى الله عليه وآلـه) ويحـاول ان يقيس على هذه الآية قياسا باطلا، ويأولها تـأويلا تعسـفيا حـتى يسـتخرج منها ما يريد.

وفي مقابل ذلك يقـوم الـنيلي بتأويل آية الشـورى: (وأَمْـرُهُمْ شُـورَى بَيْنَهُم)، فيقـول:"أَنْتُم تَقُولُـونَ أَنَّ (الأَمْـرَ) شُـورَى لِقَولِـهِ تَعَالَى (وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم) ثُمَّ تَقُولُـونَ: إنَّ (أولي الأَمْـرِ) بِهَـذِهِ الشُّورَى.. فَكَيـفَ يَكـونُ وَليُّ الأَمْـرِ بَيْنَهُم بالشُّـورَى؟ يالِلْفَضِـيحَةِ المَنْطِقيَّةِ!!أَفَهَـذا مَا تَعلَّمْتِمُوهُ مِنْ أرسطو طاليس؟!! وَمَـعَ ذَلِـكَ فـإنَّ (أَمْـرَهُم) هُـوَ غَيْـرُ (الأمْـرِ) قَطْعَـاً ــ الأمْـرُ المُعَـرَّفُ بـألِّ التَعْريــفِ.أَمْ هُنَا فَقَطِ تَنْسُــونَ أصــولَكُم والفَــرَقَ بَيْنَ المُعَــرَّفِ بالإضَافَةِ والمُعَرَّفِ بأَلِفْ لام العَهْدِ؟".

ومن الواضح ان هذا التفسـير للقـرآن ليس واضـحا كوضـوح المعادلات الرياضية المتفق عليها، وانما فيها قدر كبير من التأويل والقلب واللف والدوران.

وبعد أن يتلاعب القرآن الكريم كما يشاء، يأتي النيلي للأحاديث فيعطي لنفسه الحق بــأن يغـــرف منها ما يشـــاء، ويـــرفض أن يستوقفه أحد أو أن يسـائله أحد عن صـحة تلك الأحـاديث، فيشن هجوما عنيفا على علم الأصــول والرجــال، اللــذين تطــورا لــدى المدرسة الأصــولية منذ مئـات السـنين، ويصر على العــودة الى طريقة الاخباريين الحشوية، فيقول:

"الكاتِبُ سيقولُ: هَذا الحَديثُ ضعيف! نعم.. صـحيحٌ فَإنَّهُ ضـعيفٌ جِدَّاً، وكلُّ الأحاديثِ ضعيفةٌ جِدَّاً!!.

.. أَلَم أَقُلْ لك لا تكلّمني بالرجالِ فإنّي لا أحتجُّ بالرجالِ!. والذي يحتجُّ بالرجالِ ضالٌّ مضِّلٌّ.. أَمْ تَحْسَبُ أنَّ الشيعةَ هُمْ الأصوليون؟ ألا تدري أنَّ سهْمَكَ قَـدْ عَـادَ إلى نحـرك؟. ذَلِـكَ لأنَّ عِلْمَ الرِّجَـالِ والحُكْمَ عَلَى النصـوصِ من خلالِـهِ لَيْسَ من أعمـالِ شـيعةِ عليٍّ!.

بَلْ هُوَ من أفكـارِ وأعمـالِ أهـلِ الشُّـورَى! وانتقالُـهُ إلى الطائِفـةِ الَّتي تسمَّى اصطلاحاً بـ (الشـيعة) لا علاقـةَ لَـهُ بالموضـوعِ الَّذي بيننا الآنَ". ويضـيف:"إنَّ العقائِدَ لا تَثْبِتُ بِـأَقْوَالِ وأحـاديثَ تبعـاً لوثاقَةِ الرِّجَالِ أو عَدَمِ وثـاقَتِهِم، لأنَّ الرِّجَـال يختلفـونَ أيْضَـاً في هَذِهِ الوثاقةِ !. إِنَّ العَمَلَ لَهُوَ بـالمعكوسِ .. حَتَّى لَو تَبَنَّى طريقَتَـكَ كُلُّ مَنْ تسمِّيهم شيعةً فَلا حُجَّةَ في ذَلِكَ. **فَمَا أَدْرَاكَ أنْ يَكُـونَ أَكْثَرُ طائفَةِ الشيعَةِ عَلَى ضَـلالٍ في هَـذا** وَمَـعَ ذَلِـكَ تَبْقَى الإمامَةُ هِيَ الدِّينَ؟.!!

ويحَكَ إنَّ الحقَّ لا يُعْرَفُ بالرِّجـالِ.. أعـرفْ الحـقَّ تَعْـرِفْ أهْلَـهُ، وأعـــــــــرِفْ البَاطِــــــــــلَ تَعْـــــــــــرِفُ أهلَه.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ مشهورةٌ وَلكنَّ العَمَلَ الجارِيَ ضدُّها تَمَامَاً، والقانونُ الأصوليُّ والكلاميُّ عِكْسُـها ولا غرابَـةَ!! فَكَمْ مِنْ آيَـةٍ في القـرآنِ مشهورةٍ والعَمَلُ عَكْسُهَا تَمَامَاً؟!!

إنَّ مَنْ يُثْبِتُ الإمامَةَ بعليٍّ والأئِمَّةِ لَهُوَ كافِرٌ!

وَأنْتَ تفْهَمُ وكُلُّ النـاسِ يفهمُـونَ أنَّ الإمامَـةَ والعِصْـمَةَ أُثْبِتَتْ عَن طريقِ الأئمَّةِ.!!

فَكَيفَ تعرِفُ الحقيقيَّ من المزَيَّفِ إذا كُنْتَ تَرْجَعُ لأقـوالِ الرِّجَـالِ مَرَّةً أُخْرَى؟

إذا كُنْتَ لا تَعْلَمُ أنَّ عِلْمَ الرِّجَـالِ وُضِـعَ أَصْـلاً لجَعْـلِ المُزَيَّفِ عَلَى قَدَمِ المساواةِ مَعَ الحقيقيِّ فاعْلَمْ هَذا الآن.! وإذا كُنْتَ تَبْحَثُ عَن الحَقِّ بِمَا هُوَ حقٌ فَمَا شأنُكَ بِمَا يقولُهُ النَّاسُ قَلُّوا أو كَثَروا؟ ...بَلْ أعرِفْ الحَقَّ أولاً، وعندئذ سَتَعْلَمُ موقعَ كُـلِّ واحـدٍ من النـاسِ مِنَ الحَقِّ ".

ثم يؤكد:" أن عِلْمُ الرِّجَالِ لا قيمة لَهُ بالمرَّةِ، لأنَّ الأَمْرَ النبـويَّ هُوَ في عَرْضِ الحديثِ عَلَى القُرآنِ. وَإِنَّمَا خـالفوهُ لأَنَّهُمْ لَو فَعَلَـوا لاضطرُّوا إلى تحديدِ معانيَ القرآنِ، إِذْ لا يُعْقَـلُ أنْ يُحْكَمَ بِـهِ عَلَى الحديثِ مَعَ الاختلافِ في التفسيرِ. وهم لا يريـدونَ الحصـولَ عَلَى التفسيرِ الصـحيحِ، بَـلْ يريـدونَ المَنْـعَ من ظهـورِ التفسـيرِ الحَـقِّ للقرآنِ، لأنَّهُ سيكشِفُ المؤامرَةَ كلَّها عَلَى قرينِهِ (العترة).!

فافْهَمْ ذَلِكَ فَهَذَا هُوَ السـببُ الوحيـدُ والأَوَّلُ والأَخـيرُ لظهـورِ عِلْمِ الرِّجَال والتضـعيفِ للأحـاديثِ.. وخاصَّـةً أخبـار أهـلِ الـبيتِ عليهم السَّلام **لأنَّها جميعاً أَخْبَارُ آحادٍ** بِسَبَبِ الاضطهاد!

وَهَذا الكاتبُ ... يستخدِمُ هَذِهِ الطرائـقَ عينَهَا لتضـعيفِ الأحـاديثِ الَّتي لا تعجبُــــــــــهُ وتقويَــــــــــةَ الَّتي يُريـــــــــــدُها.

وعمَلُهُ هَذا وإنْ فَعَلَـهُ أقـوامٌ من طائفـةِ الشـيعةِ فَإنَّهُ لا يَمِتُ إلى الـدِّينِ بِصَـلَةٍ، وَهْـوَ خلافُ الأوامِـرِ النبويَّةِ والمنطـقِ والعَقْـلِ! فَلا حُجَّةَ فِيهِ، إِذْ أَكْثَـرُ السُـنَّةِ والشـيعَةِ خلافُـهُ ذَلِـكَ لأَنَّ الرِّجَـالَ هُمْ

الَّذينَ يحْكمــونَ عَلَى وثاقَــةِ الرِّجَــالِ فيبقى الاختلافُ قائمــاً بَيْنَ الرِّجَالِ!
والطريقُ الوحيدُ لتصحيحِ الأحاديثِ هُوَ قـانونٌ لا يأتيه الباطِـلُ مِنْ بَيْنِ يديهِ ولا مِنْ خلفِهِ.
وَلَيْسَ هُنَاكَ سِوَى القرآن أو الإمام المنصوص عَلَيْهِ من الرسولِ. أمّا الإمـامُ فَقَتَلُـوهُ بالسـيفِ، وَأَمَّا القـرآنُ فَقَتَلُـوه بِتَعَـدُّدِ التأويـلِ وابتداعِ المرادَفاتِ والمجازِ لتوجيهِ النصوصِ بحَسَبِ الشهيَّةِ !.
وجَعَلــوا مكانَهُما أنفسَــهُم من خلالِ عِْلم الرِّجَــالِ فَحَلُّوا مَحَــلَّ الثقلين كليهمـا. فلعنَـةُ اللـهِ عَلَى الظـالمين. ثُمَّ وَضَـعُوا شـروطاً قاسِيَّةً جِدَّاً للرجالِ، قاسيَةً ضِدَّ الخصومِ لا ضِدَّ الانتحالِ والوَضْـعِ، فَمَرَّتْ مِنْهَا الموضوعاتُ وَلَمْ تَمُرْ مِنْهَا الصِحَاحُ، لأَنَّها تَتَحَـدَّثُ عَن كُـلِّ مَا يُـدَمِّرُ المـؤامرةَ وأصـحابَها مشـمولين كأسـانيدٍ بشـروطِ الاستبعادِ.
وَمَعَ ذَلِكَ فقَدْ تَحَامَلوا أَكْثَرَ مِمَّا هُـوَ مـذكورٌ في الشـروطِ ومَنَعَـوا من تسجيلِ الأحاديثِ بأقسى مِمَّا هُوَ مشروطٌ، فـانبرى بَعْضٌ من بَقِيَ عندهم ضَـمِيرٌ حيٌّ واسـتَدْرَكوا عَلَى الأحـاديثِ المـارَّةِ بِنَفسِ الشـروطِ. وَكَـأَنَّ لسِـانَ حـالِهِم يقـولُ: اظلمـوا وَلكنْ بالقـانونِ الموضوعِ عِنْدكُم للظُلْمِ!
وَعَلَى هَذَا فالكاتبُ يستخدِمُ الأسلوبَ الانتقائيَّ للحـديثِ. فللمِـرْءِ أنْ يقولَ لَهُ: إنَّ كُلَّ مَا تَسْتَشْهِدُ بِهِ موضـوعٌ ومزيَّفٌ!. فيبقى كُـلُّ واحِدٍ عَلَى مَا أرَادَ".
ويقول:"لِذَلِكَ قُلْنَا مِرَارَاً أنَّ تحليلَ النصِّ هُوَ الدَّلِيلُ الوحيدُ عَلَى صِحَّةِ صدورِهِ مِنَ المَعْصُومِ أو مِنْ سِواه، فَلا يمكنُ تضـعيفُ نصٍّ أو تقويتُـهُ تَبْعَـاً لوثاقَـةِ الرِّجَـالِ. فَكَمْ مِنْ موثـوقٍ وَهْـوَ عِنْـدَ اللـهِ فاسِقٌ؟ وَكَمْ مِنْ شرّيرٍ وَهْـوَ عِنْـدَ اللـهِ مِنَ الأخيـارِ؟. بَـلْ كَمْ مِنْ شِرّيرٍ يَجْعَلُ اللهُ عَلَى لِسَانِهِ الحَقَّ؟ وَكَمْ مِنْ عَـالِمٍ نِحريـرٍ نَسَـى اللَّفْظَ فَيَنْقُل المَعْنَى بألفَاظِهِ هُوَ فَيَقَعُ في التبـاسٍ ويُوقِـعُ الخَلْـقَ مَعَه.
وقَــدْ اعْتَمَــدَ الكـاَتِبُ عَلَى تَضْـعيفِ الــرُّوَاةِ فَقَط للخلاصِ مِنَ النِّصوصِ الدَّامِغَةِ لباطِلِهِ وكأنَّنَا مُغَفَّلونَ لا نَـدْرِي أنَّ عِلْمَ الرِّجَـالِ ظَهَرَ أَصْلاً مِنْ جِهَةِ أعْدَاءِ الدِّينِ وخصومِ الأئَمَّةِ الأطْهَارِ وإنْ عَمَلَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ طَوَائِفِ الشِّيْعَةِ".
وهنا ينسى النيلي أن الكاتب لا يحاول إثبات نظرية معينة، وانما يشــكك بما تقدمه النظرية الامامية الاثــني عشــرية من أدلــة، وبالتالي فـاذا لم تصح الأحـاديث والقصص والروايـات الـتي تبـني عليها مقولتهـا، فـان العـودة الى نقطة الصـفر تعـني عـدم ثبـوت نظرية الامامة، وليس بقاء كل طرف على ما عنده. واذا لم تثبت

نظرية الامامة، أو فرضية وجـود الامـام الثـاني عشـر، فـان الأمر يعــود بصــورة آلية الى نظرية الشــورى الــتي لا يوجد غيرها في الساحة.

ولست أعــرف ما هو ســبب تهجمه على علمــاء الأصــول والمجتهدين من الامامية، مع انهم لم يستخدموا قواعدهم النقدية الأصولية في قراءة أحاديث الامامة والاثني عشرية ووجود الامـام الثاني عشر، وانما ساروا على الطريقة الأخبارية القديمة، ولذلك لم ينقضـوها. في حين أن مهاجمة الأصـوليين لن ينفع الاخبـاريين شيئا، إذ ان القواعد الأصولية والرجالية هي قواعد فرضت نفسها على الشيعة لتصفية الركام الهائل من الخرافات والأساطير التي تسربت الى تـراث أهل الـبيت، وكـانت سـببا لحـدوث انحرافـات عقائدية كـبرى في صـفوفهم، وليس الـتزامهم بها تقليـدا للسـنة الذين سبقوهم اليها بقرن أو قرنين عندما واجهـوا حالة مشـابهة من الروايات المختلقة التي بلغت حوالي نصف مليون رواية، مما دفع المحققين منهم الى تصـــفيتها واختيـــار بضـــعة آلاف رواية صحيحة منها. ولكن الاستاذ النيلي يحاول من خلال ضــربه للمنهج الأصولي والرجالي، وتبني المنهج الأخبـاري الحشـوي، ان يحافظ على نظرياته من الانهيار. فيهاجم الشيعة وعلماء الأصول قبل أن يهاجم الكاتب.

كان يمكنه الاجتهاد في علم الرجال وتضعيف من يريد او توثيق من يريد، ولكنه رفض علم الرجال كله وخشي من الاقــتراب منه ، وادعى انه قـــــادر على معرفة النص الصــــحيح الصـــــادر عن المعصــوم من غــيره، بواســطة التحليــل. ولم يشــرح لنا كيفية ممارسة التحليل وأسسه وقواعـــده، مع الأسف الشـــديد. وربما كـــان يقصد الاشـــارة الى دراسة المتن في نقد الأحـــاديث، وهي عملية يمكن أن تسـاعد على معرفة النص، خاصة أثنـاء التعـرف على عناصر التضـــاد والمخالفة مع القـــرآن الكـــريم أو العلم أو العقـل، مما يـؤدي الى إسـقاط الحـديث، ولكن عملية التحليل لا تستطيع أن توثق رواية وتثبت صدورها عن المعصـوم الا بعد تأكد صدورها عبر رجـال ثقـاة معـروفين وسـند متصـل، وأما اذا تخلل الرواية رجال مجهولون أو ضـعاف، أو انقطع سـندها فـان الرواية تفقد قيمتها الشـرعية ولا يمكن الاعتمـاد عليهـا. وهــذه مسـائل بديهية يعتمـدها كل النـاس من كل الاديـان والمـذاهب في عملية التثبت من الاخبــار، ولكن الاســتاذ الــنيلي يحــاول أن يتجــاوز الشـــــروط العلمية البديهية في النفي والإثبـــــات، ويحتج بعملية التحليل للروايات، وهو باب واسع يمكن ان يدخل الانسـان عـبره ما يشاء، وينسب ما يشاء الى من يريد.

والطريف أنه رغم كل ذلك يــدعي أنه يتبع منهجا علميا في البحث، ويهاجم الآخرين على عدم اتباعهم للمنهج العلمي ويقــول عني "انه يأتي بالقصـصِ لإثبـاتِ بطلانِ القضـايا الدينيـةِ أو يحشر الثوابتَ الواردةَ في السنَّةِ المقدَّسةِ من جُملةِ القضايا المشكوكِ فِيْهَا.. وأينما تصفَّحتَ في الكتابِ فَإِنَّكَ تجدُ نفسَ الطريقةِ الّتي لا تمتُّ إلى البحثِ العلمي بأيَّةِ صلَةٍ تُذكرُ".

ان عملية التحريف الـتي حـدثت في الـدين، والـتي يعـترف الــنيلي بوجودها حــتى داخل المــذهب الشــيعي، لم تتم الا عــبر المناهج غير العلمية وغير الشرعية في أخذ الدين، والقيام بتأويل القــرآن الكــريم بصــورة تعســفية، إضـافة الى اختلاق الروايـات والأسـاطير ونسـبتها الى الاسـلام أو الى مـذهب أهل الـبيت، ولا يمكن التخلص من التحريف والأساطير الا بتنقيتها عبر منخل علم الرجال. وهو بالضبط ما يرفضه النيلي.

إذن فهو يرفع شعار الإصلاح، في الوقت الذي يسير في طريق التحريف. ولا يزيد الطين الا بلة.

30 - مع الشيخ محمد اليعقوبي

سماحة الشيخ الكريم اليعقوبي (حفظه الله)

الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم لخدمة الإســـلام والمسلمين

لقد قرأت في أحد المواقع فتــوى للســيد كـاظم الحـائري ينفي فيها اجتهـادكم ، ورغم أن هــذا الموضــوع هو موضــوع شخصي وليس محلا للفتوى لأنه ليس قضية عامة، فقد تجرأ الســيد غفر الله له على إصدار هكذا حكم من دون أن يلتقي بكم كما اعتقد ومن دون أن يطلع على علمكم مباشـــرة ، وهـــذا لا يجوز، وإذا جـاز مقابلته بالمثل لجـاز لنا التسـاؤل عن اجتهـاده بغض النظر عن الشهادات التي يحملها، ولست اعرف كيف منح هو شــهادة الاجتهاد ، وعلى أي حال فقد قــرأت في مــوقعكم تعزية للإمـام صاحب العصر والزمان باستشهاد الصديقة فاطمة الزهراء(ع) ، واعتقد أن ذلك ينطـــــوي على موضـــــوعين مهمين بحاجة إلى اجتهاد عميق وعدم تقليد الخطبـاء والمـؤلفين السـابقين وهمـا: موضوع ضرب السيدة فاطمة الزهراء وقتلها على يـدي الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

والموضــوع الثــاني: هو وجــود الإمــام الثــاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي قال بعض شـيعة الإمـام العسـكري بأنه ولد في السر واستمر في حياته إلى اليوم.

ولست ادري فيما إذا قد سمح لكم وقتكم الكريم بإلقاء نظرة على كتابي حول وجود الإمام الثاني عشر، والاطلاع على أدلة القائلين بوجوده، وهي أدلة فلسفية اقرب إلى الفرضيات الكلامية وليست أدلة تاريخية علمية مؤكدة وبالتالي فانه لا يجوز بناء عقيدة عليها أو اعتبارها جزءاً من الدين أو من أصول المذهب الجعفري .

وإذا لم تكونوا قد اطلعتم على الكتاب فأرجو الاطلاع عليه، أو تزويدنا بادلتكم الخاصة على ولادته ووجوده وكما تعرفون فان الإيمان اليقيني من خلال الاجتهاد في الأمور الأساسية مثل وجود الإمام الثاني عشر الذي يشكل أساس النظرية الاثني عشرية يعتبر أمرا مهما بالنسبة لاجتهاد أي مجتهد شيعي، ولا يجوز التقليد في الإيمان بالقضايا الأساسية التي يقوم عليها المذهب الاثني عشري أو أي مذهب.

بانتظار جوابكم العاجل

يمكنكم الاطلاع على كتابنا حول المهدي الثاني عشر على موقعنا

والسلام عليكم

أخوكم احمد الكاتب

بسمه تعالى

جناب الأخ الكاتب هداك الله تعالى إلى سبيله

اجعل جوابي في نقاط:

1- سُئل السيد الحائري (دامت افاضاته) عن هذه الفتوى فقال: انه رأي علمي محض ولازال مكتبه في النجف يقول: بأن ذلك لا يقدح فيما نعرفه عن الشيخ من العدالة والنفع في العمل الاجتماعي.

2- لست مسؤولا عن اجتهاد غيري من الأسماء المذكورة وغيرها , ومن أخلاقي أنني لا اقدح في الآخرين بمقدار ما يلطف بي الله تبارك وتعالى فلم اكن راضياً بدرج هذا المعنى في رسالة موجهة إلي.

3- اطلعت على صورة التعزية الموجودة على صفحة موقع الإنترنت فلم أجد فيها ما يوجب الإشكال على بعض المظالم التي تعرضت لها الصديقة الطاهرة وإذا استفيد ذلك من عبارة الشهادة فإننا لا نعني بها القتل المباشر فهذا لم يتحقق وانما نعني تعرضها للمظلومية الشديدة المستمرة حتى أدت إلى وفاتها بسبب تداعيات تلك المظلومية.

وأما المصادر من كتب الفريقين على هذه المظلومية فقد تواترت إجمالاً مع اختلاف جزئي في بعض التفاصيل وقد تكفل

علماءنا بإحصـاء تلك المصـادر ولا أظنها بعيـدة عنك وما رحيلها وهي في ريعـان الشـباب بعد أبيها بخمسة وسـبعين يومـاً فقط وإخفـاء قبرها وتشـييعها سـراً وهي ابنة نـبيهم (ص) الوحيـدة وبقيته فيهم والطاهرة المطهرة المعصومة إلا علامـات شاخصة إلى يوم الدين على تلك النكسة الأخلاقية والعقائدية الكبرى ولا حاجة إلى المزيد.

4- سأحاول بإذن الله تعـالى تحصـيل كتـابكم عن وجـود الإمـام الثـاني عشر من مـوقعكم على الإنـترنت وأرجو بالمقابل أن تحصلوا على كتابي (شكوى الإمام) من موقعنا وهو ثالث كتـاب لشـرح الحـديث الشـريف (ثلاثة يشـكون ... القـرآن والمسـجد والعالم) وهو (ع) المصـداق الأكمل للعـالم. ففيه بعض الجـواب لسؤالكم وعلى أي حال يمكن أن يكـون الاسـتدلال على وجـود الإمام بعدة أشكال من الأدلة:

الشـكل الأول: وجـود المقتضي لهـذا الوجـود ويتضـمن عـدة مستويات:

الأول: التـاريخي حيث روى الثقـاة بروايـات جمة مشـاهدتهم للإمام (ع) ومراسلته له في الغيبة الصغرى والكـبرى منذ ولادته (ع) ومـروراً بفـترة السـفراء الأربعة حـتى الآن وإذا أردنا إلغـاء هـذه الوسـيلة لإثبـات المعلومـات فلا تبقى وسـيلة للتصـديق بشيء إلا في موارد محدودة.

الثاني: العقائـدي، حيث دلت روايـات أهل الـبيت F أن الأرض لا تخلو من حجة وان الأئمة اثنا عشر وتعدّهم أحيانا بالأسماء وكل إمـام ينص على خلفه وان الأرض لو خليت من الإمـام لسـاخت بأهلها وغيرها مما هو موجود في أصول الكافي وغيره.

الشـكل الثـاني: رفع المـانع وهو اسـتبعاد طـول العمر أو عـدم الحاجة لذلك ونحوه من اسـتبعادات وهي مدفوعة بوجـود أمثلة أخـرى كنـوم أصـحاب الكهف ورفع عيسى (ع) إلى السـماء ووجود الخضر (ع) حسبما هو مشـهور وغـيرهم ورفع الاسـتبعاد طبيـاً وفلسـفياً وعـرض الثمـرات لمثل هـذا الوجـود المبـارك وغيرها من المعلومـات الـتي ذكرتها في كتـاب (شـكوى الإمام(ع)) الذي طبع حديثاً وأرجو أن يكون متـوفراً في الموقع .

وفي الختـام اعتـذر عن الاختصـار والاكتفـاء بـرؤوس العنـاوين راجيـاً أن تكـون فاتحة للخـير، ألهمنا الله وإيـاكم سـبل الهـدى والرشـاد وعصـمنا وإيـاكم من الزلل في العمل والخطل في التفكـير والإخلاص في النية فما الـدنيا بكل زخرفها وزبرجها بثمن لحياتنا ولا ثمن لنفوسنا إلا الجنة.

محمد اليعقوبي
14 ج2 1425
2004 / 8 / 1

سماحة الشيخ محمد اليعقوبي حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد أرسلت لكم رسالة قبل حوالي ثلاث سنوات، بمناسبة تشكيك السيد كاظم الحائري باجتهادكم، وطلبت منكم بالتحديد الاجتهاد في موضوع عقدي مهم هو وجود الإمام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" الذي يشكل أساس الفكر السياسي للشيعة الاثني عشرية والذي يصطلح عليه البعض بالعقيدة الامامية الاثني عشرية. وقد أجبتموني حينها برسالة مختصرة جدا لم أعتبرها ردا مناسبا من قبلكم، وقد أعذرتكم لانشغالكم في خضم الأحداث الكبيرة التي مرَّ بها العراق، ولذلك لم استمر في الحوار معكم حول الموضوع ريثما تستقر الأمور بعض الشيء، أو يتوفر لديكم وقت كاف للاهتمام الجدي بالموضوع، ولكني عثرت قبل أيام على رسالتي إليكم وجوابكم عنها منشورين في موقعكم على الإنترنت، فحفزني ذلك على التواصل معكم من جديد.

اكتب لكم هذا الجواب في الذكرى الرابعة للاحتلال الأمريكي للعراق، وهي ذكرى حزينة رغم الفرح الجزئي الذي حملته بإسقاط نظام صدام، لأنها كرست احتلال العراق ومهدت للحرب الطائفية وقضت على أحلام العراقيين بإقامة نظام ديموقراطي عادل. وعلى رغم ما يقال من تسلم الحكومة العراقية للسيادة من المحتل قبل سنتين، إلا أن الواقع يكذب ذلك، حيث يعتدي المحتل كل يوم على كل مظاهر السيادة العراقية ولا يعترف بأي استقلال، ويواصل عدوانه على الشعب العراقي بصورة مستمرة.
وربما كنتم تدركون أكثر مني بأن التجربة الديموقراطية التي وعدنا بها المحتل تبخرت تحت نيران الحرب الطائفية التي أشعلها بين السنة والشيعة ولا أريد هنا التحدث عن الاحتلال ومكره وتلاعبه بالشعارات البراقة، فأنا أدرك أن الديموقراطية قرار عراقي قبل أن تكون قرارا أمريكيا، وقد لاحظت أن الشعب العراقي انخرط في إجراءاتها باندفاع كبير، وقد دعمت

المرجعية الدينية التجربة الديموقراطيــة، بل انــتزعت الانتخابــات انتزاعا من المحتــل، وذلك لشـعور المرجعية والشـعب أن الخيـار الــديموقراطي هو الطريق الوحيد للنجــاة والتقــدم وطي صـفحة الديكتاتورية والتوتر والحروب الداخلية المستمرة على السلطة.
وفي هذه المناسـبة أحـيي مشـاركتكم في العملية الديموقراطية التاريخية، وقيادتكم لقطاع واسع من الشعب العراقي (في حزب الفضـيلة) بهـذا الاتجــاه. وأعتقد جازما أنكم تحرصـون جـدا على نجـاح التجربة الديموقراطية واسـتمرارها وتقـدمها نحو الأفضـل. كما أظن أنكم تشـــاركوني الـــرأي بـــأن الواقع العـــراقي يحفل بعوامل عديدة معوقة للعملية الديموقراطية، ولذلك لا يجوز إلقاء اللــوم كـاملا على المحتل أو الـدول المجـاورة في فشل التجربة الديموقراطية. وعلى رأس تلك العوامل:الطائفية، واختلاط الدين بالسياســـــة، إضــــــافة إلى الجهل وانعـــــــدام الثقافة والتقاليد الديموقراطية.

لا أعرف بالضبط متى انتميتم للحوزة العلمية، ولكني أخمن أنكم انتميتم إليها في الستينات، في الوقت الذي تشـرفت أنا بالانتمـاء إليهــا. وإذا كـــان ذلك صــحيحا فلا شك أنكم تتــذكرون الموقف الفكري السياسي العام في الحــوزة العلميــة، وخاصة في النجف الأشرف، أيام المرجع الراحل السيد محسن الحكيم (رحمه اللـه) حيث كان يخيم فكر الانعـزال السياسي وانتظـار الإمـام المهـدي الغائب ، وعدم جواز تأسيس حكومة إسلامية أو المشـاركة فيهـا، أو السـعي من أجل تحقيقهــا، لأنها من أعمــال الإمــام المهــدي (المعصوم المعين من قبل الله) ولا يجــوز لأحد غـيره إقامتها في (عصر الغيبة) بناء على الحديث الـذي يقـول :"كل راية قبل راية المهدي فهي راية ضلالة وصاحبها طاغوت". ولــذلك رفض مراجع النجف (الحكيم والخوئي والحلي وغـيرهم) فكـرة تأسـيس حـزب إسـلامي يسـعى من أجل الحكم على أسـاس الشـورى، كحـزب الـدعوة الإسـلامية، وطلبـوا من مؤسسي الحـزب (السـيد محمد باقر الصـدر والسـيد مهـدي الحكيم والسـيد محمد بـاقر الحكيم) الانسـحاب من الحــزب في بداية السـتينات، وتركـوه يتخبط في مواجهة الأحــزاب والحكومــات المختلفــة، حــتى قيــام الثــورة الإسلامية في إيران على أساس نظرية ولاية الفقيـه، الـتي تعتـبر ثورة على الفكر الإمامي وعقيدة الانتظار السلبي، المخدرة.
ونحمد الله تعالى على هذا التطور الكبير الجذري الـذي حـدث في الفكر السياسي الشـيعي في العقـود الأخـيرة، والـذي سـمح للشـــيعة بـــالانخراط في الحركة المعارضة لنظـــام صــــدام،

والمشاركة في التجربة الديموقراطية الحديثة في العـراق. ورغم أن ذلك التطــور الجــذري كــان يســتدعي وقفة علمية اجتهادية لدراسة الفكر السياسي الشيعي برمته، والتعـرف على حقيقة ما حدث، والتمييز بين الفكر السياسي الإسلامي، أو الشيعي الأصيل القـائم على فكر أهل الـبيت، وبين الفكر السـلبي الـدخيل الـذي تسرب إلى مذهب أهل الـبيت، وأضر بالشـيعة قبل غـيرهم، مثل فكرة الانتظار الـتي كبلت الشـيعة قرونا من الـزمن ، وأخـرجتهم من مســرح الحيــاة والأحــداث، إلا أن الكثــير من الشــيعة ومن مراجعهم أيضـا، فضـلوا مجـاراة التطـورات دون التفكـير العميق فيهـا، ولـذلك قطفـوا بعض الإيجابيـات وانطـووا على كثـير من سلبيات الفكر البائد. واعتقد بأن الطائفية هي من مخلفات الفكر القديم ولا علاقة لها بالتشـيع ولا بالإسـلام. ولكن بعض من يـؤمن ويشارك بالعملية الديموقراطية لا يـزال يحمل من ملامحها شـيئا كثــيرا. وبــالطبع فــان بعض من يســمى بأهل الســنة، يــرفض الاشتراك بالعملية الديموقراطيـة، أو يقاومهـا، أو يمارسـها بـروح طائفية بعيــدة عن روح الإســلام، وهو ما يــؤدي بــالطرفين إلى إفشال التجربة الديموقراطية وتهديدها بشكل خطير.

ولو التفت السنة والشـيعة إلى حقيقة الديموقراطية لوجـدوا أنها تشكل بديلا جوهريا عن الفكر السياسي القديم للسـنة والشـيعة، فإن السنة كانوا يعتقدون بنظام الخلافة بملامح استبدادية وراثية، وكان الشيعة يؤمنون بنظـام الإمامة القـائم على فكـرة العصـمة والنص والوراثة في أهل البيت، أو الـبيت العلـوي الحسـيني. وقد انهــار الفكر السياسي الســني مع بــزوغ الفكر الــديموقراطي، ووصل الفكر السياسي الشـيعي إلى طريق مسـدود مع الإيمـان بغيبة الإمام الثـاني عشر في أواسط القـرن الثـالث الهجـري، أي قبل أكــثر من ألف عــام. ولا أريد هنا أن أتحــدث بالتفصــيل عن تطور الفكر السياسي السـني باتجـاه الديموقراطيـة، وتخليه عن أهم أصوله التشريعية، فقد كتبت أخيرا كتابا خاصا حول الموضوع تحت عنــــوان (تطــــور الفكر السياسي الســــني نحو خلافة ديموقراطية) ولكنني أود التركيز على الموضـوع الـذي يهمنا وهو الفكر السياسي الشيعي، ولا سيما حجر الأساس في هذا الفكـر: موضوع وجود الإمام الثـاني عشر "محمد بن الحسن العسـكري" الذي قضى على الشيعة والتشيع عبر التـاريخ، لأنه لم يكن سـوى أسطورة افترضها بعض الأدعياء والمرتزقة لمصـالح ضـيقة مادية وسياسـية. وقد تخلص الشـيعة من الفكر الإمـامي اليـوم والحمد لله، على مسـتوى العمل والتطـبيق، حيث لم يعـودوا يشـترطون في الإمام العصمة والنص والوراثة في الـبيت العلـوي الحسـيني،

وقبلوا بالنظام الديموقراطي والانتخابات الشعبية، وهو ما كانوا يرفضونه قرونا طويلة من الزمن، وظلت المرجعية الدينية ترفضه إلى وقت قريب، (في الستينات والسبعينات من القرن العشرين).

هذا هو الواقع

ولكن المشكلة تكمن في أن كثيرا من الشيعة الذين لم يدرسوا التطورات الفكرية السياسية بعمق، لا ينتبهون إلى حقيقة تخليهم عن الفكر الإمامي الاثني عشري العقيم، ولا يزالوا يؤمنون بالفكر الإمامي على أنه يشكل عقيدة دينية تاريخية، أو أنه جزء من المذهب الشيعي الجعفري، دون أن يعرفوا بأن الفكر الإمامي كان يمثل قبل وصوله إلى الطريق المسدود، فكرا سياسيا في مقابل النظريات السياسية الأخرى العباسية والفاطمية والأموية والزيدية، ولم يكن يمثل عقيدة دينية، ولا يمت إلى المذهب الجعفري الفقهي بأية صلة. وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه).

ورغم إيماني سابقاً بنظرية ولاية الفقيه، في الستينات، تبعا لانتمائي إلى مدرسة الإمام السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) ومنظمة العمل الإسلامي، إلا أني لم أدرك في البداية حجم التطورات الهائلة التي حدثت في الفكر السياسي الشيعي، ولم ألحظ انفصام نظرية ولاية الفقيه، أو تناقضها مع الفكر الإمامي ونظرية انتظار الإمام المهدي الغائب، وذلك لعملية الالتفاف التي قمنا بها على تلك النظرية، بواسطة نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي، علما بأن هذه النظرية تتناقض جوهريا مع نظرية الإمامة القائمة على اشتراط العصمة والنص في الإمام، في حين تقوم نظرية ولاية الفقيه تقريبا على نظرية الشورى والانتخاب، والفقه والعدالة، أي لا تشترط العصمة والنص، وانما تقترب من النظرية السياسية الزيدية. إضافة إلى نظرية النيابة العامة للفقيه، لا تقوم على أساس علمي متين، ولذلك رفضها معظم المحققين من علماء الشيعة كالشيخ الأنصاري والسيد الخوئي.

وكما تعرفون فان نظرية النيابة العامة هي التي مهدت لظهور المرجعية الدينية في القرون الأخيرة، وتطورت من مستوى نقل الحديث إلى الإفتاء إلى الولاية المحدودة، إلى النيابة العامة، إلى النيابة أو الولاية المطلقة للفقهاء، كما طرحها الإمام الخميني في أيامه الأخيرة، والتي تضاهي أو تتفوق على ولاية النبي والأئمة من أهل البيت.

وحسب علمي فـــإنكم (ســـماحة الشـــيخ اليعقـــوبي) تقيمـــون مرجعيتكم الدينية ، و تمارسون ولاية معينة على حـزب الفضـيلة، على أساس هذه النظرية. وبالطبع فـإنكم تأخـذون شـرعيتكم، أو تحسـبون، من عقيـدة "وجـود الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العســكري". ومع أنكم لا تقولــون بالنيابة الخاصــة، أو الالتقــاء بالإمـام المهـدي، كما يحـاول أن يـدعي أو يـروج لـذلك كثـير من الـــدجالين في الســـاحة العراقية والشـــيعية، الـــذين يحـــاولون الســـيطرة على الســـذج والجهلة والرعـــاع، واســـتغلالهم ماديا وسياسيا. وقد رأيت انزعاجكم الشديد من هذه الدعاوى، إلا إنكم لم تتوقفوا لتحققوا وتدرسوا بدقة وعمق أساس الموضوع. ورغم أني دعوتكم لذلك في رسـالتي الأولى لكم قبل ثلاث سـنوات، إلا إنه يبدو أنكم اكتفيتم بقراءة الأخبار وتقليد السابقين.

وأرجو أن أكـون مخطئا في تقـديري لكم، ولكن جـوابكم الآنف ينطوي على تسرع وتبسيط شديدين. فقد استدللتم على وجـود "الإمام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري" بـدليلين هما "الدليل التاريخي والدليل العقائدي" وقلتم تحت عنوان (الـدليل الأول التاريخي):"روى الثقـاة بروايـات جمة مشـاهدتهم للإمـام (ع) ومراسـلته له في الغيبة الصـغرى والكـبرى منذ ولادته (ع) ومروراً بفترة السـفراء الأربعة حـتى الآن وإذا أردنا إلغـاء هـذه الوسيلة لإثبات المعلومات فلا تبقى وسيلة للتصديق بشـيء إلا في موارد محدودة".

كما قلتم تحت عنوان (الدليل الثاني العقائدي):" دلت روايات أهل الـــــبيت أن الأرض لا تخلو من حجة وان الأئمة اثنا عشر وتعـدّهم أحيانا بالأسـماء وكل إمـام ينص على خلفه وان الأرض لو خليت من الإمـام لسـاخت بأهلها وغيرها مما هو موجـود في أصول الكافي وغيره".

وهذا ما يقوله بالضبط مشايخ الطائفة الاثني عشرية منذ أكثر من ألف عـام، وقد كتب أسـتاذكم السـيد محمد محمد صـادق الصـدر فيه موسـوعته (الإمـام المهـدي) وما كنت أعتقد به أنا من قبـــل، وما نشـــأت عليه منذ صـــغري، ولكـــني كنت أود لو تتوقف عند كل نقطة مما تفضـلت بـه، وتدرسـها بدقة وعمق ، وبكلمة أخرى: تجتهد في هذا الموضوع العقائدي المهم، اجتهادا علميا، حـتى تكتشف الحق من الباطـل. والاجتهـاد في العقيـدة مقدم على الاجتهاد في الفروع الفقهية.

قلت:"روى الثقـاة بروايـات جمة مشـاهدتهم للإمـام (ع)" فهل تعرف من هم هؤلاء الثقـاة؟ ومن وثقهم؟ ومـتى؟ وهل درست أحـوالهم واجتهـدت رجاليا في أشخاصـهم؟ أم قلـدت الآخـرين

السابقين الذين نقلوا عنهم؟ وإذا كنت تقصد بالثقاة "النواب الأربعة" الذين ادعوا النيابة الخاصة عن "الإمام المهدي" فهل تعرف أن الشيعة كانوا يشكون بصدقهم في حياتهم، وأنهم لم يكونوا يفرقون بينهم وبين أدعياء النيابة الكذابين (العشرين) الآخرين، ولم يملكوا دليلا حسيا على صدقهم سوى ادعاءاتهم الفارغة بالنيابة عن رجل لم يره أحد، علما بأنهم كانوا في موضع شبهة لأنهم كانوا يجرون النار إلى قرصهم، وكانوا يستفيدون ماديا من دعاواهم؟ فكيف أصبحوا ثقاة؟ ومتى؟ وعند من؟ وهل يؤيد البحث العلمي المستقل المحايد وثاقتهم وصدق دعاواهم؟

وقلت أيضا:"روى الثقاة بروايات جمة مشاهدتهم للإمام (ع) ومراسلته له في الغيبة الصغرى والكبرى منذ ولادته (ع) ... وحتى الآن". فهل تستطيع أن تذكر اسم رجل واحد راسله الإمام؟ يستطيع أن يثبت صحة دعواه بالمراسلة؟ إذ كيف نستطيع أن نصدق أي شخص يدعي مراسلة الإمام (المفترض) له؟ دون أن يظهر الرسالة؟ وإذا أظهرها فكيف نعلم بأنها من الإمام الغائب؟ ونحن نشك بوجوده؟ حيث يستطيع أي شخص أن يكتب ما يشاء من الرسائل وينسبها لمن يريد، ويدعي وجود رابطة بينه وبين ذلك الشخص؟ ويضحك على الناس ويبتزهم ويستغلهم؟

وحسب علمي لا توجد إلا رسالة واحدة مدعاة، نقلها ابن شهر آشوب في القرن السادس الهجري عن الشيخ المفيد الذي كان يعيش في القرن الخامس، وادعى فيها أن رجلا أعرابيا (مجهولا) جاء برسالة من رجل مجهول يقول أن كاتبا مجهولا أملاها عليه وزعم أنه الإمام المهدي، وهذه الرسالة لم يشر إليها الشيخ المفيد نفسه في أي كتاب من كتبه، فكيف نصدقها وهي عن مجاهيل؟

ولا شك أنكم لو بحثتم في هذه الدعوى لرفضتموها بسرعة البرق ولم تبنوا عليها أي دليل.

ولا أعرف بعد ذلك من تقصد بمراسلة الإمام المهدي له الآن؟ هل تقصد أحمد الحسن (قتيل الزرقاء)؟ أو الصرخي؟ أم من؟ وكيف تصدق الأدعياء والدجالين بهذه السرعة والبساطة؟

وإذا كنت تصدق هؤلاء فلماذا لا تصدق بمن يأتيك مثلا ويقول لك انه حضر جنازة الإمام المهدي ودفنه؟وهل تطالبه بالدليل؟ أم تصدقه بصورة عمياء؟

ثم قلت:"وإذا أردنا إلغاء هذه الوسيلة لإثبات المعلومات فلا تبقى وسيلة للتصديق بشيء إلا في موارد محدودة". وأقول

لك:كيف تعتبر تلك الدعاوى الغامضة والمجهولة وسائل لإثبات المعلومات؟ فضلا عن العقائد وأصول الدين؟ وإذا كنت تعتبر تلك الروايات أو الإشاعات المجهولة أدلة علمية فلا بد أن تراجع أسس الاجتهاد والبحث العلمي من جديد.

شيخنا الكريم

لقد رد على كتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) حتى الآن أكثر من خمسين مؤلفا، ومعظمهم لم يتوقف عند "الدليل التاريخي" المدعى، لشدة ضعفه، وتهافته، وسقوطه عن مستوى خبر الآحاد إلى مستوى الإشاعات المجهولة التي لا يجوز الأخذ بها شرعا في مسألة جزئية، فكيف في مسألة كبيرة مثل وجود الإمام الثاني عشر؟. وكنت أتمنى أن تقرأ كتابي قبل أن تتحدث عن هذا "الدليل". حيث ناقشت كل الروايات "التاريخية" الواردة حول الموضوع سنداً ومتنا.

ولو كنت قد درست أو اجتهدت في موضوع وجود "الإمام الثاني عشر" أو قرأت كتب الأقدمين من مشايخ الطائفة (كالصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي والنعماني) لاكتشفت أنهم يصرحون بضعف "الدليل التاريخي" الذي لا ينهض حجة شرعية في إثبات وجود الولد للإمام العسكري بصورة مستقلة، وانهم إنما يأتون به من باب المعاضدة والتأييد، وإلا فانهم لا يعتمدون في قولهم بوجود الولد إلا على ما يسمونه "الدليل العقلي" والذي أسميته أنت بالدليل العقائدي، والذي يتلخص بالمقولات التالية:"إن الأئمة اثنا عشر، وإن الأرض لا تخلو من حجة، وأنها لو خليت من الإمام لساخت بأهلها" إضافة إلى مقولات أخرى مثل :إن الإمامة في ذرية الإمام علي والحسين، وأنها تنتقل في ذريتهم بصورة عمودية لا تذهب إلى أخ ولا إلى ابن أخ أو عم أو ابن عم، وان الإمام العسكري كان الإمام بعد أبيه وانه توفي ولم يغب، وما إلى ذلك من تفاصيل. وكل هذه المقولات لا تعتمد على القرآن الكريم ولا على السنة النبوية ولا على أحاديث أهل البيت الصحيحة المتواترة، وإنما على أخبار آحاد ضعيفة، لا تصمد أمام المناقشة العلمية.

إن أحاديث (الاثني عشرية) مثلا لم يكن لها وجود عند الشيعة الامامية في القرون الثلاثة الأولى، وانما اخترعت وألفت في القرن الرابع الهجري، بعد وفاة الإمام العسكري بمائة عام تقريبا. وقد ناقشتها في كتاب خاص ملحق بكتابي (تطور الفكر السياسي الشيعي) وموجود في موقعي على الإنترنت.

وأما مقولة:"إن الأرض لا تخلو من حجة" فهي على فرض صحتها لا تنتج بالضرورة وجود إنسان في الخارج أو تؤكد ولادة

ابن للإمام العسكري، وتدل في النهاية على كـون فكـرة وجـود الولد فرضية فلسفية ظنية.
وإذا تمعنت في تلك المقولة فســـــوف تكتشف أن المتكلمين الشـيعة الأوائل كـانوا يقصـدون بها ضـرورة وجـود الإمـام، أي الـرئيس أو الحـاكم، أو الخليفـة، واضـطراب المجتمع في حالة فقدان الحاكم، ولم يكونوا يقصدون تزلـزل الأرض واصـطدامها بـــالكواكب والنجـــوم الأخـــرى. وأن المتكلمين الأوائل كـــانوا يضيفون إليها مقولة أخرى هي "ضرورة كون الإمـام معصـوما" ومقولات أخرى ليستنجوا منها ضرورة افتراض وجود ولد للإمام العسكري رغما عن أنفـه، ودون علمـه، ومن دون أن يدعيه في حياته.
إن الحديث عن موضوع وجود "الإمام الثـاني عشـر" حـديث طويل، ولذلك طلبت منك أن تهتم بدراسته والاجتهـاد فيـه، من أجل أن تكتشف الأرضـية الشـرعية الـتي تقف عليها "المرجعية الدينية" أو "النيابة العامة والخاصة" التي يدعيها كثير من الناس بلا دليل.
ولو كنت فعلت ذلـــك، وآمل أن تقـــوم بهـــذا البحث عـــاجلا، لاكتشفت أن الطائفية لا تقوم إلا على خرافات وأسـاطير، وهي لا تفيد المسـلمين الشـيعة ولا السـنة، سـوى صب الـزيت على النار، وعرقلة العملية الديموقراطية، وبنـاء الأمة الإسـلامية من جديد.

أحمد الكاتب
28-3-2007
لندن

صدر للمؤلف

1- **تطور الفكر السياسي الشيعي.. من الشورى الى ولاية الفقيه**
2- **الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية**
3- **المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور (السيد محمد الشيرازي نموذجا)**

4- السنة والشيعة..وحدة الدين، واختلاف السياسة والتاريخ
5- تطور الفكر السياسي السني.. نحو خلافة ديموقراطية